

مجلة العلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة، أساسية تصدرها
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية

العدد 7.6 جويلية 2014، جانفي 2015

مدير النشر

الأستاذ الدكتور/ دحوفغورور

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور/ محمد صاحبي

Revue N° 6 &7
ISSN : 2335-1918
EDITIONS
DAR ELQODS EL ARABI
Coopérative elhidaya belgaid - Oran
Oran 31000 —627 ب.ص.ب B.P 627 R.P
- FAX : 041503206 - 0792339956 - 0556230762
Quds_arabi@hotmail.fr
www.darelqodselarabi.dz



هيئة التحرير

أ.د عبد المجيد بن نعمية	أ.د عبد القادر خليفي
أ.د محمد دادة	د. محمد برقان
د. سيد أحمد بلزعر	د. الأزرق بن عبد الله
د.العربي بن حجار ميلود	أ.جبران خليل ناصر
أ.الأخضر عمراني	أ.الأعرج مرسلي

الهيئة العلمية

أ.د محمد القورصو	أ.د بوعلام بلقاسمي
أ.د الأخضر الأخضراري	أ.د داود محمد
أ.د حنيفي هلايلي	أ.د عبد المالك بن سبتي
أ.د إبراهيم مهديد	أ.د أم الخير العقون
أ.د نور الهدى بوخالفة	أ.د محمد موفق
د. بن عمر حمدادو	د. أحمد عمراني
د.د أم الخير تومي	أ.ة شايب الذراع بنت النبي

ردمد: 095 . 2253

2015 - 2014

والمجلة ترحب بالإسهامات العلمية في مجالات العلوم الإنسانية بجميع فروعها وبالأخص في الميادين التالية:

- التاريخ وعلم الآثار
- علم المكتبات والمعلومات
- علوم الإعلام والاتصال
- العلوم الإنسانية الأخرى ذات الصلة

المواد العلمية التي تتلقاها المجلة

- الدراسات العلمية الأصيلة، المتصلة بالبحوث التي لم يسبق نشرها.
- دراسة وتحقيق المخطوطات.
- مراجعات الكتب والتعليقات عليها.
- تقارير المؤتمرات والندوات التي لها علاقة بموضوعات المجلة.

شروط النشر

- على الباحثين التقيد بالشروط العلمية والمنهجية المطلوبة في النشر: الأصالة، التوثيق والجدة.

- تخضع المقالات المقدمة للمجلة للتقييم من طرف خبراء محايدين.
- الآراء الواردة في المقالات تخص أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- أن لا يفوق حجم المقال 20 صفحة ولا يقل عن 10 صفحات، وأن يكون مرفوقا بملخص باللغة الأجنبية إذا كان المقال باللغة العربية والعكس صحي
- يجب أن تكتب المقالات على الحاسوب بخط Traditional14arabic، تبعث عن طريق البريد الإلكتروني أو تسلم مسجلة على قرص مضغوط CD-ROM مع نسخة ورقية.
- المقالات والبحوث التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات أو إضافات عليها تعاد إلى أصحابها، لإجراء تلك التعديلات قبل النشر.

ترسل المقالات على البريد الإلكتروني الآتي:

Revuescienceshumaines_univoran@yahoo.fr

أو على العنوان التالي:

مجلة العلوم الإنسانية

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية

- جامعة وهران 1 أحمد بن بلة - الجزائر

ص.ب 1514، المنور 31000

وهران- الجزائر

- الهاتف: (00213)0550432329 --- (00213)0560172868

كلمة مدير المجلة

كالعادة، لما حان وقت كتابة كلمة العدد الجديد من مجلتنا "مجلة العلوم الإنسانية" تبادرت إلى ذهني جملة من المواضيع، استعرضتها واحدة واحدة ثم طرحتها كلها جانبا إلا واحدة لا لأنها مهمة أكثر من غيرها، ولكن وعملا بالقاعدة القائمة على ترشيح الأهم على المهم، استقر فكري حول إحداها، أعرضها على القارئ راجيا التوفيق في شد انتباهه وتنشيط تفكيره ولو لدقائق معدودة.

لقد استهلّت الإنسانية منذ بضعة أيام خطوتها الخامسة عشر في رحاب الألفية الثالثة، وهي الألفية التي كانت تنذر بتقلبات جذرية تصل إلى مستوى ثورات حقيقية في الفلسفة والفكر والسياسة والاقتصاد بل وحتى العادات والتقاليد والأذواق. وبالفعل ومن منظورنا المتواضع نقرّ أنّ العالم لم يعد كما كان. فما طلع علينا فجر جديد إلا وجاء لنا بمفاجآت جديدة غيرت أسلوب حياتنا وتفكيرنا. مع ذلك يجب أن نقرّ أنّ ما كنا نخشاه أكثر فيما كان آت هو أن يجنح الإنسان نحو المادة ويعزف عن المشاعر والأذواق والأحاسيس. وكيف يكون الأمر غير ذلك وقد باشر الإنسان الألفية الثالثة في محيط تسوده تحديات مفصلية مثل التلوّث البيئي والاحتباس الحراري والإرهاب الدولي، وتفشي أوبئة غير مألوفة..... وهي كلها تحديات قاتلة إن لم يبادر الإنسان بمعالجتها علاجا جوهريا في إطار تضامني يتخطى الحدود الجغرافية للدولة الوطنيّة.

إذن، وبالرغم ما كان يتوقعه البعض، فإنّ الإنسان لا يزال بحاجة إلى أجوبة عن تساؤلاته الكثيرة، وهي تساؤلات لا يمكن لعلوم المادّة أن تجيب عنها بمفردها. فلا يزال أمام العلوم الإنسانية أيام عطاء لا يمكن تعويضها بعلوم أخرى. وهذا ما استشرّفناه حين باشرنا باستحداث "مجلة العلوم الإنسانية" والتي ما فتئ يشتدّ عودها بالتفاف حولها أقلام وطنية ودولية : مشاركة وتقييما ونصحا ومطالعة.

أ.د. دحو فغور

كلمة رئيس التحرير

على سبيل التقديم

منذ سنوات قليلة خلت، خصّصت مجلة « *Tracés* » وهي لسان حال العلوم الإنسانية بجامعة "ليون" الفرنسية، أربعة من أعدادها، لمحاولة الإجابة عن السؤال: ما الفائدة المرجوة من وراء العلوم الإنسانية؟.. إن مجرد طرح هذا السؤال في بيئة جامعية عريقة مثل جامعة ليون، له دلالاته العميقة، لعل أغلبها يكمن في شعور البعض - أو الكل - ممن يحملون على أكتافهم هموم الإنسان في هذا العصر المتسم بالتعقيد وغلبة الآلة، بالخيبة المريرة من النتائج الهزيلة التي توصل إليها البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، أمام الفتوحات الكبرى في الميادين المعرفية الأخرى، المنغمسة فيما أطلق عليه "زيبكني بريزنسكي" بالعصر التكنولوجي.

وأما ما توصلت إليه العشرات من المقالات والحوارات والتحليلات، فقد جاء بسيطاً بساطة الجملة التي صدح بها يوماً سقراط عندما قال " اعرف نفسك ! " بعدما تيقن بأن الخطأ كل الخطأ هو استخدام المنظار بهدف النظر إلى حفرة أمام القدمين..

لقد خلّصت مجلة "تراصي" في نهاية المطاف إلى أن " التساؤل عن الفائدة من وراء العلوم الإنسانية، سؤال خاطئ بالأساس، إنّ الجميع يدرك الأهمية القصوى التي تكتسبها هذه العلوم في حياة الناس، ماضيهم، حاضرهم ومستقبلهم. أما السؤال الذي يجب طرحه بالفعل هو: كيف نستفيد من هذه العلوم؟".

فإذن، لا داعي من طرح السؤال عن الجدوى من هذه العلوم، والانكفاء على البحث عن الوسائل التي تتيحها هذه العلوم لمحاولة إيجاد تفسيرات علمية، بعيدة عن الديماغوجية، لما يحدث في المجتمع المعاصر، والعربي الإسلامي منه على وجه الخصوص، من أفعال وردود أفعال، ربما سيدفع ثمنها المستقبل.

تحاول مقالات هذا العدد المزدوج، من خلال ما تطرحه من قضايا متعلقة، إن بالتاريخ أو علوم الوثائق أو علوم الإعلام والاتصال، أن تفتح قوساً يتم من خلاله التعرف على جوانب من الأحداث والمواقف والعبر، التي يزر بها تاريخنا بمعناه العام، حيث يتلاقى الحدث بال شخصية، والوثيقة بالمعلومة، ليفرز في النهاية طائفة من المعلومات، من الممكن أن تزيد من معارفنا، وتفتح مداركنا، لعلنا قد نجد في بعض منها، إجابات عن بعض الأسئلة.

أ.د محمد صاحبي

فهرس المحتويات

- التقويم الامازيغي و الفرعون شيشنق
أ.د.ة أم الخير العقون.....ص13
- نماذج من الرموز والرسومات العقائدية البونية والرومانية ببلاد
المغرب القديم.
د. بن عبد المومن محمد.....ص24
- مولاي علي الشريف وجهوده التأسيسية
762-847هـ/1360-1443م. الجزء الثاني
أ.د. مولاي هاشم بن المهدي العلوي القاسمي.....ص35
- تمنطيط المدينة في مجتمع القصور الدور العلمي
والتجاري في القرن 9 هـ/ 15 م.
د. الحمدي أحمد.....ص53
- أومبرتو عمر العميل السري الايطالي في مسقط 1908-1911
(دراسة وثائقية)
د.ة. ناهد عبد الكريم.....ص69
- الرائد فراج بين محمد جغابة ومحمد لمقامي
أ.د. عبد القادر خليفي.....ص96
- خط موريس بين الأبعاد الاستراتيجية الإستعمارية
ورد فعل الثورة التحريرية الجزائرية.
د.جيلالي بلوفة عبد القادر.....ص108
- المنظومة الأرشيفية في الجزائر: رؤية نقدية
أ. قاضي عبد القادر.....ص119
- من المخطوطات الورقية بالخرانات الشعبية (الزوايا) إلى المكتبة
الرقمية للمخطوطات بالمركز الوطني للمخطوطات (أدرار).
د. مولاي امحمد.....ص129
- دور الاجهزة الذكية في استعمال بوابات الخدمات الإلكترونية الرسمية:
دراسة تقييميه لبوابة وزارة التربية الجزائرية.
د. العربي بن حجار ميلود.....ص151

- أدوار التظاهرات العلمية الجامعية في بناء مجتمع المعرفة الأكاديمي المتخصص: حالة قسم علم المكتبات و العلوم الوثائقية بجامعة باجي مختار، عنابة.
د.عين أحجر زهير.....ص177
- في فجوة التنظير الإعلامي العربي: الواقع، الرهانات وضرورة التجديد
حفصة كوبيبي ص207
- الصحافة الاستقصائية في الإعلام التلفزيوني والإعلام الجديد التطور التاريخي ومعايير البناء الخبري.
د.العربي بوعمامة ...أ.حفيفة بوخاري.....ص229
- نشر الجرائم المرتبطة بالطفل في وسائل الإعلام ظاهرة اختطاف الأطفال في الجزائر أنموذجا ؟
د. بن دريس أحمد.....ص243
- تحليل نقدي لتدريس المنهجية في العلوم الإنسانية بالجامعة الجزائرية
د.ة أم الخير تومي.....ص261
- الكتابات الكولونيالية حول التصوف الطرقي مقارنة تحليلية لكتاب الطرق الدينية لدبون وكوبولاني
أ.ة زاوي خديجة.....ص277

مستخلصات المقالات

المكتوبة باللغة الأجنبية

- تدريس التقنيات الأرشيفية ضمن برنامج ل.م.دفي عصر تحولات المهنة
أ. عمراني الأخضر.....ص285
- إدارة المعارف: المفاهيم والمبادئ الأساسية
أ. بن علو هواري عدنان ص286
- علامات بارزة من تاريخ الجزائر الحديثة: من ثورة التحرير إلى تأسيس الدولة إجلالا لذكرى الراحلين أحمد بن بلة و هواري بومدين.
فؤاد قباني ...حبيب عطالله.....ص287

المحور الأول

التقويم الامازيغي والفرعون شيشنق

أ.د.ة أم الخير العقون

جامعة وهران 1 أحمد بن بلّة

I – التقويم الزمني

التقويم هو تقسيم الأزمنة وحساب الأوقات حسب حاجيات الحياة الاجتماعية، ويكون هذا التقسيم متماشياً عموماً مع ظواهر فلكية معينة، كالتقويم القمري أو الشمسي. وقد يتفق القوم على بداية زمنية ثابتة يردون إليها الأحداث كما هو الحال بالنسبة إلى ما هو معروف بالتقويم الأمازيغي...

فما هي المعطيات التي أدت إلى ربط الأمازيغ تقويمهم بشخصية تاريخية موهلة في القدم، هي شخصية الفرعون شيشنق؟

وما هي الصلة بين التقويم الأمازيغي والفرعون شيشنق؟ وبماذا يتميز التقويم الأمازيغي ومتى بدأ؟ ما هي الصلة بين الأمازيغ وفرعون حكّم مصر؟ ومن هو الفرعون شيشنق؟

أسئلة كثيرة تتبادر على ذهن مجرد قراءة هذا العنوان، وعليه يتوجب علينا تحليل هذا العنوان، ومحاولة إيجاد الصلة بين مفرداته...

وأول تقويم عرفه الإنسان هو التقويم الشمسي¹ الذي أوجده كهان اله الشمس " رع " في مدينة منف (هيليوبوليس - عين شمس) في مصر الفرعونية، وقد توصل الكهّان إلى هذا الانجاز في تاريخ مبكر جداً.²

وكان الدافع لهذا الانجاز العظيم هو مواجهة ظاهرة أساسية في حياة المزارعين المصريين القدامى، وهي فيضان النيل وضرورة الاستعداد له لتفادي غرق الارض، ولذلك فانه لطول نظر كهّان اله الشمس في السماء، لاحظوا مع مرور الزمن أن بشائر الفيضان كانت تطالعهم مع ظهور نجم في السماء قبيل شروق الشمس.

وهذا النجم سمّاه العرب "الشعري اليمينية" وعرفه اليونان باسم سوتيس Sothis³ تحويراً للاسم المصري القديم "سوبدت" أي جالب الفيضان...

ولما استقرت هذه الظاهرة في أذهان الكهّان، ولاحظوها زمناً طويلاً أصبحوا يترقبونها عن قصد. وبعد مشاهدة طويلة ودقيقة للشمس والنجوم من طرف الكهّان، لاحظوا أنه ينقضي ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً (365) بين كل ظهورين متتاليين للنجم "سوبدت"، وعلى هذا الأساس أنجز الكهّان العمل الكبير، وهو التقويم الشمسي المتمثل في سنة مكونة من 365 يوماً، وقسموا هذه السنة إلى 12 شهراً اقتباساً من

عدد الأبراج الفلكية (zodiac)، و في كل شهر ثلاثون (30) يوما، وأضافوا إليها خمسة أيام تكميلية تقام فيها أعياد دينية للأرباب المصرية العظمى (أوزيريس، ست، إيزيس، نفتيس وحورس). وتسمّى بأيام النسيء أو الشهر الصغير، ثم جمعت هذه الشهور في مجموعات رباعية فأعطت : فصل الفيضان (أخت)، فصل الزرع (برت) وفصل الحصاد (شمو).⁴

ولم ينتبه كهّان هليوبوليس إلا بعد عشرات، وربما مئات السنين لذلك الفارق البسيط بين السنة المدنية والسنة الحقيقية (المدارية)، وهو ربع يوم يتضخم ليصبح سنة كاملة بعد 1460 سنة.

وهو الأمر الذي أربك الكهّان بعد أجيال طويلة، لمّا لاحظوا تأخر فيضان النيل عن مواعده، كما لاحظوا أنه بعد أربع سنوات، تتأخر السنة المدنية يوما عن السنة الحقيقية المحصورة بين ظهورين متتاليين للنجم. غير أن عدم التطابق هذا، لم يؤثر إلا بعد مرور عشرات الأجيال حيث بدأت البلبلة والارتباك في الأوساط، فأصبحت الأعياد الصيفية تقع في الشتاء... ويعبّر عن هذا الارتباك نص في بردية تعود للأسرة المصرية التاسعة عشر (1184-1307 ق.م) لكاهن يتضرع: ".تعال إلي يا آمون، خلّصني من السنة المضطربة إن الشمس لم تعد تشرق، الشتاء يأتي في الصيف، والشهور تنعكس، والساعات تضطرب. ".⁵

(2) إصلاح التقويم

- الخطوة الأولى

أما عن تطوّر هذا التقويم الشمسي الذي يرجع الفضل في إكتشافه إلى كهنة هليوبوليس، كما سلف الذكر، فقد لاحظ هؤلاء الكهّان أنفسهم الخلل الموجود بين السنة المدنية من 365 يوما، والسنة الحقيقية المكوّنة من 365 يوما وربع يوم، لكن وبحرصهم الغريزي على التقاليد لم يسع الكهّان وراء إصلاح ذلك الموقف إلى غاية حُكم الملك بطليموس الثالث، حيث اجتمع الكهنة بأمر منه سنة 239 ق.م في معبد مدينة كانوب (جزء من المدينة الإسكندرية، أبو قير حاليا)، وأصدروا مرسوما، جاء في أهم بنود من هذا المرسوم " إضافة يوم سادس إلى أيام النسيء الخمسة (الشهر الصغير) مرة كل أربع سنوات (السنوات الكبيسة bissextiles)،⁶ غير أن محاولة بطليموس الثالث سرعان ما أهملت ولم يعد يُعمل بها، إلى أن أخذ بها القائد الروماني يوليوس قيصر سنة 46 ق. م. بتوصية من الفلكي اليوناني سوسيجان sosigène. فأمر القيصر باعتماد سنة كبيسة كل أربعة سنوات من 366 يوما، كما بادر يوليوس قيصر السنة بأول جانفي عوض أول مارس، كما كان معمولا به عند الرومان فيما

قبل. غير أن ديودور الصقلي وسترابون ينسبان هذا التعديل (إضافة يوم كل أربع سنوات) إلى المصريين أنفسهم.⁷

- الخطوة الثانية

أما الخطوة الثانية في التقويم الشمسي فقد حدثت سنة 1582 على يد البابا جريجوري الثالث عشر (1502-1585) بعد أن لاحظ بأن هناك فارقا بين السنة المدارية الحقيقية والسنة المدنية.

فالسنة المدنية (اليوليانية نسبة ليوليوس قيصر) تزيد بـ 11 دقيقة و14 ثانية عن السنة الحقيقية، وأن هذا الفارق البسيط قد تضاعف منذ تاريخ اعتماد التقويم اليولياني سنة 46 ق.م، حيث أصبح عشرة أيام كاملة سنة 1582.

ولكي تتزن السنة المدنية وتتماشى مع السنة الحقيقية، قرر البابا جريجوري الثالث عشر إسقاط عشرة أيام من سنة 1582. وعليه فقد انتقل التقويم مباشرة من يوم 4 أكتوبر- وكان بمثابة يوم وفاة التقويم اليولياني- إلى اليوم الموالي والمؤرخ بـ 15 أكتوبر عوض 5 أكتوبر، وكان بذلك ميلاد التقويم الجريجوري (نسبة إلى البابا جريجوري) الذي ذاع استخدامه في كل أوروبا وبعض دول آسيا.

أما في شمال إفريقيا فقد بقي التقويم اليولياني ساريا منذ أن أدخله المستعمر الروماني على بلاد المغرب القديم. وبقي معمولا به وسط الأهالي الفلاحين المرتبطين بالأرض، رغم سريان تطبيق التقويم الجريجوري رسميا في الجزائر من طرف المستعمر الفرنسي.⁸

وعليه فإن السنة الأمازيغية التي تسير على ما يبدو، على خطى التقويم اليولياني القديم تبدأ متأخرة، ويحتفل بالجزائر برأس السنة (يناير) يوم 12 جانفي، وهو تقدير خاطئ لأن الحساب الصحيح يجعلها تقع يوم 13 جانفي، ذلك لأن السنة اليوليانية تفوق السنة الحقيقية كما تم توضيح ذلك سابقا، والفارق هو ثلاثة أيام كل 400 سنة.

وعليه فإن الفارق قد بلغ في القرن العشرين ثلاث أيام إضافية إلى الفارق الذي لاحظته البابا قريوقري الثالث عشر في القرن السادس عشر وهو عشرة أيام. وهو ما يعني أن التقويم الامازيغي (السنة الفلاحية)* متأخر بيوم كامل عن التقويم اليولياني، وهو الأمر الذي لا أجد له تفسيراً.

3 - التأريخ عند الأمم القديمة

لقد اتخذت الأمم والشعوب القديمة لتأريخ الحوادث أساليب عدة أشهرها اتخاذ حادثة تكون بمثابة نقطة ثابتة لعدّ السنوات وتسلسلها.

فالعبرانيون مثلا، واعتمادا على ما جاء في الكتاب المقدس اتخذوا من سنة 4004 ق.م وهي سنة بداية الخليقة-حسب اعتقادهم- منطلقا لحساب الزمان وتسلسل أحداثه، في

حين كان العراقيون القدامى يتخذون أسلوبا مغايرا في تقويم الأحداث وهو التاريخ للسنة المستهدفة بأهم حادثة وقعت في السنة السابقة لها، كتشييد معبد أو حفر قناة، أو إصدار تشريع أو ما شابه. وقد أتبع ذلك إلى غاية العهد الآشوري، حيث كان الملك يمنح اسمه للسنة الأولى من حكمه ثم يعطى اسم التورتان (قائد الجيش) للسنة الثانية ويتلوّه في هذا من يليه من الموظفين السامين في الدولة. وهذا ما عُرف باسم " لمو " أي دار، يدور، ويعني بالدور.⁹

ولم يتبع المصريون القدامى التاريخ طبقا لسنين حكامهم إلا ابتداء من الأسرة الثانية عشرة (1991 – 1786 ق.م). أما ما تمّ فيما قبل، فقد كان التاريخ عن طريق أهم الأحداث البارزة التي وقعت. ولقد حدث ذلك ابتداء من الأسرة الثانية، حيث اقترن بعملية تعداد أو إحصاء الماشية في مصر، وكان يتم ذلك مرة كل سنتين.¹⁰ وكانت هذه العملية يصاحبها تعداد الرجال البالغين للمشاركة في خدمة أملاك الفرعون المؤله وأراضي إله المدينة...

أما اليونانيون فقد اتخذوا سنة إجراء الألعاب الأولمبية الأولى عام 776 ق.م منطلقا يحسبون به أعمالهم وتاريخهم، في حين اعتبر الرومان سنة 753 ق.م عام تأسيس مدينة روما أهم حادثة في تاريخ الرومان، وكانت هذه المناسبة عندهم اللحظة التي قام على أساسها كل تاريخ الرومان. ..

أما فيما يتعلق بنفس الأمر عندنا اليوم، وهو إتباع تقويم يسيّر الحياة الزمنية والاجتماعية، فقد أتبع ما أمسى يُعرف بالتاريخ الميلادي، واعتبار ميلاد المسيح عليه السلام منطلقا له، في حين يؤرخ العالم الإسلامي بالتاريخ الهجري واعتبار حادثة هجرة الرسول (ص) من مكة إلى المدينة في السنة الأولى للهجرة 622م. اللبنة والأساس الذي قام عليه العالم الإسلامي وظهر علنا إلى الوجود...

أما ما يُعرف بالتقويم الأمازيغي، فهو في الأرجح حديث النشأة¹¹ لا يتجاوز عمره الربع قرن إلا بقليل. ولقد اعتبر الأمازيغ سنة جلوس الفرعون شيشنق على العرش نقطة ثابتة في تاريخهم، وعليه فإن سنة 950 ق.م تعدّ عندهم بداية التقويم الأمازيغي. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هي الصلة التي تربط الأمازيغ بحكم أحد فراعنة مصر؟ ومن هو الفرعون شيشنق؟

من المعروف تاريخيا أن الفرعون شيشنق، أو بالأحرى الفرعون شيشنق الأول¹² هو أول سلسلة من الملوك ذوي الأصل الليبي الذين حكموا مصر الفرعونية خلال الأسر 22، 23 و24 لأزيد من قرنين 950 – 715 ق.م. وإن مرور حكم مصر الفرعونية من أيدي أبنائها إلى حكام ليبيين لم يكن نتيجة اصطدام عسكري حاسم كما يُروّج عن طريق المأثورات الشعبية، ولا يرجع الأمر أيضا إلى اغتصاب الليبيين (الأمازيغ) للحكم من أصحابه الشرعيين، بقدر ما يرجع إلى الأهمية التي اكتسبها

ماضي العلاقات بين البلدين. وما كان للعنصر الليبي من مكانة مميزة في مصر وخاصة في الفترة التي شاخ فيها جهازها الحكومي.

4- العلاقات المصرية الليبية

ليبيا هي الاسم القديم الذي يُطلق على ذلك الإقليم الواسع من مصر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوبا.. ولقد اتسمت العلاقات المصرية الليبية بالصبغة العدوانية عموما، وذلك منذ فجر التاريخ المصري.¹³ وبالرجوع إلى الآثار المصرية نجدها تصوّر لنا المحاولات المتكررة للقبائل الليبية التي كانت تريد التوغل وربما الاستقرار في مصر. ولا يكاد يمرّ حكم فرعون مصري دون أن تذكر لنا النصوص أخبار معارك بين الطرفين. وازدادت العلاقات سوءا أثناء الدولة الحديثة في مصر، حيث أمست الغارات الخاطفة غير المنظمة في الدولتين القديمة والوسطى في مصر، حروبا طويلة الأمد نسبيا، تحالفت فيها القبائل الليبية جميعها وأحيانا تحالفت مع شعوب البحر، كما كان عليه الحال في عهد الفرعون سيتي الأول (الأسرة 19) في حوالي 1308 ق.م.¹⁴ كما خُذ الفرعون رمسيس الثاني على جدران معبدي "أبي سمبل" و"بيت الوايلي" حربه ضد الليبيين سنة 1289 ق م، لكن أخطرها جميعا كانت تلك التي تعرضت لها مصر في السنة الخامسة من حُكم خليفته الفرعون مرنبتاح حوالي 1219 ق.م، وهي حرب تحالفت فيها القبائل الليبية كلها تحت زعامة مري بن دد "Merety son of ded"، التي قال عنها عالم المصريات الأمريكي "بريستد" إنها كانت واحدة من أخطر الغزوات التي تعرضت لها مصر في تاريخها.¹⁵

وتخذ أحداث الحرب نقوش " الكرنك " "لوحة أتريب " و"أنشودة النصر" وكل هذه النصوص مترجمة من المصرية القديمة إلى الإنجليزية في الجزء الثالث من كتاب "برستد". J.H Breasted

أما حكم خليفته الفرعون رمسيس الثالث (الأسرة 20) فكانت الفترة الحاسمة في تاريخ العلاقات المصرية الليبية، ومعلومتنا عن حروب رمسيس الثالث ضد الليبيين، مستقاة من نقوش ونصوص جدران معبده الكبير بمدينة " هابو " على الضفة الغربية المقابلة لمدينة الأقصر الحالية، ومنها نعرف أن رمسيس الثالث قد خاض حربين ضد القبائل الليبية، أولاهما في السنة الخامسة من حكمه في حوالي 1194 ق م، وبلغ جيش الليبيين آنذاك ثلاثون ألف رجل بزعامة ثيمر Themer رئيس قبيلة الرّيبو، وقد قتل فيما تذكره هذه النصوص في هذه الحرب 12 ألف من الليبيين، وتمّ أسر ألف رجل.

أما الحرب الثانية فقد كانت وقائعها في العام الحادي عشر من حكمه، أي حوالي 1188 ق م، ويبدو أن قبيلة المشواش العظيمة قد لعبت دورا كبيرا في توحيد القبائل تحت زعامة رئيسها "كبير- keper" الذي أنشا جيشا تحت قيادة ابنه مششر

Meshesher قام بإرساله نحو مصر للثأر من هزيمة الحرب الأولى. إلا أن رمسيس الثالث آخر فراعنة مصر العظماء، قد تمكن من إلحاق هزيمة ثانية بالجيش الليبي. وعلى أثر ذلك احتفل المصريون آنذاك بيوم أطلقوا عليه اسم "عيد قتل المشواش".¹⁶ وتتصّ المصادر الأثرية أيضا بأن عدد القتلى الليبيين في هذه الحرب قد بلغ، 2175 بينما وقع في الأسر ما يقارب 2052 رجلا. قام الفرعون باستغلال قدراتهم العسكرية فضمّهم إلى جيشه النظامي، و لحق الفرعون رمسيس الثالث بما تبقى من جيش الليبيين الأمازيغ مسافة ثمانية عشر كيلومتر، غرب مدينة " أوسر معت رعت" غرب الدلتا المصرية.. وهو الأمر الذي يُفقد بعض ما يُتداول من أنه (أي رمسيس الثالث) قد وصل إلى غاية منطقة الخميس بنواحي تلمسان الحالية..

5- المشواش الأمازيغ

يُخبرنا المصدر المصري بأنّ سكان ليبيا لم يكونوا من قبيلة واحدة، وأن أهم قبائلهم التي تعرف عليها قدماء المصريون مرتبة حسب ظهورهم على الساحة السياسية آنذاك وهم على التوالي : التّحنو، التّمحو، الرّيبو والمشواش. ومن هذه القبائل الأربعة الرئيسية يتكون الشعب الليبي.

وقبيلة المشواش هي آخر القبائل اللّيبية التي تعرّف عليها المصريون القدامى، وهي أبعداها موطننا عن الحدود المصرية.

ومن خلال النقوش والرّسوم المصرية ننتبّن بأنّ المشواش شقر*، فهم بيض البشرة عيونهم فاتحة ويتميز الرجال منهم بلحيّ مدببة وحلق الرأس كله والإبقاء على ضفيرة جانبية تلف حول الصدغ.

وهناك شبه إجماع بين المختصين بأن المشواش هم الماكسيون **Maxyses** الذين ذكرهم هيرودوت وحدد مكان استقرارهم غرب بحيرة تريتونيس (شط الجريد) بتونس.¹⁷

ويتفق عالما المصريات الأمريكي "برستد" والإنجليزي "جاردنر" بأنّ المشواش هم ولا جدال أصل البربر الذين عمّروا شمال إفريقيا.¹⁸

وقد استخدم هؤلاء المشواش الذين استقروا في مصر بعد وفاة الفرعون رمسيس الثالث لقبا هو زعيم المشواش، وكان يُختصر في غالب الأحيان إلى زعيم "مش" **MŠ**، ويعتقد ج.يوبيوت بأنّ الجذر **MŠ** أو **Mass** يعني السيّد أي الحر والنيل¹⁹، ويذهب "بوزنر" إلى أن هذا اللفظ "مش" لا يزال مستخدما لحد الآن في اللّغة الترقية.²⁰

كما يتفق عالم المصريات " بنس **Bates** " والمختص بمرحلة فجر التاريخ في المغرب القديم " كامبس" بأن كلمة مشواش من أصل بربري وهي **Msy** المرادف لكلمة **MZGH** وقد تحوّرت عند الإغريق فأصبحت **Mazyes** ثمّ، **Maxyes** وفي اللاتينية

Mazices. وهذا اللفظ، مثله في ذلك مثل أي لفظ أو اسم، فقد طرأت عليه تغيرات وتخرجات من منطقة لأخرى، فامست:

MUSAGH - : عند بربر غرب فزان.

IMAZIGH : منطقة العير.

TA-MAZIGHT : في أدرار

I-MAZIGHEN : الريف المغربي

I-MAZIGHEN : الأوراس.

أما الجذر الحامي "MZGH" فهو يعني حسب "بتس" النبيل والحر.²¹

6- أصل الفراعنة الليبيين

عرفت الدولة المصرية الحديثة بعد وفاة الفرعون رمسيس الثالث (119-1163 ق.م) اضطرابات داخلية ومحاولات انقسام وانفصال، فلم يجد خلفاؤه من بعده حيلة يقاومون بها نفوذ الكهنة والأمراء الإقطاعيين، إلا الأسرى الأجانب التابعين للفرعون رأسا. وقد ضمهم الفرعون إلى جنوده المأجورين (المرتزق) من أقوام مختلفة، غير أن عنصر المشواش "الأمازيغ" كان هو المميّز بين هؤلاء الجنود.

كما أن سبل التدرج في السلم العسكري وخاصة في مركز الضباط كان حكرا على النوبيين والليبيين المشواش فقط. ومع تقلص واردات الدولة المصرية الحديثة، لجأ الفراعنة إلى إقطاع قادة المرتزقة المشواش أراضي مقابل الالتزام بالخدمة العسكرية وتشيد بردية ويلبور "WILBUR" إلى وجود طبقة من الإقطاعيين الحربيين المشواش في أواخر الأسرة العشرين.²² وتخيرنا وثائق مصرية أخرى، تعود إلى أواخر الأسرة العشرين والأسرة الحادية والعشرين بأن المشواش وانتهم الفرصة فاستخدموا كفاءاتهم العسكرية في خدمة حكام " تانيس" وكهّان طيبة*، وبدأوا يوطّدون أقدامهم في مصر ويتدفقون بكثرة وينتشرون في أرجاء مصر كلها، حتى أصبحوا أسياد البلاد.

وبدأت المناصب الإدارية والعسكرية والكهنوتية في الانتقال بالتدريج إلى أيدي المشواش الليبيين "الأمازيغ"، الأمر الذي مكّنتهم من الوصول إلى عرش مصر بأقل احتكاك ممكن. وقد انتظر "الزعيم العظيم" للمشواش - ويُقرأ لقبه من النصوص المصرية القديمة كالتالي : WR.C3.M3.MSWS "ور عا ماش وش" - شيشنق وفاة الفرعون المصري "بسوسنس الثاني" للاستيلاء على الحكم بدون استخدام القوة، بل الأكثر من ذلك أنه احترم المشاعر المصرية وعمل بالتقليد المصري القديم فزوَّج بكر أبنائه " أوسكرون " Osorkon من الوريثة الشرعية المصرية التي تسري في عروقتها الدماء المقدسة "ماع-كا-رع".²³

7- أسرة "زعيم المشواش العظيم" شيشنق

ترجع أصول الفرعون شيشنق الأول مؤسس الأسرة الثانية والعشرون إلى أسرة قديمة استقرت بمقاطعة أهناسيا (نواحي الفيوم حاليا) في أواسط الأسرة العشرين، كما دلت على ذلك الوثائق وأهمها لوحة "حاربسون" المحفوظة بمتحف اللوفر Louvre بباريس وتحمل رقم 278.

لقد أقام لوحة الفراعين هذه القائد الحربي والكاهن الأعظم للآلهة "نيت" Neith الليبية، المدعو "حور- باسن" في الستة السابعة والثلاثين من حكم الفرعون شيشنق الخامس أي نهاية الأسرة الثانية والعشرين.²⁴

واستنادا إلى هذه الوثيقة، فإن الفرعون شيشنق الأول هو من الجيل السادس لأسرة ليبية من قبيلة المشواش استقرت في مدينة أهناسيا، وهذه سلسلة نسبه:

الجيل الأول: ابن اللوبي (تحنو) المسمى "بيوواوا"

الجيل الثاني: ابن منيله في الألقاب " ماواساتا "

الجيل الثالث: ابن منيلة في الألقاب " نبنشي "

الجيل الرابع: ابن منيلة في الألقاب " باثوت "

الجيل الخامس ابن منيلة في الألقاب " شيشنق " وابن والدة الملك " محتوسخت "

الجيل السادس: ابن الكاهن والد الآلهة الرئيس العظيم " نمرود " والأم الإلهية " تنتسيح وبالتالي فالرئيس العظيم "نمرود" وزوجته "تنتسيح" هما والدا الفرعون شيشنق الأول.

الفراعنة (الليبيون) والتاريخ الأمازيغي.

إن التاريخ للأسر الليبية في مصر مهمة صعبة، ويشوب تاريخها الكثير من الغموض لعدة أسباب منها، الغياب شبه الكامل لتاريخ الملوك أنفسهم نظرا لعدم الاستقرار السياسي كما أنهم اختاروا إحدى مدن الشمال إما " بوبسطة " أو " تانيس " عاصمة لملكهم، وقد أثرت رطوبة المناخ وطبيعة التربة في صحة هذه الآثار فلم تحافظ عليها وخاصة البرديات منها، وليس هذا النقص في الوثائق فقط فالاختلاف بدأ مبكرا وهو رصد بداية معينة لحكم الفراعنة ذوي الأصل الليبي لمصر بين 950 ق م و 945 ق م ويمثل التاريخ الأول إعلان شيشنق فرعوننا في مصر السفلى والوسطى، أما التاريخ الثاني فهو تاريخ اعتراف كهان طيبة بشيشنق فرعوننا، وكذلك تاريخ قضاء شيشنق الأول على تمرد قاده أحد زعماء المشواش في واحتي الداخلة والخارجة.²⁵

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن المشواش الليبيين قبل وصولهم إلى الحكم قد حافظوا على شخصيتهم الليبية المتميزة، وتبين ذلك من خلال أسمائهم الخاصة

المختلفة عن الأسماء المصرية كشيئشوق، نمرود، أوسركون، تكلوت، وكذلك حرصهم الشديد على لقب " الرئيس أو الزعيم العظيم للمشواش " وافتخروا به وحرصوا عليه أكثر من الألقاب المصرية، على الرغم من أن بعض زعماءهم كانوا الشخصية الثانية بعد الفرعون في الأسرة الحادية والعشرين ونالوا لقب "أمير الأمراء" أو "الأمير العظيم".

وهناك من الوثائق ما يشير إلى وجود علاقات نسب وزواج أحد رؤساء المشواش من أميرة من الرعماسة (الملوك الشرعيون للأسرة 20)، وأن شيئشوق الأول هو حفيد أميرة من أسرة الرعماسة²⁶، ولذلك تميزت أسرة شيئشوق عن غيرها من الأسر الليبية، فهي بالإضافة إلى مكانتها القيادية وسط القادة المشواش القابضين على السلطة الفعلية في مصر فهي ذات صلة بالحكام الشرعيين، وقد زاد شيئشوق الأول في اللجوء إلى الشرعية وسد الطريق أمام أي طامع من هؤلاء القادة الأقوياء فألغى اللقب الليبي "زعيم المشواش" العظيم خوفا أن يتخذه هؤلاء القادة جسرا فيعبروا عليه للمطالبة بالعرش، وحافظ على اللقب الذي لا يحمله إلا هو بين أقرانه من القادة المشواش ألا وهو ممثل السلطة الشرعية "فرعون" فزوج ابنه وولي عهده "أوسركون" من الوريثة الشرعية للأسرة 21..

وبالتالي نلاحظ أن الركيزة الأساسية التي قامت عليها الأسرة 22، كانت تتمثل في البحث عن تأكيد الشرعية، ليس فقط في نظر المصريين بل أيضا في صفوف الليبيين الذين أصبحوا الدعامة الثانية التي قامت عليها الدولة الليبية.

لقد وصل شيئشوق الأول إلى عرش الفراعنة لأنه كان يمثل الشرعية عن طريق المصاهرة مع الأسر الحاكمة القديمة العشرين ثم الحادية والعشرين على السواء، وأيضا بواسطة مساندة قادته العسكريين، وبالمقابل اعترف لهم بالكثير من الصلاحيات ومنها تعيينهم على رأس مقاطعات مصر خاصة في مصر السفلى والوسطى، في حين أبقى بعض الأسر المصرية النيلية في مقاطعات الجنوب وحرص على ربط علاقات مصاهرة معهم لضمان ولائهم له.

ونلخص بعد هذا التحليل على ضوء الوثائق المتوفرة لدينا أن شيئشوق زعيم المشواش (الأمازيغ) العظيم، الذي حكم مصر وعرف باسم " شيئشوق الأول " وكذلك ذريته بعده ولمدة تزيد عن القرنين، لم يحكموا مصر لصالح سلطة أجنبية، ولم يبحثوا على مساندة من موطنهم الأصلي بل إننا لانكاد نعثر على قرائن تثبت قيام صلات بينهم وبين ليبيا الوطن الأم.

فالفراعنة ذوي الأصل الليبي لم يشعروا خلال حكمهم الشعب المصري ولم يشعروا هم أنفسهم بأنهم مستعمرين لمصر، فقد كانوا ليبيين متمصرين مكثوا في مصر وأخذوا بكل أساليب الحضارة الفرعونية وهبوا لنجدة وطنهم الجديد، بعد أن مكثوا فيه

وبين أبنائه أكثر من مائتي سنة (تاريخ أسرهم من طرف الفرعون رمسيس الثالث)، ولا يمكن اعتبار حكم الليبيين لمصر استعماراً، لأنهم حكموها ولم يكن لهم ولاء لدولة أخرى غير مصر.

وفي انتظار ما يمكن أن تكشف عليه الحفريات المستقبلية يبقى السؤال المطروح كيف لنا أن نعتبر تاريخ جلوس الفرعون شيشنق الأول على عرش مصر الفرعونية، بداية لتقويم أمازيغي وعلى أي أساس نفس هذا الإدعاء.

- الهوامش والتعليقات:

- ¹ - هناك أقوام تعاملت بالتقويم القمري لكن سرعان ما هجرته للتعامل بالتقويم الشمسي.
- ² - اختلف المختصون الفلكيون حول تأريخ هذا التقويم بين سنة 4200 م، ويعتبره البعض مبكراً جداً. وأن معارف المصريين آنذاك كانت بسيطة، ولذلك يجمعون على تاريخ 2800 ق.م. ويمثل هذا التاريخ الاقتران بين السنة المدنية والسنة الشمسية، بعد الإقتران الأول الذي حدث سنة 4200 ق.م. وكان الاقتران يحدث مرة كل 1460 سنة نتيجة تضخم الفارق البسيط بين السنة المدنية والسنة الشمسية فيصبح سنة كاملة كل 1460 سنة. ويحدث الاقتران. (.
- انظر مقالة : د.أم الخير العقون، مصادر البحث العلمي ومنهجيته في العالم القديم، مصر نموذجاً. مجلة عصور العددان 4 و5 ديسمبر 2003 جوان 2004 وهران، ص.ص 221 - 223.
- ³ - سوتيس وكان يعرف أحياناً باسم Sirius ومكانه في دوائر الفلك خلف الجوزاء
- ⁴ E.Drioton et J..Vandier , les peuples de l'orient méditerranéen. tome 2, l'Egypte, 4^{éd}. PARIS :P.U.F 1962 p.12
- ⁵ - آلن جاردر، مصر الفراعنة. تر. نجيب ميخائيل إبراهيم، ط2، القاهرة: الهسنة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص83.
- ⁶ - محمد إبراهيم بكر، صفحات مشرقة في تاريخ مصر القديم. القاهرة : دار المعارف، 1984، ص.24.
- ⁷ - Strabon , géographica, livre17, traduit par Armedée Tardieu , Paris : Hachette & C. Dentroie édition 1886, para.29.
- Déodore de Sicile, géographie , texte établi et traduit par Biblane Banne Paer, Paris : les belles lettres, 1989, livre1 , para.50.
- ⁸ - اعتمدت فرنسا التقويم الجريجوري في سنة ميلاده أي في 1582. في حين تأخر اعتماده في بريطانيا إلى غاية 1752، وروسيا عام 1918 واليونان 1923. ...
- * - يُحتفل في الجزائر ب"رأس العام" أو "التاير" "يناير" كبداية للسنة الفلاحية لأنها مرتبطة بالأرض وخدمتها، ويتم الاحتفال التقليدي بتجديد أحجار الكانون (الموقد) وطهي الحبوب الجافة من قمح وفول وذرة وحمص.. ترحيباً بالسنة الجديدة ومستبشرين بغلال وصابة وافرة. .
- ⁹ - طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. ج.1 " الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، ط2، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة 1986، ص. 146.
- ¹⁰ - جاردر، المرجع السابق. ص. 88. - نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، ج.1 " مصر من قيام الدولة الحديثة إلى دخول الاسكندر". ط2، القاهرة : دار المعارف، 1962 ص 56.
- ¹¹ - لا يتسع المقام هنا لمناقشة مسألة الهوية الأمازيغية، أو إن كان هناك فعلاً سنة أمازيغية من عدمها وإنما مسألة التقويم الأمازيغي الذي أعلنت عنه جمعية تُعرف باسم « إتحاد الشعب الأمازيغي Tediut m'Agghrif amazigh » سنة 1980، وكانت قد بلغت آنذاك في تقديرهم 2930 سنة.
- ¹² - عرفت الأسر المصرية ذات الأصل الليبي خمسة فراعنة أخذوا اسم شيشنق.

ليبيا هي ذلك الاقليم الواسع من مصر شوقا الى المحيط الأطلسي غربا ومن المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوبا .

¹³ - هناك آثار منقولة عبارة عن ألواح تصور لنا مشاهد اشتباك بين فراعة مصريين وقبائل ليبية نذكر منها على سبيل المثال الأسد والعقبان ولوحة الحصون والغنائم وهي محفوظة بالمتحف المصري بالقاهرة وتحمل رقم je27434 انظر مقالة د. العقون أم الخير، إطلالة على الصلات بين مصر وشمال غرب افريقيا في فجر التاريخ. في كتاب المؤتمر الثامن للاتحاد العام للآثار بين العرب، القاهرة، 2005، ص. ص: 48 – 64.

¹⁴ - R.O. faulkner, the wars of sethos in journal of Egyptian archaeology , JEA v.33 London , 1943 , p.38.

¹⁵ -J.H.BREASTED, ancient records of Egypt: historical documents. Vol. III. Chicago: university press, 1906-1907, P. 239.

¹⁶ - W.F.EDGARTON & J.WILSON,historical records of Ramses III.Chicago:1936, p.25.

* - باستثناء قبيلة التحنو، فالقبائل الثلاث المتبقية من بيض البشرة.

¹⁷ – HERODOTE, Histoires. Textes établis et traduits par P.H.E Legrand.6° t., Paris : les belles lettres,1945,tome IV, Para. 191.

¹⁸ - ج.هـ. برسند، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي. ترجمة حسن كمال، ط.2، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص.381. - آلن جارندر، المرجع السابق، ص. 312.

¹⁹-J. Yoyotte, pharaons, guerriers libyens et grands prêtres « la 3eme période intermédiaire » in Tanis, Paris: galerie nationale du grand palais,1987, p.123.

²⁰ – G. Posener, dictionnaire de la civilisation Egyptienne. Paris : Fernand Hozan , 1959, p.149.

²¹ – O.Bates, the eastern libyans. London : frank cass & co.ltd, 1979, p.47.

& - G.CAMPS, les berbères “ mémoires et identités”.2émè édition, Paris : Errance, 1987.p. 15 .

²²- G.Husson & D.Valbelle ,l’Etat et les institutions en Egypte : des premiers pharaons aux empereurs romains. Paris : Amand Collin, 1992,p.p :160-161.

* - ظهرت الازدواجية في حكم مصر أثناء الأسرة الحادية والعشرين، فحكم كهان الإله آمون رع في طيبة في حين استقر الحكام المدنيون في الشمال في عاصمتهم "تانيس".

²³ - J. H. Breasted , op.cit , vol. IV, p. 378.

²⁴ P.Mantler : « le drame d’Avaris » : essai sur la pénétration des sémites en Egypte. Paris : librairie orientaliste. Paul Guenther 1949, p. 199.

* ابن مثيله في الألقاب بمعنى الوظائف أي أن "ماوساتا" تولى وظيفتي كاهن معبد أهناسيا وكذلك قائد حرس أهناسيا.

²⁵ K.A Kitchen, the third intermediate period of Egypt oxford 1972, p 288 et A.H.Gardner : “the Dakhleh Stela” journal of Egyptian archaeology N 19 London 1933, pp 22.24

²⁶ EL.Good, P.G : The later dynasties of Egypt. Oxford: England : imprimerie Basil Backwell 1951, p 70.

نماذج من الرموز والرسومات العقائدية البونية والرومانية ببلاد المغرب القديم

د. بن عبد المؤمن محمد
جامعة وهران-1 أحمد بن بلة

I - مقدمة :

عبر عصور قديمة موعلة في القدم، تبحر بنا الرموز، والرسومات على الصخور، وعلى مختلف الأدوات، إلى عالم مليء بالأساطير، والمعاني السحرية، والمتصفح لهذا النوع من البحوث يجد نفسه أمام أنواع من المعتقدات استعانت بها الشعوب القديمة من أجل الوصول لغاية عقائدية، أو لغرض الحماية، واستمرار الحياة في العالم الآخر، ويلاحظ أن المؤثرات الخارجية ساهمت هي الأخرى في تطابق هذه الرموز، والرسومات التي كان يسترشد بها السكان، أو الرسامون، أو النحاتون، والكهنة عند دفن موتاهم، أو زخرفة معالمهم الدينية.

وفي هذا الإطار، وبالرغم من وجود دراسات حول تاريخ بلاد المغرب القديم في جوانب مختلفة، فلم تخصص دراسات مستقلة عن الرموز والرسومات ذات البعد العقائدي أثناء الفترة البونية والرومانية ببلاد المغرب القديم، بالرغم من أهميتها الزخرفية، ووظيفتها العقائدية.

على سبيل الذكر لا الحصر استعان سكان بلاد المغرب القديم للتعبير عن اعتقاداتهم في العالم الآخر بتزيين معالمهم الجنائزية، وأثاثهم الجنائزي المرافق للميت بمجموعة من الرسومات، والرموز التي كانت منقوشة، أو مرسومة على الجدران والأواني الخزفية، أو مزبورة على المعادن، فبواسطتها أمكن لنا التعرف على إحدى أهم المعتقدات الرئيسية التي كانت تمنح للفرد حياة في العالم الآخر، فبواسطتها أمكن اختصار جوهر الفكرة أو الخطاب، وبمجموعة من الرموز الحيوانية، والنباتية، مرسومة أو مجسدة على المعالم الجنائزية أمكن الانتصار على الموت، وعقلنة اللامعقول (الموت) بين الأحياء، فأصبح الموت بالنسبة للفرد أمرا طبيعيا غير مخيف، لذلك سنحاول توضيح البعد العقائدي لنماذج من هذه الرموز، والرسومات التي تداولها سكان بلاد المغرب القديم.

II-الموضوع:

ومن خلال المعالم الأثرية لبلاد المغرب القديم التي تعود للفترة البونية والرومانية، وبعض الدراسات التي تتعلق بالعالم الآخر، نذكر على سبيل الذكر لا الحصر: (بول ألبار فيفري.-Fevrier.P.A)¹ و(كمون-Cumont)² و(برويونس-Broyance)³، ومحمد بن عبد المؤمن⁴، فأمكن تصنيف مجموعة من الرموز، الرموز الحيوانية، والنباتية، والكونية، ورموز متنوعة ذات دلالات إسكاتولوجية استعملها سكان بلاد المغرب القديم نذكر من بينها:

الرموز النباتية، إذ أن مثل هذه الرموز بألوانها، وأنواعها كالأشجار، ومجموعة من النباتات الأخرى، إذ أن أوراقها الدائمة الاخضرار أصبحت تمثل رمزا لخلود الروح⁵. وتمت الاستعانة بالفصول الأربعة من خلال الرسومات المرافقة للميت على جدران الغرف الجنائزية، والتوابيت، والفسيفساء، والأواني الفخارية، فكانت ترمز للتجديد، والبعث، مثلما تشير إليه رسومات لمجموعة من التوابيت تعود للفترة الرومانية بتونس⁶، والمغرب الأقصى التي كانت تحمل دلالات إسكاتولوجية، لأن الاعتقاد الذي كان سائدا أن هذه النباتات تموت وتحيا مثل البشر⁷.

ساهمت الرموز الحيوانية في التعبير عن معتقدات سكان بلاد المغرب القديم، إلى جانب صفتها الرمزية، ومن بين أهم الحيوانات التي استعانت بها شعوب الحضارات القديمة⁸ نذكر من بينها الأسد الذي وجدت صورته تتكرر في العديد من المناسبات إذ نجدها منقوشة على العديد من قبور بلاد المغرب القديم⁹، على سبيل الذكر ضريح (توبرنيقا-Thuburnica) – سيدي علي بلقاسم- بتونس¹⁰ الذي زينته صور الأسود، ونقشت صورته في العديد من المناطق الصحراوية بالجزائر، وبمقابر قرطاجة، وكركون، ودقة، وصبراتة¹¹، وفي هذا الشأن يذكر (ستيفان غزال) ما يلي: (... كانت عديد من الشعوب القديمة تضع قبورها تحت حراسة هذا الحيوان. ..)¹² حضور صورته ضمن الفن الجنائزي الروماني، هو تعبير عن قوة الموت، وانتصار الإنسان عليها¹³.

كما استعان سكان بلاد المغرب القديم للتعبير بمختلف أنواع الطيور للتعبير عن اعتقادهم في العالم الآخر عن طريق تزيين معالمهم الجنائزية، وأثاثهم الجنائزي المرافق للميت بمجموعة من رسومات الطيور، إذ اعتبر الديك رمزا للخلود والبعث، وهناك دراسة تعرضت لدوره الإسكاتولوجي بضريح (سليوم-Cillium) – القصرين- بتونس¹⁴، وب:(سد اليهودي) بالقرب من(قلعة الصنم)¹⁵، وبجبل(الزبوج) بتونس¹⁶. إلى جانب ذلك كان لطائر اليمامة التي وجدت صورتها مزينة لقبور ب(فيرنوس مينوس-Furnos Minus)¹⁷، والعصفور الذي رسم على مزهرية ب:(أمايدرة)¹⁸، وصورة النسر وهو باسط جناحية، زين به نصب نذري بسليانة¹⁹،

فهي تدل على استعانة سكان بلاد المغرب القديم بمختلف أنواع الطيور، على أنها رمزا للروح.

واختيرت الحشرات ضمن قائمة الرموز العقائدية، فزينت حلبيهم برسوماتها، ورسمت أو صنعت من مختلف المواد لمرافقة الميت، أو في تزيين معالمهم الجنائزية، ويعود سبب اختيار هذه الحشرة من طرف البونيين، ومن قبلهم المصريين القدماء، لأغراض دينية سحرية بحكم طبيعتها، وسلوكها²⁰، تبرك بها الرجل، وتيمنت بها المرأة، وأصبحت لها قوة طلسمية رافقت الميت داخل قبره، ويذكر حول سبب استعمالها من قبل البونيين ما يلي: "... لا يدرك صاحب الجعل مضمونه، ولعلم كانوا يلمسون في الغموض نجاعة، وفي ذلك سر الإقبال على نصوص هيروغليفية ترسمها أيديهم مؤمنين بقدراتها، عاجزين على عجمها وفك إفعالها..."²¹.

يحتفظ متحف قرطاج، و(باردو)بتونس²²، بتونس على مجموعة من الجعارين، التي شاع استعمالها بعدة محطات ومواقع بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط كسردينيا، وإسبانيا، وجزر البليار، ولم تبق زركشتها متأثرة بالعالم المصري القديم، بل أصبحت تستقبل التأثيرات اليونانية بزخارفها الجديدة المتمثلة في صور الجند²³.

وكان للعقرب قداسة قد استعان بها المصريون القدماء، وغالبا ماكانوا يضعون رسوماته بجوار التوابيت لحراسة موتاهم، وهكذا نراه يعاون "إيزيس" ويساندها في صراعها ضد أعداء "أوزيريس"²⁴، فهي ترمز لباطن الأرض، أوكلت لها وظائف جنائزية. وكشفت التقارير التنقيبية ببلاد المغرب القديم عن صورتها منقوشة على نصب جنائزي (بمداورش-Madaure)²⁵.

اعتبرت الأحياء البحرية مثلها مثل القوارب كوسائل عبور المسطحات المائية للوصول إلى العالم الآخر، وارتباطها بالأضرحة ترجع لأصول لوبية قديمة، ولا يمكن الجزم بأنها ذات أصول بونية، ويمكن أن تكون لوبية بونية²⁶.

على سبيل الذكر كان للدلفين في اعتقاد الكريتيين قداسة، كانوا يمتطونه ليحملهم نحو العالم الآخر²⁷، ويمكن أن تكون نفس وظيفته هذه قد انتشرت عند البونيين، حيث بدت صورته منقوشة على العديد من النصب الجنائزية (ينظر الصورة 1)، والنظرية بالعديد من المواقع البونية بقرطاج، وتوفة سالومبو²⁸ بتونس، ومعبد الحفرة بـ:(قسنطينة)²⁹، حيث يظهر في العديد من المناسبات يمتطي ظهره شخصا، ويعتقد بأنه رمزا للروح التي تعبر المحيط العلوي، هذا فقد دلت الحفريات الأثرية على إحدى نصب (قصر طوال الزامل-Ksar Toual Zammeul) على دلفينين تمتطيها جنيتان مجنحتان، فهما يرمزان للروح التي تعبر المحيط السماوي³⁰.

كانت للسمة قيمة سحرية دينية عند مختلف الشعوب القديمة، نخص بالذكر بلاد ما بين النهرين³¹، وفينيقيا³² ومصر القديمة³³، وجدت منقوشة على "جعل" داخل قبر

ب: (أرض الخرايب - Ard-el- Khéraib)، ورسمت على جدران الغرف الجنائزية، وزبرت على العديد من شفرات الحلاقة البونوية التي كانت تدفن مع الموتى³⁴، والملاحظ أنها مثل باقي الكائنات البحرية، أصبحت وسيلة عبور الأرواح نحو شاطئ السعداء المحظوظين. إلى جانب ذلك اعتبر فرس البحر عند البونيين رمزا للعالم الآخر.

زينت الأضرحة، وشواهد القبور، ومختلف الفخاريات، والرسومات الجدارية داخل الغرف الجنائزية، وعلى الأواني الفخارية المرافقة للميت برموز كونية، كانت تعلق شواهد القبور، والصور البشرية، وصور المعبودات، وبدت هذه الرموز إما في شكل هلال متجه القرنين نحو الأعلى، أو مقلوبا، أو تتوسطه نجمة، أو زهرة، أو قرص الشمس، وغرض الاستعانة بها في اعتقادهم أن الأرواح تصعد نحو السماء، لتجد مستقرها فيها، وليس بعيدا عن مقر إقامة الآلهة، فعلى سبيل الذكر لا الحصر زينت إفريزة ضريح عمودي ب: (بوعراضة) - تونس-، بمجموعة من الأبراج السماوية، التي تقطعها الشمس أثناء رحلتها، وغالب الظن أنّ هذه الرموز تساهم بدون شك في إشعاع حتمية مصير الفرد³⁵، ويستخلص تقرب سكان بلاد المغرب القديم لكل ما هو متعلق بالكون الفضائي عن طريق الصورة والرمز للتعبير عن الخلود.

يرتبط القارب في الحضارات القديمة برمزية العبور، لذلك فقد تمّ وضع الكثير من المراكب داخل المدافن، أو في حالات أخرى نجده مرسوما على جدرانه، والهدف من وراء ذلك هو تسهيل عملية العبور للموتى، وفي اعتقاد القدامى أنّ القارب مثل الحيوانات البحرية، يجتازون به المسطحات المائية (أنهارا أو محيطات) لبلوغ العالم الآخر، ولا يوجد شك في أنّ سكان بلاد المغرب القديم أثناء الفترة الفينيقية البونوية قد خرجوا عن تلك القاعدة، لذلك عملوا هم الآخرون على تهيئة القارب للميت من أجل إتمام رحلته باتجاه العالم الآخر، مثلما أشارت إليه تقارير التنقيبات ب (درمش- Dermech) بتونس، أين كشف على قارب يمتطيه شخص جالس برأس مقطوعة، ويعلق على ذلك بأنه تأكيد على رحلة الميت³⁶، ووجدت مجموعة من القوارب مرسومة، وأخرى منقوشة على جدران غرف جنائزية منها -كاف البليدة (ينظر الصورة 2)، و"بوادي مقاسية" بتونس³⁷.

يستخلص أنّ سكان بلاد المغرب القديم لم يخرجوا عن هذه القاعدة المتمثلة في استعانة شعوب الحضارات القديمة بالقوارب أثناء مختلف طقوسهم الجنائزية مثلما أكدّه غالبية مؤرخي الديانات القديمة على رحلة أرواح الموتى إلى العالم الآخر عبر القارب الجنائزي.

كما عمد البونيون على دفن الأقنعة مع موتاهم التي كانت تثبت على جدران غرفهم الجنائزية لكي تحميهم من الأرواح الشريرة، كما كانت توضع خارج الغرفة

الجنائزية كحارسه للقبر، صنعت من الصنّوان، وعجينة الزّجاج الملون، والعاج، والعظام، وقشور بيض النعامة، والطّين المفخور³⁸ وزينت بصور رؤوس حيوانية، بدت نماذج منها مكشّرة، ولا يزال متحف (باردو - Bardo) بتونس يحتفظ لحدّ السّاعة بنماذج منها (الصورة 3).

وتشير التّقارير التّنتقبيية لمختلف المواقع الأثرية ببلاد المغرب القديم عبر مختلف العصور القديمة عن تواجد الأسلحة كأثاث جنائزي كان يدفن مع الميت أو ينحت على النّصّب الجنائزية، ويرسم على الجدران الصخرية، ولعلّ رسم حائوت (كاف البلّيدة)³⁹ يعتبر من بين أهم الرسومات الجنائزية التي تعود للفترة البونية، يمكن من الوهلة الأولى تحديد وظيفة السلاح للحماية، أو لإخضاع الآخر، أو للصّيد، في حين كانت له وظيفة سحرية دينية (الصورة 2).

كشفت تقارير التّنتقيات بمعبد الحفرة بقسنطينة⁴⁰ على أنواع من الأسلحة مثل الدّرع بأنواعه الدائري، والبيضاوي، والسّيف، والحربة، والهراوة، والخوذة⁴¹، إلى جانب الرّمح، والخنجر، والقوس، والسّهم.

بيّنت الأبحاث أنّ رسومات الأسلحة وجدت في العالم البوني للتعبير عن المعتقد، إذ تمّت معاينة مزهرية (سميرات⁴²) بالقرب من (بني حسان) بالساحل التونسي⁴³، والتي احتوت على أشكال، ومشاهد، منها شخص يبدو حاملا بيده اليمنى غرضا يمكن أن يكون سيفاً، أو حربة، ويحمل ببسراه شكلا دائريا، يظهر ملتجيا، ومثجها نحو اليمين، وعلى نفس هذه المزهرية، نقش رموز بونية حديثة لم يستطع الباحثون فكّ رموزها، فمن المحتمل أنّ نصّها يكون قد تضمّن إشارة لوظيفة، ورتبة المتوفي⁴⁴، خاصة وأنّ مثل هذه المزهريات غالبا ما احتوت على رماد الميت في العديد من المواقع الأثرية البونية ببلاد المغرب القديم مثل قرطاجة، و(حضر موت⁴⁵) سوسة، و(غرزة - Gurza) بتونس⁴⁶.

لا يمكن عزل محتوى رسومات مزهرية (سميرات)، عن الأغراض السحرية الدّينية، فحسب (كامبس) أنّ شكل الرّجل المرسوم عليها ما هو سوى صورة للمتوقّي، ويرى الباحث (بن يونس) أنّ هذا الرّسم يمثّل انتصار الرّجل بسلاحه على الموت⁴⁷.

زبرت على شفرات حلاقة مشاهد لرجال مسلحين⁴⁸، وجدت بحوانيت (كاف البلّيدة⁴⁹)، و(سجانان⁵⁰ - Sejnane)، يحتمل أنها تعبير عن الانتصار على الموت⁵¹. إن حياة مجتمعات الحضارات القديمة كانت قائمة على المعتقد، ولا يختلف سكان بلاد المغرب عن هذه القاعدة، لذلك اهتموا بتزيين معالمهم الجنائزية، وعمائرهم المختلفة، وأثاثهم الجنائزي بصور مختلف المعبودات من بينها تلك التي تعلقت وظيفتها بالعالم الآخر، ومن ضمن رموز المعبود " مركوريوس " الذي زين ضريح

بالقرب من (باجة-Beja) بتونس، يظهر وهو يقود عربية، تجرها أحصنة⁵²، وفي السياق نفسه وجد زخرف هذا المعبود بضريح (العيادة) في تونس الذي تم اكتشافه سنة 1965م، يبدو واقفا أمام حصانين مجنحين، مرتديا لباسا قصيرا، وماسكا بيسراه الصولجان، وبيميناه عنان الأحصنة التي يجرب بواسطتها عربية ذات عجلتين، يحتمل أن المشهد مرتبط برحلة الروح نحو العالم الآخر، خاصة وأن صورة العربية المنتصرة(الصورة 4) تمثل رمزا من رموز الانتصار على الموت⁵³، كما وجد مرسوما على مزهرية سجلية (Sigillée) كشفت عنها التنقيبات داخل قبر طفل (بحضرموتم) بتونس، تظهره صورة حاملا لكيس وصولجان، ويبدو أنه ينادي عصفورا الذي يمثل رمز روح الميت⁵⁴. والمستخلص أن الاستعانة برسومات، ورموز هذا المعبود في زخرفة المعالم والأثاث الجنائزي هو مرافقة هذا المعبود لأرواح الموتى نحو العالم الآخر⁵⁵.

هذا واعتبر المعبود " ديونيسوس" من بين معبودات العالم السفلي، وذكر الباحث(كيمون-Cumont) دوره الذي يشبه دور المعبود (أوزيريس-Osiris) المصري⁵⁶ الذي كان الضامن للسعادة الأبدية⁵⁷.

زينت بلاطات فسيفسائية لمجموعة من المنازل بصورة هذا المعبود ما بين القرنين الثاني والثالث الميلادي بكل من (تيدريس-Thydrus)⁵⁸، وحضرموتوم، و(ستيفيس)سطييف، و(كويكول-Cuicul) - جميلة -، أراد أصحابها أن يبرزوا قيمتها الإسكاتولوجية، لأنها حملت عناصر لها علاقة بالشعائر الجنائزية، مثل التابعات التي تسبقن موكب عربية (ديونيسوس) ب:(كويكول)، التي عبر مضمونها عن ضمان السعادة الأبدية الموعودة لأتباعه⁵⁹، وأصبح يمثل رمز الخلود لأتباعه، ولشاربي الخمر الذي هو شراب العالم الآخر⁶⁰.

لا يمكن استثناء المعبود " ساتورنوس" من قائمة المعبودات التي استعان بها سكان بلاد المغرب في تزيين مختلف المعالم الجنائزية، مثلما تؤكد المكتشفات الأثرية كالنصب النذري الذي عثر عليه في (سيليانة-Seliana) من طرف المعمر الفرنسي (م.بوغليو - M.Boglio)، هو محفوظ بمتحف (باردو) بتونس، يتضمن مشاهد لحياة داخل ملكية ريفية، التي تنقسم إلى خمسة أقسام متطابقة، ويستنتج من خلال الصور المنقوشة، هيمنة المعبود (ساتورنوس) على هذه المشاهد، ويستشف منه ثقة أهل الريف ببلاد المغرب القديم بعنايته المقدسة، ففي اعتقادهم أنه موزعا للخلاص، والرفاهية في العالم الآخر⁶¹.

في حين بدت صورة المعبودة (كالستيس- Caelistis) قرينة المعبود (ساتورنوس) منقوشة على إحدى شواهد قبور (تاموقادي-Thamugadi)- تيمقاد-

ومزينة بإكليل من الأوراق النباتية، أو قرص الشمس، كرمز للانتصار على الموت، وأمل الخلود في العالم الآخر⁶².

III- خاتمة :

لا شك أننا قد لا نعرف الكثير عما تخفيه أرض بلاد المغرب القديم من أسرار عقائدية، وروحية، وسحرية، إلا أننا خلصنا أن هذه الرموز والرسومات التي رافقت وزينت المعالم الجنائزية والأثاث الجنائزي سمحت لنا بأن نطرق أبواب عالم غني ومفعم بالسحر، والطقوس، والعقائد.

هذه الرموز ساهمت في تزيين المعالم الجنائزية، والأثاث الجنائزي عند مرافقة الميت نحو عالمه الجديد (العالم الآخر)، لذلك استلزم على الأموات اللجوء إليها لتزيين غرف دفنهم، ومدخلها، والتوابيت، لأنها في اعتقادهم تعبر عن الروح، ورحلتها نحو العالم الآخر، كما استعانوا برموز أخرى رافقت الميت داخل مدفنه، من أجل طرد الأرواح الشريرة التي تريد إعاقة رحلة الروح نحو عالمها الجديد مثل الأفعنة، وشفرات الحلاقة، والجعران، فكانت وظائفها تشبه التمام، والترنيمات التي استعملها المصريون القدماء.

الهوامش:

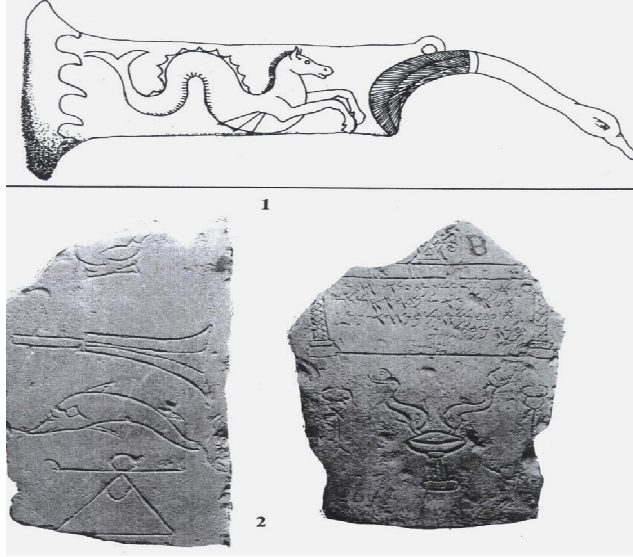
- 1- Fevrier.P.A, Images, imaginaires et symbole à propos de deux maisons du Maghreb Mélanges, H.Sterr, Paris, 1983, pp159-162 ; id, Images et sociétés, IIIe siècles, crise et redressement dans les provinces européennes de l'empire, Strasbourg, 1983.
- 2- Cumont.F, recherches sur le symbolisme funéraires des romains, Paris, 1942.
- 3- Broyance.P, le culte des muses chez les philosophes grecs, Paris, 1937.
- 4- محمد بن عبد المؤمن، الموت والعالم الآخر عند سكان بلاد المغرب القديم، دار جليس الزمان، الأردن، 2014.
- 5- Baradez.J, Nouvelles Fouilles à Tipasa : Nécropole paienne occidentale sous la maison des fresques, libyca, T ,VIII, Arch. Epig ,1er semestre 1961, pp 12,13.
- 6- Fournet.H, Pilipenko.H, Sarcophages romains de Tunisie, Karthago, XI , pp 17-168.
- 7- Etienne.R, Dionysos et les quatre saisons sur une mosaïque de volubilis (Maroc), Mélanges d'Archéologie et d'histoire, T 63, 1951, pp93-108.
- 8- كانت هذه العقيدة منتشرة في الشرق الأدنى القديم مثلما تشير إليه منحوتات تابوت (أهرم) ملك مدينة جبيل (Byblos) الذي كانت تحرسه أربعة أسود. ينظر: -Fantar.Mounir , Expression de L' Au- delà dans l'univers Phénico-Punique, Actes du 5^{ème} colloque international sur l'histoire des steppes tunisiennes, Sbeitla , session 2006 , Institut National du Patrimoine, Tunis, 2008, p 41
- 9- Camps. G, Monuments et Rites funéraires protohistoriques, éd, Doins, Paris, 1974, pp 555, 586.

- 10- Ferchiou.N, Architecture funéraire de Tunisie à l'époque romaine, BCTHS, (Actes du colloque sur l'histoire de l'Afrique du Nord, Pau, 1993), p122.
- 11- Camps. G, Monuments et Rites..., pp555-556
- 12 -Gsell.S, Histoire Ancienne de l'Afrique ancienne, T6, reimpression de l'édition 1921-1928, Ottozeller Verlag Osnabruck, 1972, p253
- 13- I.M.L, Toynbée, Animales in Roman life and art, London, Thames and Hudson, 1973, p65.
- 14- Camps. G, "Le Coq et la coquille", Bulletin Archéologique du Comité des Travaux Historique, Numéro Spécial, B : Afrique, (1992), T 22 ,pp35-62.
- 15-Merlin. A, "Découvertes de sculptures à Sed-el-Youdi près de Kalaat-es-Snam", Bulletin de Sousse, (1906), IV, pl. , pp 123 -124.
- 16- Longerstay.M, Les Représentations picturales de mausolées dans les Houanet du N.O. de la Tunisie, Antiquités Africaines, 29, 1993, pp 23-24.
- 17- Marcel Cintas, Duval Noël. , Basiliques et Mosaiques funéraires de Furnos Minus, M.E.F.R, Année 1978, volume n°2, p929.
- ¹⁸- Cadotte.A, la Romanisation des dieux, l'interprétation romana en Afrique du nord sous le haut empire, éd, Brill, Leiden, 2007, p 145
- ¹⁹- Picard. G.Ch., Les Religions, p 121
- 20 - محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاجة، أليف – منشورات البحر الأبيض المتوسط مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص237
- 21- نفسه، ص237
- 22-Redissi. T , "Quelques scarabées et scaraboïdes de Jaspe vert du musée de Carthage", Reppal, (2004),XIII, pp 201, 214.
- 23- محمد حسين فنطر، المرجع السابق، صص 236-239
- 24 - روبير جاك تيبو، موسوعة الأساطير والرموز، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ص.234
- 25- A . Cadotte, op.cit , p144.
- 26- -Fantar.M.H, Eschatologie Phénicienne-Punique, INAA, Tunis, 1970, p31
- 27- Chevalier.J , Cheebront.A, Dictionnaire des symboles, mythes, rêves, coutumes, gestes, formes, figures, couleurs et nombres, éd. Robert Laffont, 1984, Paris, p338.
- 28- Picard.G.Ch, Les Religions de l'Afrique antique, p146
- 29- Berthier. A, Charlier. R, Le Sanctuaire punique d'El Hofra à Constantine, éd, Arts et Métiers graphiques, 1955, Paris ,p15 ; Rebout. V, "Quelques mots sur les stèles néo-puniques découvertes par Lazare Costa", Revue de la Société d'Archéologie de Constantine, (1876-1877), T.XVIII, PL ,II,5.
- 30-Gsell.S, Atlas Archéologique de l'Algérie, 1911, Paris, F27n° 247
- 31-Picard.G.Ch, Les Religions de L'Afrique antique, éd. Plon, Paris, 1954, p12.
- 32- Fantar.M.H, Eschatologie Phénicienne et Punique, INAA, Tunis, 1970, p 24 note 110.
- 33- روبير جاك تيبو، المرجع السابق، ص 197
- 34- محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص251
- 35 - Bertrand.F , Sznycer.M, Les Stèles Punique de Constantine , Ministère de la culture et de la communication , 1955, Paris, p71
- 36-Picard. G.Ch ,op. cit ,p 210-211.
- 37-Fantar. M.H, op. cit , p25

- 38-Longerstay.M, « Haouanet »,Encyclopédie Berbère, T22, 2000, p3382
- 39- I.Ferron, le Mythe solaire de la résurrection des âmes d'après la peinture funéraire de Kel el Blida, *Archéologia*, numéro spécial, janvier / février 1968, pp5-55 ; M.Selmi Langerstay, les Haouanet de Kroumrie, *Archeologia*, n°69, décembre 1982/ janvier 1983, p11, PL,I. E.
- 40- A.Berthnier, R.Charlier, op.cit, PL XV, XVII, XVIII.
⁴¹ كان يرتديها الإله (هادس-Hadés) ملك العالم السفلي عند الإغريق، فيصبح غير مرئي. ينظر:
 J.Chevalier, A.Cheelbront, op.cit, p 176 ; J.Schmidt, Dictionnaire de la mythologie grecque et romaine, p84.
- 42- E.G.Gobert, P.Cintas, Smirat, revue Tunisienne, n°45-47, 1941, pp 83-121.
- 43-Ben younes Habib , Le Vase de Smirat et le thème de la victoire sur la mort, Reppal ,III, Institut national d'Archéologie et d'art,Tunis , 1987, pp 17-32.
- 44- Ibid, pp 17-18 , 22.
- 45- Hélene. Bénichou- safar, Les Tombes punique..., p231 et suites ; R.De Lablanchére, Tombeaux puniques découvertes à Sousse, BAC, 1988, p155 ; J.Truillot, Notes sur les découvertes archéologiques dans le quartier des 4 tirailleurs à Sousse, B.A.C,1941-1942, p339.
- 46- L.Carton, Les Nécropoles de Gurza, Bulletin de la société archéologique de Sousse(= B.S.A.S), 1909-1913, pp26-28.
- 47- G.Camps, Monuments et rites..., p 324 ; H.Ben youness , Le Vase de Smirat , p 26
- 4- G.ch. Picard, Sacra punica, Karthago, XIII, n°35, 1966, pp 70-71 Fig 63, PL XXVIM ; Id, les représentations du sacrifice Molk sur les stèles de Carthage, Karthago, XVII, 1976, pp 78-79.
- 49- ينظر الصورة 2.
- 50-- H.Ben younes, Le Vase de Smiratop.cit, p 24
- 51- Ibid, p24.
- 52- Khanoussi.M, Mercure psychopompe en Afrique romaine, MEFR, 102, 1990, pp647-649.
- 53- L.Foucher, Hadrametum, éd. PUF, Paris , 1964, pp 245, 297, 460, 48.
- 54- Ibid, p145.
- 55- Khanoussi.M, Mercure en Afrique romaine, thèse de Doctorat 3e cycle, Paris, IV, Sorbonne, 1977, (Dactylo).
- 56- Turcan.R, Dionysos Dimorphos, une illustration de la théologie de Bacchus dans l'art d'histoire ,1958, volume 70, numéro 1, p 282.
- 57- Blanchard- Lemée.M, Dionysos et la victoire variations sur un thème iconographique à Sétif et à Djemila, C.R.A.I , 145e année n°1, 2001, p 543.
- 58- Foucher.L, inventaire des mosaïque de Sousse, Tunis, Institut national d'Archéologie et d'Arts, 1960 ; Id, la maison de la procession dionysique à Eljem, Paris, P.U.F, France, 1963.
- 59- Blanchard Lemée M, Dionysos et la victoire ... , p144.
- 60- Turcan.R, Dionysos Dimorphos.....,p 282.
- 61-Ibid, pp118-122, fig 11.
- 62- M.Leglay, Saturne, monuments, II, éd.CNRS, Paris, 1966, p 133.

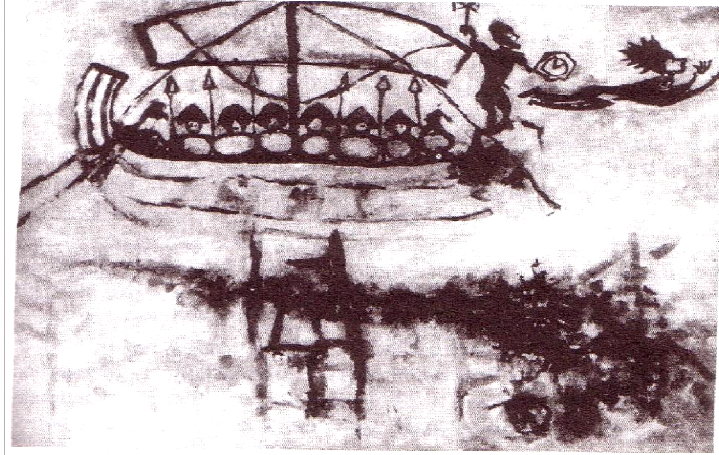
ملاحق البحث:

الصورة 1



1- فرس البحر على شفرة حلاقة بونية
2- رسومات دلفين على نصب جنازية
ينظر: M.H.Fantar, Eschatologie..., PL, XXI

الصورة 2



صورة قارب مغارة كاف البلدية- تونس –
Lancel. S, Carthage, éd. Cérés, Tunis, 1999, p311.

الصورة 3



قناع بوني – متحف باردو – القرن الخامس قبل الميلاد – تونس

الصورة 4



المعبود "ماركوريوس" أمام العربة التي تجرها أحصنة.

Khanoussi.M, A-propos de Mercure psychopompe, M.E.F.R.A ,
T 102,n°2 , 1990, p648

مولاي علي الشريف وجهوده التأسيسية

847-762هـ/1360-1443م

الجزء الثاني

أ.د. مولاي هاشم بن المهدي العلوي القاسمي

جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس.

المملكة المغربية

في الجزء الأول من المقال، تناول الدكتور مولاي هاشم بن المهدي العلوي القاسمي، بالدراسة حياة مولاي علي الشريف، المرتبطة أساسا بالأوضاع التي عرفها المغرب الأقصى، حيث شكّلت الحياة السياسية للمجتمع المغربي وتنظيماته المدنية والعسكرية قبليا وسلبيا وأسريا أهم صفات وخصال الرجل الذي ساهم بقسط وافر من تاريخ المغرب الأقصى، وهي الفترة التاريخية الممتدة من سنة 762هـ/1360م، إلى حوالي سنة 847هـ/1443م. ففي خلال هذا الامتداد، عاصر الرجل أحداثا في تاريخ البلاد ارتبطت بمتغيرات كبرى فعلت فعلها في تشكيل النظام السياسي وقيام مظاهر جديدة للحكم، فضلا عن تغيير وتبدل الأسر الكبرى، وهذه المظاهر هي نشأة الاستقلاليات المحلية بزعامات قبلية وأسرية على امتداد التراب المغربي شمالا وجنوبا- شرقا وغربا، وبرزت في ذلك ظاهرة تفسخ وضعف أوامر السلطان وسلطة الدولة، فتظهر الدولة بالاسم ولا تحكم بالفعل.

ومن أجل تتبع جهود "مولاي علي الشريف التأسيسية، قام المؤرخ في الجزء الأول من المقال بالتطرق إلى النقاط التالية:

أولا: اندراس ونهاية مدينة سجلماسة: وخلال هذه الفترة، تمّ تخريب مدينة سجلماسة في حياة مولاي علي الشريف.

ثانيا: بداية تحول طرق التجارة من الصحراء الإفريقية الكبرى إلى الملاحة التجارية البحرية على المحيط الأطلسي.

ثالثا: أزمة الحكم والنظام السياسي المغربي من أواخر بني مرين إلى نهاية بني وطاس وقيام السعديين (763-916هـ)/(1361-1510م).

رابعا: بداية ميلاد جيوش المتطوعين للجهاد.

خامسا: جهود مولاي علي الشريف في الصحراء الإفريقية الكبرى وتأمين طريق الحجيج.

سادسا: جهود مولاي علي الشريف التأسيسية لنظام اجتماعي جديد يطمح إلى تحقيق وحدة تافيلالت وإعادة تنظيمها بعد اندراس مدينة سجلماسة.

1- الإشراف على تنظيم الأحلاف القبلية وإعادة ترتيب الروابط بين إقليم تافيلالت والبلاد المغربية الأخرى.

بعد أن عاد مولاي علي الشريف من حركاته الكبرى التي تكررت مرارا طيلة خمسة عشر سنة بعد سقوط سبتة بيد البرتغاليين وكانت ضمن حركات الجهاد في الأندلس التي ذكرت النصوص أنها وصلت إلى ثمانية وعشرين حملة اختلفت في الزمان والمكان وكلها من أجل الدفاع عن الحضور الإسلامي بعد اشتداد خطر حروب الاسترداد بشروطها ووبلائها.

وأحداث الأندلس هذه لم تشغل مولاي علي الشريف عن تمهيد طرق القوافل والحجيج الفيلاي والصحراوي، ولذلك تصدى لتمهيد هذا الطريق وإعادة إحيائه بعدما أصابه من تدهور وانفلات أمن وفساد السابلة وفوضى هيمنة القبائل الرحل من معاقله وطوارق وجموع أخرى. بعد كل هذه الأحداث استقر مولاي علي الشريف في تافيلالت وأخذ يعمل على تكوين نظام اجتماعي يعتمد على اقتصاد التجارة والزراعة في سجلماسة، فأخذ يستصلح الأراضي ويبني المنشآت العمرانية التي توافق النظام العمراني السجلماسي الفيلاي³⁹.

وقد استفاد مولاي علي الشريف من تحركاته سواء في الأندلس أو في طريق الحج بإفريقيا جنوب الصحراء وعمل على إحياء الطريق الوسطى الصحراوية العابرة "من سجلماسة إلى تنبكتو"، كما استفاد من كل ما جمعه من أموال وما تمكن من الوصول إليه من أراضي في تافيلالت، فأصبحت شهرته وسمعته تطبق الأفاق في النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، فاشترى الأراضي والرباع وبنى الدور عبر الطريق التي تربط بين فاس وتافيلالت ولا أدل على ذلك مما بناه في مدينة صفرو وقرسلوين، حيث اتخذ منشآت لزاويته وارتبط بالقبائل المحيطة به، ثم أنشأ منشآت أخرى على الطريق نفسها في كل من حوض ملوية الأوسط والقصبات التي كانت قبائل الأحلاف تسيطر عليها. ويلاحظ أن حوض ملوية الأوسط كان تحت سيطرة القبائل المعقلية العربية الذين وصلوا بخيامهم وجموعهم من أنكاد وقبائل بني حسن وأولاد منصور الذين انتقلوا من توات وذوي منيع وأولاد جرار والحلاف وما شاكلهم من القائل الرحل العربية، فقد هيا مولاي علي الشريف بمساعدة خبراء تجارة القوافل محطات للنزول والانتقال عبر طرق الاتصال بين فاي وتافيلالت وأقام في هذه المحطات و"النزالات"، وكان هناك طريق آخر متشعب من هذه الطريق المركزية من حوض ملوية الأوسط إلى ميناء عجرود "السعيدية حاليا"⁴⁰، فهياً فيها

الماء ومخازن الاستراحة للمتقلين عبر الطرق، فكانت نزلة القصابي و"عين اشرب واهرب" المحاذية لفتح "تيزي ن تلغمت" ثم الطرق المؤدية لجبل العياشي وزاوية سيدي حمزة ثم فج توليحت الذي يعبره وادي زيز في بدايته المتجه نحو الجنوب الشرقي ليسقي مدغرة وتافيلالت، فكانت محطات أخرى في اتجاه تافيلالت سجلماسة وأهمها مركز تَدْرَاكْلُوت على نهر زيز قريبا من مركز الريش. ثم في الجهات الأخرى من ضفة وادي زيز حيث يقرب التقاؤه بنهر كبر، وبهذه المنطقة القريبة من وادي كبر وقرية تيطنْ عَلي حيث أقيم بجوارها مركز قرسلوين، فأقام بها مولاي علي الشريف محطة للعبور والتقاء القبائل والقوافل القادمة من سجلماسة أو من فاس.

وفي هذا الملتقى "فرسلوين" اتفق أن اجتمعت القبائل الجبلية من آيت حديدو وآيت عطا وآيت حمزة وآيت عياش وآيت مرغاد ثم القبائل العربية، فاجتمعوا في هذا المركز واحتضنه مولاي علي الشريف وأقام به منشأة معمارية لأقاليم ومن انضم إليه، وأدى هذا الاجتماع إلى تقوية وتنظيم حلف قبلي عربي أمازيغي وهو إعادة إنشاء حلف آيتي فلان. ويلاحظ في هذا التنظيم الجديد أن مولاي علي الشريف عمل على تقسيم الأسبوع والشهر والسنة لاستفادة القبائل الداخلة في حلف آيت يافلان، فعين لكل منها وقتا مناسباً لمراقبة الطريق الواصلة ما بين سجلماسة وفاس، فكانت القبائل تفرض على القوافل أنوات وحقوقا معينة مفروضة، وهي ما يعرف في نظام طرق العبور في التراب المغربي قديما من قبيلة إلى قبيلة ومن جهة إلى جهة بحق "الزطاطة" وهذا الحق يختلف حسب قوة القبيلة التي تعبرها أو تضمن تسيير القافلة من جهة إلى أخرى ويدخل في هذا النظام حق الماء الذي تتزود به القافلة وحق الظل وحق الاستراحة وحق تهية الطعام وربما حتى تسيير المواد الغذائية كاللحم والخبز وما يتناسب وغذاء الناس المتنقلين مع القافلة وهو ما يسمى "العوين"، ثم يرتبط بهذا أيضا توفير العلف لحيوانات النقل وتعهدهم بالمناسب من علف بهائم القافلة.

وقد هيا مولاي علي الشريف هذه الأشياء الضرورية للحياة في هذا الطريق التجاري وأشرف على تنظيمها وحراستها للدفاع عليها، فكان حقيقة مؤمنا للتواصل بين فاس وسجلماسة والمناطق الرابطة بينها، وقد استطاع أن يكتسب بهذا الجهد مكانة قوية جعلت من شخصية مولاي علي الشريف شخصية ضامنة "للساطة" بين ملوك الدول المرينية الأواخر وبين القبائل الكبرى الواقعة في هذا المحور التجاري سجلماسة- فاس.

كون هذا الحلف قوة قبلية ساعدت على خلق تعايش حقيقي بين قبائل الجبال على الأطلس الكبير الشرقي وقبائل أزغار أي مناطق الرعي في السهوب الإستبسية ذات نباتات الحلفاء المناسبة لرعي الماشية من أغنام وماعز وإبل، وخلق بعض القرى

المهياة في أحواض الشعاب والأنهار بالمناطق الشرقية وخاصة على كبر وملوية ثم أيضا واد الشواطر على الساورة وما والاها.

مگن هذا الجهد أيضا القسم الشرقي من توحيد قوته وضبط استراتيجيته بالفلاحين الرعاة وأيضا بالمستقرين في جبل العياشي وجبال غريس وأمطغاص ووادي دادس وأعالي المحاج والممرات الجبلية وواحة تينغير بشعابها ووديانها.

وهكذا يظهر أن مولاي علي الشريف كانت قوته ونفوذه الروحي والعملية والبشري ممتدا بالجهات الجنوبية الشرقية من المغرب الممتدة على قدم الأطلس الكبير والنجود العليا. ومن شأن هذا النفوذ أن يجعل من مولاي علي الشريف قوة ممتدة في الصحراء الإفريقية. وتمتد في شمالها إلى سفوح وقمم الجبال الكبرى بالإضافة إلى جبال الأطلس الصغير التي كان امتدادها في منطقة درعة وما جاورها حيث جبال آيت ساون والمرتفعات المجاورة لذلك، حيث التوجه إلى بلاد سوس ماسة. فكان مولاي علي الشريف يعمل على بسط نفوذه وشهرته الروحية باعتباره شريفا صريح النسب ذا نفوذ معترف به يحقق الوساطة في حال ما إذا حصل نفور أو اضطراب بين القبائل على اختلاف أسمائها، فكلها كانت تعترف بشخصيته.

وهكذا صار حلف آيت يافلما رمزا معترفا "بقوة أهل تافيلالت ووحدتهم الاجتماعية والبشرية"، وكانت مهمته هي خلق التضامن الاجتماعي والتوازن القبلي والاحتفاظ عليهما في هذه المرحلة: النصف الثاني من القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد.

وحاولت هذه المجموعة البشرية أن تعيد التراتب الاجتماعي، وأشرف مولاي علي الشريف على ذلك، فكان للأمازيغ حضور قوي وصار للقبائل العربية حضور آخر، يتوازى الحضوران في قوة اجتماعية متقابلة. وفتحت بهذا التوازن قوة التواصل في اتجاه خلق مجموعات بشرية كثيرا ما يحاول بعض الكتاب أن يخلق من هاتين المجموعتين قوة متعارضة ومتضاربة معتمدا في كل ذلك الفرق ما بين سكان الجبال وسكان الوطا أي المناطق المنخفضة الرعوية⁴¹. ولكن حلف آيتي فلما حاول أن يمسك بالخلاف الذي قد يحصل بين هذه المجموعات البشرية ويحل إشكالاتها.

هذه الوضعية التي حققها مولاي علي الشريف في هذه المناطق الجغرافية يسرت له نفوذا عمل على استخدامه في تشييد المنشآت بسجلماسة وواحاتها وفي بناء قصور السكن في الواحة الفيلايلية، حيث ركز على إنشاء قصور حول مقره المحبب إليه "تعمرت"، وقد بنى بها مقر سكانه وزاويته التي يجتمع له فيها الأصحاب والأتباع والمريدون، وإن كان لم يتخذ طريقة صوفية خاصة به وإنما كان على السنة الصحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد ابتغى من وراء هذه المنشآت تأسيس كيان

خاص به يجمع أحبابه وأقاربه وأصحابه من العمريين المتراربيين والأنصاريين وذوي الاعتبار من خوولة وعمومة.

وهكذا أصبحت للشريف مكانة كبرى واستقطب وجهاء تافيلالت إليه، فأحبوه والتفوا حوله. وقد لخص ابن دفين طيبة هذا الواقع الاجتماعي لمولاي علي الشريف بما في ذلك صور الخلاف وأشكاله مع أخيه أبي البركات مولاي عبد الرحمن وأبنائه، وأفادنا في هذا الموضوع في كتابه الجوهر الشفاف ونعتمد عليه في هذا السياق لما له من قرب زمني وصلة بأسرة الأشراف بتافيلالت على الصورة الواردة الآتية:

2- صور من المعارضة والخلاف بين مولاي علي الشريف وبعض أهل تافيلالت

"فلما توفي مولانا الحسن (بن محمد بن الحسن الداخل)... خلف فرعين اثنين مولانا عبد الرحمن المكنى بأبي البركات والولد الأبر السמידع الأشهر مولانا علي المدعو بالشريف. فخرج من دورهم بالمدينة واشترى أصلا بالمصلح وبنى زاوية تسمى حارة الشريف وفيها تزايد له ولده الأكبر وهو مولانا الحسن بن علي ثم جعل زاوية قرب زاوية جنانه المعروف ببرج حمام، ثم اشترى أصولا من أولاد أبو (كذا) ربيعة بتانجويت، ثم اشترى أصولا أيضا ببني مداسن، واشترى أيضا أصل علي بن موسى المداسني. فلما اشترى جنان شمالا بأرض مداسن تذاكرته أهل سجلماسة، واشترى أيضا من أولاد مولود التغمرتي أرضا وبنى فيها دارا ومسجدا وخلوة قرب قم القصر، واستسلف من أولاد مولود التمر والشعير، فاجتمع إلى أهل سجلماسة على أن يُقَوِّمُوا له جميع أصوله ويعطوه ثمنا ويخرجوه عنهم، فشاوروا في ذلك سيدي محمد بن أبي إبراهيم وابن هلال نفعنا الله بهما، فقالا: أعطوه قيمة أصوله وأعطونا قيمة أصولنا معه لنخرج معه إلى حيث شاء، فإن رحمة الله لا تنزل من السماء على أهل بلد طردوا ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم. فانقلب أهل سجلماسة كاظمين، وبقي مولانا علي الشريف في أصله، وزواياه مع من له أمنين مطمئنين، فأغروا عليه أولاد مولود من تغمرت يقبضون منه تمرهم الذي استسلفه منهم قبل، وأشلوا (كذا في الأصل والمراد حرضوا) عليه المرأة طيطي المنداسية تقوم بالشفعة في جنان شمالا ليظهر لها في بقية الأصول وجه استغلال، وترامى الأوباش أولاد البلدي⁴² على مواليه بالمناقشة، كما أغروا عليه أولاد مولود التغمرتي يقبضون منه تمرهم الذي استسلفه منهم وذلك عقب السنة ولا توجد غالبا في ذلك الوقت، فتكلم أولاد مولود مع أولاد أبي البركات يقتلونه ويأخذون أصوله لأنفسهم⁴³. فلما اشتغل رضي الله عنه بقم خلوته بتجويد القرآن للطلبة وتلقين الأسماء للفقراء، جعل أولاد أبي البركات يحفظون وأولاد مولود طالبين التمر بمناقشة ووجه غضب. فقال أحد الطلبة الحابط الحابط، فقال مولانا علي الشريف رضي الله عنه: اللهم إن أولاد أبي البركات وأولاد مولود كما علمت! اللهم قلل عهدهم. ثم قال: يا أولاد مولود اجمعوا الدواب واتوا تحملون

تمركم، فجاؤوا بكثرة الدواب ومد الكيل، فقال رضي الله عنه: سعوا وأرادوا فضيحتنا بين الناس، فأخرج ففة من التمر، ثم قال له: اجعلها تحت السجادة، فمن أوفيته حقه، فمزق برنامجها، فما زال أولاد مولود يكتالون حتى استوفوا من ذلك جميع حقوقهم، والتمر تحت السجادة لا تنقص شيئاً، فتساقطوا عليه ذكرانا وإناثا يطلبون منه العفو والسماحة. وأما المرأة طيطي، فقد وكل وكيلا ينوب عنه في مخاصمته معها وتحاكموا عند القاضي السيد بلقاسم قاضي المدينة⁴⁴. فلم يزل يؤجل لها حتى بلغ ثلاثة وعشرين أجلا في إرجاء حجتها، فلم تأت بشيء يسمع منها شرعا، وأعجزت بعجزها القاضي، فوقع الصلح بينها وبين وكيله على أن أبرت في شمالا ولم يقبل لها فيه مقال. وأما الإسلاميون أصلا أولاد البلدي⁴⁵ فقد ابتليت بلوى كل من أضر منهم من الظالمين بمواليه رضي الله عنه فطلبوا عندئذ من مولانا العفو والتجاوز عنهم والمسامحة أن يجعل لهم علامة يتميزون بها. فأمرهم رضي الله عنه أن يحملوا جريدة النخل حيثما سلكوا، فإذا رأهم العامة أو لص أو غيره خافه على نفسه من عقوبة الله بسبب دعاء مولانا علي الشريف وغضبه عليهم وبعد منهم...⁴⁶.

يتضح إذن أنه يفعل غزوات مولاي علي الشريف نحو الأندلس والسودان، أنه قد بعد صيته وكثر أتباعه، إلى درجة جعلت أمير وقته السلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني (حكم بين 823 و869هـ) يتخوف منه بعدما كان يحبه ويوقره، قبل دخول الوشاة من أهل فاس بينهما. فأمره السلطان بسكنى فاس لمراقبته ومراقبة تحركاته وأنشطته، فامتثل مولاي علي الشريف الأمر، وسكن بحومة راس الجنان وبجزء ابن عامر⁴⁷، فطاب له القرار بالمدينة، وازدحم الناس على بابه كازدحامهم على باب الملك، وتواردت عليه الوفود من سائر الجهات، فازداد خوف المريني منه، مما دعاه إلى أن يأذن له مرة أخرى بالعودة إلى سجلماسة- تافيلالت في محاولة منه لإبعاده عن العاصمة المرينية⁴⁸. وتحول استقرار مولاي علي الشريف بتافيلالت إلى خلافات نشأت بينه وبين معارضيه ومنافسيه الذين أحلوا عليه في الخروج من بلدهم كما تبين في الفقرات السابقة.

3- بداية بروز وظهور أسرة العلويين السجلماسيين

إن التحول المادي لأسرة الأشراف نتيجة جهود مولاي علي الشريف واكتسابه قوة مالية بتافيلالت بشرائه للأصول والدور والعقارات والأراضي وبناءه للقصور وخاصة بمنطقة وادي إيفلي وما جاوره، كل ذلك أثار الخلاف بينه وبين بعض ساكنة الإقليم وتطلب الموقف ذات البين مع الأهالي.

هذا الانتقال السريع لأسرة الشرفاء الحسينيين السجلماسيين من القوة الدينية- الروحية أي من "التبرك" إلى "التمركز والنفوذ" بامتلاك الأسس المادية اللازمة لأي تحرك لبروز قوة مستقبلية في الإقليم، هو الذي أفرز مواقف متباينة لأهالي تافيلالت

بين رغبتهم في إخراجها منها بعد تقويم أصوله أو محاولة الاعتداء عليه واغتياله، وبين موقف الفقهيين سيدي محمد بن إبراهيم وأبي إسحاق إبراهيم بن هلال السجلماسي اللذين انحازا إلى صف مولاي علي الشريف أبي المغازي.

لم يسفر هذا الخلاف عن نتيجة مؤدية لمولاي علي الشريف وإنما أسفر في النهاية عن تقوية حضوره في سجلماسة- تافيلالت وإحاطته بنوع من الإجلال والإكرام وتعزيز مكانته بالمنطقة، مما جعل ملوك فاس من المرينيين والوطاسيين يحترمونه ويفوضون له الأمر لتصريف شؤون المنطقة وترتيب العلاقة بين سجلماسة تافيلالت وفاس، وبينها وبين أهل السودان وكذلك بلاد الصحراء وشنقيط، مما أعطى لمولاي علي الشريف دعما وتفويضا في ترتيب "ركب الحج السجلماسي"، فكان له نفوذ في الجنوب الشرقي من المغرب وفي امتدادات أقاليمه إلى بلاد السودان الشيء الذي أحيى وأنعش الحركة التجارية وحركة التداول والاتصال بين المغرب الأقصى وبلاد إفريقيا جنوب الصحراء.

4- الحياة اليومية وتأسيس المراكز العلمية

نبدأ في هذا السياق بمقولة المؤرخ أبي القاسم الزياني التي وصف فيها مولاي علي الشريف بالرجل الذي استبدل الملك بالعلم وخص به ذريته وعقبه في المغرب وفي ذلك يقول: "ممن عظم العلم، واكتفى به عن الملك"⁴⁹. انتشرت مراكز العلم في تافيلالت في القصور التي توزعت في الواحة الفيلايلية وحوض وادي زيز وغريس وما والاها متمسكة بتوجيهات مولاي علي الشريف وبمساعده ودعمه المادي والعلمي والروحي- الديني، وبذلك نشأت في وسط ازدهرت فيه حركة المعرفة الدينية القرآنية، حيث اهتمت تلك المداشر والقصبات التي أقامها مولاي علي الشريف بتعليم القرآن وتحفيظه وبدراسة المؤلفات الفقهية التي كانت تدرس في فاس بالقروين وتجلب بتوجيه من مولاي علي الشريف إلى تافيلالت وقصورها على قاعدة أهل العصر الذين كانوا يشرحون مؤلفات العلماء السابقين في كراسي علمهم، وكان يسهل المأمورية للطلبة لينتقلوا إلى فاس لزيادة المعرفة والعودة بها إلى تافيلالت، فكانوا يتوجهون إليها بالخصوص وإلى مراکش وكذلك إلى مراكز الزوايا خارج تافيلالت ليدرسوا ويستزيدوا من المعارف الدينية والفقهية بوجه خاص، فنشأ في هذا الجو وسط متحرك للمعرفة الدينية وصارت تافيلالت خلية تجمع قراءة القرآن وتجويده والكتابة في الموضوع، وبذلك ألفوا في هذا الميدان على نسق السابقين، ولكن هذا "العصر الشريف" تميز بحقيقة جديدة وهي توظيف وترتيب النفقات على طلبة العلم وحفاظ القرآن ودارسي العلوم الدينية بجميع فروعها وتشعباتها.

وهكذا أصبح عهد مولاي علي الشريف عهدا حيا استجاب له كبار شيوخ المنطقة الفيلايلية، مما عزز الصلات بين علماء تافيلالت وعلماء فاس القروين

ومراكش اليوسفية، فصارت مركزية تافيلالت مركزية لحفظ القرآن وجمع السنة وحفظ الأحاديث النبوية الشريفة، فاستقطبت كل من يهتم بهذا الميدان ويتجه إلى جهات الأمان ونشر العلم والمعرفة، وهي المناطق الصحراوية المغربية وإفريقيا جنوب الصحراء، فكانت رحلة مولاي علي الشريف إلى بلاد السودان وإلى جهات المشرق، وكذلك إلى الجهاد بالأندلس والاتصال بمن تبقى من علمائها، كان كل ذلك مجالاً حيويًا لخلق جو جديد استفاد منه مولاي علي الشريف، فكانت حركته من أجل الإسلام عموماً دفاعاً ومعرفةً وصلاًحاً.

هذه هي الأسس الأولى لشخصية مولاي علي الشريف في تافيلالت، فقد وصل إلى مستوى من النضج والإبداع ليكون رمزا لقيادة جديدة في المجتمع السجلماسي الفيلاي بالتعاون مع علماء المنطقة وخاصة الأسرة الإبراهيمية حفدة أبي إبراهيم العمري الهلالي.

أدى هذا الوضع إلى تمركز الحياة المعرفية إلى جانب النشاط التجاري مع إفريقيا جنوب الصحراء، فاتصلت المنطقة وتواصلت بما لا يتأتى تفصيله هنا، وإنما تقتصر على إجمال الصورة العامة للمنطقة. وقد بدأ مولاي علي الشريف حركته العلمية يوم كان مقيماً بفاس حيث درس المبادئ الأولية للعربية بتلقيه للأجرومية وشرحها كما درس البلاغة العربية وخاصة علم البيان، وكان مجيداً بحيث لفت نشاطه في هذا العلم نظر طلابه ونسبت إليه أصول المؤلفات المتخصصة في علم البيان والبلاغة، وخاصة مؤلفات الزمخشري والجرجاني وسواهما من علماء اللغة العربية، ولكن لم يصلنا ما أملاه على طلابه، بحيث غابت نصوص بحوثه في أدبار الزمان، وما غاب في الخزائن الخاصة بتافيلالت، وكانت زاويته مركزاً لتلقيين الطلاب مبادئ العربية وعلوم الدين، مما خلق من زاويته محطة للعلم والمعرفة الإنسانية في المناطق التي ركز فيها إقامته، وامتدت فيها المراكز ومحطات المعرفة فيها⁵⁰.

وقد أشاد بعلم مولاي علي الشريف كتب الأنساب والتراجم ووصفه الزكي العلوي في مطالع الزهراء بأنه: "دار علم وصلاح وعفاف وفلاح مشهورة بالعلم والولاية، وكان معروفاً برياسة الدنيا، رأساً في العلم والدراية، ملحوظاً بعين الرضا والإجلال والتعظيم عند الأمراء والكبراء، محباً للمساكين والفقراء"⁵¹. وقد تصدى كذلك ل: لإطعام الطعام، وإقراء الضيوف، وقراءة القرآن، وتلقيين الأوراد⁵² بقم خلوته قرب قم القصر بتغمرت⁵³، حتى اشتهرت بلدته بالزاوية، وحبس على كل ذلك أحباساً وأوقافاً كثيرة⁵⁴ في سبيل تلقيين العلم للطلبة سواء من أبناء البلد أو الوافدين من مناطق مختلفة، فكثر بذلك طلاب العلم، وتنافسوا عليه⁵⁵. وعند وفاته عام 847هـ/1443م⁵⁶، صار ضريحه ملجأً لطلاب العلم "يقرأون الحزب ودلائل

الخيرات، وعلوم أخرى⁵⁷، والجدير بالإشارة أن قراءة دلائل الخيرات قد تكون بدأت متأخرة عن وفاة مولاي علي الشريف وتستمر إلى الآن.

5- الصلات والروابط بين تافيلالت- سجلماسة وفاس والأندلس

يحكم هذا الموضوع ما ساد من جو عام في عصر مولاي علي الشريف وهو النصف الأول بالخصوص من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وهذا الجو السياسي كان واقعا مرا بالنسبة لأواخر الدولة المرينية وكان صعبا ومضطربا للمغرب كله، حيث ضعفت الدولة في فاس وعاشت أزمت قاسية في عهد عبد الحق المريني الذي كان آخر ملوك بني مرين وانفرط فيه عقد القبائل المغربية، فانحلت عرى الروابط التي كانت تتحكم في وثائق النظام القبلي، فامتازت المرحلة بقلق شديد، وصارت الأحلاف تعقد تارة، وتنحل أخرى وكان مجال ذلك هو المناطق الجبلية والسهوب والجهات التي كانت تتأثر بالعوامل الطبيعية من جدد وجفاف، فالأزمة القبلية تأثرت بالوضع الذي ساد مجتمع الرعاة والفلاحين بوجه خاص، وكان المؤشر الذي يدل على هذا هو ضعف الجباية وندرة مداخيل الدولة الشيء الذي خلق واقعا انقساميا بالمعنى الأنثروبولوجي، وخلق نظاما للنفوذ القبلي متميزا بين واقع الجهات الوسطى من المغرب وحقيقة المجال القبلي في الأطلس المتوسط الذي عرف تحركا قبليا انتقاليا، مما جعل الدولة تتأثر بهذا القلق الاجتماعي اقتصاديا وديموغرافيا، وأدى هذا إلى أن الدولة لم تعد تتحكم في أغلب مجال نفوذها سابقا، مما جعل جو الاضطراب والانعزال الاجتماعي والفوضى القبلية هي ميزة هذه المرحلة، سادت فيه التوترات القبلية والسيطرة الروحية لمشايخ التصوف وأصحاب المذاهب ذات البعد الديني الشيعي، مما خلق موجة جديدة من "الإمارات المستقلة" أوجدتها ظروف اجتماعية خلقتها الزوايا والتصوف في هذه المرحلة، فنشأت إمارات متميزة خاضعة لشيخ الزاوية أو شيخ القبيلة، وهكذا أصبح التحكم في السياسة داخل المجتمع المغربي مرتبنا بحقيقة القبلية وحقيقة الاتجاه الصوفي والزاوية. فهناك توافق وتعارض في نفس الوقت، فهل استفاد مولاي علي الشريف من هذا الجو المشحون وغير المتجانس داخل المنطقة التي تحرك فيها بين سجلماسة- تافيلالت والعاصمة فاس باعتباره شريفا وشيخا روحيا دينيا؟

هذا السؤال يثير إشكاليين رئيسيين في عصر مولاي علي الشريف الممتد من أواخر القرن الثامن للهجرة إلى منتصف القرن التاسع للهجرة/ الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، وهما أزمة الحكم وثورة الأدارسة بفاس⁵⁸، وذلك يثير ثلاث قضايا أساسية:

أولا: أزمة الحكم والأسرة المرينية الأخيرة.

ثانيا: مسألة الأزمات السياسية الداخلية التي واكبت هذه المرحلة في المدن والبوادي.

ثالثا: مسألة الدفاع عن الإسلام في الأندلس والجهاد فيه من أجل نصرته الإسلام والدولة الإسلامية في غرناطة وما إليها من الجهات المستهدفة من قبل الغزو النصراني المسيحي في الأندلس، ويرتبط بهذه القضية مسألة نقل الحرب من شبه جزيرة إيبيريا إلى المغرب الأقصى خصوصا وأن طمع نصارى الأندلس من برتغال وإسبان كان موجها نحو المغرب والسيطرة على مضيق جبل طارق وغرب البحر الأبيض المتوسط عموما والتحكم في الملاحة البحرية في المحيط الأطلسي وشواطئ إفريقيا الغربية.

هذه القضايا كانت مشكلتها قوية وتثير في دولة الإسلام بالمغرب تحركا لتنظيم الجهاد، وقد سبق وأن عالجتنا هذه النقط الثلاث في كثير من جوانبها، ولكن بقي علينا أن نثير حقيقة واقعية في أواخر عصر بني مرين، وهي حقيقة أزمة العرش والحكم، حيث ابتداء من أبي عنان إلى نهاية عصر عبد الحق بن أبي سعيد المريني انتاب الدولة خلل في نظام الحكم، وهو ما جعل المؤرخين والكتاب الذين عاصروا هذه المرحلة يطلقون على واقع النظام والحكم بعصر التقلب والاضطراب وتولية الصبيان أو من بلغ مرحلة الاحتلام بالكاد، وفي ذلك كان لسان الدين بن الخطيب يؤلف كتابه "أعمال الأعلام" و"رقم الحلل"⁵⁹ وقد خصصهما لهذه الأزمة التي انتشرت في الدولة المرينية. إلا أن مولاي علي الشريف لم يربط علاقته مع هذا الواقع المتقلب، وإنما كان موقفه مسالما وغير معارض خصوصا لعبد الحق بن أبي سعيد، فقد بايعه والتزم ببيعته إلى أن عاجلته المنية في أواسط عصر عبد الحق سنة 847هـ/1443م.

رغم أن مولاي علي الشريف كان ذا شأن، فإنه لم يتحرك للدعوة إلى حكم المغرب، بحيث لم ينصب نفسه مسؤولا سياسيا في تافيلالت وسجلماسة، فقد اعترف بالقاضي الذي والاه السلطان المريني وكذلك اعترف بالعامل الذي ولاه بنو مرين على تافيلالت- سجلماسة. وهكذا كان غرضه هو بسط نفوذه الروحي وتأكيد خاصية الشرف التي امتاز بوصفه بها لما لها من تأثير في حياة المجتمع المغربي، فهو رصيده الذي كونه خلال حياته الطويلة. وقد لفت نظره ما كان يحدث شمال المغرب من هجومات نصرانية مسيحية، فاهتم بالدفاع عن الوطن المغرب، فإذن كان "وطنيا قبل أن يكون طالب سلطة". وهكذا ربي في المغاربة روح الدفاع عن الوطن والدين، فاشتهر بهذا الطابع والتوجه داخل الدولة المغربية.

إذن كان مولاي علي الشريف رجلا ذا أفق بعيد يعمل نصرته الحقيقة الكبرى وهي جمع شمل الدولة المغربية ومناصرة رجالها المخلصين الصادقين، واعتبر في كل ذلك شرعية ملوك الدولة المرينية رغم ما أصابها من خلل وضعف، وقد شهدت بذلك كتابات المؤرخين الذين عاصروه أو جاؤوا بعده، بحيث رغم ما حاول خصومه إثارتة بينه وبين عبد الحق سلطان بني مرين الأخير، فقد حاولوا الإفساد بينه وبين

السلطان ولكنه ثبت على موقفه، وتبين لعبد الحق المريني صدق مولاي علي الشريف، ورد كيد أعدائه في نحورهم وهذا ما أشارت إليه كتب الأنساب ونخص بالذكر ما دونه كل من ابن دفين طيبة⁶⁰، والفضيلي⁶¹، والمقري⁶²، وعبد الكريم الريفي⁶³، والزكي العلوي⁶⁴، والناصرى⁶⁵، ورواية مطالع الزهراء هي المفصلة والمعتمدة لدينا وهي كما يلي: "وبقي رضي الله عنه يتردد بين جزيرة الأندلس وبلاد السودان وبذلك بقصد إعلاء كلمة الله، هذا دأبه هو وأهل سجلماسة وقبائل السوس الأقصى وصنهاجة الأحرار حتى تخوف منه سلطان وقته الإمام عبد الحق بن أبي سعيد المريني، وكان هذا السلطان يحبه محبة قبل دخول الوشاة من أهل فاس بينه وبينه، فلما تمكن كلام الوشاة من قلب السلطان المذكور أمر مولانا علي الشريف بالسكنى بفاس، فامتثل أمره وسكن بها بحومة رأس الجنان، بجزء ابن عامر وداره معروفة هناك، نحو اثني عشرة سنة، فطلب رضي الله عنه من السلطان الرجوع لبلاد سجلماسة، فأذن له في الرجوع إليها على أن يرجع لفاس، فلما خرج من فاس بنية السفر لسجلماسة دخل بعض الوشاة من أهل فاس على السلطان، وقال له إن الرجل الذي طلب منك السفر لبلاد وأمرته بذلك ليس الأمر كما ظننت أو كما قال، وإنما نيته الخروج عليك وعن طاعتك، فتراه أبدل السكة، وقد تكلم مع فلان وفلان من أهل فاس ومع قبائل العرب والبربر، وكان لهذا السلطان رجل صالح يجالسه ولا يفارقه في غالب أوقاته ويشاوره في جميع أموره، وكان هذا الرجل الصالح ينهيه عن مجالسة أهل فاس، سيما العوام منهم، فجاءه يوماً فوجد البعض من أهل فاس عنده، وهو اليوم الذي سافر فيه مولاي علي الشريف لبلاد، فغضب الرجل الصالح وهجر السلطان أياما متواليات، فأرسل وراءه السلطان، فأبى أن يدخل عليه، فبقي السلطان يستعطفه إلى أن أجابه بالدخول عليه، فلما دخل الرجل الصالح على السلطان فرح به وسر بدخوله عليه وقام إليه إجلالا، فقال له الرجل الصالح: لا أكلمك يا أمير المؤمنين حتى تصدقني بما حدثك به فلان، فأخبره السلطان بما قال له، فقال له الرجل الصالح: إن أهل فاس لا يأمرونك إلا بالسوء لأنهم أهل غش وخديعة ولا يحدثونك إلا بالكذب، فصدقه السلطان، وقال له: ياسيدي أخبروني أن مولاي علي الشريف أبدل السكة وأراد الخروج عن طاعتي، فلو أرسلت بعده وأثقلته بالحديد وخلوته في الهجر لكان أولى لك قبل أن يزاحمك في ملكك وملك أبيك وجدك، وها أنا بعثت وراءه نحو الخمسين فارسا، والآن تبت الله ولا أعود أسمع كلام أحد فيه إلا بخير، فقال له الرجل الصالح: قد علمت ذلك، فلما لحقوه، لحقوا الخمسين فارسا، بمولانا في أثناء الطريق وأخبروه بأمر السلطان، فأجابهم بالسمع والطاعة لأمر المؤمنين، رجع مولانا علي الشريف معهم إلى أن وصل إلى حضرة السلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني، فوجده قد ندم على ما فعل، وقام السلطان إجلالا لمولاي علي الشريف وقبله وعظمه،

وقال: يا سيدي وابن سيدي اسمح لنا، فأنتم أهل الجود والوفى لأنك من سلالة المصطفى صلى الله عليه وسلم، فأجابه مولانا علي الشريف بقوله: والله الذي لا إله إلا هو لا أرضى بمملكتك لو صيفي هذا خنوس، والوصيف في ذلك الوقت حاضرا معه في بساط الملك، فلما استقر المجلس بين السلطان وبين مولانا علي الشريف دخل عليهما الرجل الصالح فطال بينهم الكلام، فمن جملة ما قاله الرجل الصالح: يا أمير المؤمنين ألم أقل لك إن أهل فاس أهل غش وخديعة للملوك، وأن هذا الشريف عليه نور النبوة، والخلافة لاشك في عقبه من بعده، كأني أنظر إليهم في مؤنتك هذه وهو لا يلحقك منه ضرر لا الملوك من أبنائك ولا الدولة التي من بعد دولتكم، وملك المغرب في عقبه يطول، وهذا الرجل الصالح على الواو (كذا) حتى غشي عليه، فلما أفاق من حاله، قال للسلطان: الأمر لله الملك لله، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، فبكى السلطان بكاء شديدا وطلب منهما العفو، ثم أمر السلطان مولانا علي الشريف بالرجوع إلى جزيرة الأندلس برسم الجهاد، فامتثل رضي الله عنه الأمر... " 66.

6- مولاي علي الشريف وسلاطين بني مرين المتأخرين

عاصر مولاي علي الشريف الملوك الأواخر من الدولة المرينية وحاول أن يكون متعايشا مع أسرة الحكم مما يثبت أن هذا الشريف لم يعمل على انتزاع الحكم ولا تدبير قيام دولة شريفة رغم أن نزعة الشرف في الدولة المرينية لقيت دعما وتقديرا واحتراما، ورغم أن الظروف التي كانت تحيط بالدولة المرينية تهيب المجال لهذا النوع من الزعامات الجديدة التي كانت تنتشر بحكم الولاء الصوفي ودعم العناصر التي لها ارتباط بالبيت والإعداد لقيام إمارات مستقلة دفعتها إلى ظهور عوامل جديدة وهي الجهاد في الأندلس ومناطق المغرب الشمالية التي كانت تحت تهديد النصارى بحكم السيطرة المسيحية على مضيق جبل طارق، فكانت سببة وطنجة مطعما لكل من البرتغاليين والإسبان، ولذلك نجد مولاي علي الشريف اتخذ من هذه العناصر مناطا لقوته وكيان جماعته الذين كانوا تحت أنظاره في كل من سبباسة- تافيلالت وفي فاس كذلك وشمال المغرب، واستفاد عمليا من الاحترام المريني للأشراف، وقد سبق أن اتخذ من حركة التطوع للجهاد في الأندلس خلال أوائل حكم عبد الحق المريني، وإن كان عامل سببة وسقوطها في يد البرتغاليين قبل ذلك، محركا للمغاربة جميعا، وأدى ذلك إلى تنظيم حركة الدفاع والجهاد، فقام مولاي علي الشريف بجهد كبير لجمع المتطوعين، فكان شيخا للغزاة المجاهدين في الشواطئ المغربية والأندلسية التي استشرى فيها نفوذ الإسبانيين الذين نظموا حملاتهم ضد المغرب وشواطئه. لكن الفترة التي ظهر فيها هذا الوضع قائما أعطت طابعا جديدا لموقف السلطان المريني من جميع الزعماء الذين كانوا يترأسون حرب الجهاد وحرب تحرير

الجهات المحتلة من النصارى وأتباعهم، وكان الجو العام الذي يسود المغرب هو انفراط الأمن وفوضى القبائل، فصارت المدن في الداخل تحت رحمة الفتن والاضطرابات، ولم يعد السلطان متحكما ولا مسيطرا على خارج المدن، وبالخصوص العاصمة فاس.

إن الدولة المرينية لم يبق لها جيش منظم يحميها، فتسرب الشك إلى قادة التسيير في المجتمع، بحيث أصبح كل من له نفوذ واعتبار في الوسط المجتمعي عنصرا مشبوها، ولم يستطع السلطان المريني أن يبرم أمرا يحل المشاكل الداخلية، وهذه هي وضعية مجتمع الدولة في عصر عبد الحق المريني، وخاصة بعد سقوط سبنة سنة 818هـ/1415م.

وعندما عاد مولاي علي الشريف من إحدى حملاته في الأندلس تشكك رجال السلطان في أمره وبدأت الوشاية بالشريف ليحذر السلطان من خطورته والقيام عليه وانتزاع البيعة. وهذا زعم لم يجد قبولا في البلاط المريني، كما تبين في الفقرات السابقة، حيث كان يتضمن رجالا صالحين ومستشارين يحاولون أن يعطوا لموقف مولاي علي الشريف "حقيقته السياسية".

ومع ذلك نجح الوشاة في خلق نوع من القلق في نفس السلطان عبد الحق المريني الذي استدعى مولاي علي الشريف ليستبين الأمر ويعرف حقيقة الأمور، وهذا الواقع أعطته كتب الأنساب صورة لتبرئة مولاي علي الشريف وتكليفه بشؤون الوسط القلق في المجتمع وتصفية ما كان يحيط بالسلطان من مؤامرات في نفس الوقت، وتكاد كتب الأنساب تنفرد بتحديد قضيتين في الموضوع:

أولها: تدخل الرجال الخالص والأصفياء الذين كانوا يعملون وسطاء بين مولاي علي الشريف وبين السلطان والذين لهم تحرك ضد سلطة بني مرين. وهذا ما ذكره المؤرخون باسم الرجال الصالحين.

الثاني: هو الوسط الفاسي⁶⁷ وموقف أهل المدينة من كل العناصر الذين يتقربون إلى السلطان، فقد صورت هذه النصوص⁶⁸ أهل فاس تصويرا يبين خداعهم للسلطان وتقلب مواقفهم منه وحتى من كل متزعم يروونه قريبا من السلطان المريني أو يتقرب منه بأي صورة من الصور. فكانت هذه الصورة التي لها طابع أخلاقي ووشاية تمردية تعمل على التشكيك في نية مولاي علي الشريف.

هذا الواقع حاول فيه مولاي علي الشريف أن يكون أمينا ومخلصا للسلطان المريني، ولكن الإصرار الذي عومل به جعل المستشارين يلحون على تصفية الخواطر والجو لتبرئة مولاي علي الشريف، فكانت الوقت التي قضاه بفاًس إلى جانب السلطان كافية لكي تبرئ ذمته وهي اثنا عشر سنة عاشها بداره بجزاء ابن عامر بفاًس⁶⁹ وكأنها إقامة إجبارية فرضت عليه، حيث حاول بعد ذلك الانتقال من

فاس إلى سجلماسة- تافيلالت، فاستوثق منه عبد الحق المريني وأذن له بالخروج من فاس إلى مهد أسرته بتافيلالت.

ومع ذلك لم يترك مولاي علي الشريف وشأنه الذي كان بريئاً من تبني أي موقف سياسي ضد عبد الحق المريني، فانتقل إلى صفرو وأقام بها مدة قصيرة، واتخذ من زاوية بها مكاناً ليحتضن به أسرته، ويظهر أنه اتصل بالقبائل المحيطة بصفرو وخاصة قبائل "أي يوسي" وما جاورهم مثل مديونة وفندلاوة وآيت سغروش الذين كان انتشارهم قويا على امتداد الطريق الرابط بين فاس وسجلماسة، فكان انتشارهم يمتد إلى المضايق التي تصل بين صفرو والنجيل وواد كيكو، فهم الذين تعهدوه ورعوه في حلة وترحاله، ولعل مولاي علي الشريف عقد اتفاقاً بينه وبين أي تيووسي في الأطلس المتوسط الشيء الذي جعل حركته آمنة ووجدوه قائماً في هذه الجهات، وكان أهل فاس يعلمون هذا النفوذ القبلي عند مولاي علي الشريف، فقاموا بوشاية إلى السلطان يتهمونهم فيها بالتحرك ضده، ومع ذلك لم ينالوا منه شيئاً، مما أدى بالسلطان لاستدعائه إلى فاس من جديد، فشرح للسلطان ما كان من أمره وأخذ عليه العهود والمواثيق، وهكذا خلال إقامته في صفرو اطمأن عبد الحق إلى مولاي علي الشريف ولم يبق ضده بعمل يؤذيه، مما جعل الأمور تسير لصالح مولاي علي الشريف وتدفعه إلى أن ينتقل من صفرو عبر طريق التمر المعروفة إلى موطنه الأصلي تافيلالت، وأخذ يستقر في الأماكن الحساسة في الطريق مثل جرسلوين قرب وادي زيز، فأقام بها مدة يتصل بمن كان يتعهد الطريق من رجال القوافل التي كانت تعبرها، فكون في هذه المحطات مقرات للإقامة والاستراحة (النزالات) وضمن سلامة الطريق لقوافل التجارة بين فاس وسجلماسة، وهي آخر محطة مولاي علي الشريف، حيث استقر نهائياً في تغمرت أحد قصور سجلماسة والتي كانت مركزاً لزاويته وإقامته التي وافاه الأجل المحتوم فيها سنة 847هـ/1443م، ولم يُبد أي رغبة في القيام بأي تحرك ضد السلطان المريني، حيث هيا الجو العام لإقامة الأسرة "العلوية الفيلاالية- السجلماسية" التي صارت فعلاً أسرة ذات نفوذ في المنطقة وفي الطريق الواصل إلى فاس.

وهكذا كان مولاي علي الشريف مؤسساً لهذه الأسرة ولمجتمع القبائل المغربية والأحلاف الكبرى وخاصة "حلف آيت يافلمان" المحيطة بطريق التجارة وركب الحجيج⁷⁰.

اختل التوازن في هذا العصر لصالح دول شمال البحر المتوسط، وتولى الانحطاط والضعف ببلاد المغرب الكبير وأصبح يغذي نفسه بنفسه ويخلق ظروف استدامته واستثنائه: تحكم البدو في الجيش ثم في الدولة فتكون نظام قبائل الجيش من العرب والبربر في مجتمع دولة المغرب الأقصى بالخصوص، وتناقصت الجبايات، وانكمش الإنتاج، وضمرت الصنائع، واشتد التنافس على السلطة، وتعطلت

المواصلات، وخربت الأمصار، وضعفت الثقافة. فساد الانحطاط الحضاري للمجتمع المغربي⁷¹، وانحلت الدولة وتفتت المجتمع، فاستقلت كل فئة اجتماعية عن الأخرى، وفقدت بالتالي غطاءها الشرعي. وفي مثل هذه الحالة من تفكك المجتمع، حيث تبدو مكوناته عارية منكشفة منفصلة⁷².

ولم تستطع الدولة المرينية توقيف عملية التمزق فيها، بل استفحلت هذه العملية أثناء العقود الأخيرة من القرن الثامن للهجرة وبداية التاسع/ الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، بسبب تأثير عاملين اثنين:

الأول: الدور القيادي الذي أصبح يقوم به الوزراء العائد إلى قوة عصبيتهم القبلية وإلى الإقطاعات التي تراكت لديهم عبر السنين.

الثاني: هو استمرار المكائد والمناورات التي كان يحيكها الأمراء الزيانيون البنوعبد الواديون التلمسانيون وبنو الأحمر النصريون والإسبان ضد المغرب⁷³.

وبسبب ضعف المتولين من السلاطين الذين لم تكن لهم خبرة في القيادة والسلطنة بالإضافة إلى ما كان يحيط بالمجتمع من عناصر الاقتصاد المبني على المعاش، فكل ذلك جعل سلطة الدولة تنحصر في أهم المدن وخاصة مدينة فاس ومراكش، بحيث كانت المدن البعيدة عن المركز فاس غير قادرة على تمثيل الدولة وبسط كلمتها ونفوذها حتى في الجهات القريبة، فأصبح الفساد منتشرًا وضعف التسيير قائمًا، ويصور لنا هذا الوضع المؤرخون الذين عاصروا مرحلة عبد الحق المريني، فكانوا يتكلمون على المرحلة التي جئت بعد أبي عنان المريني (نهاية القرن الثامن إلى أواسط القرن التاسع للهجرة) بطريقة لا تخفي ما كان يسود في الدولة من فساد وخروج عن سياق سلطة الحاكم المتمسك بشؤون الدولة.

هذا الوضع جعل مشايخ القبائل يتحولون إلى شبه أمراء أقوياء في مجال انتشار قبائلهم وخاصة في الأماكن المعزولة. فكانت القبائل الكبرى في الأطلس الكبير والأطلس المتوسط تغير أحيانًا على تلك المدن وتجعل منها جهات فيما يعرف في المجتمع المغربي الوسيط بالجهات التي لا تنالها أحكام السلطان، وظهر وسط اجتماعي يعرف بـ "مجتمع السبية" ولم يبق تحت سلطة المريني سوى المدينة المركز فاس، وأصبح التواصل مع رعايا السلطان صورة شكلية لا يتحقق فيها نفوذ الدولة بمعنى الكلمة.

وقد تحرك مولاي علي الشريف في النصف الأول من القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد تحركًا أعطاه في مجال "طريق التمر" سجلماسة- فاس مكانة قوية ونفوذًا يربطه ويقويه في "القبائل النافذة" في مجال الربط بين فاس وسجلماسة بحيث صار ذا سمعة وأمر مقبول لدى القبائل يستخدم في كل ذلك نفوذه الذي اكتسبه

بالأحلاف والاتفاقيات التي عقدها مع حلف آيت يافلما وما كان في ركابه من قبائل تتحرك في مجال المغرب الشرقي والجهات الجبلية المحيطة بذلك.

"صار مولاي علي الشريف شيخ التجمع القبلي العربي- الأمازيغي" في كل من حوض ملوية وامتداداته الجغرافية والبشرية داخل التخوم الشرقية في المغرب الشرقي. وهكذا تمكن من ربط الاتصال والتواصل بين القبائل العربية المعقلية وحتى من كان معها من قبائل هلالية والقبائل الأمازيغية ذات الأصل الزناتي خصوصا ومن تحالف معهم من قبائل صنهاجة. وأمسى مولاي علي الشريف يتهدأ لربط الصلة بين سجلماسة وأقاليم توات والطريق الرابطة بين هذه الجهات والصحراء الإفريقية الكبرى. يعني هذا أن مولاي علي الشريف أصبح قوة روحية وبشرية في "مجال قبائل المغرب الصحراوي".

هذا الوضع أكسب المغرب تمكنا في التواصل بين تخوم الصحراء الكبرى ومركز الدولة مدينة فاس وكذلك مدينة تلمسان وما والاها، فصارت المنطقة الشرقية من حوض ملوية مجالا حيويا لإنعاش السلطة أو تدميرها، فكل من سيطر في هذا المجال من أي تجمع قبلي كان ذا نفوذ وسلطة معترف به، ومن تخلى عن ربط التواصل وتمكينه لم يعد له شأن يذكر، فالقوي أصبحت له التبعية والضعيف لم يعد شيئا مذكورا. وهذا هو الوضع الذي تحقق في آخر الدولة المرينية وخاصة في عهد السلطان عبد الحق المريني.

- خاتمة

الذي يظهر من خلال المصادر أن مولاي علي الشريف أصبح متمكنا وله قوة مهابة ولا يمكن توقيفه بأي صورة من الصور، وكان الاختبار بزيادة التمكين وبسط نفوذه في مدينة سجلماسة ومجالها. ولذلك اختار أن يعيش أواخر عمره في المدينة التاريخية وما يحيط بها من مجال يحقق له الظهور والتميز في المكان الذي سيعيد له اعتباره ويحيي مجد المدينة وإن تغير الوضع عما كان عليه قبل، فاخص مولاي علي الشريف في الفترة الأخيرة من حياته أي بعد سنة 842هـ/1438م بالإقامة في القصور بقصر زاوية تغمرت بضاحية مدينة سجلماسة القديمة تحديدا.

وقد أجمل الأستاذ عبد الله العروي الصورة العامة لهذه الوضعية المضطربة في كتابه "مجلد تاريخ المغرب"⁷⁵. ولعل ما يميز ذلك العهد هو تدهور الوضع العام في بلاد المغرب الكبير وتصاعد الهجمة الإيبيرية، سواهما حدثان مرتبطان بالطبع. مر كل منهما بمرحلتين اثنتين: شهدت الأولى تفسخ دولة بني مرين وتصدر البرتغاليين حركة التوسع الإيبيري. أما الثانية فإنها عرفت انحطاط سائر البلاد وبسط سلطان الإسبان على المنطقة كلها.

الهوامش:

- 39- هذا النظام العمراني أغنى الباحث لحسن تاوشبخت في التعريف به بدراسته عن سجلماسة وعمرانها. انظر لحسن تاوشبخت، عمران سجلماسة- دراسة تاريخية وأثرية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1429هـ/2008م. في جزأين.
- 40- تسيير المصادر الجغرافية القديمة إلى أن ميناء عجرود على البحر المتوسط كان يعتبر ميناء لسجلماسة تافيلالت في هذه المرحلة، حيث كانت تصله القوافل من جهات المغرب الشرقي كله، من فكيك وواد الساوره وتوات وسجلماسة. راجع في هذا الصدد ابن فضل الله العمري في المسالك والممالك وكذلك ماضبطه العلامة المنوني في دراسة اقتصاد سجلماسة بالاعتماد على نصوص ابن فضل الله العمري، ويؤيد ذلك ما ذكره الوزان وتبعه غيره من الجغرافيين المقلدين أمثال مارمول.
- 41- Spillmann Georges, Les Ait Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra, -41 Publications de l'institut des Hautes études Marocaines, XXIX, Rabat أوغست كور، دولة بني وطاس، ص. 32
- 42- المقصود بهم الاسلاميون الذين كانوا على دين اليهودية فأسلموا.
- 43- وهي مؤامرة لاغتيال مولاي علي الشريف بعد أن حاولوا استرجاع ما كان بيده من أملاك و ثروات على أساس أنه سطا عليهم بدون حق، وهو مفتعل وشيء ضد مولاي علي الشريف.
- 44- في تاريخ قضاة سجلماسة لا نعلم له ترجمة فهو شخصية مغمورة قد يكشف البحث عن ترجمته ودوره في التاريخ الفقهي والقضائي لتافيلالت، ولعله من أفراد بيوتات الفقه والعلم الديني الشرعي في الجهات الفيلالية المشهورة بمراكز العلم مثل جهة الغرفة والماطي وإيرارة والسفالات وسواها من القصور والمقاطعات الفيلالية التي أنجبت كثيرا من حفظة القرآن وعلماء الشرع ورجال التصوف كما هو معروف في أولاد ابن عبد الحلیم وأولاد الزهراء وكانت لهذه الجهات علاقة طيبة ملحوظة مع مولاي علي الشريف وأبنائه، وقد يسروا له نوعا من الانتشار والذبوع لكسب ولاء سكان الجهة الفيلالية، وهذا الجانب لم يعالج في المصادر ولكنه كان معروفا في الوسط العام معرفة دائمة ومنتشرة.
- 45- مصطلح الاسلامي في تافيلالت وفي الجهات الصحراوية سواء في درعة أو في وادي زيز أو في أقاليم توات والساوره والصحراء الجنوبية يوجد استعمال مصطلح الاسلامي ويعني العناصر الجديدة التي تدخل في الدين الاسلامي وقد كانت على دين آخر وخاصة اليهود، وقد كونوا جماعة لها حضورها في الحياة الاجتماعية بهذه المناطق وربما امتد المصطلح ليطلق على كل من أسلم من اليهود في المغرب عموما، وعرف هذا المصطلح أيضا في مدينة فاس، بحيث أطلق اسمهم على حي في مدينة فاس "البلديون" وهو وصف لهم ومن انتشر في هذا الحي، ثم سمو بأهل البلدة وهذا شئ معروف في تاريخ فاس وألف فيه مؤرخو المدينة، ومنهم مجموعة من الأسر التي تنتسب إليهم، وقد حسن إسلامهم وقدموا خدمات جليلة من بينهم الفقيه ميارة شارح المرشد المعين لابن عاشر الذي كان يدرس للعامه وللمبتدئين بالقرويين.
- 46- ابن دفين طيبة الجوهر الشفاف، ص. 23
- 47- يوجد رسم هذه الملكية عند من تعاقب على شرائها ومنهم أسرة آل التنازي سعود.
- 48- انظر أحمد بن عبد العزيز العلوي الأنوار الحسينية. الزكي العلوي، الشجرة الزكية، ص. 309. حمدون السلمي الفاسي، الدر المنتخب، ج. 5، ص. 93
- 49- أبو القاسم الزياتي، البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف، تحقيق رشيد الزاوية، مراجعة الأستاذ مولاي هاشم العلوي القاسمي، طبعة وزارة الثقافة، الرباط، ص. 21 من النص المحقق.
- 50- مستندا هنا ما ذكره الشيخ اليوسي في رسائله، انظر فاطمة القبلي، رسائل اليوسي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1981، ج. 1، ص. 145
- 51- الزكي العلوي، مطالع الزهراء، ص. 44
- 52- الفضيلي، الدرر البهية، ج. 1، ص. 119. كانت أوراد مولاي علي الشريف ذات بعد سني لا تلتزم طريقة صوفية معينة، وكان يعتمد الصلاة المشيشية الشاذلية. وبذلك يكون تصوفه شاذليا سنيا مبينا على ما وافقه عليه علماء القرويين في فاس، وخاصة ما زكاه ابن عباد الرندي الذي بسطه في رسائله الصغرى والكبرى، فإن هذا الاتجاه هو أساس المعرفة الروحية عند مولاي الشريف وأتباعه.
- 53- ابن دفين طيبة، الدر المكنونة، ص. 211
- 54- الزكي العلوي، مطالع الزهراء، ص. 144
- 55- سعيد واحي، سجلماسة تافيلالت، ص. 245

- 56-الفضيلي، الدرر البهية، ج1، ص139
- 57-عبد الرحمن ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج1، ص174
- 58-راجع محمد القيلي، مراجعات.
- 59-راجع: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964. وقد خصصه ابن الخطيب لملوك المبايعين قبل الاحتلال في المغرب ولم يكمله، وقد توقف فيه عند نهاية الموحدين وتوقف في تاريخ ملوك بني مرين الذين لم يبلغوا الاحتلال بحيث بايعوهم قبل الرشد وواجهوا مشكلة الاعتراف بهم وهم أطفال صغار، وهذه مشكلة الدولة المرينية بعد أبي عنان إلى عبد الحق بن أبي سعيد ابن الخطيب، رقم الحل، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ. وهي أرجوزة صنفها المؤلف في تاريخ خلفاء المشرق والمغرب والأندلس، وتقدم بها إلى السلطان المريني اعترافا بفضله عليه، وقد اتبع فيها منهجا يقوم على إيراد الأبيات الشعرية المتعلقة بفترة زمنية معينة ثم يتبعها بشرح موجز لتلك الأبيات، وخلالها يورد معلومات هامة وموجزة عنها.
- 60-ابن دفين طيبو الجوهر الشفاف، ص23
- 61-الفضيلي، الدرر البهية، ج، ص.
- 62-كنز الأسرار.
- 63-زهر الأكم.
- 64-مطالع الزهراء.
- 65-الاستقصا.
- 66-الزكي العلوي، مطالع الزهراء، صص208-210
- 67-اهتمت كتب الأنساب بالوسط الفاسي الذي كان يتصرف تصرفا مخادعا وحاول مولاي علي الشريف أن يتجاوزه وأن لا يتق بكل نميمة تصله باعتباره شخصا خطيرا في المجتمع الفاسي على السلطة المرينية وقد ذهب الوشاة الفاسيون كل مذهب لإفساد العلاقة الودية بين السلطان المريني ومولاي علي الشريف، وهذا الوسط الفاسي اعتبرته كتب الأنساب من أوصافه الدائمة وهي الخداع والنميمة وإفساد ذات البين وهي طبيعة تعتبر صفة مستمرة في المجتمعات ذات التواصل المتناقض.
- 68-الزكي العلوي، مطالع الزهراء، صص 208-210
- 69-أزمة السلطان بسكنى فاس بدار توجد بجزء ابن عامر مدة اثنا عشرة سنة، فكانت كافية لتصفية الجو وكسب ثقة السلطان فيه.
- 70-D.Jacques-Meunié, le maroc saharien des origines à 1670, Klincksieck, paris, 1982, 2 vol. Larbi Mezzine, Le Tafilalt, Contribution à l'histoire du Maroc aux XVII^e et XVIII^e siècles, Publication de la FLSH, Rabat, 1987.
- 71-وقد حلل هذا الوضع ابن خلدون في مقدمة كتابه العبر وفصل وقائعه في أجزاء الكتاب وخاصة الرابع والخامس والسادس والسابع، وكان عمله الهام "التعريف" و"السلسل العذب" صورة تحليلية للوضع السائد في المجتمع الذي عم فيه الضعف من كل الجوانب وانتشر فيه التمزق الروحي والتشطي الديني على مستوى الزوايا والطرق الصوفية.
- 72-عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ص 397.
- 73-نفسه، صص426-427.
- 74-Terrasse H., Histoire du Marov, T2.
- 75-راجع عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، ط2، 2009 صص426،428.

تمنيط المدينة في مجتمع القصور الدور العلمي والتجاري في القرن 9 هـ / 15 م.

د. الحمدي أحمد¹

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

تمهيد:

تشكل القصور الصحراوية عناصر تاريخية وجغرافية متنوعة ومتميزة تبعاً لتنوع البيئات والتركيبة السكانية فيها، مما يجعل من الضروري دراستها ومعالجتها مقسمة إلى وحدات. وما يهم الباحث في هذه الدراسة هو رصد تاريخ مدينة هامة في فترة أساسية، وفي مجال أدى العديد من الأدوار التاريخية. هذه المدينة هي تمنيط عاصمة توات في الفترة الوسيطة، والدور الذي ستمت معالجته هو الدور العلمي والتجاري. فقد عرفت هذه المدينة هجرة جماعية لعائلات وشخصيات علمية أغلبها من مدن مغربية، مثل: سليمان الإدريسي، أبي يحيى المنيارى، ويحيى بن يدير، وعائلة العصنوني، والمغلي، والفكيكي، وغيرهم. وكانت المدينة - في تلك الفترة - مسرحاً للدراسات المنطقية، والمناظرات الفقهية، واللغوية، والكلامية. بالإضافة إلى كونها ظلت جسراً تجارياً على الدوام، وعرفت الكثير من الصناعات، والحرف، والسلع (الذهب، العبيد، التمور، التبغ). وقد حققت التجارة وحركة القوافل بها اللقاء التاريخي بين مختلف المدن المغربية، والصحراوية، والسودانية. ولعل تحليل السلع التجارية الداخلة في نظام التبادل تؤدي إلى فهم حقيقة الروابط المادية بين الجانبين.

- الحياة الاقتصادية بتمنيط

تتنوع النشاطات الاقتصادية بهذه المدينة وتتمثل هذه النشاطات أساساً في التجارة، والزراعة، والرعي، والصناعة.

- التجارة

فقد احتلت مكانة أساسية في طريق القوافل التجارية المتجهة من بلاد المغرب إلى بلاد السودان الغربي، نظراً لموقعها المتوسط في الصحراء. وازدادت أهميتها منذ القرن الثامن الهجري (الثالث عشر الميلادي)، بعد تخلي القوافل القادمة من الشمال عن المرور بملاحة تغازي². وتأتي أهميتها من خلال كون منطقة توات تتوفر على المصادر المائية والكأ للدواب وكذا المؤن للرحالة. فالوحدات تمتد على هيئة شريط تتوزع فيه القصور والبقع المزروعة، ومن هذه الطرق طريق: طرابلس³، غدامس⁴،

تيديكلت الشرقية، توات، السودان الغربي. وتكمن أهمية هذا الطريق، في كون منطقة غدامس مفتحة على تجارة البحر المتوسط عبر طرابلس وقابس⁵. حيث إن طرابلس هي أهم نهاية في هذا المسلك، بحيث كانت على اتصال دائم بغدامس، التي كثرت بها البضائع السودانية قبل توجهها إلى المدن الإيطالية. وهذه الطريق التي دخل منها مالفاطي⁶ إلى توات وتمنطيط عام 851هـ - 1447م⁷.

أما الطريق الثاني، فهو الذي يربط تمنطيط بمنطقة الزاب⁸، وهذا المسلك يقع في شرق العرق الغربي الكبير، وبين منطقة الزاب وتوات، وتتفرع عن هذه المسالك مسلكان، واحد يمر شرقا حتى يصل إلى تيديكلت الشرقية، والآخر يتجه غربا نحو تيكورارين عبر وادي مكيدن ليصل فيما بعد إلى تمنطيط. وتنتشر بهذا المسلك العديد من النقاط المائية أهمها: حاسي النكبة وحاسي الأحمر وحاسي إن مال وحاسي بوخنافسي وحاسي التاركي وحاسي الشويف وحاسي اللفاعي وحاسي فرسيكة وحاسي موسى، ومنه مباشرة إلى سبخة تيكورارين⁹. أما الآبار الواقعة في المسلك الثاني نحو تيديكلت الشرقية عبر وادي الميا فهي: حاسي البرانية وحاسي الحاج موسى وحاسي الشويلي وحاسي الشباينة وحاسي سيد الجيلالي وتلماس فركلة وتلماس الأعصم وعين قطارة والمنكار ومنها إلى فقارة الزوا، وهي أولى الواحات بتيديكلت الشرقية¹⁰.

ومن أهم المسالك أيضا المسلك الذي يربط شرق وادي المساورة بإقليم تيكورارين في شبه خط مستقيم، ومن تيكورارين يصل إلى تمنطيط. ومراحله من الجنوب إلى الشمال: حاسي الحمري ورأس الما وخلوة سيدي ابراهيم وحاسي النمورة. وهناك مسلك آخر بجانبه يعبر مسالك مائية هامة هي: تبلكوزة وحاسي المعازي وحاسي العز وحاسي الشيخ. بالإضافة إلى هذين المسلكين توجد معابر أخرى لكنها قليلة الاستعمال، بسبب كونها تخترق العرق الكبير، وهي مسالك محدودة الاستعمال على النطاق الإقليمي. بحيث تستعملها قبائل الرحل، التي تتعامل غالبا مع الواحات في موسم إنتاج التمور.

وأهم هذه المسالك على الإطلاق هو مسلك تمنطيط عبر فجيج، وتفيالت، وتلمسان. وإذا كانت المسالك السابقة عبارة عن نقاط مائية متباعدة، فإن هذا الطريق تشكله أساسا الواحات المتصلة من زاوية الركاني، وحتى قصر إيكلي، عند ملتقى وادي زوزفانة بوادي كير، كما أن هذا المسلك يجنب القوافل التجارية المرور بالعرق الغربي وحمادة كير وعرق الشاش في غربه والعرق الغربي الكبير في جنوبه¹¹. ولعل هذا ما يفسر نشاط القوافل الكبير في هذا المسلك. إذ أن العرق الغربي الكبير يمثل حاجزا طبيعيا بين توات والمغرب الأوسط. كما أن القبائل الواقعة في هذا المسلك كقبائل أولا جرير¹²، وذوي منيع¹³، وآيت خباش¹⁴، كانت كلها تشكيلات

منظمة تخضع للسلطة. بمعنى أن القوافل التجارية كانت في مأمن من اللصوص وقطاع الطرق، الذين يتكاثر عددهم في المناطق غير المحمية. لأن القبائل تعتبر المسالك المارة في مجال نفوذها ملكا لها ومصدرا من مصادرها الاقتصادية، ولذلك مارست العديد من القبائل السائبة نفوذا قويا بالنسبة لبعض المسالك¹⁵.

ومن العوامل التي يجب مراعاتها في التجارة التي تمر بتمنيط، وغيرها من مناطق الصحراء هو عامل المناخ. هذا الأخير الذي يؤثر بكيفية مباشرة على توقيت الرحلات في كل سنة. وهكذا فإن بعض المسالك التي لا يمكن استعمالها طوال السنة، كالمسالك توجد بجانب العروق، فإنه يتعذر استعمالها في فصل الصيف. وكذلك في أغلب فصل الربيع لكثرة الرياح الموسمية بهذه المنطقة، فهي تشكل زوايا رملية قوية شديدة السرعة يستحيل على القوافل التجارية قطعها، وقد تؤدي في بعض الأحيان إلى ضياع السلع إذا كانت من أحجام خفيفة. وفي موسم الجفاف يقل الكلا بالمسالك وبالتالي فإن الدواب تعاني كثيرا من تلك الوضعية. كل هذه المعطيات الطبيعية تعتبر شيئا هاما في تفضيل بعض المسالك على بعض، كما أن اختيار توقيت الرحلات من الأشياء التي لا تقل أهمية عن اختيار المسلك المناسب¹⁶.

ويعتبر الجمل الوسيلة الوحيدة لحمل السلع والتنقل عبر الصحراء، وقد شاع استعماله بها ابتداء من القرن الثالث الميلادي، فساعد ذلك على إعادة الروابط بين الشمال والجنوب، حيث يتجمع التجار في أعداد كبيرة لأجل السفر مع بعض بهدف الحراسة، وتُصنف الجمال صفوفًا وراء بعضها البعض وكل صف فيه مائة بعير، وبهذه الطريقة تعبر القوافل الصحراء¹⁷.

وكان تجار تمنيط يتولون رئاسة قوافلهم بأنفسهم، وشملت سلع تلك القوافل إلى أسواق السودان الغربي الملابس المطرزة، والأسلحة، والتمور، والحناء، والشمة. وكما يبادلونها بالعبيد، وتراب الذهب، وريش النعام، والنحاس، والقطن، وغيره. ويأتون بسلعهم لعرضها للبيع بأسواق توات، وهناك من كان يواصل طريقه من تجار توات نحو أسواق الشمال كطرابلس، وغدامس، وبجاية، وتلمسان، وتافيلالت، وفاس، لمبادلة سلعته بالأسواق بالأسلحة والسيوف والفواكه المجففة لتباع في الأسواق المحلية لمنطقة توات¹⁸. وهناك من كان يأخذ سلعته ليبادلها في تغازي¹⁹ بالملح، ثم يأخذ الملح ويتوجه بها إلى ممالك السودان الغربي ليبادلها بالذهب وريش النعام. أما القوافل التي كانت تأتي إلى توات من غدامس وطرابلس الغرب، فهي محملة بالفلفل والصبغ العربي والسكر والشاي. كما أن قوافل الزاب تحمل إلى توات أجود التمور وتبادلها بالحناء والصوف²⁰.

ويؤكد مالفانطي أنه شاهد أثناء تواجده بتوات عام 851هـ - 1447م قافلة آتية من سبتة وهي محملة بالنحاس. كما أن جزولة²¹ وسوس²² كانت تروجان نحاسهما في

الأسواق التواتية والسودانية على حد سواء. وتعد الفضة هي الأخرى من أهم السلع التي كانت تصدر من بلاد المغرب إلى الأسواق الجنوبية. ونظرا لكثرة تزايد الطلب على الذهب منذ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، أدى إلى التوسع في استغلال مناجمهم في إمبراطورية مالي. ولما كثر الذهب بتمنيط جعل تجار الإقليم يفكرون في سك عملة خاصة بهم فوضعوا المثلث الذهبي، وهو يقابل أربعة غرامات ونصف من التبر أي أربعة وعشرين قراطاً²³. كما كانت لهم وسائل أخرى لوزن البضائع التي تحتاج إلى وزن، وأصغر ميزان هو الزكن الذي يساوي لتران ونصف، وتليه القصعة والتي تساوي اثنا عشر زكنا. أما الغرارة فهي تبلغ خمسة وثلاثون زكنا أو ثلاث قصعات، وأكبر وزن هو الحمل الذي يساوي غرارتان ونصف علوية²⁴. وهكذا فإن تجار توات ضبطوا المكايل والموازن، وكذلك الشأن بالنسبة للسكة والتي كانت ذهبية، مما يدل على أن التجارة كانت تتم بطرق منظمة وتسير بشكل يسهل تعامل التجار مع بعضهم البعض، كما يسهل عملية مراقبة الغش والاحتيال.

وأصبحت تمنيط منذ القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) لا تضاهيها أي مدينة بالصحراء إلا مدينة غدامس، فقد كان لتجارها وكلاء عنهم في كل المدن بممالك السودان الغربي، ففي تنبكتو كانت توجد أحياء خاصة يسكنها تجار توات، كما كانت لهم أحياء أخرى على نهر النيجر. وبذلك استطاعت أن تحتل مكانة كبيرة في تجارة القوافل، حيث أن تجارها أدوا دورا كبيرا في اقتصاديات الإمارات الغربية والوسطى للسودان الغربي. لذلك فإن أمير برنو²⁵ راسل علماء توات عام 851هـ - 1447م: «يشكو لهم فيها من قلة توارد قوافل تجار توات على بلده في تلك السنة والتي قبلها ويرجوهم العمل على حث تجار قصورهم كي يبعثوا بتجارهم إلى بلاده»²⁶.

الصناعة:

في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) اشتهر أهل تمنيط بصناعتهم المحلية اليدوية، وتميزوا بجودة المنتوج وسلامته من أي تزييف. وأهم هذه الصناعات صناعة الجلد، فقد صنعوا الأحذية والأفرشة الصغيرة والعمائم والسروج والسلات والعديد من الأمور المنزلية. كما برعوا في غزل ونسج الصوف والقطن، فصنعوا الأبيسط والأغطية، والملابس والبرانس والإزارات. ومن أهم مشاكل هذه الصناعة قلة الموارد الأولية خاصة من الصوف والقطن، وسبب ذلك راجع إلى قلة أعداد رؤوس الماشية التي تربي بالمنطقة. زيادة على ذلك أن الحيوانات التي تربي بالمنطقة رديئة الصوف، كما أن سكان المدينة لم يعتنوا بزراعة القطن. وفي هذه

الأوضاع كان لزاما عليهم شراء هذه الموارد الأولية من القوافل التجارية القادمة من الشمال، والمتوجهة إلى بلاد السودان الغربي. فهذه القوافل كانت في أغلبها محملة بالقطن والحريير والصوف، ولذلك كان لها زبائن كثير بتوات²⁷.

واشتهرت النساء بتمنيط بصناعة السلالات بسعف النخيل، وكانت لهذه السلالات أهمية كبيرة في حمل التمور وغيره من المنتوجات، وهذه السلالات تتفاوت في الحجم والنوعية حسب الطلب عليها، واستعمل بعضها كوحدة للكيل كالعلوية²⁸، لذلك كان يشترط في صنعها الدقة والحذر. فقد تترتب العديد من الأحكام الشرعية عند الخطأ في الصنع، ويصبح الوزن غير مضبوط إما بالزيادة أو بالنقصان. وتخصص بعض الرجال في صنع الأكياس التي تحمل البضائع والسلع إلى بلاد السودان، وكانت تصنع من جذوع النخيل. ويشترط في هذه الأكياس المتانة، لأنها تحمل فوق ظهور الجمال مسافات طويلة، كما أن حركة الجمال المتميزة تؤثر على الأكياس الرديئة الصنع، وتؤدي إلى إتلافها. وهناك من برع في صنع الغرائر، التي تحمل على ظهور الحمير، وهي خاصة بحمل الأسمدة للبساتين، وتعتبر أكثر صلابة من السلالات السابقة. لذلك استعملت الغرارة كوحدة للكيل²⁹.

ولتلبية الاحتياجات المحلية من الخشب للبيوت والقصب وللسقف كذلك، اضطر سكان المدينة إلى الاستغناء عن بعض النخيل وقطعها. وعادة ما تقطع النخلة التي يكون طولها كبيرا، والتي كان الصعود إليها يعد مخاطرة. كما يشترط في النخلة التي يراد قطعها أن تكون عديمة الفائدة، كأن تكون غير منتجة أو من نوع الذكور، واستخدم السكان جذوع النخيل الفحم لتهيئ الشاي والتدفئة. واشتهرت بتمنيط بذلك حيث كثر بها النجارون وصنعوا من تلك الأخشاب الراحلة لبيعها للمسافرين، حيث توضع على ظهور الجمال المراد الركوب عليها. كما صنعوا من الخشب كذلك الأواني المنزلية وبعض حاجيات البساتين كعود المعول والفأس³⁰.

وكانت تمنطيط تعد أبرز قصر في الصناعة التواتية. فقد كثر بها النجارون، وتعد بها الحدادون، الذين قاموا بصيانة الآلات اليدوية والزراعية كالمجل والفأس. كما اشتهرت بمحلات العطر الكثيرة، بالإضافة إلى الجزارين والدالين. أما صياغة الذهب فقد كان يمارسها اليهود في هذه الفترة، والذين كانوا يشترون تراب الذهب من القوافل التجارية القادمة من بلاد السودان الغربي، ثم يصنعون الحلي والقلائد للنساء. وبذلك فقد تمكنوا من جمع ثروات كبيرة وأصبحوا من كبار تجار الذهب بالصحراء والمنطقة³¹.

الزراعة:

تعتبر تمنطيط في هذه الفترة، من أهم المناطق الصحراوية إنتاجا للعديد من المحاصيل الزراعية. ساعدها في ذلك كون أغلب مساحتها المزروعة بجانب مجاري

الأودية. علاوة على ذلك فهي تتوفر على مياه جوفية وفيرة، تقوم أساسا على نظام الفقاقير، والتي تحتاج إلى عمل جبار لزيادة منسوب المياه بها. وامتاز المزارع بها بالتنوع في زراعته ووفرة إنتاجه وجودته. فهو يمضي معظم أوقات اليوم في بستانه يحرث ويقلب الأرض. ويبدأ موسم الزراعة في النصف الثاني من شهر أكتوبر³².

وأهم زراعة بالإقليم هي زراعة النخيل، فلا يخلو قصر من واحات النخيل الكثيرة، إذ أن التمر هي الغذاء الأساسي بالمنطقة. ولم يقتصر على كونه مادة غذائية هامة، بل يعتبر أهم السلع نحو مختلف الأقاليم والجهات. وتُمرُّ تمنطيط يتميز بالجودة والتنوع في الحجم والشكل والذوق وتفاوت أوقات النضوج. ومن هذه الأنواع: الفرانة، والحميرة، وتناصر، والمسعودية، وأحرطان، والدقلة، وتنقربوش، وتنقور، وأكاز، وبنخوف، ووترزاي، وتلمسو، والعديد من الأنواع الأخرى. وعندما حل الرحالة ابن بطوطة ببودا وصف تمرها بأنه: «كثير ليس بطيب، لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة»³³. وفي اعتقادي أن ابن بطوطة حل بتوات في الوقت الذي لا ينضج فيه النوع الجيد من تمر، حيث أن الأنواع الجيدة للتمر تنضج في بداية الموسم وكذلك في آخره. أما الأنواع التي تنضج في منتصف الموسم فتتميز بالصلابة وصغر الحجم، وهي الأنواع التي يتم تحضيرها في أكياس لتكون ضمن السلع التواتية المتوجهة نحو الأسواق السودانية. والسر في ذلك كون التمر الرطب لا يمكن المتاجرة به لتعذر وصوله بصفة جيدة إلى الأسواق الخارجية، وهو صالح للتجارة المحلية خاصة في بداية الموسم. وتتطلب النخيل عناية خاصة بالأسمدة وقطع الجريد وتنظيفها من كل ثقل زائد. وعادة ما تنتج النخلة محصولا جيدا في كل سنتين وهو أمر مرهون بمدى العناية التي يعطيها الفلاح لمجموع النخيل³⁴.

ومن المزروعات الأخرى التي يعتمد عليها المزارع الحبوب والحناء، والتي يكثر إنتاجه بتوات الوسطى التي تدعى توات الحناء. كما اشتهرت تمنطيط بإنتاج التبغ وكذلك الأنواع المختلفة من الخضروات. وكان القمح الصلب يباع في الأسواق الخارجية بثمن مرتفع نظرا لجودته العالية، ويشترى المزارع أنواعا أقل جودة وهكذا يستفيد من فارق السعر. ومن المنتوجات بالمدينة كذلك الجزر، واللفت، والفول، والعدس، والفول السوداني، إلى جانب الرمان، والتين، والعنب، والبطيخ. ولم يتمكن المزارعون بها من زراعة القطن لعدم الخبرة اللازمة في زراعته³⁵.

ومن أخطر المشاكل التي تواجه الفلاحين بها، هجوم أسراب الجراد بأعداد هائلة على المحاصيل الزراعية. فهو لا يبقى أي شيء أخضر على سطح الأرض، فيأكل حتى جريد النخيل، ومن الأقدار أن الموسم الذي يأتي فيه - عادة - الجراد إلى المدينة يكون عام الخير والإنتاج الوفير. لذلك ارتبط ظهور بعض أعداد من الجراد في بداية الحرث بأن الموسم موسم خير. لكن هجوم الجراد على المحاصيل أثناء

نضجها هو نذير شؤم عند الجميع، لذلك يستعد كل السكان لمقاومته، ويقول ابن بطوطة بهذا الشأن: «ويخرجون إلى صيده قبل طلوع الشمس، فإنه ما لا يطير إذاك لأجل البرد»³⁶. وهو بعد الصيد من أشهى الأطباق، حيث يتم خزنه في أكياس كما يخترن التمر تماما ويقتاتون به. ويُدقُّ مع التمر اليابس ويؤكل زمن نقص التمر الرطب³⁷.

ومن المشاكل التي تواجه المزارع كذلك ارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف إلى نسب قياسية. مما يؤدي إلى سرعة تبخر المياه المارة عبر السواقي، لذلك سارع المزارعون إلى تغطية السواقي بالصخور لمنع تبخر الماء. وتغطية السواقي كذلك تجنب سقوط جزيئات كثيرة من الرمل في الماء عند هبوب عواصف هوجاء، هاته العواصف التي تساعد على تلقيح العديد من أنواع الأشجار والنخيل التي تعذر تلقيحها. ومن مضار الزوابع الرملية إتلاف عدد كبير من المساحات الزراعية، وتجمع كتل كبيرة من الرمال بجانب البساتين شكلت خطرا حقيقيا أمام المزارعين. هذا ما حتم على الفلاحين إقامة سياج من جريد النخيل اليابس لمنع زحف الرمال تجاه المساحات المزروعة يدعى هذا السياج بأفراك³⁸.

ورغم هذه المشاكل فإن الزراعة بالمدينة أدت دورا هاما في تطوير المنطقة. إذ بفضلها فكر السكان الأصليون في الاستقرار النهائي بها. كما أن الفرد كان يعيش من خيرات أرضه دون الاضطرار إلى أي مناطق أخرى. بسبب تنوع الإنتاج الزراعي ووفرته. ولجوؤه إلى عملية التخزين لأنه لا يأمن عواقب الدهر، فرغم أن التمر الرطب ينضج فقط خلال فصل الصيف، فأن المدينة يأكلون التمر طوال فصول السنة.

الرعي:

وأهم نشاط مرتبط بالزراعة هو الرعي، فمدينة تمنطيط في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) اشتهرت بمراعيها الكثيرة المحاذية للأودية. فقد كانت القبائل العربية تقوم برحلة الشتاء إلى توات لرعي أغنامها³⁹. وأهم المراعي توجد على ضفاف وادي مسعود الذي يمتد على كامل خط القصور. وفي هذه الأماكن تنمو العديد من الحشائش كالرتم، والعزل، والحصن، والباقل، والمرخ، والقطف، والدردين، وهي أماكن جيدة لرعي الحيوانات. وكانت القبائل التي تأتي إلى هذا المجال لرعي تقيم بمواشيها مدة فصل الشتاء كله وفصل الربيع، وهي قبائل مسالمة لا تتعرض للسكان في شيء، بل أقامت معهم العديد من العلاقات. ويجب أن أشير أن بعض المراعي كانت تقع في نفوذ بعض القبائل. ولذلك فعلى الرعاة على طلب السماح لهم بالرعي في مراعي القبيلة التي تسيطر على المرعى مقابل عدد من رؤوس الماشية، كما أن موسم رحلة الشتاء هو مناسبة هامة لقبائل منطقة توات

لعرض سلعهم المحلية على القبائل العربية، وبذلك يتم استبدال تلك البضائع ببعض رؤوس الأغنام⁴⁰.

واهتم أهل تمنظيط بتربية الإبل، فهي الوسيلة الوحيدة للسفر وأخذ الأمتعة، ولها طاقة كبيرة على تحمل مصاعب الصحراء، كالعطش، والأكل، فيمكنه البقاء مدة طويلة دونهما. واشتهرت المهاري بسرعتها الفائقة وخفة حركتها. ونظرا لتعدد الإبل بالصحراء وقيام منازعات بين قبائل المنطقة حول معرفة جمال كل قبيلة، قامت جميع القبائل بالاتفاق على وضع رموز خاصة على جمالها. وبذلك تسلم الإبل من الاختلاط. لأن الجمل أثناء الرعي لا يشترط أن يكون معه الراعي، فمهمة الراعي تنتهي عندما يوصل الجمل إلى أول مرعى، ثم يعود إلى القصر وتبقى الإبل في المرعى لعدة شهور بمفردها. لذلك كان لزاما وضع تلك الرموز الخاصة بالقبائل حتى لا تقع خصومات بينها. وعادة فإن الجمل لا تعود إلى القصور إلا إذا شعرت بعطش شديد⁴¹.

الحياة الثقافية بتمنظيط:

كانت هذه المدينة تتمتع بحياة ثقافية مزدهرة، خلال القرن 9هـ / 15م. فكانت تضيء كامل الصحراء بنور من المعرفة، أدى دورا كبيرا في تطوير الحضارة الإسلامية بهذه المناطق المتاخمة لبلاد السودان الغربي. فقد كان المغرب الأوسط في هذه الفترة مركز إشعاع فكري وعلمي⁴²، وتأثرت تمنظيط - على غرار أغلب مناطق الصحراء - بمدينة تلمسان التي نبغ فيها عدد من الفقهاء⁴³ والمحدثين والمفسرين والكتاب والشعراء، وكان للدراسات الكلامية والفقهية⁴⁴ النصيب الأوفر والعناية الكبرى من طرف العلماء والطلاب على حد سواء، أما التصوف فهو الميزة العامة التي طغت على روح العصر⁴⁵.

القضاء بتمنظيط:

وتولى القضاء بها مجموعة من العلماء عُرفوا بالتقوى والصلاح والاستقامة. كان أولهم الشيخ أبي يحيى المنيارى⁴⁶ الذي استقر بتوات سنة 815هـ - 1412م. وبأشر دوره الإصلاحية والتعليمية حيث عمل على نشر العلم في ربوع كامل الصحراء. وعرف عنه الورع والعلم والخوف من الله، وكان بارعا في علم اللغة العربية والبيان فصيح اللسان شديد الشكيمة في الحق، لا يخشى في الله لومة لائم فاشتهر بعدلته وإنصافه بين الخصوم. وانتفعت به هذه المدينة وغيرها، فكان ملاذا للمظلومين رادعا لكل ظلم. وظهرت بركته في ذريته فلم تزل فيهم السيمة والرئاسة حيث: «لم يفارقهم العلم خلفا عن سلف وفيهم عدة رجال صالحين أهل خير وبركة، وكانوا

رحمة للبلاد وملاذا لمن أراد، انتفعت بهم الأوطان واستراحت فيهم الضعفاء والأعيان»⁴⁷.

وتولى قضاء تمنطيط من بعده الشيخ أبي زكرياء يحيى بن يدير التدلسي، وكان دخوله إلى توات عام 845هـ - 1441م⁴⁸. ووجدها بلاد خير وبركة ملائمة لممارسة النشاط التعليمي. وبدأ بتدريس الصبيان مبادئ اللغة العربية، والقرآن الكريم، وعكف على شرح مختصر خليل وفروع ابن الحاجب⁴⁹، والمدونة في فقه مذهب الإمام مالك. كما انتصب لتدريس العقيدة والتوحيد وجمل الخونجي في علم المنطق، وعلم العروض والبيان وعلم الحديث، لكن شهرته - رحمه الله - كانت في علم الفقه الذي كان لا يشق له فيه جانب، وتخرج على يده العديد من الشيوخ بتوات. اشتهر بتسامحه وحلمه وطيبة قلبه وكان شديد الدهاء عارفاً بأمور القضاء لا يحكم عن جهل ولا يتسرع في إصدار أحكامه. توفي رحمه الله عام 877هـ - 1472م⁵⁰.

وبعد وفاة الشيخ يحيى بن يدير، تولى خطة القضاء من بعده أحد تلاميذه البارزين وهو الشيخ عبد الله بن أبي بكر العصنوني. هذا الأخير الذي كان دخوله إلى توات عام 862هـ - 1457م⁵¹. وكان العصنوني فقيهاً متمكناً وممارساً للتدريس مدة طويلة حيث درس اللغة العربية، والحديث، والفقه، والبيان، وهو مفتي تمنطيط وتوات في زمانه. واشتهر بتغليب جانب المصلحة في فتواه، فكان يراعي الظروف المحيطة بالنازلة قبل الإجابة عنها، ثم يفتي من غير إفساد للدين. وعرف بقوة ذاكرته وسرعة استحضاره الجواب. فكان - رحمه الله - يحفظ الأدلة الفقهية، وهذا ليس بغريب وهو من لازم الشيخ يحيى بن يدير مدة طويلة⁵². حيث كان يراقب يحيى بن يدير أثناء قضائه بين الناس، وبذلك استفاد منه كثيراً. وأعظم محنة تعرض لها هي نازلة يهود توات. وتوفي رحمه الله سنة 927هـ - 1521م⁵³.

الزوايا ودورها بتمنطيط:

تعتبر الزوايا في هذه الفترة التي أدرسها أبرز المراكز التي عملت على نشر الوعي الفكري والحضاري بالمجتمع في الصحراء الكبرى، فقد عملت على بث الروح العلمية في نفوس السكان، كما قامت بدور اجتماعي كبير تمثل أساساً في إيواء العديد من المسافرين والمعوزين، الذين لم يجدوا أماكن للإقامة أثناء تواجدهم هناك. وحتى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) كانت بتمنطيط زاوية واحدة هي زاوية المنيارى.

زاوية أبي يحيى المنيارى:

ويعتبر قصر تمنطيط مركزها الأصلي، أين استقر مؤسسها في بداية القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي). وقامت هذه الزاوية⁵⁴ بدور فعال في نشر الإسلام

والإصلاح بين القبائل السودانية في الجنوب. وعملت على استغلال حرفة التجارة لنشر تعاليمها وأفكارها بين سكان توات وغيرهم. وتدعوا هذه الزاوية إلى التسامح والرافة بين مختلف شرائح المجتمع التواتي، وحتى مع أهل الذمة وقد عملت على الدفاع عنهم بقوة. ويعتبر مقدم الزاوية في وقته عبد الله بن أبي بكر العصنوني أكبر من يمثلون هذا الاتجاه. وتخرج العديد من التلاميذ من هذه الزاوية ونشروا فكرها في كامل تراب توات وخارجها. وفي عهد هذا الشيخ أصبح لهذه الزاوية نفوذا كبيرا على الجهات الغربية من إقليم توات. وتمكنت بذلك من السيطرة على أهم المدن التواتية. إلا أنها مالت إلى العزلة عن ساحة الأحداث زمن الشيخ سالم بن محمد بن أبي بكر العصنوني، خاصة بعد عودته من الحج. وكانت للزاوية خزانة كبيرة من الكتب المتنوعة جمعها مختلف التلاميذ والشيخ، كما أن أوقاف الزاوية كانت عديدة، واستفادت هذه الزاوية من رضا السلطان الوطاسي محمد الشيخ، كما كان لها سند حربي يتمثل في قبيلة أولاد علي بن موسى، التي دافعت عن الزاوية وعن أفكارها ونفوذها بكل ما تملك من قوة⁵⁵.

ويعد المغيلي من أكبر رواد هذه الزاوية⁵⁶، قبل وقوع الخلاف بينه وبين شيخها عبد الله العصنوني، حيث أخذ بها عن الشيخ يحيى بن يدير بن عتيق. وسياسفر إلى قصر بوعلي - فيما بعد - ويؤسس زاويته عام 885هـ - 1480م، وبدأ النشاط التعليمي بها. وسرعان ما جمعت زاويته بين المهمة التعليمية والمهمة الحربية. حيث كانت قاعدة لانطلاق جيشه لضرب قواعد اليهود بتازولت، وتاخيفت، وتاسافوت، وتمنطيط، وغرمعلي، وغيرها من الأماكن التي يتواجدون بها. ويمكن قراءة أفكار ومبادئ هذه الزاوية عند تناول مؤلفات مؤسسها، الذي ترك العديد منها في مختلف العلوم⁵⁷.

حركة النسخ وبيع الكتب:

انتشر النسخ في مختلف الكنائس بتمنطيط، فقد كان يكلف الشيخ عددا من الطلبة بنسخ أمهات الكتب في الفقه والحديث واللغة والتراجم⁵⁸. وهذا ما تدل عليه النسخ العديدة من المخطوطات التي ترجع إلى تلك الفترة في الخزائن التواتية. وكان من عادة الناسخ أن يسجل تاريخ بداية نسخه للكتاب وتاريخ الفراغ من النسخ، والمكان الذي نسخ به ولمن نسخ الكتاب. كما تجد أن البعض قام بكتاب بعض الناسخين المشهورين بجودة الخط، والسرعة في الكتابة، لنسخ كتب معينة. فقد كان يحدث أن يأتي تاجر من تلمسان بكتاب إلى تمنطيط وهو لا يريد بيعه فيعيبره مدة إقامته بها، ويقوم بنسخه من أراد ثم يرجعه إليه. كما أن بيع الكتب كان من أرباح التجارات. وقد قام التجار بدور فعال في نقل الكتب بين مختلف الأقاليم، حيث عملوا على نشر العلم، والإسلام، في جهات متعددة من الصحراء الكبرى. ويجب أن أشير

إلى أن أغلب الكتب التي ترجع لهذه الفترة، تتعلق بالعلوم الشرعية وبدرجة أخص بالفقه الإسلامي. وهي تدل دلالة واضحة على تمسك سكان تمنطيط، وتوات، بالمذهب المالكي⁵⁹.

الحركة الفكرية:

لقد ظهرت الحركة الفكرية وتطورت حسبما يتبين للباحث من مختلف الوثائق في ميدانين، هما الآداب والعلوم الشرعية، ووفق هذا التصنيف يمكن تتبع تطورها فيما يلي:

الآداب:

لم يكن لسكان تمنطيط قبل مجيء الإسلام من الآداب سوى حكايات يتناقلونها بالمشافهة، أصاغر عن أكابر، وهي تروي بطولات الأجداد وأصول القبائل وحروب الملوك والأمراء، وكذا الصراع مع الطبيعة، فهي آداب أسطورية غير مكتوبة ولكن لها أثرها في حياة الناس، وبالتالي فإنها تجسم فكرة عامة لكل جماعة من حيث طابعها المميز، ومعتقداتها في الحياة وأهدافها في العمل⁶⁰.

أما النسبة الكبيرة من سكان توات، فقد بقيت على الأسلوب القديم في تطارح الآداب عن طريق الحكايات الشعبية والتغني بأمجاد الأسلاف، وأبطال المجتمع في صراعهم مع مظاهر الطبيعة المتنوعة. وبما أن هذا النوع من الآداب لم يكن قد سُجل، فإنه من غير الممكن معالجة موضوعه وقواعده في هذه الدراسة.

العلوم الشرعية:

تحدثت عن العلماء والفقهاء الذين تولوا مناصب قضائية في تمنطيط، وقد كان كل واحد منهم متمكن من العلوم حيث بذل جهده في تحصيلها وإشاعتها. والبحث في هذه الفترة لم يمكن من معرفة سوى أربعة أسماء تخصصت في العلوم الشرعية، واطلعت على الآداب العربية وهم: المنيارى، ويحي بن يدير، والمغلي، والعصنوني. وقد سبق الحديث عنهم.

الكتاتيب:

كانت زاوية المنيارى والتي مقرها تمنطيط، تعتبر مركزا للعديد من الكتاتيب التي تنتشر في مختلف أحياء الأحياء التي تتكوّن هذه المدينة. فقد كان لزاما على كل شخص بها إدماج ابنه في إحدى كتاتيب الزاوية، هذه الكتاتيب يشرف عليها عادة أحد خريجي الزاوية الأصلية. وكان نظام التدريس بها يعتمد أساسا على حفظ القرآن الكريم، ثم الانتقال إلى النحو والصرف بالإضافة إلى الفرائض والتفسير والحديث والفقه. وعندما يبلغ المتعلم درجة عالية من التكوين يتم نقله إلى الزاوية الأم، ومنها

يأخذ عن شيخ الزاوية ويلزمه وبعد ذلك يمنحه الإجازة العلمية، التي تسمح له بممارسة التدريس في إحدى كتاتيب القصور، التي تتبع هذه الزاوية. وكان شيخ الكُتاب يقوم بتدريس الذكور أما زوجته - عادة - فتقوم بتدريس الإناث، وقد كان هذا النظام معمولاً به في سائر المقاطعات التواتية. وإذا لم تكن زوجة شيخ الكتاب متفهمّة في الدين، يستنجد بإحدى فتيات الكتاب المتفوقات.

وقد كان يتم فصل الذكور عن الإناث، وأقيمت دروس ليلية للشيوخ في بهو المساجد. وكانت المناقشة بين الشيخ وطلابه جارياً بها العمل. أما التواضع ولين الجانب للطلبة، فقد كان من شيم الشيوخ في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي). كما أن صبر الشيخ على تفهيم طلبته يعتبره الناس من صفات الشيخ الناجح في مهنته. وكانت الطريقة الشائعة في الدرس أن يبدأ الشيخ بإملاء رأيه في المسائل على طلبته، وبعدها يقرأ الطلاب درسهم من الكتاب المقرر بحضور الشيخ، ثم يطلب منهم توضيح ما أشكل عليهم، وأثناء ذلك يقيد الطلبة التفاسير التي يعطيها الشيخ كجواب على استفساراتهم. وكان الشيخ أثناء الشرح يختار العبارات البسيطة لكي يتمكن الطلاب من الاستيعاب. أما الطلاب الذين يتخلفون عن الحضور لحلقات الدرس، فقد كان يتم معاقبتهم بالضرب الذي يكون رادعاً لغيرهم. وكانت أجرة الشيخ تعطى له من أوقاف الزاوية بعد الحصاد وجني الثمار، كما أن أولياء الطلاب كانوا يساهمون بقسط وافر في تلك الأجرة⁶¹.

مكانة العلم والعلماء:

فقد كان للعلم بتمنيط أهمية بالغة خاصة في النصف الثاني من ق09هـ / 15م بعد توافد علماء أجلاء أسهموا بدرجة كبيرة في ازدهار الحركة الفكرية بها. فقد أقبل على العلم الصغار والكبار والرجال والنساء. كما حظي العلماء بمكانة كبيرة في المجتمع كونهم ورثة الأنبياء، فقد كانت كل المسائل والأمور ترجع إليهم وبخاصة في مرحلة حكم الجماعة. حيث كان الشيخ عبد الله العصنوني هو الذي يتولى شؤون الفتوى⁶² والمظالم، بين مختلف شرائح المجتمع. ومما يبين قيمة العلماء بها، هو تمكن الشيخ المغيلي في ظرف وجيز من دخوله إليها من تأسيس إمارة، وهذا يدل دلالة واضحة بأن السكان وثقوا به، واقتدوا بأعماله كونه عالماً جليلاً. واستطاع أن يقوم بالعديد من التغييرات في نمط معيشة السكان خاصة العادات السلبية، التي دخلت إلى هذه المدينة عن طريق التأثيرات السودانية كالسحر، والشعوذة، وتقديس الأولياء. ولكن الانقسام الذي أنتجته نازلة اليهود أدى إلى تدهور مكانة العلماء بها فقد أصبح الفرد يتساءل: كيف يختلف علماء المذهب الواحد، في المسألة الواحدة، في المكان

الواحد، وطبعاً فإن مثل هذه الانقسامات تحدث شرخاً كبيراً في مجتمع بدوي لم يتعود مثل هذه المناظرات الفقهية.

الهوامش:

- 1- أستاذ محاضر بقسم الحضارة الإسلامية جامعة وهران.
- 2- أعيف محمد، «المسالك الصحراوية توات حلقة اتصال بين المغرب وإفريقيا الغربية»، ندوة العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية، منشورات عكاظ الرباط، ط 1992م، ص: 51.
- 3- طرابلس: بناها الأفارقة إثر خراب طرابلس القديمة، تحيط بها أسوار عالية جميلة، لكنها غير متينة كما يجب، وتقع في سهل رملي مغروس بنخل كثير، دورها جميلة، وليس بها سقايات ولا آبار، وإنما فيها خزانات وتعاني كثيراً من قلة الحبوب. ينظر: الوزان (الحسن)، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت والشركة المغربية للنناشرين المتحدين الرباط، ط الثانية 1983، ج2، ص: 97.
- 4- غدامس: منطقة كبيرة مسكونة على بعد حوالي ثلاثمائة ميل من البحر المتوسط، سكانها أغنياء لهم بساتين نخل وأموال، لأنهم يتاجرون مع بلاد السودان. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص: 146.
- 5- قايس: مدينة كبيرة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط، داخل الخليج تحيط بها أسوار عالية قديمة وسكنها سود البشرة. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص: 91.
- 6- أنطونيو مالفانطي: هو عميل لأسرة كونتر يونتي من مدينة جنوه والتي كان أفرادها من كبار التجار في إيطاليا، كما كانت لهم عدة مصالح تجارية في أسبانيا، وفي عام 851هـ - 1447م أحدثوا إصلاحات نقدية في مدينة جنوه، وإنجاح ذلك المشروع أرسلوا في السنة نفسها مالفانطي إلى توات لمحاولة الحصول على كميات من الذهب، وفي الوقت نفسه ليتجسس على الطرق الصحراوية وعلى منابع المعدن الأصفر، النفيس. ينظر: عبد العزيز العلوي، «العلاقات التجارية والثقافية بين المغرب المريني وإمبراطورية مالي»، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، عدد 5، السنة 1989، ص: 68.
- 7- عبد العزيز العلوي، المرجع السابق، ص: 59.
- 8- الزاب: إقليم يقع في وسط مغازات نوميديا حيث يبتدئ غرباً من تخوم المسيلة، ويحده شمالاً جبل مملكة بجاية أما امتداده الشرقي فإلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس، ومن جنوبه القفار التي تقطعها الطريق المؤدية من تقرت إلى ورجلان، وهذه المنطقة شديدة الحرارة رملية لا يوجد بها إلا يسير من الماء وقليل من الأراضي الصالحة لزراعة الحبوب، لكن عدد حدائق النخل بها لا يحصى، يشمل الإقليم خمس مدن وعدداً من المدن الكثيرة. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص: 138.
- 9- سيخة تيكورارين: من أكبر السباح التي تقع شمال المنطقة التواتية، وتتكون من ثلاث منخفضات هي الظهراني والشرقي والقبلي. ينظر: بن عبد الله (عبد العزيز)، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية معلمة الصحراء، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الرباط، ط 1976، ملحق 2، ص: 263.
- 10- محمد أعيف، المسالك الصحراوية توات حلقة اتصال بين المغرب وإفريقيا الغربية، ص: 57.
- 11- عبد العزيز العلوي، العلاقات التجارية والثقافية بين المغرب المريني وإمبراطورية مالي، ص: 58.
- 12- أولاد جريير: من عرب المعقل بعضهم في الصحراء وبعضهم الآخر في سوس وهم منتشرون في وادي نون وأفران وراس الوادي وتيزنت. ينظر: عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية، ملحق 2، ص: 66.
- 13- ذوي منيع: من فصائلها أولاد عبد الواحد وديبات وخونسن وبكار. ينظر: عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية، ملحق 2، ص: 358.
- 14- آيت خياش: يسكنون المغرب الجنوبي الشرقي. ينظر عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية، ملحق 2، ص: 40.
- 15- محمد أعيف، المقال السابق، ص: 58 - 59.
- 16- المقال نفسه، ص: 54.
- 17- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط الثانية 1990م، ج2، ص: 259.
- 18- فرج (محمود)، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط 1977، ص: 70 - 71.

- 19- تغازی: هي ملاحه مشهوره تقع على بعد ثمانين ميلا غرب تاودني وتمتد على حوالي ميلين من الغرب إلى الشرق وميل واحد من الشمال إلى الجنوب. أما الغرب فيوجد على عمق أربعة أمتار تقريبا. وكانت ظروف عيش العمال في هذه الملاحه قاسية جدا. فزيادة على شدة ملوحة مائها وشدة الحرارة بداخلها كان العمال يسكنون في أكواخ مبنية من حجارة وسقفها من جلود الجمال، وقد يموت أحيانا بعضهم جوعا في أكواخهم بسبب فقد القوت عند عدم مجيء القافلة. بالإضافة إلى الريح الشرقية التي تهب في الصيف. فتصاب أعينهم ويفقد الكثير منهم بصره. ينظر: عبد العزيز العلوي، المقال السابق، ص: 68 - 71.
- 20- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص: 71.
- 21- جزولة: بلاد عامرة بالسكان، تتاخم غربا جبل سوس وشمالا الأطلس حيث تقع في سفحه تقريبا، سكانها خشنون لهم مثالية كثيرة وكمية كبيرة من الشعير. ينظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ص: 144.
- 22- سوس: تقع وراء الأطلس وتبدأ غربا من المحيط وتنتهي في رمال الصحراء، وشمالا في الأطلس وشرقا عند نهر سوس الذي سميت به، بها العديد من المناطق الهامة. ينظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ص: 113.
- 23- عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية، ملحق 1، ص: 113.
- 24- A. G. P. Martin , Quatre siècles d'histoire Marocaine , imprimerie Elmaarif aljadida. Rabat (1994).P. 15.
- 25- برنو: كانت بها مملكة الكانم، ويعتبر القرنان السادس والسابع الهجريين (الثالث والرابع عشر الميلاديين) أزهى عصورها، وكانت لها علاقة وثيقة بطرابلس ومصر، كما وطدت علاقات ببلاد المغرب عبر توات ينظر: زبايدية (عبد القادر)، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط 1989، ص: 12.
- 26- عبد القادر زبايدية، (الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي جهوده وشهرته خارج الجزائر)، أعمال مهرجان أدرار، 1985م، ص: 80.
- 27- عبد العزيز العلوي، العلاقات التجارية بين المغرب المريني وإمبراطورية مالي، ص: 60.
- 28- A.G.P, MARTIN, quatre siècles, P. 15.
- 29- A.G.P, MARTIN, ibid, P. 15.
- 30- التمنيطي (محمد بن عبد الكريم)، تقييد حول تاريخ تمنيط وتوات، يوجد بالخرزانة البكرية بتمنيط، دون رقم، و3 و.
- 31- محمد الطيب بن عبد الرحيم، القول البسيط في أخبار تمنيط، تحقيق فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط 1977، ص: 18.
- 32- A. Selka, notice sur le Touat, bulletin de la Société géographique d'Alger et de l'Afrique du Nord, 3e trimestre (1922).P. 550.
- 33- ابن بطوطة (محمد)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة بيروت، ط الرابعة 1985، ج2، ص: 801 - 802.
- 34- A.SELKA. op. cit. P. 550.
- 35- فرج محمود فرج، إقليم توات، ص: 58.
- 36- ابن بطوطة، تحفة النظار، ج2، ص: 801.
- 37- المصدر نفسه، ج 2، ص: 801.
- 38- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص: 54 - 55.
- 39- ابن خلدون (عبد الرحمان)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1992، ج6، ص: 72.
- 40- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص: 58.
- 41- ابن يدير يحي وغيره من علماء توات وتلمسان، النوازل التواتية، مخطوط يوجد بالخرزانة البكرية بتمنيط، دون رقم، و33 و.
- 42- عبد الحميد حاجيات، (الحركة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان)، مجلة الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر، جويلية - أوت 1975م، عدد 26، ص: 155.
- 43- من أشهر الفقهاء في هذا العصر بن زاغو المتوفى عام 849هـ - 1445م، ومفتي بجاية المشدالي المتوفى عام 866هـ - 1461م، والعقباني المتوفى عام 871هـ - 1466م، وأحمد بن زكريا المغراوي المتوفى عام 899هـ - 1493م، والحافظ ابن مرزوق العجيسي المتوفى عام 901هـ - 1495م. ينظر: التتبكتي (أحمد

- بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، وضعت هوامشه بإشراف عبد الحميد الهرامة، منشورات كلية الدعوة طرابلس ليبيا، ط الأولى 1986، ص ص: 527 – 574.
- ⁴⁴- أول من أدخل كتاب خليل إلى المغرب محمد بن فاتوح التلمساني، وكانت ولادته عام 739هـ - 1338م، وتوفي عام 818هـ - 1415م. ينظر: حجي (محمد)، ألف سنة من الوفيات، تحقيق لشرف الطالب لأين قنفذ ووفيات الونشريسي ولقط الفرائد لابن القاضي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط، ط 1976، ص: 239.
- ⁴⁵- من أشهر المتصوفة: محمد الهواري المتوفى عام 843هـ - 1439م، وكذلك إبراهيم التازي نزيل وهران المتوفى عام 866هـ - 1461، عبد الرحمن الثعالبي المتوفى عام 875هـ - 1470م، وأشهر المتكلمين والمتصوفة: محمد بن يوسف السنوسي المتوفى عام 895هـ - 1489م. ينظر: أحمد بابا، نيل الابتهاج، 2، ص: 572.
- ⁴⁶- أبي يحيى المنباري، نسبه لبني منيار قبيلة من العرب وهي معروفة في تلؤل المغرب الأوسط تخبر عنها حميان، وكانوا أهل قوة وبأس شديد، سكنوا تمنطيط من أرض توات لا توجد أي ترجمة لهذا الشيخ في المصادر المتوفرة لحد الآن كما لا يعرف تاريخ مولده ووفاته. ينظر محمد الطيب بن عبد الرحيم، القول البسيط في أخبار تمنطيط، ص: 30.
- ⁴⁷- محمد الطيب بن عبد الرحيم، القول البسيط، ص: 30.
- ⁴⁸- محمد الطيب بن عبد الرحيم، القول البسيط، ص: 31.
- ⁴⁹- ابن الحاجب: عثمان بن عمر الفقيه المحصل الممرنك صاحب المختصرين العجيبين، توفي عام 647هـ - 1249م. ينظر: أحمد ابن قنفذ، شرف الطالب في أسنى المطالب، ضمن ألف سنة من الوفيات، ص: 71.
- ⁵⁰- أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص: 637.
- ⁵¹- محمد الطيب بن عبد الرحيم، المصدر السابق، ص: 31.
- ⁵²- ورثت عائلة العصنوني خطة القضاء بتوات، فبعد وفاة عبد الله العصنوني تولى القضاء ابن أخيه سالم بن محمد بن أبي بكر العصنوني، وقد درس على يد عمه عبد الله وغيره من علماء توات وسوس وتلمسان، ويعدم اشتد عوده اشتغل بالتدريس بتمنطيط، ثم تولى القضاء فحمدت الناس سيرته ووصل نفوذه العلمي والإصلاحي إلى بلاد السودان الغربي فأسلم على يديه خلق كثير من الوثنيين، توفي عام 968هـ - 1560م. ينظر: حجي (محمد)، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، مطبعة فضالة الرباط، ط 1978، ج2، ص: 631.
- ⁵³- محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج 2، ص ص: 631 – 632.
- ⁵⁴- تجب الإشارة إلى أن أول زاوية أسست بتوات هي زاوية مولاي سليمان الإدريسي وكان مقر هذه الزاوية بأولاد أنقل إحدى قصور تيمي، ويعتبر مؤسس الزاوية أحد العلماء العاملين، الذين فضلوا المقام في الصحراء رغم رغد العيش الذي كان يتمتع به في مدينة فاس، فهاجر إلى توات سنة 605هـ - 1208م، وأسس زاويته وبدأ يعلم القرآن واللغة العربية والعقيدة والتوحيد فالتف السكان به ووثقوا به. وعمل على نشر فكره الصوفي من خلال الأوراد التي لقتها لأتباع زاويته، الذين انتشروا بكامل الصحراء الكبرى وبلاد السودان الغربي، وكان مريدي هذه الزاوية كثيري الإيفاق حيث أعطوا العديد من الهبات والصدقات من أجل استمرار دور الزاوية التعليمي والاجتماعي. وكانت هذه الزاوية تشتمل على مكتبة كبيرة من الكتب في مختلف العلوم، كالحديث والفقه والعربية والحساب والجغرافيا والفلك والطب والمنطق وغيرها من العلوم. وازدادت شهرة الزاوية بعد وفاة شيخها، حيث أقام له المريدون ضريحا على قبره وأصبح يزار ويقام له الوسم. وازدادت أوقاف هذه الزاوية من خلال الهبات التي كان يقدمها التجار المارين بتوات، والذين كانوا يقيمون أياما بها. كما اعتمدت على صدقات الحجاج، حيث كانت زاوية مولاي سليمان مرحلة هامة في طريقهم إلى بيت الله الحرام. وتجدر الإشارة هنا أن هذه الزاوية تخلت عن الدور التعليمي الذي تأسست من أجله بفترة قصيرة بعد وفاة شيخها، واقتصر دورها على الجانب الاجتماعي. هذا ما جعل الجانب الفكري يتعطل ويعجل باندثارها، خاصة بعد تأسيس زاوية أبي يحيى المنباري. وفي فترة المغيلي اكتفت هذه الزاوية بالدور الاجتماعي وهو إيواء المسافرين وتقديم الطعام للزوار.
- ⁵⁵- محمد الطيب بن عبد الرحيم، القول البسيط، ص ص: 29 – 36.
- ⁵⁶- يدعي مارتان أن توات قبل دخول المغيلي كانت في فوضى ويسيطر عليها الجهل وتفترق إلى أدنى شروط النظام. وهذا غير صحيح لأن المغيلي أكمل تعليمه بتوات. ينظر: A.G.P.MARTIN, *à la frontière du MAROC, les oasis sahariennes, édition de l'imprimerie algérienne, Alger : 1908, P. 128.*

57- M. ABITBOL, TOMBOUCTOU, et les arma, Maisonneuve et Larose, Paris :1979, P. 48.

58- تكثر بالخرائن التواتية أعدادا كثيرة من نسخ صحيح مسلم والبخاري وفتح الباري لابن حجر والمدونة في الفقه ومختصر الشيخ خليل. ينظر: ابن يدير وغيره، النوازل التواتية، و30 و.

59- محمد بن عبد الكريم التمنطي، التقييد، و3 و.

60- عبد القادر زبايدية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية، ص: 77 – 78.

61- التمنطي (محمد بن عبدالكريم)، تقييد حول تاريخ تمنطيط وتوات، مخطوط يوجد بالخرانة البكرية بتمنطيط، دون رقم، و7 ط.

62 - ولد بابا حيدة، القول البسيط، ص: 31.

المراجع:

- أعيف (محمد)، «المسالك الصحراوية توات حلقة اتصال بين المغرب وإفريقيا الغربية»، ندوة العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية، منشورات عكاظ الرباط، ط 1992م.

- ولد بابا حيدة (محمد الطيب بن عبد الرحيم)، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط 1977.

- ابن بطوطة (محمد)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة بيروت، ط الرابعة 1985.

- الوزان (الحسن)، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت والشركة المغربية للنشرين المتحدين الرباط، ط الثانية 1983.

- زبايدية (عبد القادر)، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط 1989.

- زبايدية (عبد القادر)، (الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي جهوده وشهرته خارج الجزائر)، أعمال مهرجان أدرار، 1985م.

- حاجيات (عبد الحميد)، «الحركة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان»، مجلة الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر، جويلية – أوت 1975م، عدد 26.

- حجي (محمد)، ألف سنة من الوفيات، تحقيق لشرف الطالب لأبن قنفذ ووفيات الونشريسي ولقط الفرائد لابن القاضي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط، ط 1976.

- حجي (محمد)، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، مطبعة فضالة الرباط، ط 1978.

- ابن يدير (يحي) وغيره من علماء توات وتلمسان، النوازل التواتية، مخطوط يوجد بالخرانة البكرية بتمنطيط، دون رقم.

- سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط الثانية 1990م.

- بن عبد الله (عبد العزيز)، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية معلمة الصحراء، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الرباط، ط 1976، ملحق 2.

- العلوي (عبد العزيز)، «العلاقات التجارية والثقافية بين المغرب المريني وإمبراطورية مالي»، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، عدد 5، السنة 1989.

- فرج محمود (فرج)، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط 1977.

- التمنطي (محمد بن عبدالكريم)، تقييد حول تاريخ تمنطيط وتوات، يوجد بالخرانة البكرية بتمنطيط، دون رقم.

- التنبكتي (أحمد بابا)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، وضعت هوامشه بإشراف عبد الحميد الهرامة، منشورات كلية الدعوة طرابلس ليبيا، ط الأولى 1986.

- ابن خلدون (عبد الرحمان)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1992.

-M. ABITBOL, TOMBOUCTOU, et les arma, Maisonneuve et Larose, Paris 1979

A. G. P. Martin , Quatre siècles d'histoire Marocaine , imprimerie Elmaarif aljadida. Rabat (1994).

-A.G.P.MARTIN, a la frontière du MAROC, les oasis sahariennes, édition de l'imprimerie algériennes, Alger 1908.

-A. Selka, notice sur le Touat, bulletin de la société géographique d'Alger et de l'Afrique du Nord, 3e trimestre (1922)..

أومبرتو عمر
العميل السري الايطالي في مسقط 1908-1911
(دراسة وثائقية)

د.ة ناهد عبد الكريم
جامعة السلطان قابوس
مسقط- سلطنة عمان

المقدمة:

كانت عمان بحكم موقعها الاستراتيجي منطقة مستقطبة للتنافس الدولي عليها، وقد تنوعت أشكال التدخل في شؤونها من احتلال مباشر إلى معاهدات، وفي بعض الأحيان عملاء سريين يقدمون التقارير عنها. وكانت ايطاليا واحدة من تلك الدول الاستعمارية التي سعت لتجد لها مكانا في عمان مستفيدة من التنافس الدولي في تلك المنطقة، وكان الكشف عن دورها مدعاة للبحث فيه.

و تأتي أهمية هذا البحث من كونه أصيلا معتمدا على وثائق ايطالية يكشف عنها للمرة الأولى، ولأنه يساهم في الكشف عن الدور الإيطالي في عمان. ويسعى إلى الإجابة عن بعض التساؤلات منها:

- متى بدأ التدخل الايطالي في عمان ولماذا؟
 - ما هو شكل هذا التدخل وهل كتب له النجاح؟
 - من هو أومبرتو عمر وما هي مهامه في عمان.
- وقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى محورين أساسيين، الأول: يتناول التنافس الاستعماري في الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ودخول ايطاليا على خط التنافس، والمحور الثاني: يتناول دور أومبرتو عمر العميل السري الإيطالي في عمان ومراسلاته مع الجهات الحكومية الايطالية. وأخيرا الخاتمة وتتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث.
- وتم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي في تتبع الأحداث واستخلاص المعلومات من الوثائق وربطها بما كان يجري في عمان لتصبح الصورة أكثر وضوحا. وتعتبر الوثائق الإيطالية المحفوظة في الأرشيف التاريخي لوزارة الخارجية الإيطالية المصدر الرئيس لهذه الدراسة إلى جانب عدد من الدراسات.

التمهيد:

مع النمو العسكري والتجاري البحري الذي حققته عمان في عهد أسرة آل بو سعيد التي وصلت إلى الحكم عام 1744 باتت المخاوف تنتاب الدول الاستعمارية خاصة من القوة البحرية العمانية التي تنامي ازدهارها في عصر السيد سعيد بن سلطان 1804-1856 بعد أن ضم إليه ساحل إفريقيا الشرقي واتخذ من زنجبار عاصمة له عام 1832، فأصبح قوة لا يمكن تجاهلها فتحوّلت العلاقة مع عمان إلى أسلوب المعاهدات التجارية، بحيث تسابقت هذه الدول لتأمين مصالحها التجارية في ممتلكات السيد سعيد.

إلا أن مرحلة جديدة من الصراع الاستعماري بدأت بعد وفاة السيد سعيد بن سلطان عام 1856، فقد واثت الفرصة كلا من بريطانيا وفرنسا لتأكيد مصالحهما في المنطقة، وتم بسعي الطرفين تقسيم الأملاك العمانية بموجب التحكيم الدولي للجنة كنج عام 1861، وانقسمت أسرة آل بو سعيد إلى فرعين حاكمين في عمان وفي زنجبار، ولعل أهم ما اتفق عليه الطرفان البريطاني والفرنسي بعد التقسيم هو تعهد الطرفين باحترام استقلال كل من سلطنة عمان وسلطنة زنجبار كان ذلك في عام 1862م.¹

واعتباراً من نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين شهدت مناطق المحيط الهندي بما فيها الساحل الشرقي لإفريقيا وجنوب الجزيرة العربية والخليج العربي عودة محمومة للتسابق على تكريس النفوذ الاستعماري، وكان النصيب الأكبر لشرق إفريقيا والخليج العربي، وقد دخلت على خط الصراع؛ الدول الموحدة الجديدة ألمانيا وإيطاليا، إضافة إلى تمدد النفوذ الروسي باتجاه الخليج العربي.

فعدت فرنسا وروسيا اتفاقاً للحد من النفوذ البريطاني في الخليج العربي ووقع عبء مقاومة النفوذ البريطاني هناك على عاتق فرنسا، التي بدأت تعلن عن تمللها في أعقاب توقيع بريطانيا معاهدة مع السلطان فيصل عام 1891.²

دخول إيطاليا على خط التوسع الاستعماري:

كان خروج إيطاليا إلى عالم الاستعمار متأخراً بسبب تأخر وحدتها الكاملة حتى عام 1871م، وهي بذلك تتزامن مع الوحدة الألمانية، واعتباراً من ثمانينات القرن التاسع عشر راحت إيطاليا تبحث لنفسها عن مكان بين الدول الاستعمارية مدفوعة بظهور رأي عام داعم للاستعمار ودعاة من مختلف التوجهات مثل المستكشفين والرحالة ورجال الدين المبشرين الساعين لتوسيع نشاطهم، إضافة لرجال الأعمال المصرفية والرأسماليين وغيرهم. وقد جمع هؤلاء هدفين أساسيين، الأول: تحقيق القوة لإيطاليا بالتوسع كغيرها من الدول الاستعمارية واتجهت الأنظار نحو إفريقيا بعد ضياع أحلام إيطاليا في تونس لصالح فرنسا. أما الثاني: فيهدف لحل العديد من المشاكل التي كانت

تعاني منها إيطاليا وفي مقدمتها زيادة الكثافة السكانية والوضع الاقتصادي واتساع البطالة.³

انطلقت إيطاليا لتوسيع نفوذها بدأ من الساحل الشرقي لأفريقيا فقامت بشراء ميناء عصب من الشركة الإيطالية عام 1882، ولم تلبث أن أعلنت احتلالها له. ثم أتبعته بانتزاع ميناء مصوع عام 1885 م من النفوذ المصري التابع في ذلك الوقت للدولة العثمانية⁴. وساندها بريطانيا في كل مراحل توسعها الاستعماري حيث كانت تسعى لتحقيق أهداف منها: أن تكون إيطاليا حليفها في المسألة المصرية، وحتى تقف في وجه الأطماع الفرنسية التوسعية في شرق أفريقيا.

وفي عام 1885 مهدت إيطاليا لاحتلال الصومال بإيجاد موطن قدم لها قريبا من نهر جوبا وبالأخص ميناء كسامبو واعتمدت في مشروعها الجديد أيضا على موافقة بريطانيا⁵.

ولم يأت عام 1889 م حتى أعلنت إيطاليا حمايتها على الصومال، ثم قامت بضم مقديشو وبركا وبرواة في نفس العام وذلك بعد الاتفاق مع شركة شرق أفريقيا البريطانية عام 1889، ولم تلبث أن أسست لنفسها الشركة الإيطالية لشرق أفريقيا عام 1890 لتثبيت الحدود بينها وبين مناطق النفوذ البريطانية الصومالية⁶.

وأعلنت إيطاليا في عام 1890 توحيد ممتلكاتها على ساحل البحر الأحمر في مستعمرة واحدة باسم ارتريا كل ذلك بتشجيع من بريطانيا الراغبة في كبح الأطماع الفرنسية هناك⁷.

لقد كانت العلاقات البريطانية الفرنسية سيئة بسبب الضغط الفرنسي على بريطانيا في أعالي النيل بهدف تسوية القضية المصرية ولذلك وقفت فرنسا مع الحبشة، في حين وقفت بريطانيا مع إيطاليا لأن النفوذ الإيطالي في الحبشة سيوقف التوسع الفرنسي من الساحل الشرقي للصومال نحو السودان، كذلك للوقوف في وجه الحركة المهدية⁸.

وبرزت محاور استعمارية متنافسة، لم تلبث أن امتدت إلى منطقة الخليج العربي وعمان، ففي أعقاب مؤتمر بروكسل عام 1890 ؛ الذي أقر منع تجارة السلاح عن شرق أفريقيا، عمدت سفن الدول الأوروبية إلى محاصرة السواحل الإفريقية ووضعها تحت المراقبة لمنع وصول السلاح إليها. وبسبب هذا الحظر شرعت الشركات المصدرة للسلاح وتجار السلاح في البحث عن أسواق بديلة. وهيأت لهم الحرب الأفغانية الثالثة 1879-1880 وما تلاها⁹، الفرصة لانتشار تجارة السلاح في منطقة الخليج العربي¹⁰. وبعد مؤتمر بروكسل توسعت هذه التجارة في الخليج العربي حيث لا يشملها قرار حظر تجارة السلاح لوقوعها خارج خط العرض 20 بحوالي أربع درجات¹¹، ونمت خاصة في مسقط بشكل واضح في الفترة من 1890-1898 م.

واعتبر لوريمر أن عام 1890 كان بداية تحول لتصبح مسقط " أعظم سوق للسلاح في منطقة الشرق الأوسط" ¹². واعتبارا من عام 1898 تركزت تجارة السلاح بشكل كلي في مسقط، المكان الأهم للاستيراد لأن التجارة كانت حرة بحسب المعاهدات التي وقعتها مسقط مع دول أوروبا وأمريكا¹³. وكانت معظم هذه التجارة بيد الفرنسيين بالاشتراك مع البلجيك والألمان والبريطانيين، أما إيطاليا فقد دخلت أسلحتها إلى السوق العمانية عام 1908 ¹⁴.

تحملت فرنسا العبء الأكبر في مقاومة النفوذ البريطاني في عمان وخاصة في الفترة من 1891-1898 ¹⁵. فقد كانت عمان بسبب موقعها الجغرافي نقطة ارتكاز لكل الدول المهتمة ببسط نفوذها السياسي أو العسكري أو الاقتصادي في الخليج، ولذلك سعت هذه الدول لتعيين ممثلين لها في مسقط لتأمين مصالحها من ناحية ومراقبة منافسيها من ناحية أخرى فبالإضافة إلى بريطانيا وفرنسا¹⁶، حاولت روسيا الاقتراب من عمان، وذكر لوريمر وجود جاسوس روسي يعمل سرا في مسقط وعمان. ¹⁷

بدايات التدخل الإيطالي في شؤون عمان والخليج:

تعود بدايات التدخل الإيطالي في قضية تجارة السلاح في الخليج وسواحل عمان إلى عام 1892، عندما اتهمت إيطاليا مسقط بتصدير قسم من السلاح إلى الصومال. ويذكر الدكتور علي البسام أن: السلطنة صدرت كميات غير محدودة من الأسلحة إلى الأراضي الصومالية، وأن بعض هذه الأسلحة كان يصل زنجبار ¹⁸ مما دفع بالسلطان فيصل بن تركي لإصدار أمر في 2 أبريل من العام نفسه يقضي بمنع تصدير الأسلحة إلى إفريقيا والجزر التي تقع تحت الحماية البريطانية، وكذلك " الممتلكات الإيطالية على الساحل الشرقي لأفريقيا" ¹⁹ ولكنه رفض منح حق تفتيش السفن والمراكب العمانية.

ومع اتساع تجارة الأسلحة عام 1897 بشكل كبير في فارس وعمان، لجأت فارس لعقد اتفاق مع كل من بريطانيا وعمان لقمع تلك التجارة ²⁰ ثم اتخذت إجراءات صارمة عام 1898 لوقف تدفق السلاح وكذلك فعل سلطان عمان. وبعد القضاء على تجارة الأسلحة في بو شهر تم تكليف الزوارق البريطانية المسلحة للقيام بدوريات في مياه الخليج ²¹.

وفي عام 1902 جرى حظر على خروج الأسلحة والذخائر من مسقط، ولم يعد ممكنا إنزال هذه التجارة بشكل قانوني في أي من المناطق باستثناء قطر لعدم أهميتها. ²² كما أصدر السلطان فيصل بن تركي إخطارا بتاريخ 17 أكتوبر 1903 يقول فيه: " لقد حولت السفن الحربية البريطانية والإيطالية حق تفتيش السفن المسقطية في المياه الإقليمية أو في أعالي البحار إذا اشتبه في أنها تحمل أسلحة إلى الساحل الصومالي" ²³ وباتت إيطاليا تتمتع بحق التفتيش مثلها مثل بريطانيا.

وفي عام 1905 كان الحضور الايطالي واضحا في محكمة لاهاي فيما عرف بقضية الأعلام الفرنسية التي كانت سفن صور ترفعها، وكانت بريطانية قد أحالت هذه القضية إلى محكمة لاهاي بعد أن فشلت في إقناع فرنسا بعدم منح أعلامها للسفن العمانية مدعية أنها تستغلها في نقل السلاح²⁴. وقد تأخر صدور حكم هذه المحكمة بسبب الفشل في التوصل إلى اختيار قاض يتولى التحكيم لذا تم التحول إلى ملك إيطاليا ليبت بالأمر بموجب البند رقم 1 من التسوية، وقد عين ملك إيطاليا لمنصب قاضي التحكيم الدكتور هنري لماش من النمسا²⁵ ونلاحظ هنا أن إيطاليا باتت تشغل مكانا مهما في الساحة الدولية

لم تكثف إيطاليا بالمشاركة في التفتيش، فقد زعمت استمرار تدفق السلاح إلى شرق أفريقيا وطورت تدخلها في عمان مستغلة الاستعدادات الدولية الجارية لعقد مؤتمر جديد في بروكسل عام 1908²⁶ يكمل مهمة مؤتمر بروكسل الذي عقد عام 1890 بخصوص تجارة السلاح، حيث بات لدى مختلف القوى بما فيها بريطانيا رغبة في إعادة النظر بقرارات المؤتمر السابق بهدف توسيع نطاق الحظر لتشمل منطقة الخليج بعد أن انتشرت هذه التجارة هناك بشكل كبير لكن موقف فرنسا كان مغايرا وهذا ما سيرد لاحقا.

وفي هذه الأثناء كشفت إيطاليا في ديسمبر 1907 عن خطة تقضي بتعيين وكيل إيطالي في مسقط لجمع المعلومات عن حركة المرور البحرية. الأمر الذي أثار قلقا بريطانيا كبيرا²⁷، وفي يناير عام 1908 كان هذا المقترح الإيطالي قد تطور إلى طلب أن يكون لها وكالة قنصلية رسمية، لكن بريطانيا رفضت هذه الخطة، وأبلغت الإيطاليين موقفها عن طريق القنصلية البريطانية. كما طلبت وزارة الخارجية البريطانية تأجيل البحث في كل المقترحات المتعلقة بمسقط إلى حين انعقاد المؤتمر الجديد عام 1908.

لكن ذلك لم يمنع إيطاليا من الاستمرار فيما اعتزمت عليه، فقامت في أبريل بتعيين وكيلها الذي تنوي إرساله إلى مسقط، عندها سارعت بريطانيا إلى التدخل وطلبت بشكل رسمي التعاون من الكافاليري فرنسيسكو كريسيبي Cavaliere Francesco Crespi؛ المسؤول عن المستعمرات الملكية الإيطالية. وأرسل كوكس Cox؛ القنصل البريطاني في مسقط²⁸، برقية إليه يقول فيها: أنه لن يكون مقبولا إثارة ردة فعل، فمسقط ليست مجال اهتمام إيطاليا، وليس هناك معاهدة تجارية معها. ومما قاله "كيف سيكون بمقدورنا إقناع السلطان برفض قبول قناصل من روسيا وألمانيا إذا نصحناه بالموافقة على وكيل إيطالي"²⁹. ويبدو واضحا من كلامه أنه كانت هناك محاولات ألمانية وروسية لتعيين قناصل لهما في عمان وأن بريطانيا كانت تعيق ذلك عن طريق جعل السلطان فيصل يرفض وجودهما³⁰. فإذا ما أقدمت إيطاليا على تعيين

وكيل لها فهذا يعني عدم سكوت كل من ألمانيا وروسيا وإحراج موقف بريطانيا أمام السلطان فيصل.

لكن إصرار إيطاليا على وجود ممثل لها في عمان، جعل كوكس يقترح عليها أن تقوم بتعيين وكيل محلي، وأن هذا سيكون كافيا تماما، وبدوره سيقدم لها المعلومات التي تريدها يوميا حتى نهاية المؤتمر³¹. وأرسل هذا الاقتراح إلى إيطاليا، وفي يونيو طلب السيد ادوارد جري Edward Grey؛ وزير الخارجية البريطانية، شفها من الايطاليين عدم الضغط من أجل تعيين وكيل، وأشار إلى أن معادات القناصل (والمقصود الروس والألمان) سيعقد موقف بريطانيا في الخليج وفي عمان. وقد وافقت إيطاليا على تأجيل طلبها بتعيين وكيل لها في انتظار ما سوف يسفر عنه مؤتمر بروكسل عام 1908 وتلقت بريطانيا هذا القرار بكثير من الامتنان³².

لم يطل الأمر حتى انعقد مؤتمر بروكسل، وكانت إيطاليا حاضرة فيه، وقد دعمت موقف وزارة الخارجية البريطانية التي قررت مسبقا أن إضافة مناطق أخرى للحظر أمر مرغوب فيه، إلا أن ذلك لا يعني سماحها؛ أي بريطانيا، لأحد بالتدخل في الخليج وذلك حسب التحذيرات التي وردتها من الخليج ومن مكتب الهند والتي أكدت أن الخليج اهتماما بريطانيا، وأن وجود هيئات دولية قضائية أخرى أمر غير مرغوب فيه³³. في إشارة إلى تأكيد النفوذ البريطاني فيه. وعلى هذا الأساس تمكن المندوب البريطاني إلى مؤتمر بروكسل عام 1908 السير آرثر هاردينج Arthur Hardinge، أن يسقط مشروع إيطاليا في الخليج بتهديدها بأنها إذا تدخلت فيه، فإن منطقة حظر السلاح سيتم توسيعها لتصل إلى طرابلس³⁴.

وخلال جلسات المؤتمر في شهر يونيو انخرطت جميع القوى بالموافقة على العرض البريطاني بتوسيع مناطق الحظر لتشمل الخليج العربي ما عدا فرنسا³⁵، وبات معروفا في المؤتمر أن فرنسا هي الوحيدة من بين القوى التي تمنع في إقفال قضية تجارة نقل السلاح في مسقط. وبما أن إيطاليا كانت من أوائل الدول التي عرضت مد الحظر إلى الخليج فإنها وجدت في المعارضة الفرنسية إحراجا لها وعبرت عن ذلك لباريس³⁶. وبسبب عدم التوصل إلى نتيجة مع فرنسا³⁷، تم تأجيل مؤتمر بروكسل أكثر من مرة مما جعل إيطاليا تعود ثانية إلى قضية تعيين وكيل لها في مسقط على أساس أن مؤتمر بروكسل تأجل بدون نتيجة، وفي أكتوبر من عام 1908 أعلنت إيطاليا بريطانيا أن لها آمنيات مؤجلة؛ في إشارة إلى قضية تعيين وكيل لها. وقد أكد وزير الشؤون الخارجية الإيطالي سان جوليانو San Giuliano إلى غري Grey أن مطلب إيطاليا لم يكن لأسباب سياسية، ولكن فقط لرغبتها الصادقة في معرفة ما يجري عن حركة نقل السلاح، وكان هذا صحيحا نسبيا، لأن السفن الصومالية كانت تتاجر بالسلاح على

الساحل العماني على الرغم من أن الأسلحة التي كانت تدخل الصومال مصدرها غالبا زنجبار.

ومرة ثانية أعادت بريطانيا تأكيدها أنه إذا أرسلت إيطاليا وكيلا نظاميا إلى مسقط فلن يكون وضعه نظاميا بدون معاهدة، وأنه في حال موافقة فيصل سيكون من الصعب عليه رفض طلب مماثل من ألمانيا على سبيل المثال. واقترحت بريطانيا وجود عميل سري لإيطاليا بدلا من وكيل نظامي وأن هذا سيكون الحل الأمثل. ومرة ثانية وافقت إيطاليا³⁸، ونزلت عند رغبة بريطانيا. وبادر الكافاليري كرسبي بإرسال عميل سري إلى عدن ومنها إلى عمان ليتولى امداد الايطاليين بالمعلومات التي يحتاجونها.

أومبرتو عمر: Umberto Omar العميل السري الإيطالي:

لم يكن اختيار إيطاليا لأمبرتو عمر مصادفة، فهو عربي يعود نسبه إلى قبائل " بني عامر " الإرتيرية³⁹. وهو يعرف اللغة الإيطالية بشكل ممتاز ونستدل على ذلك من مراسلاته وما كتبه لاحقا عن عمان باللغة الإيطالية، حيث تكلم وكتب كالأيطاليين، إلى جانب ذلك كان متقنا للغة الانكليزية، أي أنه عميل مميز يستطيع التعامل مع العرب وفهمهم، كما يستطيع التعامل مع البريطانيين بلغتهم، وبمعنى آخر كان يستطيع نقل أخبار العرب والبريطانيين في آن واحد إلى الحكومة الإيطالية.

ويبدو من خلال مراسلاته العديدة مع وزارة الخارجية الإيطالية وقنصليتها في عدن أنه قدم عام 1908 إلى عدن أولا بصفته مترجما للوثائق البريطانية في القنصلية الإيطالية، لكنه لم يلبث أن أرسل إلى عمان وعلى الأرجح أنه بقي في الفترة من 1908 إلى 1909 منتقلا بين عدن وعمان إلى أن استقر في عمان عام 1909 وهي الفترة التي سنتعرف فيها على طبيعة الأعمال التي قام بها وحياته في عمان حتى أواخر عام 1911. ومما تشير إليه تلك المراسلات أيضا أنه كان مكلفا بمهمتين أحدهما علنية وهي كتابة التقارير عن حركة السفن العمانية التي كانت تحمل الأسلحة.

أما المهمة الثانية غير المعلنة فهي دراسة الأوضاع في عمان وتقديم التقارير عنها. ومنذ وصول أومبرتو عمر إلى عمان تولى البريطانيون أمره، وكان على الوكيل البريطاني تقديمه للسلطان فيصل، ومساعدته على الاستقرار بحيث يكون تحت الرقابة البريطانية خاضعا لأوامرها، ليتمكن من العمل مع السلطان فيصل من خلالها فقط.

ويبدو أن أومبرتو عمر كان مرتاحا بمهمته الجديدة كونه في السابق كان مجرد عميل سري صغير وهذه فرصة جيدة له ليثبت كفاءته. وفي بداية وجوده في عمان قام بمحاولة واحدة للاقتراب من فيصل مباشرة؛ أي دون إذن بريطانيا، ولكنه رفض من السلطان لأنه لم يكن له منصب رسمي⁴⁰. لكن هذه الصورة بدأت تتغير بالتدريج حيث نتابع أهم الأعمال والأمور التي تعرض لها أو قام بها من خلال رسائله المرسلة من مسقط وهي كالتالي:

- رسالة رقم 29 تاريخ 25 / 4 / 1910، مرسله من أومبرتو عمر إلى السيد ر. بياجنتيني Piacentini R. نائب القنصل العام في عدن، وموضوعها عن السيد هولاند R.E. Holland⁴¹ كتب ما يلي⁴²:

" السيد نائب القنصل العام

يسعدني إبلاغكم بأن السيد هولاند الوكيل السياسي للسفارة البريطانية الذي التقيت به بمجرد وصولي لمسقط، قد تم نقله إلى راجبوتانا Rajputana في الهند بمستوى سكرتير أول للممثلية العامة.

ترك مسقط في 13 من الشهر الحالي وتم التعويض عنه بالسيد تريفور A.P. Trevor وهو برتبة ميجور في الجيش الهندي حيث كان في بوشهر من عدة سنوات كمساعد أول للميجور كوكس Cox المقيم العام في للخليج الفارسي.

خلال إقامة السيد هولاند في مسقط لم يكن سوى صديق محب في كل المهمات التي كنت أعمل بها وكنت أجد مساعدته فأجد التعاون والترحيب من كل قلبه. وعندما وصلت السفينة الملكية الإيطالية إلبا Elba إلى مسقط، خلال آخر رحلة بحرية لها في هذه البحار، تعرف السيد هولاند على قائدها وكان في غاية اللطف معه ومع كافة الرسميين العاملين بها، ولولاه لما استطاعت هذه السفينة متابعة طريقها بعد أن احتاجت للفحم الذي قدمه لها السيد هولاند بتدخله والموافقة على بيعه من مخازن حكومته مما وفر عليها المصاريف المكلفة والغير مقيدة.

أرجو أخيراً من سعادتكم الموقرة إبلاغ الحكومة الملكية بهذه الخدمات والمواقف حتى يمكن بشكل أو بآخر تقديم الشكر للسيد هولاند شخصياً.

وتقبل يا سيادة نائب القنصل العام عميق مشاعري واحترامي.

أومبرتو عمر

يؤكد أومبرتو عمر من خلال رسالته السابقة التعاون الذي لقيه من المسؤولين البريطانيين في مسقط، والمساعدات التي تلقاها في المهمات التي كان يقوم بها، ويتوافق هذا مع ما سبق ذكره من رغبة بريطانية في إبقائه تحت رقابتها منعا لأية أهداف إيطالية أخرى. كما يمكن وضع المساعدة البريطانية لأومبرتو عمر في إطار التعاون البريطاني الإيطالي في وجه المحور الفرنسي الروسي.

ومن اللافت للنظر دقة المعلومات التي كان ينقلها عن تحركات المسؤولين البريطانيين، بحيث يمكن القول أن مهمة أومبرتو عمر تتجاوز ما أعلنته إيطاليا عن اهتمامها فقط بقضية السلاح ونقله.

وما ذكره عن السفينة الإيطالية إلبا، فإنه يوضح مدى السيطرة البريطانية على الفحم في مسقط وتفردتها به حتى أن السفينة لم تجد من يبيعها ولا تمكنت من الإبحار ثانية لولا تقديم البريطانيين الفحم

لها. وبطبيعة الحال أسهمت هذه السيطرة البريطانية في ضبط حركة السفن في الموانئ العمانية وإخضاعها لإشرافها المباشر.

وفي رسالة أخرى لأمبرتو عمر أرسلها طلبا لتحسين وضعه المادي وزيادة مرتبه، يورد معلومات هامة عن الحياة في مسقط عام 1910، جاء فيها:

- رسالة بدون رقم بتاريخ شهر 5/ 1910 مرسله من المخبر أومبرتو عمر في مسقط إلى بياحتيني نائب القنصل العام للحكومة الايطالية في عدن بعنوان "زيادة الراتب"⁴³ :

" السيد نائب القنصل، منذ شهر ديسمبر عام 1908 حيث منحتني الوزارة الملكية شرف التكليف في المهمة التي لا أزال أشغلها فإنني أود أن أناقش مع السيد المجلد المدير المركزي لشؤون المستعمرات حول قلة الرواتب التي تم تحديدها لي.

والسيد المجلد المدير المركزي كان قد تفضل بالإصغاء لتحسين وضعي، لكن لضيق الأحوال وقلة مصادر الميزانية التي كانت آنذاك، لم يتمكن من تقديم الزيادة التي كان قد وعد بها.

وبالمقابل فإن لطفه جعلني آمل؛ خاصة بعد التدريب الإضافي، أن يكون التعامل مطابق للتطلعات التي كنت أريدها وقد وثقت بتشجيعه وغادرت روما دون أي إلحاح.

وعندما وصلت مسقط سرعان ما أدركت كم هي الحياة غالية هنا، وخشية من أن يقال أنني لم أحسن التصرف أو تعرضت للخداع كما يحصل لكل جديد قادم إلى الشرق، أو أن يقال أنني أطلقت رأياً عابراً غير حقيقي فقد استمررت لمدة 15 شهراً في ضيق مزعج جداً ومحبط أحيانا محاولاً إثبات أنني صاحب إرادة جيدة.

واليوم يا صاحب السعادة مدفوعاً بالحاجة أناشد تعطف واهتمام معاليكم لتقوموا بلفت نظر الوزارة الملكية بعدم كفاية وضعي المادي الذي يتطلب زيادة تسمح لي بحياة أفضل.

مسقط كما كنت قد استوعبت وكتبت لمعاليكم في ظروف مختلفة، هي بلد محروم من أي مكان للاستحمام أو الراحة. والناس في عدن ومومبي يستطيعون الحصول على ما يريدون بسعر معقول، أما هنا فصعوبة النقل وغياب الرقابة التي قد تمنع الجشع الذي أصاب محلات البيع الثلاثة لبعض الهنود الذين سيطروا على السوق فقد وصلت الأسعار إلى ارتفاعات مبالغه. عموماً إن البيوت التجارية وكذلك الحكومات توافقوا على أن تكون رواتب الموظفين المقيمين بمسقط منسجمة مع هذا الغلاء.

وعلى سبيل المثال سأذكر فيما يلي الرواتب التي يحصل عليها بعض الموظفين الأقل درجة: الأول:

ناسخ يعمل في القنصلية البريطانية (هندي من البنغال) راتبه 325 روبية شهرياً.

الثاني: ناسخ يعمل في القنصلية البريطانية (هندي من جوبا) راتبه 275 روبية شهرياً.

الثالث: صف ضابط برتبة (سرجنت) تم إحقاقه بموقع مراقب الكربون في البحرية العسكرية الفرنسية وهو جزائري راتبه 615 لير ايطالي بالشهر.
والكثير من عمال التجارة لا يستلم أي منهم أقل من 250 روبية شهريا، وكلهم منحوا فوق ذلك أماكن للسكن، وليس هذا فحسب بل لهم تعويض لاستخدام الخدم يتغير بتغير الدرجة.
أترك بعد هذا لمعاليتكم تقدير الصعوبة التي يجب تحملها للعيش بمبلغ 180 روبية فقط شهريا.
وأنا متأكد مما تحفظه لي الوزارة الملكية وتعرفه عن موقعي الحساس ولثقة التي توليتها في هذه المهمة
أمالا أن تأخذوا بالاعتبار قضيتي وثقتي بتقدير معاليتكم لما ذكرت.
وتقبلوا شكري واحترامي العميق لكم. أومبرتو عمر

ويفهم مما تضمنته الرسالة السابقة أنه جرى تكليف أومبرتو عمر بمهمته إلى مسقط في ديسمبر 1908، والرسالة مرسله في شهر مايو 1910، وذكر أنه قد أمضى خمسة عشر شهرا قبل إرسالها، فهو عمليا كان في مسقط في بداية سنة 1909، لهذا فإن الفترة منذ وصوله إلى مسقط وحتى الرسالة التي سبقت لآبد أن أومبرتو عمر كان خلالها يرسل ايطاليا وينقل لها المعلومات وهذا ما أشار إليه بقوله: " مسقط كما كنت قد استوعبت وكتبت لمعاليتكم في ظروف مختلفة " أي أنه أرسل في السابق معلومات عن مسقط، لكن هذه المراسلات لم أتمكن من العثور عليها، لهذا سنتركز معلوماتنا على ما أرسله من الرسالة قبل السابقة والمؤرخة في 1910 /4/25 وحتى تركه مسقط.

كذلك أشار إلى صعوبة الحياة في مسقط فهي محرومة من مكان للاستحمام والراحة، وأغلب الظن أنه يقصد الأماكن العامة والمقاهي حيث يجد الغرباء ما يخفف عنهم عناء الغربة. ولفت النظر إلى قضية غلاء المعيشة في مسقط حتى أن الأسعار في عدن ومومبي أقل، فهو قد انتظر 15 عشر شهرا في حالة من الضنك نتيجة ارتفاع الأسعار قبل أن يطالب بتحسين راتبه. كما نسب أسباب الغلاء إلى صعوبة النقل، وغياب الرقابة الحكومية على الأسعار، وجشع أصحاب المحلات. وأشار إلى هيمنة الهنود على سوق مسقط حيث تتحكم ثلاث محلات تجارية لهم بالأسعار وترفعها بشكل كبير⁴⁴.

وحتى يوضح وضعه، قارن بين راتبه ورواتب غيره من الموظفين التابعين للشركات التجارية والحكومات؛ ويقصد غير العمانية، وأنهم حصلوا على رواتب تتناسب مع هذا الغلاء ومنحوا سكنا. والأغرب أنه كان لديهم تعويض لاستخدام الخدم بحسب درجاتهم، أي أن ظاهرة استخدام الخدم كانت مستمرة ومعترف بها من هذه الحكومات. كما أشار إلى قيمة راتبه وهي 180 روبية شهريا وهي أقل من رواتب من هم أقل منه

درجة يعملون لدى القنصلية البريطانية، والجزائري الذي يعمل في البحرية الفرنسية مراقبا للكربون كان يحصل على ضعف راتبه⁴⁵. ونلاحظ هنا اعتماد الدول الاستعمارية على أبناء الشعوب العربية لتسخيرهم في محالات مختلفة ومنها نقل المعلومات إليهم.

ووفقا لمطالبة أمبرتو عمر بزيادة راتبه تم تحويل طلبه من القنصلية الإيطالية في عدن إلى وزارة الخارجية الإيطالية في روما. حيث أوضح نائب القنصل رأيه في طلب أمبرتو وأشار إلى مسببات رأيه وهي كالتالي:

- رسالة رقم No 522/136 = تاريخ 1910 /7/30 مرسلة من القنصل بعدن إلى وزارة الخارجية الإيطالية بعنوان " طلب زيادة راتب أمبرتو عمر " ⁴⁶.

" السيد الوزير

يشرفني أن أرسل لكم النسخة المرفقة من الرسالة التي وصلتني من أمبرتو عمر مخبرنا في مسقط. وأعتقد أن مبلغ 300 لير ايطالي شهريا (180 روبية) هو مبلغ غير كاف لاحتياجات الحياة في تلك المدينة.

ومن المناسب ملاحظة أن عمر يحصل شهريا أيضا على 333 لير بخصوص الاحتياجات المتعلقة بالمعلومات والاحتياجات المكتبية إلخ...

على كل حال يجب أن يؤخذ بالاعتبار أن عمر على الرغم من كونه تمكن من أن يكسب محبة الكثيرين سواء السلطان أو القنصل الإنجليزي وشخصيات أخرى في مسقط. (وهذا سبب يقوده ليعيش حياة غير متروية) فإني أسمح لنفسي أن أقترح أن يكون راتبه 400 لير شهريا بدلا من 300 لير.

مع فائق الاحترام

نائب القنصل العام آر. بياجنتيني

ويبدو من رسالة بياجنتيني أنه كان مطلعاً على أحوال المعيشة في مسقط ومدى الغلاء فيها لذلك دعم طلب رفع راتب أمبرتو عمر إلى 400 لير بدلا من 300 لير التي كانت تعادل (180 روبية). وتظهر الرسالة دور أمبرتو عمر في تزويد الإيطاليين بالمعلومات من خلال دفعهم له مبلغ 333 لير لقاء تلك المعلومات.

ولكن تتعارض إشارة بياجنتيني إلى كسب أمبرتو عمر محبة السلطان فيصل والقنصل البريطاني وعدم انزوائه مع ما جاء في كتاب Britain & The Persian Gulf الذي ذكر أن أمبرتو عمر كان خاضعا كلياً للبريطانيين وأنه لم يكن لديه شيئا ليفعله⁴⁷، فهو قد أثبت وجوده وأسس لعلاقة متينة مع العمانيين ومع البريطانيين الموجودين في عمان ودليل ذلك المعلومات الوافية التي كان يرسلها إلى إيطاليا عن عمان. ومن

المؤكد أن إيطاليا استفادت كثيرا من تلك المعلومات ومن وجود أومبرتو عمر في مسقط لذلك طلب بياجنتيني زيادة راتبه الشهري.

خلال الفترة من 1910 /7/30 إلى 1911/1/7 تطورت الأحداث في موضوع تجارة السلاح حيث شهدت تراجعا كبيرا بسبب تراجع استعمال الأعلام الفرنسية اعتبارا من تحكيم لاهاي عام 1905، وبسبب مصادرة السفن البريطانية للأسلحة الخارجة من مسقط⁴⁸، كما يبدو أن بريطانيا نجحت في إنهاء طموحات إيطاليا في الوجود الدبلوماسي لها في الخليج عندما أقنعتها بالتخلي عن فكرة وجود ممثلية رسمية لها في مسقط⁴⁹، مما أدى إلى إعادة النظر في عمل أومبرتو عمر في مسقط، بعد أن ماطلت الخارجية الإيطالية في الرد على طلب زيادة راتبه حتى الشهر الأول من عام 1911، وأرسلت تطلب من قنصليتها في عدن تقييم حالته. وجاء الرد من بياجنتيني مغائرا لما ورد في رسالته السابقة عن رغبته في رفع راتب أومبرتو عمر إلى 400 لير بدل 300 لير، فقدم في رسالته عرضا لمهمة الأخير في مسقط وانتهى إلى أن الحاجة لأومبرتو عمر في مسقط لم تعد قائمة. وفيما يلي نص الرسالة:

- رسالة رقم No 926/ 210 بتاريخ 1911 /1 /7 مرسلة من القنصلية الملكية العامة في عدن إلى سعادة وزير الخارجية في روما وموضوعها " أومبرتو عمر " ⁵⁰:

" السيد الوزير

أخذت علما برغبتكم من خلال برقيتكم رقم 102 في 8/12 باطلاعكم حول راتب مخبرنا في مسقط أومبرتو عمر.

منذ عامين تقريبا أرسل عمر إلى مسقط ومن خلال تقاريره استطاع أن يزودنا بمعلومات موسعة حول حركة السلاح والذخائر التي تصل إلى الخليج الفارسي.

وحيث أن عمل هذا المخبر كان محصورا في دراسة الأوضاع وتزويدنا بما كان يهمننا معرفته من تجارة السلاح والذخائر مع ملاحظة الحركة غير الشرعية التي تسلكها هذه المراكب الشراعية (السنبوق)⁵¹ التي يمكن أن تسعى لرفع العلم الايطالي. فإنه يبدو لي أن هذا العمل وصل إلى نهايته وبالتالي انتهت مهمة أومبرتو عمر في مسقط

بالإضافة إلى المعطيات التي حصلنا عليها، فإن حركة المراكب الشراعية التي ترفع أعلامنا الإيطالية انخفضت إلى حد كبير جدا، ولم تعد هناك حاجة لوجود قوات ردع لسلطة المستعمرات.

ونظرا لهذا الوضع إضافة إلى ميزانية هذه المهمة التي تكلف شهريا حوالي 650 لير، أود أن أقترح على سعادتكم إزاحة أومبرتو عمر عن موقعه في مسقط وإرساله إلى حاكم الصومال الإيطالية،

حيث يستطيع تأمين عمل لعمر عبر المكتب الحكومي (الإدارة المالية) براتب قدره 250 لير إيطالي شهريا.

وفي انتظار ردكم الكريم على اقتراحي، وقبل أن أعطي كلمة لصاحب العلاقة أرجو من سعادتكم قبول عميق احترامي

نائب القنصل العام

آر. بياجنتيني

يتضح مما سبق أن أمبرتو عمر أرسل منذ عام 1909 إلى عمان في مهمة أساسية تتعلق بجمع المعلومات عن تجارة السلاح والذخيرة في الخليج وإرسالها إلى إيطاليا، وقد نجح في مهمته وأرسل معلومات قيمة بما في ذلك المعلومات المتعلقة بحركة مراكب السنبوق التي وصفها بياجنتيني بالغير شرعية لأنه يصعب مراقبتها، لكن اللافت للنظر أنه أشار إلى المخاوف التي كانت لدى إيطاليا من إمكان رفع هذه المراكب العلم الإيطالي، وهذا أمر غير معروف من قبل، فلم تكن الأعلام الإيطالية تذكر في قضية السفن التي تنقل السلاح في سواحل عمان أو الخليج، ومع هذا يؤكد بياجنتيني أن المعلومات التي توفرت لديه تشير إلى أن: " حركة المراكب الشراعية التي ترفع أعلامنا الإيطالية انخفضت إلى حد كبير جدا" أي أن هناك رفع للأعلام الإيطالية فعلا على السفن التي تنقل السلاح، لكن المرجح هنا أن هذه المراكب لم تكن عمانية، وربما كانت صومالية تابعة للصومال الإيطالي.

وأشار بياجنتيني في آخر رسالته إلى أنه طالما أن الغاية من وجود أمبرتو عمر في مسقط قد انتهت، إضافة إلى ما كان يكلف الحكومة الإيطالية من مصاريف فإنه من الأفضل إنهاء مهمته وإرساله للصومال حيث لا يتعدى راتبه هناك 250 لير وفي هذا توفير في المصاريف.

لكن أمرا ما استدعى بقاء أمبرتو عمر لفترة أطول في عمان ففي برقية مشفرة من بياجنتيني في عدن مرسله إلى روما تحمل رقم 1064 تاريخ 1911/3/9 جاء ما يلي⁵²:

- رسالة مشفرة: "34. بالإشارة إلى إفادتكم 15، الإدارة المركزية لشؤون المستعمرات. إن أمبرتو عمر (العميل في مسقط) يتوقع نفقات ب 5 آلاف لير نظير انتهاء مهمته في أبريل أو يقترح تأجيلها إلى سبتمبر بعد أشهر الصيف مع احتمال تحسين ظروف إنهاء عمله. أرجو اعلامي بشكل برقي.

بياجنتيني"

ومن المؤكد أن المكافأة المرتفعة التي طلبها أومبرتو عمر لم تكن نظير مهمته الأساسية التي ذهب بها إلى مسقط فقد كلف بمهمة أخرى تفسرها الرسائل التالية: في 1911 /5/2 وصلت لوزارة الخارجية في روما رسالة من المفوضية الإيطالية في كوبنهاغن في الدانمرك هذا مفادها:

- رسالة رقم No 178/91 بتاريخ 1911/5/2 موجهة من المفوضية الملكية الإيطالية في كوبنهاغن Copenaghen إلى وزير الشؤون الخارجية الإيطالي المركزي سان جوليانو في روما وموضوعها " اطلاق مشروع رحلات استكشافية علمية دانماركية في الخليج الفارسي"⁵³:

" السيد الوزير

اتخذت الجمعية الملكية الجغرافية الدانماركية مبادرة لإطلاق سلسلة رحلات علمية استكشافية جغرافية، وشكلت لهذا الهدف لجنة تنظيمية برئاسة الأميرال ريشيليو (Richelieu) (ويلاحظ أن قنصلنا السيد V. Gluckstadt يشكل جزءا من هذه اللجنة). وأول رحلة علمية تم تنظيمها ستغادر بمجرد أن يؤمنوا الوسائل الضرورية. وهي ممولة بالقسم الأعظم منها من الاشتراكات الخاصة.

الهدف الرئيسي للرحلة سيكون استكشاف الجزء الجنوبي الشرقي للجزيرة العربية. وبشكل خاص داخل الأقاليم العمانية وحضرموت، مستكملين بذلك أسلوب الاستكشافات الدانماركية في الجزيرة العربية، من خلال الرحالة الذين نذكرهم نيبور (Niebuhr) في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

الأعضاء الرئيسيين لهذه الحملة هما اثنان فقط، لديهما خبرة ظهرت من تطبيقهما العملية في رحلاتهما القليلة في مناطق مختلفة. مثل تلك التي تهتم لها الجمعية الجغرافية. هما السادة :

الملازم في المدفعية م. ديفيد M. Davidsen ورنكجار بركلي Barclay Raunkjar وهما مساحان جغرافيان وخبيران في الملابس واللغة العربية".

إلى سعادة المركزي سان جوليانو

وزير الشؤون الخارجية - روما

حسب ما ورد في الرسالة السابقة فإن الدانمارك كانت تستعد لبدء مرحلة جديدة من الكثوف الجغرافية وغيرها في جنوب شرق الجزيرة العربية وعلى وجه التحديد في المناطق الداخلية لعمان وفي حضرموت، ولما كانت الرحلة نفسها غير متضمنة لأحد من الإيطاليين فإن إيطاليا أرادت أن تستفيد من وجود أومبرتو عمر في عمان وتكلفه بعمل تقرير مفصل عن كل ما يتعلق بعمان بحيث يكون وسيلة لإيطاليا للتعرف عليها.

والأمر لن يكون صعبا طالما أن أومبرتو عمر يتكلم العربية. ولهذا بدأ العمل، وحسب ما توقع في الرسالة المشفرة رقم 1064 التي سبق ذكرها فإن جمع المعلومات عن عمان استغرقه وقتا أطول ثم غادر مسقط في شهر أبريل وقبل أن يصل إلى مقديشو أمضى شهرين في عدن ثم غادرها فكان وصوله إلى مقديشو في شهر جون من عام 1911. ثم غادر بعد فترة إلى إيطاليا.

وقد جاء في كتاب Britain and the Persian Gulf أن خروج أومبرتو عمر من مسقط في ذلك العام كان " نهاية الحضور الإيطالي في عمان"⁵⁴، وأن خروجه من عمان كان في شهر فبراير، لكن هذا ليس صحيحا بحسب ما ستورده الرسائل اللاحقة. ومنها الرسالة التالية :

- رسالة رقم 2322 من الموقع 2/111 تاريخ 12/9/1911 صادرة من الصومال الإيطالية، مقديشو، المكتب الحكومي، مرسله إلى وزير الشؤون الخارجية، الإدارة العامة لشؤون المستعمرات، رسالة جوابية موضوعها " عودة الموظف غير العادي أومبرتو عمر "⁵⁵:

" الموظف غير العادي أومبرتو عمر وبمجرد وصوله للمستعمرة (المقصود مقديشو) في شهر جون، اشتكى من المبلغ الذي حدد له بـ 250 لير في الشهر. كما هي العادة في تحديد هذا المبلغ في بداية الفترة لكل الموظفين الذين تم التعاقد معهم.

لا أجد لدى هذا الموظف أية إمكانية أو رغبة في البقاء في هذا العمل، لذلك لم أقتنع بإعطائه أي وعد بزيادة الراتب، بل قبلت بدون تردد طلبه بالعودة إلى إيطاليا وترك كل الخدمات التي يقوم بها في هذه المستعمرة بشكل نهائي.

سيغادر مع السفينة "Po" في 14 من الشهر الجاري. وقد تقبل مبلغ 250 لير عن شهر سبتمبر الحالي، كما تم تزويده بتذكرة من الدرجة الثانية على الباخرة المذكورة، ودفع له سلفا سعر تذكرة أيضا بالدرجة الثانية على القطار المسافر من نابولي إلى روما".

إلى سعادة الماركيز سان جوليانو

وزير الشؤون الخارجية - روما

لم يبق أومبرتو عمر في مقديشو على ما يبدو لأسباب مختلفة، منها شعوره بأن العمل الجديد الذي أوكل إليه لا يتناسب مع ما وصل إليه من مكانة عندما كان في مسقط، إضافة إلى الراتب الصغير الذي فرض له في مقديشو بعد أن كان يحصل على 400 لير كما مر سابقا حيث تمت وقتها الموافقة على الزيادة له، بالإضافة إلى أنه كان يأمل من ذهابه إلى روما اقناع المسؤولين هناك بتحسين وضعه. وخلال وجوده فيها أوكلت

الإدارة العامة للمستعمرات في وزارة الخارجية الإيطالية إليه عدة أعمال وطلبت له صرف مكافأة وذلك حسب ما جاء في رسالة مرسله إلى وزير الخارجية جاء فيها:
- رسالة بدون رقم، تاريخ 1911/12/13 مرسله من المدير العام لشؤون المستعمرات إلى وزير الخارجية الإيطالية⁵⁶:
" السيد الوزير

إن السيد أومبرتو عمر الذي كان في مهمة في مسقط ومقديشو، قد تابع مختلف الأعمال لحساب هذه الإدارة المركزية خلال شهري نوفمبر وأكتوبر، وبشكل أدق كان يترجم القوانين السودانية ووثائق أخرى بالإضافة إلى دراسة لم تنته بعد عن سلطنة مسقط.

وحتى نكافئ السيد أومبرتو عمر على هذه الأعمال التي تستحق التقدير أرجو قبول اقتراحي بأن يتم تحويل مبلغ 150 لير لحسابه على أن يحمل هذا المبلغ على البند رقم 62 من ميزانية هذه الوزارة "

التوقيع

المدير العام لشؤون المستعمرات

تم التعليق على نفس الرسالة بخط اليد " تحويل مبلغ 150 لير حسب البند 62 " بتاريخ 1911/12/21. وأغلب الظن أنه تعليق من قسم العلاقات في الوزارة. لكن اللافت للنظر اهتمام إيطاليا بالسودان وترجمة قوانينها خاصة بعد احتلالها ليبيا عام 1911، كذلك الإشارة إلى الدراسة التي كان يقوم بها أومبرتو عمر عن سلطنة عمان والتي لم تكن قد انتهت بعد، وعلى الأرجح أنه كان قد أحضر المعلومات التي جمعها عن عمان قبل مغادرته لها، ثم عكف في إيطاليا على كتابتها. واستغرقه الأمر بعد ذلك حتى نهاية يناير عام 1912.

- وجاء في رسالة من دون رقم، تاريخ 1912/2/12 صادرة عن وزارة الشؤون الخارجية، الإدارة العامة لشؤون المستعمرات، وموجهة إلى وزير الخارجية الإيطالي ما يفيد انتهاء أومبرتو عمر من إعداد هذه الدراسة⁵⁷ :

" السيد الوزير

قام السيد أومبرتو عمر خلال شهر يناير بإنجاز أعمال عديدة لحساب هذا المكتب ومن بينها الانتهاء من تأليف موضوع خاص بسلطنة مسقط كان قد كلف به.

أما التعويض على الأعمال المنجزة فالمقترح أن يمنح السيد عمر 150 لير إيطالي، وبجالة اعتماده من قبل سعادتكم، سيتم تحميله على البند رقم 62 من ميزانية هذه الوزارة

التوقيع

المدير العام لشؤون المستعمرات

وقد تم التعليق على هذه الرسالة بالتالي: تم الارتباط بمبلغ 150 لير

قسم المحاسبة جدول رقم 71 تاريخ 13 / 2 / 1912
رئيس المكتب الثالث ميزانية وإحصاء التوقيع "

لا بد أن وجود أمبرتو عمر في وزارة المستعمرات الإيطالية سمح له بالاطلاع على الكثير من المعلومات إذا أخذنا بالاعتبار عمله ك مترجم في قسم الإدارة العامة، وبعد انتهائه من الأعمال التي كلف بها صدر قرار نقله مجددا إلى عدن حيث لازالت إيطاليا بحاجة لخدماته هناك. وجاء هذا التكليف في الرسالة التالية:

- رسالة بدون رقم، بتاريخ 25 / 3 / 1912، مرسله من وزارة الشؤون الخارجية، الإدارة العامة لشؤون المستعمرات، إلى وزير الخارجية الإيطالي وموقع في أعلاها من قبل رئيس مكتب الميزانيات والمحاسبة، وعليها ختم هام جدا⁵⁸:

" السيد الوزير

إن السيد أمبرتو عمر الذي كان يعمل من نحو ستة أشهر لهذه الإدارة الخاصة بشؤون المستعمرات، حيث كان يقوم بعمل خاص يتعلق بالترجمة، سيترك الآن هذا المكتب لأنه أرسل ليقدم خدماته للقنصلية العامة الملكية بعدن.

وقدم السيد أمبرتو عمر أيضا موضوعا هاما يتعلق بسلطنة عمان، وسيكون هذا الموضوع مشمولاً في سلسلة التقارير ذات الموضوع الواحد والخاص بالمستعمرات.

وتحت مسمى مكافأة لهذا العمل وتعويضا لنهاية خدماته أقترح على معاليكم تحويل مبلغ للسيد أمبرتو مقداره 400 لير، ويمكن لسعادتكم الاستناد إلى الفصل 62 من الميزانية الخاصة بهذه الوزارة.

وقد قام السيد أمبرتو عمر أيضا وبشكل يومي ومنذ ثلاثة أشهر بالاهتمام والاعتناء بترجمة المطبوعات الانجليزية.

وفي النهاية من الإنصاف أن يقدم له مثل هذا المبلغ المقترح بالنظر إلى أن السيد عمر سيتم توجيهه للذهاب إلى عدن بصفة مترجم متميز لهذه القنصلية الملكية العامة بدون أن يعد له أي حق بأي تعويض. مرفوعة من العلاقات لمعالي الوزير "

تؤكد هذه الرسالة بقاء أمبرتو عمر في إيطاليا خلال النصف الأول من عام 1912، حيث عمل مترجما لدى وزارة المستعمرات، لكن عند نهاية مهمته فيها قرر وزير الخارجية الاستمرار في الاستفادة من خبرات أمبرتو عمر وخاصة اللغة الانكليزية والايطالية وإعادة توجيهه مجددا إلى عدن ليعمل في القنصلية الايطالية هناك بصفة مترجم متميز وتجدر الإشارة هنا إلى أن عدن كانت خاضعة للاحتلال البريطاني.

وقبل إيفاد أومبرتو عمر مجددا إلى عدن، طلبت وزارة الخارجية الإيطالية من الإدارة العامة لشؤون المستعمرات معلومات كاملة عنه. وجاء الرد موضحا لكل تحركاته وهي كالتالي:

- رسالة مؤرخة بتاريخ 18 / 6 / 1912، مرسله من وزارة الشؤون الخارجية، الإدارة العامة لشؤون المستعمرات إلى وزير الخارجية موضوعها: " أومبرتو عمر " وموقعة في أعلاها من قسم الميزانيات والمحاسبة برقم 1 وتاريخ 18 / 7 / 1912⁵⁹.

" السيد الوزير

قام السيد أومبرتو عمر بخدمة هذه الوزارة في مهام خاصة في افريقيا والجزيرة العربية منذ أبريل 1908.

ومنذ هذا التاريخ كان وبشكل متتالي في بنادر⁶⁰ (Benadir) وأيضا في ايطاليا تحت تصرف هذه الوزارة، ثم في مسقط في الخليج الفارسي حيث مكث من مارس 1908 إلى أبريل 1911، ثم مجددا إلى بنادر، وأخيرا من جديد تحت تصرف الوزارة من أكتوبر 1911 إلى مارس 1912.

وبهذا التاريخ تم توجيه السيد عمر بصفته مترجما فوق العادة إلى القنصلية الملكية بعدن، وبهذه المناسبة تم مكافأته بتعويض قدره 400 لير، وبدفعة مقدمة قدرها 300 لير عن رواتبه المقبلة ليتدبر أموره واحتياجاته. ولأسباب تتعلق بأمور خارجة عن رغبة السيد عمر، لم تتم مغادرته إلى عدن وبقي تحت تصرف هذه الوزارة خلال شهري أبريل ومايو.

مرفوعة من العلاقات إلى معالي الوزير "

يلاحظ من الرسالة السابقة أن أومبرتو عمر قد تم نقله بين مناطق عربية عدة منها الصومال وعدن والخليج العربي ومسقط على وجه الخصوص. وأن وظيفته المعلنة ركزت على عمله كمترجم لدى وزارة المستعمرات، كما أن ايطاليا كانت إحدى محطات عمله، وقد اختلفت طبيعة عمله في مسقط عنها في باقي المناطق، ففيها اكتسب صفة عميل سري لأنه كان مكلفا بمتابعة تجارة السلاح وحركة السفن التي تنقله من وإلى مسقط. وتفسر العلاوات التي كان يحصل عليها أهمية العمل الذي كلفته ايطاليا به في مسقط، بل إن توجيه إدارة المستعمرات له ثانية إلى عدن يؤكد نجاح أومبرتو عمر بالمهام التي كلف بها.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة الوثائقية التنافس الاستعماري في منطقة الخليج العربي وسلطنة عمان ودخول ايطاليا على خط هذا التنافس من خلال أحد عملائها المميزين، وقد خلصت إلى عدد من النتائج يمكن إجمالها بما يلي:

- أن التنافس الاستعماري على سلطنة عمان جذب إليها حتى الدول الموحدة حديثاً مثل إيطاليا التي ادعت قيام مسقط بتصدير السلاح إلى مستعمراتها في الصومال ليكون لها دور في الخليج ومسقط.
- وأن إيطاليا التي أسست لنفوذها الاستعماري في شرق إفريقيا بدعم من بريطانيا لم تلبث أن تطلعت لمنطقة الخليج العربي و عمان وسعت لنفوذ دبلوماسي لها في مسقط مستغلة انعقاد مؤتمر بروكسل عام 1908 لمكافحة تجارة السلاح في الخليج. لكن حرص بريطانيا على الانفراد بنفوذها على عمان جعلها تحول دون أية تطلعات لإيطاليا على الرغم من كونها حليفها في وجه المنافسة الفرنسية.
- تنوعت أشكال التدخل في سلطنة عمان وكان من أحد وجوهها العملاء السريين، وقد اضطرت إيطاليا إلى اللجوء لإرسال عميل سري لها من أصل عربي بدل التمثيل القنصلي وذلك بناء على طلب بريطاني.
- أن العميل السري الإيطالي أومبرتو عمر أرسل إلى مسقط عام 1908 وبقي فيها حتى عام 1911، وكانت مهمته المعلنة تزويد إيطاليا بمعلومات عن تجارة السلاح وطرق نقلها. لكنه كان يجمع المعلومات عن عمان ويرسلها في تقارير لإيطاليا عبر القنصلية الإيطالية في عدن.
- قدم أومبرتو عمر في تقاريره معلومات هامة جديدة منها، وجود مخاوف من رفع الأعلام الإيطالية على القوارب التي تنقل السلاح، بل أشارت بعض التقارير إلى استخدام فعلي للأعلام الإيطالية.
- كما تضمنت تقاريره معلومات عن الحياة في عمان وصعوبتها وارتفاع الأسعار فيها.
- وأخيراً لا بد من القول أن التقارير المفصلة التي قدمها أومبرتو عمر عن تجارة السلاح والذخائر وحركة السفن لم يكشف عنها بعد ولا تزال بحاجة للبحث والتقصي.

الهوامش والإحالات:

- ويلسون، ت، أرنولد، (2001)، تاريخ الخليج، ترجمة محمد أمين عبد الله، دار الحكمة، لندن، ط1، ص 180.
- ² - ويلسون، المرجع السابق، ص 183
- ³ - حميدي، جعفر عباس، (2002)، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، دار الفكر، عمان، ط1، ص 85
- ⁴ - الجمل، شوقي، (1980)، تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، مكتبة الانجلو المصرية، ط2، ص 360
- ⁵ - حميدي، مصدر سابق، ص 87
- ⁶ - حميدي، مصدر سابق، ص 87. وانظر الجمل، مصدر سابق، ص 377.
- ⁷ - الجمل، مرجع سابق، ص 362
- ⁸ - سليم، محمد السيد، (2002)، تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار الفجر، القاهرة، ط1، ص 212، وانظر الجمل، مرجع سابق، ص 374-375
- ⁹ - البسام، علي بن حسين بن عبد الله، (1997)، الملاحة في سلطنة مسقط وتجارها الخارجية 1872-1914، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ص 196.

- 10 - عبد الوهاب عبد الرحمن، (1997)، الخليج العربي والمحرمات البريطانية الثلاث 1778-1914، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، ط1: ص 139
- 11 - قاسم، جمال زكريا، (1997)، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربية والمنافسات الإقليمية والدولية 1840-1914، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 453.
- 12 - عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 144
- 13 - لوريمر، ج.ج، (1995)، السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية، ج1، م2، دار غارنت للنشر، إنجلترا، طبع في لبنان، ترجمة جامعة السلطان قابوس، ص 126
- 14 - البسام، الملاحه في سلطنة مسقط، مرجع سابق، ص204. من أنواع الأسلحة الايطالية التي وصلت مسقط البندقية أرماتا رومانا.
- 15 - لوريمر، ج1، م2، مصدر سابق، ص 296
- 16 - حول التنافس البريطاني الفرنسي في مسقط يمكن العودة إلى الداود، محمود علي، (1977)، الخليج العربي والعلاقات الدولية، ج1، 1890-1914، دار المعرفة، القاهرة، ص 85-110.
- 17 - لوريمر، ج1، م2، مصدر سابق، ص 297. وانظر حول التمدد الروسي في الخليج العربي إلى ابراهيم، عبد العزيز عبد الغني، (1981)، السلام البريطاني في الخليج العربي 1899-1947، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، ص77-109.
- 18 - البسام، الملاحه في سلطنة مسقط، مرجع سابق، ص 208. كما أن البسام عرض خارطة توضح طرق نقل السفن ومنها طريق إلى الصومال، ص 207.
- 19 - ويلسون، مصدر سابق، ص 209
- 20 - ويلسون، المصدر السابق، ص208
- 21 - ويلسون، المصدر السابق، ص209
- 22 - لوريمر، ج1، م2، مصدر سابق، ص 126
- 23 - بدويل، د.ر. (1980)، الاتفاقيات الدولية مع سلطنة عمان، حصاد ندوة الدراسات العمانية، م8، مطابع سجل العرب، ص 223. وانظر لوريمر، ج1، م10، مصدر سابق، ص 105، ص 117.
- 24 - حول قضية الأعلام الفرنسية انظر جمال زكريا قاسم، مرجع سابق، ص 440-448. وانظر الداود، مرجع سابق، ص 105.
- 25 - الوسمي، خالد ناصر، (1993)، عمان بين الاستقلال والاحتلال دراسة في التاريخ العماني الحديث وعلاقاته الإقليمية والدولية، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، ط1، ص 26
- 26 - عقد مؤتمر بروكسل بناء على دعوة من بريطانيا
- 27 - Busch, B, C, (1967), Britain and the Persian Gulf 1894- 1914, U.S.A, university of California, press , p. 279
- 28 - تم تعيين كوكس قنصلا ووكيلا لبريطانيا في مسقط عام 1899 وله الفضل في تقوية النفوذ البريطاني في مسقط على حساب النفوذ الفرنسي. حول ذلك انظر جمال زكريا قاسم، مرجع سابق ص 438.
- 29 - Busch, op.cit , p 279
- 30 - حول المخاوف التي أثارها بريطانيا من التمدد الروسي في الخليج يمكن العودة إلى الداود، مرجع سابق، ص 108.
- 31 - Busch, op.cit. , p 279
- 32 - Busch, Ibid , p 280
- 33 - Busch, Ibid , p 280
- كانت بريطانيا تؤكد دائما حرصها على الانفراد في الهيمنة السياسية على الخليج العربي وهذا ما ذكره كيرزون عام 1901 في خطابه للندن من أن النفوذ البريطاني في جنوب فارس وفي الخليج العربي يجب أن يبقى طاغيا: "إننا لا نحب أن تنافسنا القوى الأخرى هناك". وكذلك قال الورد لامنجتون Lammington عضو مجلس الشيوخ البريطاني عام 1903 "إن موقفنا في الخليج العربي اكتسبناه ببذل المال الذي يصل إلى الملايين بسخاء، ولم نبذل بالأرواح، إن الإدارة في الهند ترى أن أمن الخليج العربي هو مسألة أساسية في شأن الدفاع عن الإمبراطورية الهندية". حول مواقف بريطانيا في الخليج العربي يمكن العودة إلى: ابراهيم، مرجع سابق، ص90، ص102 وغيرها.
- 34 - Busch, op.cit , p 281
- 35 - قاسم، مرجع سابق، ص 454.

³⁶ - Busch, op.cit p 282

³⁷ - يذكر كتاب Busch , ص282 أنه " كان واضحا من البداية أن فرنسا لا تريد مالا، فالفرنسيون كانوا على استعداد لتسليم مسقط لنا بالطريقة نفسها التي سلمنا لهم بها تونس ومدغشقر، ويريدون بالمقابل، المستعمرة البريطانية في غامبيا Gambia....وأن فرنسا ستبقى تضغط على مسألة غامبيا- عمان.

³⁸ - Busch, op.cit , p 284

³⁹ - Busch, Ibid , p 284،

وقبيلة بني عامر قبيلة من أصول عربية، هاجرت من الجزيرة العربية إلى شرق أفريقيا وتمكنت في القرن الحادي عشر الميلادي من إنشاء مملكة لها عرفت باسم "مملكة البني عامر" وتتألف من أربع وعشرين قبيلة". امتد نفوذها من مصوع في ارتيريا إلى حلايب، حول ذلك انظر عبد الله ادريس، إضاءات في التاريخ والاثروبولوجيا والاثنوبولوجيا، الأصول التاريخية لسكان ارتيريا- الجزء الخامس، تاريخ التصح 2014/2/19.

http://hafash.net/index.php?option=com_content&view=article&id=2249:2012-12-21&catid=29:arabic&Itemid=328

⁴⁰ - Busch, op.cit , p 284

⁴¹ - السير هولاند بقي في مسقط من نوفمبر 1908 إلى أبريل 1910، حول ذلك انظر البسام، علي بن حسين بن عبد الله، (2009)، الأوضاع السياسية والاقتصادية في سلطنة مسقط وأثرها على الملاحة والتجارة في عهد السلطان تركي بن سعيد وابنه فيصل 1873- 1914، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، ص 366

⁴² - ASMAI, Ministero dell Africa Italiana, Ufficio Storico, Africa 1.Pposizione 92/2, Numero 2, periodo 1899-1912, Macalla e Mascate 1899- 1912, (No 29, 25 Aprile 1910(

(Una Lettera da Umberto Omar al Signore Reggente in Aden)
.Mascate

⁴³ - ASMAI, op.cit,(5/1910, Una Lettera spedita dall` informatore Sig. Umberto Omar in Mascae all Regio Consolato Generale d` Italia in Aden, Oggrtto: Aumento assegni) Fto. U. Omar.

⁴⁴ - حصل الهنود بعد عام 1873 على اعتبار حكومة الهند البريطانية لهم رعاياها، وأصبحوا تحت حماية ومسؤولية القنصلية البريطانية في مسقط، وقد أسهم التجار الهنود الذين امتلكوا معظم تجارة الأسلحة والذخائر في الضغط على السلطان فيصل، حول ذلك انظر: البسام، الأوضاع السياسية.... مرجع سابق، ص 258-259.

⁴⁵ - كانت قيمة 180 روبية تعادل 300 لير ايطالي.

⁴⁶ - ASMAI, op.cit , (No 522/136. 30/7/1910. Oggetto: Umberto Omar, domanda un aumento di assegno. Una Lettera dall` Consolato d` Italia, Aden, al Ministero degli Affari Estri.

⁴⁷ - Busch, op.cit , p 284

⁴⁸ - الزدجالي، اسماعيل، تجارة عمان الخارجية في عهد السلطان فيصل بن تركي البوسعيدي 1888-1913، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة السلطان قابوس، 2006، ص 73

⁴⁹ - Busch, op.cit p 281

⁵⁰ - ASMAI,op.cit, (No 926/ 210, 7/1/1911, Oggetto: Umberto Omar, Una Lettera dall` Consolato d` Italia, Aden, al Ministero degli Affari Estri.

⁵¹ - لم تكن مراكب السنبوق وحدها التي تنقل الأسلحة بل كذلك مراكب (الداود، والبعلة) حول ذلك انظر البسام، الملاحة في سلطنة مسقط، مرجع سابق، ص.206

⁵² - ASMAI,op.cit, (No 1064, 9 marzo 1911, Telegramma in Arrivo, da Piacentini ,Aden, a Roma).

⁵³ - ASMAI,op.cit., (No 178/91. 2 maggio 1911, Oggetto: Un progettata spedizione scientifica danese nel Golfo Persico. Una Lettera dal Regia Legazione d`Italia a Copenaghen all Ministero dell Affari Esteri il Marchese di San Giuliano.

⁵⁴ -Busch, op.cit , p 284

⁵⁵ - ASMAI,op.cit.(No 2322, Gabinetto III/2 , Settembre 1911. Oggetto: Rimpatrio dell` impiegato straordinario Omar Umberto. Una Lettera dalla Somalia Italiana Ufficio di Governo, all Ministero degli Affari Coloniali.

⁵⁶ - ASMAI,op.cit , (3 dicembre1912,Una Lettera dal Direzione Generale degli Affari Coloniale al Ministero

⁵⁷ - al Ministero) ASMAI,op.cit ,(12 dicembre 1912. Una Lettera dal Direzione central degli Affari Coloniali)

⁵⁸ - ASMAI,op.cit , (25 Marzo 1912, Roma, Una Lettera dal Direzione Cenerale degli Affare Coloniali al Ministero.Roma.

⁵⁹ - ASMAI,op.cit, (18/ 6/1912, Oggetto: Umberto Omar, Una lettera dal Direzione Centrale degli Affari Coloniali al Ministero

⁶⁰ - بنادر: هي محافظة في جنوب شرق الصومال، سكانها عرب مسلمون. حول ذلك انظر: [www.http://ar.wikipedia/wiki/](http://ar.wikipedia/wiki/) تاريخ التصفح 2014/2/19.

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق:

وثائق الأرشيف التاريخي لوزارة الخارجية الإيطالية (A S M E) ويتضمن:
الأرشيف التاريخي لوزارة إفريقيا الإيطالية (ASMAI) وفيه الملف التالي:

Ministero dell Africa Italiana, Ufficio Storico, Africa 1

Posizione 92/2, Numero 2, periodo 1899-1912, Macalla e Mascate 1899- 1912:

- 1- ASMAI , No 29, 25 Aprile 1910(Una Lettera da Umberto Omar al Signore Reggente in Aden), Mascate
- 2- ASMAI , 5/1910, (Una Lettera spedita dall` informatore Sig. Umberto Omar in Mascae all Regio Consolato Generale d` Italia in Aden, Oggrtto: Aumento assegni) Fto. U. Omar
- 3- ASMAI , No 522/136. 30/7/1910. Oggetto: Umberto Omar, domanda un aumento di assegno. (Una Lettera dal` Consolato d` Italia, Aden, al Ministero degli Affari Estri).
- 4- ASMAI , No 926/ 210, 7/1/1911, Oggetto: Umberto Omar,(Una Lettera dall` Consolato d` Italia, Aden, al Ministero degli Affari Estri).
- 5- ASMAI , No 1064, 9 marzo 1911, Telegramma in Arrivo, da Piacentini ,Aden, a Roma
- 6- ASMAI , No 178/91. 2 maggio 1911, Oggetto: Un progettata spedizione scientifica danese nel Golfo Persico. Una (Lettera dal Regia Legazione d`Italia a Copenaghen all Ministero dell Affari Esteri il Marchese di San Giuliano)
- 7- ASMAI , No 2322, Gabinetto III/2 , 12 Settembre 1911. Oggetto: Rimpatrio dell` impiegato straordinario Omar Umberto. (Una Lettera dalla Somalia Italiana Ufficio di Governo, all Ministero degli Affari Coloniali)
- 8- ASMAI , 13 dicembre1912,(Una Lettera dal Direzione Generale degli Affari Coloniale al Ministero)
- 9- ASMAI , 12/2/1912, ,(Una Lettera dal Direzione Generale degli Affari Coloniale al Ministero).
- 10- ASMAI , 25 Marzo 1912, Roma, (Una Lettera dal Direzione Cenerale degli Affare Coloniali al Ministero.Roma.

11- ASMAI 18/ 6/1912, Oggetto: Umberto Omar, (Una lettera dal Direzione Centrale degli Affari Coloniali al Ministero)

ثانيا- المصادر والمراجع العربية والمعرّبة:

- ابراهيم، عبد العزيز عبد الغني، (1981)، السلام البريطاني في الخليج العربي 1899-1947، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1.
- بدويل، د.ر. (1980)، الاتفاقيات الدولية مع سلطنة عمان، حصاد ندوة الدراسات العمانية، ص 223.
- البسام، علي بن حسين بن عبد الله، (2009)، الأوضاع السياسية والاقتصادية في سلطنة مسقط وأثرها على الملاحة والتجارة في عهد السلطان تركي بن سعيد وابنه فيصل 1873-1914، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1.
- البسام، علي بن حسين بن عبد الله، (1997)، الملاحة في سلطنة مسقط وتجارها الخارجية 1872-1914، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.
- الجمل، شوقي، تاريخ كشف افريقيا واستعمارها، مكتبة الانجلو المصرية، ط2، 1980.
- حميدي، جعفر عباس، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، دار الفكر، عمان، ط1، 2002.
- الداود، محمود علي، (1977)، الخليج العربي والعلاقات الدولية، ج1، 1890-1914، دار المعرفة، القاهرة.
- ذهني، الهام، (2009)، بحوث ودراسات في تاريخ افريقيا الحديث، مكتبة الانكلو المصرية، القاهرة.
- الزدجالي، اسماعيل، (2006)، تجارة عمان الخارجية في عهد السلطان فيصل بن تركي اليوسعيدي 1888-1913، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف أ.د إبراهيم صغيرون، جامعة السلطان قابوس.
- سليم، محمد السيد، (2002)، تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار الفجر، القاهرة، ط1.
- عبد الوهاب، عبد الرحمن، (1997)، الخليج العربي والمحرمات البريطانية الثلاث 1778-1914، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، ط1.
- قاسم، جمال زكريا، (1997)، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربية والمنافسات الإقليمية والدولية 1840-1914، دار الفكر العربي، القاهرة.
- لوريمر، ج.ج.، (1995)، السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية، ج1، م2، ج1، م10، دار غارنت للنشر، انجلترا، طبع في لبنان، ت جامعة السلطان قابوس.
- الوسمي، خالد ناصر، (1993)، عمان بين الاستقلال والاحتلال دراسة في التاريخ العماني الحديث وعلاقاته الإقليمية والدولية، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، ط1.
- ويلسون، ت، أرنولد، (2001)، تاريخ الخليج، ترجمة محمد أمين عبد الله، دار الحكمة، لندن، ط1.

المراجع الأجنبية:

- Busch, B, C,(1967), Britain and the Persian Gulf 1894- 1914, U,S,A, university of California, press

- مواقع الانترنت:

http://hafash.net/index.php?option=com_content&view=article&id=2249:2012-12-2014/2/19 تاريخ التصفح 21&catid=29:arabic&Itemid=328
- www.http/ar.wikipedia/wiki / تاريخ التصفح 2014/2/19.

ملاحق

- الملحق الأول: رسالة من القنصلية الملكية الإيطالية في عدن إلى سعادة وزير الخارجية في روما، موضوعها أومبرتو عمر
- الملحق الثاني: رسالة من المكتب الحكومي للصومال الإيطالية مرسله إلى وزير الخارجية الإيطالية موضوعها: عودة الموظف غير الاعتيادي أومبرتو عمر
- الملحق الثالث: رسالة من نائب القنصل الإيطالي في عدن بياجنتيني مرسله إلى وزير الخارجية الإيطالية موضوعها أومبرتو عمر

مصدر الملاحق كلها: الأرشيف التاريخي لوزارة الخارجية الإيطالية (ASME)
الملف:

Ministero dell Africa Italiana, Ufficio Storico, Africa 1
Posizione 92/2, Numero 2, periodo 1899-1912, Macalla e Mascate 1899- 1912

R. Consolato Generale d' Italia

11 Dicembre 1911

249

ADEN.

MINISTERO DEGLI AFFARI ESTERI
001285-7- GEN. 1911

4

No. di prot 926 / 210

Signor Ministro,

Risposta al foglio No. 11/1

addi

Oggetto

UMBERTO OMAR.-

Allegati

A Sua Eccellenza

il MINISTRO DEGLI AFFARI
ESTERI

ROMA

Ho preso nota di quanto L'E. V. ha voluto significarmi col dispaccio 12 Agosto u.s. N. 102 circa lo stipendio del nostro informatore a Mascate Umberto Omar.-

Da due anni circa che L'Omar fu mandato a Mascate egli ha potuto fornire, nei suoi rapporti, copiose ed ampie notizie sul traffico delle armi e delle munizioni che si pratica nel golfo Persico.-

Poiche' il compito di questo informatore doveva limitarsi a studiare e riferire tutto cio' che ci poteva interessare di conoscere in materia di commercio di armi e munizioni, e sorvegliare, nello stesso tempo, il traffico illecito che potessero intraprendere i sambuchi battenti bandiera italiana, questo compito mi sembra sia stato raggiunto e di conseguenza terminata la missione affidata all'Umberto Omar a Mascate, tanto piu' che dai dati assunti sul posto, il traffico dei velieri che

35 Omar

battano la nostra bandiera si riduce ad ^{essere} ~~un numero~~ assai esiguo e non ha dato luogo a nessuna misura di repressione per parte delle autorità ' Co-loniali .-

Per ragione di opportunità e di bilancio , poichè la missione di detto informatore importa una spesa (tutto compreso) di circa £ 650 mensili , mi permetto di proporre all' E. V. di togliere l'Omar Umberto da Mascate e destinarlo in un posto della Somalia Italiana dove, con minore spesa , egli potrà continuare a prestare utile servizio.-

A tal riguardo avendo io conferito con Sua Eccellenza il Governatore della Somalia Italiana ne ebbi affidamento che all'Omar si potrà dare un posto presso l'Ufficio di Governo (Direz. Finanza) con un assegno di £ 250 mensili.

In attesa di un favorevole riscontro a questa mia proposta , e prima di tenerne parola all'interessato, prego l'E. V. di gradire i sensi del mio profondo ossequio.-

I L R E G G E N T E

PPiacentini



SOMALIA ITALIANA

UFFICIO DI GOVERNO

Bot. N. ^{generale 2322}
speciale Gabinetto
di posizione III/2

Risposta alla lettera

OGGETTO

Rimpatrio dell'impiegato
straordinario Omar Umberto -

Allegati

R. MINISTERO degli AFFARI ESTERI
Direzione Centrale degli Affari
Coloniali

R O M A

M. CALISE - ROMA

Mogadiscio, 12 Settembre 1911

MINISTERO DEGLI AFFARI ESTERI
072760 - 6 - OTT. 1911

L'impiegato straordinario Omar Umberto, appena giunse in Colonia nel Giugno u. s., fece delle rimostranze sull'ammontare dell'assegno stabilitogli in L. 250 mensili, come in generale è stato sempre fissato per un primo periodo, a tutti gl'impiegati assunti per contratto.

Non avendo il detto impiegato dimostrato alcuna attitudine nè desiderio di attendere al lavoro, non solo non ho creduto di dargli alcuna promessa di aumento di stipendio ma ho aderito senz'altro alla sua domanda di tornare in Italia e di lasciare definitivamente ogni servizio presso questa Colonia.

Partirà col piroscafo "Po" del 14 corr.- E' stato soddisfatto dell'assegno di L. 250 a tutto il corrente mese di Settembre: è stato provveduto di un biglietto di passaggio di 2^a Classe sul detto piroscafo; gli è stato anticipato il prezzo del biglietto ferroviario di 2^a Classe Napoli-Roma in

الرائد فراج¹ بين محمد جغابة ومحمد لمقامي

أ.د عبد القادر خليفي
جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

هناك الكثير من الوطنيين المنسيين في تاريخنا البعيد والقريب، أهملتهم الجهات الرسمية فلم تحي ذكراهم، ولم تخلدهم بإطلاق أسمائهم على بعض المؤسسات العامة، كما هو سار في العُرف الرسمي. كما أهملهم الكتاب والمؤرخون لسبب أو لآخر، ولهذا يبقى التقصير في الأمر عيباً، ويبقى الخطأ خطأ².

يعتبر الرائد فراج من بين الوطنيين المنسيين، الذين تم إهمالهم؛ فقد ارتبط تاريخ فراج بالعقيد لطفي قائد الولاية التاريخية الخامسة، منذ أن أصبح نائباً له بمقر الولاية الكائن على الحدود الجزائرية المغربية، ثم شهيدا صريحا إلى جانبه يوم 27 مارس 1960 بجبل بشار. ولكن العقيد لطفي خطف كل الأنظار، وجلب إليه الاهتمام، وبقي فراج قابعا في الظل ينتظر من ينفذ عنه غبار السنين.

من أجل ذلك كنت قد كتبت مقالا عن الرائد فراج، تم نشره في أحد أعداد مجلة "المصادر"، التي يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 التابع لوزارة المجاهدين.

وبعد مرور سنين رأيت، من خلال مطالعاتي لمذكرات بعض الإطارات من المجاهدين، أن أتطرق إلى بعض الجوانب من حياة هذا البطل الشعبي، الذي خرج من الأوساط الشعبية الفقيرة التي كانت تئن تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، والتي لم تلق سوى القهر والظلم.

ظهر لُوّاج محمد بن أحمد المدعو "فراج"، ليثبت للجميع أن الجزائري قادر على أن يكون في مستوى الأحداث إذا ما سُنحت له الفرصة، وفتحت له أبواب البروز. وكانت الشجاعة هي الصفة التي برزت في سي المبروك، الذي سيعرف بعد سنوات بالرائد "فراج". كان بطلا في الميدان في مواجهة القوات الفرنسية في جبال وسهول تلمسان وسيدي بلعباس، وطلا في ميدان التوجيه والتسيير عندما أصبح مسئولاً عسكرياً في الولاية الخامسة إلى جانب العقيد لطفي³.

لم يكن فراج من المجاهدين الذين أغوتهم مباحج الحياة، ليبقى بعيدا عن التراب الوطني أو عن الحدود الوطنية، بقدر ما أغوته شهوة الجهاد وأمنية الاستشهاد. من

المجاهدين رجال صدّقوا ما عاهدوا الله عليه؛ لم يفكروا في لذائذ الدنيا ومباهجها. قاوموا المستعمر بقلوب صامدة ومعنويات مرتفعة، وقدموا أرواحهم فداء للوطن. ناصرهم الشعب الجزائري وشد أزرهم طيلة سبع سنوات ونصف من الجهاد. قدسهم ووضعهم في مرتبة لا يدانيها أحد. لم يكن يرى فيهم سوى أطيافا من الملائكة يمشون على الأرض، ملائكة أبرارا في أعلى عليين.

يعتبر الرائد "فراج" من أولئك المجاهدين الذين لقوا الله وسلاحهم بأيديهم،⁴ لقد بذل أولئك المجاهدون أرواحهم فداء لتحرير الوطن، لكنهم لم يحضروا أعياد الانتصار، بعد أن كُلت تضحياتهم وجهود الشعب الجزائري كله بالحريّة والاستقلال. إنه لُوَاج محمد بن أحمد، المعروف بـ "الرائد فَرَّاج"، هو نموذج لهذه الشريحة. وسنتتبع بعض مواقفه وسلوكياته من خلال آراء زملائه الذين عايشوه في ميادين العمل الثوري: في جبال الجزائر وسهولها، وفي مراكز الإعداد والتحصير، وبخاصة عندما أصبح مسئولاً في الولاية الخامسة.⁵

فَرَّاجُ فِي نَظَرِ مُحَمَّدِ جَغَابَةِ:

1- من هو محمد جغابة؟

قبل التعرض لموقف محمد جغابة من الرائد فراج، يجدر بنا التعريف بجغابة. فمن هو محمد جغابة؟ ولد محمد جغابة في 5 نوفمبر 1935 بالقنطرة ببيسكرة، التحق بصوف الثورة التحريرية سنة 1955. عمل بالجبهة الشرقية من الجزائر، ثم انتقل إلى الجبهة الغربية، وهناك عمل كضابط بالمنطقة الثامنة التابعة للولاية الخامسة التاريخية بالجنوب الغربي الجزائري؛ المتسع بنجوده وجباله، وصحرائه الواسعة المترامية حتى حدود مالي وموريتانيا جنوبا. قام بعدة عمليات عسكرية وبخاصة منها اجتياز الأسلاك الشائكة المكهربة، انطلاقا من القواعد الخلفية بالأراضي المغربية إلى داخل التراب الوطني، تلك الحدود التي أقام عليها الاستعمار الفرنسي مجموعة معقدة من الأسلاك الشائكة المكهربة.

وفي هذا الإطار قام في أوائل سنة 1959 بمحاولة لاجتياز هذه الأسلاك، واستطاع اجتيازها، وهو يقود كتيبة من جيش التحرير الوطني، لكنه لم يتمكن من مواصلة سيره نحو داخل التراب الوطني، بعد أن لاحقته القوات الفرنسية من جيش بري وجوي ومدفعية، وبعد الاشتباك مع العدو، تمكنت القوات الفرنسية من قتل البعض من المجاهدين وأسر آخرين، كان محمد جغابة من بين هؤلاء الأسرى، واستطاع آخرون النجاة ومواصلة مسيرتهم المسطرة.

وبعد مدة من الزمن، استطاع محمد جغابة الفرار من أسر الفرنسيين وعاد إلى منطقتهم، وبعد حين من الإقامة بين زملائه، تم نقله من المنطقة الثامنة من الولاية الخامسة إلى الحدود الشرقية التي بقي بها حتى الاستقلال.

لقد استطاع محمد جغابة التأقلم مع إطارات المنطقة الثامنة بكل سهولة ويسر، وعقد صداقات مع بعض الضباط، كما تمكن من معرفة الكثير من المواقع الطبيعية بعد أن سار فيها مجاهدا يقود جنودا من جيش التحرير الوطني بمساعدة أدلاء من أبناء المنطقة. ومن بين الإطارات التي كانت له علاقة وطيدة بها نجد الرائد فراج نائب قائد الولاية الخامسة. فماذا يقول عن فراج؟ وما نوع العلاقة التي كانت تربط بين الرجلين؟

2-تواضع فراج وانضباطه:

عندما فر محمد جغابة من أسر الفرنسيين، كما ذكرنا سابقا، التحق بالمنطقة الثامنة التي كان يتبعها قبل إلقاء القبض عليه. وفي طريقه إلى المنطقة، تذكر أن كل من يفر من الأسر، أو يلتحق بجيش التحرير الوطني قادمًا من الأراضي الجزائرية التي يسيطر عليها الجيش الفرنسي، كان لا بد أن يتعرض للمساءلة، كما يعامل بكثير من الحذر والحيطة من قبل جنود جيش التحرير الوطني. وهذا تفاديا لكل طارئ، وتحاشيا لما يمكن أن يقع فيما لو كان هذا الرجل جاسوسا يعمل لصالح الجيش الفرنسي، أو أنه تأثر بالضغوط الفرنسية بعد تعرضه لمحاولات غسل المخ، وتوجيهه وفق ما يريد الفرنسيون. فكان لا بد من مرور محمد جغابة، هو أيضا، بمثل هذه المساءلة، أمام قادة جيش التحرير الوطني وهم زملاؤه في الكفاح.

وأمام هذا الواقع الجديد، بقي محمد جغابة رابط الجأش، يسائر الوضع أمام زملائه مادام الأمر لم يتجاوز الأمور العادية، ولكن ما أقض مضجعه هو قرار نقله وتعيينه في الجبهة الشرقية للجزائر. لقد جال بفكره الكثير من القلق والحيرة أمام هذا التعيين، فهل هي عقوبة، وهل هي نزع الثقة منه بهذه السهولة؟ لم يستطع طرح تساؤلاته وحيرته تلك سوى على بعض الضباط القلائل، الذين كانت تربطه وإياهم علاقات خاصة، كان من بينهم الرائد فراج. وفي هذا يقول: "...مع الرائد فراج وبعض الضباط كنت أسمح لنفسي بطرح بعض الأسئلة غير المباشرة قصد الحصول على إشارة أو تلميح أو مؤشر أو حتى همسة في قضية تعييني الجديد الذي أصبح سرا مباحا يعرفه من لا يعرف البعض وراح يقيم الدنيا ويقعدها.."⁶

ولم يهدأ لجغابة بال من تلك التساؤلات المستمرة، وهو في طريقه إلى مركز قيادة الولاية. ويقول في هذا المجال: "من حسن الحظ، فور وصولي، التقيت العقيد لظفي بمعية الرائد فراج." ويضيف أن "مجرد لقائهما بعث في الارتياح والارتخاء، فهدأت أعصابي وبدأت أسترجع مرجعيتي."

فها هي النتيجة التي توصل إليها جغابة، إنها الثقة التي بقيت بينه وبين الرجلين: لظفي وفراج. الذين عاش معهما وخبر سريرتهما، كما خبرا هما أيضا سريرته، أياما وشهورا قبل أن يلقي عليه القبض. ثم كيف يمكن أن تتحمل أعصاب الرجل وهو في

مواجهة أمرين: اعتقاله وما قاساه في المعتقل الفرنسي من جهة، وشكوك زملائه منه من جهة ثانية. فيا لها من مفارقة عجيبة!⁷

3- قضية اجتياز لطفي وفراج الحدود في اتجاه الداخل:

كان العقيد لطفي قائد الولاية الخامسة التاريخية قد قرر مغادرة الأراضي المغربية التي كانت مقرا للولاية الخامسة، والاستقرار داخل التراب الوطني بكل أجهزة ولايته، وكان هو السباق في الدخول قبل الفيالق التي ستلتحق به بعد ذلك؛ وبرفته نائبه الرائد فراج ومرافقيهما من الحراس والأدلاء. ولكن القوات الفرنسية كانت لهم بالمرصاد، فقد تفتنت لدخولهم، وواجهتهم بقوات ضخمة، وتمكنت من قتلهم باستثناء أحد الجنود (بن موسى)، وذلك يوم 27 من شهر مارس سنة 1960 بجبل بشار.

يذكر جغابة في هذا المجال أنه كان قد ناقش قضية اجتياز العقيد لطفي ونائبه فراج للأسلاك الشائكة، مع بعض الضباط بعد أن أبدى العقيد نيته في قطع واجتياز الحواجز الحدودية والاتحاق بالداخل. ويذكر أن النقاش كان حرا وصريحا ونزيها، وبخاصة "مع الرائد فراج، وكان لطفي يحضر ويشارك فيه بصفة متقطعة كونه كان منهمكا في تحضيرات العملية."⁸

وعندما كان محمد جغابة يناقش مسألة اجتياز الحدود، لاحظ أن بعض المجاهدين يرفضون الفكرة، كما لاحظ أن البعض الآخر يوافق على الفكرة بل ويستعجلها. ويضيف أن "لطفي كان واعيا تماما بهذه الوضعية، عندما قرر هو والرائد فراج اجتياز الحواجز، فكانا يهدفان الوصول إلى هدفين:

1- "وضع القناصين أمام مسئولياتهم."⁹

2- إعطاء الفرصة للفئة الثانية، فئة المخلصين النزهاء لتحقيق رغباتهم في التحرك وخوض المعركة.

وبهذا فإنهما أرادا إعطاء المثل في الالتزام والتضحية.

ويوضح جغابة الغاية من قرار دخول العقيد لطفي والرائد فراج إلى التراب الوطني بأنها من أجل إقامة المركز القيادي الولائي داخل التراب الوطني بصفة نهائية ودائمة، لأن الولاية الخامسة هي الوحيدة التي وجد كل قادتها خارج التراب الوطني.¹⁰ ويضيف أن العقيد لطفي أعطى أوامر صارمة في هذا المجال، منها أنه عندما خاطب الجنود وصف الضباط في لقاء له معهم، قال لهم: "لا تعترفوا إلا بالضباط الذين يلتحقون بداخل التراب الوطني حتى لو تعلق الأمر بسي فراج - وكان هذا الأخير حاضرا - وما من صلاحية للرتب إلا داخل الوطن..." ويتأسف جغابة في أن هذا القرار لم يطبق رغم إلحاح لطفي على ذلك. ويعود السبب الرئيس في ذلك إلا أن لطفي استشهد بعد ذلك الاجتماع بقليل، فلم يسهر على تطبيقه من بقي بعده.

4- الاستشهاد:

يناقش محمد جغابة مسألة اختيار لطفي وفراج للصحراء كطريق لاجتياز الحدود دون غيرها من الطرق الأخرى السهلة، ولم يجد لذلك إجابة شافية، والأمر نفسه طرحه أحمد بن سعدون أحد ضباط الولاية الخامسة الذي اجتاز الأسلاك الشائكة نحو الداخل سنة 1959.¹¹

ويتحدث جغابة عما تركه استشهاد لطفي وفراج في الولاية من حزن واكتئاب. "فكانت الفاجعة الكبرى وكان ذلك اليوم مشؤوماً بالنسبة لكل الولاية الخامسة يوم حزن واكتئاب يوم لا يمكن نسيانه أو تناسيه.."¹²

وعندما يذكر استشهاد لطفي، يذكر معه رفيقه ونائبه فراج، صاحب المكانة السامية، ويقول: "يستشهد إلى جانب وبمعية رجل كبير هو الآخر، الرائد فراج، نائبه وأقرب المقربين إليه كفاحا، يذكرني في قصائد عنتر والمتنبي." (ص: 309) ويضيف: "يبقى استشهاد لطفي وفراج غامضا ولغزا محيرا إلى حد ما." (310). وبهذا يتشابه رأي الرجلين (جغابة وبن سعدون) في مسألة اجتياز الحدود في المنطقة الصحراوية، وبخاصة وأن ذلك لم يخف على الفرنسيين الذين اعترضت قواتهم العقيد ورفاقه الأربعة، وكانت المأساة والنهية لرجلين من أعظم رجال الثورة التحريرية.

ثانيا: مع محمد لمقامي:

محمد لمقامي رجل عسكري من مواليد سنة 1932 بقرية الخميس بولاية تلمسان. عمل معلما للغة الفرنسية في مسقط رأسه خلال 1954-1955 لينضم بعد ذلك إلى صفوف جبهة التحرير الوطني في بني سنوس، وفي السنة نفسها التحق بالمنطقة الأولى من الولاية الخامسة التاريخية، وبين 1959 و1962 انضم إلى وزارة التسليح والاتصالات العامة. وبعد الاستقلال تولى مناصب سامية عديدة في الدولة. يتعرض هو بدوره للحديث عن الرائد فراج، وذلك فيما يلي:

1-أقدمية فراج:

يذكر محمد لمقامي أن الطاهر الهديلي (فراج)¹³ كان من بين الذين حضروا لاندلاع الثورة في منطقة تلمسان، إلى جانب سي جابر والعربي بن مهدي وعبد الحفيظ بوصوف والحاج بن علا ومصطفى فرطاس وعبد القادر الزهراوي (سي ادريس) وسي أحمد البوزيدي وابن عمه المختار وامحمد قرموش وعدد آخر من رجال الميدان..¹⁴

وقد ذكر لنا أحد زملاء فراج وابن بلدته هديلي قنور¹⁵ أن أول من أدخل الحركة الوطنية إلى قرية عين غرابية هو لواج أحمد بن محمد -ابن عم فراج وزوج أخته خديجة- وقد كلف رجال الثورة هذا القائد بالاتصال بفراج لإقناعه بالانضمام للثورة، وقد انضم فراج فعلا للثورة وأصبح من قادتها، بل إنه أصبح يتحكم فيمن كان السبب

في انضمامه إلى الثورة وهو ابن عمه لؤج أحمد المذكور، والذي ترقى في رتبته العسكرية نتيجة شجاعته وخطته الموقفة تجاه القوات الفرنسية، إلى أن أصبح رائداً عضواً في قيادة الولاية الخامسة.

2-فراج وعبد الغني:

في شهر جانفي من سنة 1960 تلقى محمد لمقامي -بعد عودته من الدار البيضاء حيث تم عقد زواجه هناك- تلقى الأمر من هواري بومدين قائد أركان جيش التحرير الوطني، الموجود آنذاك في مدينة وجدة، بالتوجه إلى المنطقة الثامنة والبحث في القضية التي أدت إلى نشوب أزمة وخلاف بين عبد الغني(الضابط الثاني) قائد المنطقة، وفراج الصاغ الأول، عضو القيادة العامة للولاية الخامسة ونائب قائد الولاية العقيد لطفي، مكلف بالشؤون العسكرية، ليحقق في القضية التي اندلعت بين الضابطين بعد هزيمة معركة مزي، وقد رافقه عبد الرزاق الراشدي بومدين في هذه المهمة. وقام محمد لمقامي بهذه المهمة بصفته مسئول قسم الشؤون العسكرية التابعة لوزارة التسليح والاتصالات العامة.¹⁶

وعند وصوله إلى المنطقة الثامنة، يذكر محمد لمقامي، أن فراج فرح بلقائه فرحا كبيرا، وتجادبا أطراف الحديث مدة طويلة دون أن يتجرأ محمد لمقامي على الخوض في الحديث عن حالة عبد الغني، الذي لاحظ أنه لم يكن مسجوناً، كما كان يعتقد قبل وصوله إلى المنطقة الثامنة.

ويذكر محمد لمقامي أنه كان يعرف قبل اليوم، الطاهر الهديلي(فراج) وهو صغير السن بـ "الجامع"¹⁷، وأن فراج أو الطاهر الهديلي أصله من بلدة عين غرابية، وهي قرية صغيرة موجودة في الجهة الأخرى من الجبل الذي يجعل حداً لنجد "تل تيرني" على بعد ما يقرب من عشرين (20) كم من بلدة سبدو.¹⁸

كما يذكر أن فراج سلمه مفتاح إحدى الغرف قائلاً له: هناك أصدقاء لك، يمكنك أن تزورهم إن أردت ذلك. فأخذ محمد لمقامي المفتاح، وهناك وجد أربعة ضباط من جيش التحرير الوطني في حالة سجن. وعندما دخل ظنوه مسجون مثلهم، وعندما سألهم عن أسباب وجودهم تحاشوا البوح بالحقيقة. وقد وضّح له فراج الأمر، فيما بعد، بأن هؤلاء الضباط رفضوا الالتحاق بالمناطق الخاصة بهم، وهم بذلك يعطون المثل السيئ للجنود..¹⁹

وبهذا فإن تصرف فراج هو عين الحق والعدل، في معاقبته لهؤلاء الضباط. إذ كيف تتقدم الثورة بمثل هؤلاء المرئيين أو المترددين عن الكفاح. لقد كان فراج رجل ميدان عندما كان داخل التراب الوطني، يواجه القوات الفرنسية وجهاً لوجه في مختلف المعارك التي خاضها ضدهم، وبمثل تلك المواقف استطاعت الجزائر أن تفتك حريتها واستقلالها، أما عندما أصبح عضواً في القيادة العليا للولاية الخامسة وعضواً

في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، فقد بذل جهودا كبيرة، بصفته الجديدة كمسئول عسكري لتحقيق النصر بالوسائل المناسبة.²⁰

وقد حاول لمقامي التأثير على فراج لإطلاق سراح أولئك الضباط، ويقول: "التحقت بفراج لمحاولة إدراك الحالة؛ فالحالة خطيرة ولا أهتدي لما أفعل. فقضيت ثلاثة أيام أو أربعة أيام لإقناعه بأن يطلق سراحهم. وفي نهاية الأمر شرح لي أنهم يرفضون الالتحاق بالمناطق الخاصة بهم. ما يفتنون يعطون المثال السيئ للجنود الذين ليست معنوياتهم على أحسن حال. فرغب عن رؤيتهم في القواعد الخلفية وكلفني بأن أقول لهم أن يذهبوا إلى وجدة وألا يعودوا أبدا إلى الحدود."²¹

وعندما عاد لمقامي إلى وجدة التقى ببومدين، فسأله عما فعل في قضية عبد الغني فاكتفى بأن اقترح عليه عدم إبقائه على رأس المنطقة الثامنة. وكان ذلك سبب نقله إلى الحدود الشرقية في بداية صائفة 1960. "وفي الواقع فإن عبد الغني نفسه هو الذي طلب مني أن أبلغ الرسالة إلى السي مبروك والسي بومدين."²²

نلاحظ هنا وجود خلط في المعلومات. وبخاصة ذكر معركة مزي لشهر ماي 1960 التي انهزم فيها الفيلق الجزائري الثاني الذي كان تحت قيادة حميدي بولنوار الذي يعمل تحت سلطة محمد بن أحمد عبد الغني قائد المنطقة، والتي نقل على إثرها نحو الجبهة الشرقية من الجزائر في صائفة سنة 1960. ففراج كان قد استشهد رفقة قائده العقيد لطفي في 27 مارس من السنة نفسها، أي قبل وقوع المعركة المذكورة، حيث تبعتهم الفيالق الثلاثة في الشهر الموالي تحت قيادة عبد الغني، والتي خاض أحدها (الفيلق الثاني) المعركة دون الفيالق الآخرين. وقد تم نقل عبد الغني مباشرة نحو الحدود التونسية، بعد العودة من المعركة، فكيف يتم الحديث عن فراج بعد معركة مزي وهو قد استشهد قبلها بأكثر من شهر!

لا شك أن لمقامي جاء إلى المنطقة الثامنة، بأمر من بومدين قائد أركان جيش التحرير الوطني، لحل قضية الضباط الذين سجنهم فراج، كما ذكر لمقامي، وقد أخط لمقامي بين الحادثتين اللتين وقعتا في زمنين مختلفين.

وعن رأي فراج في بعض سلوكيات عبد الغني، يذكر لمقامي أن عبد الغني كان كثير الاهتمام بهندامه مما كان يحزن فراج، "وهو الرجل المحافظ المنزوي على نفسه، والمتشدد، ولكنه الرجل الشجاع الباسل. وكان ينعته بالجندي المعطر."²³ من هذا الرأي نستنتج أن فراج كان متشددا في تطبيق ما يراه طبيعيا ومنتاسبا مع العادات والتقاليد، فهو يرفض الأساليب المتحضرة التي لا تتناسب وظروف الكفاح المسلح، التي تتطلب الخشونة، اعتمادا على الحديث النبوي: "اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم." ففراج هو الرجل الريفي من أبناء قبيلة بني هديل الساكنة بقرية عين غرابة، في تلك القرية تعلم فراج، حين كان طفلا ثم شابا، السير في الحقول البسيطة وبين الجبال

العالية والأحراش الخشنة، بين أبناء بلدته، بعيدا عن رفاهية المدن ووفرة متطلبات الإنسان، مما خلق منه رجلا صلبا، شديد المراس، صاحب الملمات، وهو الأمر الذي جعله يترقى في الرتب العسكرية سريعا، في الوقت الذي بقي من جندوه في رتب أقل منه.

لقد علمته تلك الحياة الخشنة الشجاعة والبرسالة والاعتماد على النفس، ومواجهة الصعاب بقلب متفتح، وكونت فيه جسما صلبا وعزيمة قوية. ولذلك ينعته لمقامي بالشجاعة والبرسالة. وقد أثبت ذلك في كل المعارك التي خاضها في المنطقة الخامسة، قبل أن ينتقل إلى مقر الولاية الخامسة بوجدة حين ترقى إلى رتبة رائد في جيش التحرير الوطني.²⁴ ويذكر لمقامي أنه كان قد التقى بفراج مرة أخرى حديثا. عند عبوره الحدود، رفقة كاتبه، وهو يتوجه إلى اجتماع الضباط.

لكن من هو عبد الغني؟ - ولد بالجزوات في 18 مارس سنة 1927، وهو مناضل قديم في صفوف حزب الشعب الجزائري منذ الأربعينيات، شارك في حوادث 8 ماي 1945 وتم توقيفه. تابع دراسته الجامعية بفرنسا حتى سنة 1956 تاريخ إضراب الطلبة عن الدروس، انقطع عن الدراسة والتحق بالقااهرة سنة 1956، حيث يكون قد تابع تكويننا في أكاديمية عسكرية، ولم يتخرج من صفوف الجيش الفرنسي. وعاد في أكتوبر أو نوفمبر 1956 والتحق بالكتائب التي قادها لطفى. لعب دورا هاما في مواجهة الحركة الوطنية الجزائرية (MNA) بقيادة بلونيس في جهات آفلو، ثم عُين على رأس المنطقة الثامنة خلفا لسي عمار (عقبى عبد الغني) الذي خلف هو الآخر سي سليمان (قايد أحمد) الذي ترقى إلى رتبة صاغ ثاني وعين عضوا في القيادة العامة للولاية الخامسة. تولى عدة مسؤوليات عسكرية ومدنية في الجزائر المستقلة، إلى أن توفي في 22 سبتمبر 1996.²⁵

يقول عنه محمد جغابة أنه عين "في الحدود الشرقية (بالتراب التونسي) على مستوى أركان القيادة العامة؛ ككائب لقائدها عبد الرحمن بن سالم الذي توفي بعد الاستقلال. تعيين جاء بعد الفشل الذريع الذي حصل معه في جبل مزي، فشل كلفه الكثير لأنه يعود إلى سوء التقدير والتخطيط. علمت من مصادر أخرى وبعد وقت، أن عبد الغني كان اجتاز، بل يعيش فعلا أصعب فترات حياته كمقاوم من جراء الإخفاق والفشل في تسيير المعارك."²⁶ ويضيف جغابة أنه تم تحويل عبد الغني من باب المعاقبة، ولكنه لم يتعرض إلى المحاكمة وتم طي الملف وفق رغبة السلطة الوصية.

ويذكر لمقامي أن بومدين كلفه بالتحقيق في الأمر، وبعد انتهاء مهمته في المنطقة الثامنة اقترح على بومدين نقل عبد الغني بعيدا عن المنطقة الثامنة. ويضيف إن نقل عبد الغني إلى الحدود الشرقية تم حوالي بداية صائفة 1960.²⁷

3- بعض أوصاف فراج وبعض نشاطاته:

يتحدث لمقامي عن بعض أوصاف فراج ويقول: "مظهره الجسمي رياضي حقيقي، قامته تفوق قامتي بقليل، أهيف رشيق، ووجهه الذي يزينه شارب رقيق أسود. كان شاحبا بنجدين مقعرين ونظرة شذرة ثاقبة حادة لامعة. كان صاحب عزم وحزم، جبَل على الإخلاص، شيمته الإباء في تواضع، ولا يحسن التعبير إلا بالعربية".²⁸

نستشف من هذه الملاحظات صفات فراج الرجل الصلب الفطن، بنظراته الثاقبة والحادة، ووصفه بالجاد والمخلص والأبي المتواضع، هي صفات نادرة لكنها من صفات فراج، التي يشهد له بها كل من عرفه في الثورة من زملائه المجاهدين في الداخل عندما كان جنديا بسيطا فقايدَ قسم ثم قائد منطقة، أو من رفاقه التلاميذ، قبل ذلك، في المدرسة القرآنية ومدرسة جمعية العلماء بعد ذلك.²⁹

أما عدم إتقانه غير اللغة العربية، فيعود إلى دراسته الأولية التي تمت في المدرسة القرآنية بعين غرابية أولا ثم في مدرستي جمعية العلماء في كل من بلدتي الحنايا وعين غرابية من ولاية تلمسان بعد ذلك. ولم يدخل المدرسة الرسمية الفرنسية بتاتا، ويعود ذلك إلى خوف العائلات الجزائرية من الإدارة الاستعمارية الفرنسية ومن معلمها، الذين قد يؤثرون على أبناء الجزائر في هويتهم ومعتقداتهم.

يذكر محمد لمقامي أن الطاهر (فراج) مسئول المنطقة الخامسة لسيدى بلعباس مر مع كاتبه الحسين (مدغري) بمركز القيادة! في طريقه إلى عقد اجتماع بمركز قيادة الولاية الخامسة في أكتوبر 1957. يضم كل الضباط ورؤساء المناطق (عبد الخالق المدعو وهبي مسئول المنطقة السادسة لسعيدة، ثم ناصر مسئول المنطقة السابعة لتيارت، وعثمان مسئول المنطقة الرابعة لمستغانم). باستثناء المنطقتين الثانية والثامنة.³¹

4- فراج وقضية الزبير:

يوضح أحمد بن سعدون قضية الزبير فيما يلي: استهلكت سنة 1960 بعدة صعوبات من الجهة الأخرى للولاية (5) في نواحي تلمسان. ففي جانفي 1960 قام النقيب الزبير على رأس وحدة من المقاتلين بحركة معارضة ضد الأركان الحربية في وجدة. واتهم أعضاؤها بالعجز عن تسيير المعركة وأنهم لم يفعلوا شيئا ضد سد الأسلاك.³²

وبخصوص هذه القضية يوضح محمد لمقامي موقف فراج منها، وما قام به تجاه هذا الضابط، بصفته كناطق للشؤون العسكرية بالولاية الخامسة، من أجل تنفيذ رغبة القيادة العامة لجيش التحرير الوطني، وهي الالتحاق بمنصبه في الداخل، ويقول: "أما

الزبير فكان لا يتوقف عن حله وترحاله بين وجدة ومراكز الحدود. ولم يبد أية عجلة للدخول إلى الداخل رغم الأوامر المتكررة الصادرة عن الصاغ الأول فراج.³³ ومن هذا الموقف لفرّاج، تستشف منه انضباطه وتفانيه في تأدية عمله بروح عسكرية لا أثر فيها للعاطفة والمحابة، مهما كانت الظروف. رغم أن فراج يعرف جيدا هذا الوضع المثار، وهو رفض الدخول إلى التراب الوطني، ويدرك مدى خطورته على مستقبل الثورة الجزائرية. ولكنه ومن جهة أخرى فهو يفضل انضباط القيادات لرؤسائها على الاحتجاج والعصيان الذي لا يؤدي سوى إلى الفرقة والتفتت.

5-استشهاده

رغم أن الشهادة هي جائزة المجاهد؛ فإن وقعها صعب على ذوي الشهيد ورفاقه، وبخاصة إذا كان من زعماء الأمة وروادها. وفي هذا يقول محمد لمقامي عن استشهاد لطفي وفراج ما يلي: "ويوم 27 مارس 1960 أعلن عن نعي السي لطفي ورفاقه، والتقطت الخبر مصالِحُ الاستماع التابعة للمواصلات الوطنية. وفيما يخص الصاغ الأول فراج فأعلن عنه أنه أصيب بجروح وأنه نقل إلى مستشفى بشار حيث توفى من جراء جروحه."³⁴

ويقول: "وأذيع نعيه، فأضاف إلى الحالة مزيدا من القتامة والأسى. وأنه لأسوأ خبر وأقساه علمناه في ذلك اليوم. فبكى كل رفاقي، جنود الخفاء، الذين عرفوا العقيد ومساعدته الرئيسي معرفة وثيقة. ولقد فقدت الجزائر واحدا من خيرة أبنائها."³⁵

الخاتمة

اشترك كل من محمد جغابة ومحمد لمقامي في التعرض لبعض مميزات الرائد فراج، منها تواضعه وانضباطه وتفانيه في العمل، وإقدامه وصرامته في تطبيق ما يراه مفيدا للثورة، سواء في اعتقاله للضباط الذين امتنعوا عن الدخول إلى التراب الوطني أو تجاه الضابط الزبير في دعوته له بالالتحاق بموقعه أو في اختلافه عن الضابط محمد بن أحمد عبد الغني في سلوك كل منهما بحسب ما يراه صائبا. كما اتفق الرجلان على ذكر ما أصاب المجاهدين من حزن وكمد على إثر استشهاد الرائد فراج وهو برفقة قائده العقيد لطفي ورفقائهما من المجاهدين الذين سقطوا في ساحة الشرف يوم 27 مارس 1960 بالقرب من مدينة بشار. لقد بذل أولئك المجاهدون أرواحهم فداء لتحرير الوطن، لكنهم لم يحضروا أعياد الانتصار، بعد أن كُلت تضحياتهم وجهود الشعب الجزائري بالحريّة والاستقلال. كان فراج مجاهدا في مستوى الأحداث، وفي مستوى المهام التي كُلف بها؛ فحيثما حل وارتحل كان في الواجهة. يدعم رفاقه، يوجههم وينصحهم، سلسا في التعامل مع كل تابعيه. لم تنسيه واجباته إنسانيته، لكنه لم يكن متسامحا في قضايا الوطن الحساسة.

لقد كان الرائد فراج نموذجا حيا لتضحية أبناء الجزائر، الذين وهبوا النفس والنفيس فداء للوطن، بذلوا ذلك عن طيب خاطر وبلا منٍّ، فكانوا من الخالدين. من أولئك المجاهدين من عاش وبقي وفيما لعهد الشهداء بالعمل على منوالهم، وحضر فرحة استقلال الوطن التي كان الشعب الجزائري كله يصبو إليها، ومنهم من تنكر لكل ذلك وبحث عن الجاه والفائدة المادية، وبذل كل جهده للحصول على ذلك بمختلف الوسائل؛ فحاد بذلك عن العهد، وشوّه رؤية الشعب الجزائري للمجاهدين السامية التي كانت تقترب من مكانة الملائكة.



الهوامش

- 1- "فراج" هو لؤاج محمد بن أحمد، ولد سنة 1934 بعين غرابة ولاية تلمسان، تعلم في مدرسة جمعية العلماء ببلدة الحنايا ثم بعين غرابة، التحق بصفوف الثورة منذ البداية، وترقى ليصبح عضو مجلس الولاية الخامسة فعضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية ونائبا للعقيد لطفى قائد الولاية الخامسة التاريخية، استشهد في 27 مارس 1960 بالقرب من بشار. حصلنا على الصورة من زميله في المدرسة القرآنية: بلعباسي محمد الساكن بتلمسان. يظهر أن الصورة لفراج قبل أن يلتحق بالثورة.
- 2-تم إطلاق اسم الرائد فراج على إحدى ثانويات تلمسان التقنية منذ القرن الماضي.
- 3-من أجل التوسع في ذلك ننظر مقالتنا بمجلة المصادر العدد: 22 لعام 2010.
- 4-يذكر رفيقه وابن بلدته هديلي قدور الذي التقينا به في تلمسان، أن فراج ودعهم بعد أن ترقى راندا ليلتحق بمقر الولاية، واعدوا إياهم أنه لا يغادرهم إلا لأن الواجب يتطلب ذلك، وأنه سيعود للاستشهاد بينهم، وهذا ما حدث حين استشهد وهو عائد من الحدود الغربية للدخول إلى أرض الوطن.
- 5-يوجد مقر الولاية الخامسة في مركز بن مهدي بوجدة لينقل بعد حين إلى الجنوب الشرقي المغربي.
- 6-محمد جغابة، حوار مع الذات ومع الغير، دار هومة، الجزائر، الجزء الثالث، ص: 302.
- 7-يقول محمد لمقامي في كتابه: رجال الخفاء، منشورات ANEP الجزائر 2005، والذي كلف بمساءلة جغابة بمعية عبد الرزاق بومدين، أنه اقتنع ببراءته، ولكن قيادة المنطقة الثامنة شكت في حقيقة هذا الفرار.
- 8-محمد جغابة، ص: 300-301.
- 9-يقصد الكاتب بالقناصين: قناصي الفرص، المتحايلون المستغلون للفرص المفيدة لهم وحدهم.
- 10-محمد جغابة، المصدر السابق/ ص: 305 من الجزء الثالث. كان المجلس الوطني للثورة الجزائرية (1959-1960) قد أوصى بدخول قيادات الثورة إلى الداخل، وقد نفذ العقيد لطفى هذا القرار، وكان من بين الحاضرين ومعه نائبه الرائد فراج، في اجتماع المجلس المذكور.
- 11-Ahmed Bensaadoun, Guerre de libération, parcelle des vérités de la wilaya 5 Oranie, éditions El boustane, Tlemcen, 2006. P. 175.
- 12-محمد جغابة، ص: 307.

- 13-الطاهر: هو أحد الأسماء الحركية التي أطلقت على الرائد فراج في بداية مشواره العسكري، وكذلك المبروك. والهديلي: نسبة إلى القبيلة التي ينتمي إليها فراج، والمستقرة في عين غرابية من ولاية تلمسان. أما الاسم الحقيقي للرائد فراج فهو: لَوَاج محمد بن أحمد.
- 14-محمد لمقامي، ص: 145. كان ابن عمه لواج أحمد قد سبقه في الانضمام إلى الثورة، وهو الذي دعاه للالتحاق بها.
- 15-هديلي قدور بن قويدر من مواليد 13-08-1926 بعين غرابية من مفجري الثورة بالمنطقة، ضابط متقاعد، المقابلة بتلمسان في 27-03-2010.
- 16-محمد لمقامي، رجال الخفاء، ص: 210-212.
- 17-المقصود بالجامع هنا: المدرسة القرآنية مثلما يسمى في الغرب الجزائري، ويسميه سكان العاصمة "المُسيد". لم يتعلم الرجلان في جامع(كتاب) واحد، فقد تعلم فراج المسمى لَوَاج محمد في بلدة عين غرابية والحنايا، بينما تعلم لمقامي في بلدة الخميس. وإذا كان محمد لمقامي قد تعلم في المدرسة الرسمية الفرنسية فإن فراج لم يدخلها. والمعروف أن فراج تعلم في مدرستي جمعية العلماء في كل من بلدتي الحنايا(1950-1952) وعين غرابية(1952...)
- 18-محمد لمقامي، ص: 211.
- 19-محمد لمقامي، ص: 212.
- 20-ينظر: عبد القادر خليفي، الرائد فراج- لواج محمد بن أحمد، مجلة المصادر، العدد: 22، السداسي الثاني 2010.
- 21-محمد لمقامي، المصدر السابق، ص: 2012.
- 22-محمد لمقامي، ص: 212.
- 23-محمد لمقامي، ص: 211.
- 24-ينظر: عبد القادر خليفي، المرجع السابق.
- 25-محمد لمقامي، ص: 211.
- 26-م. جغاية، المصدر السابق، ص: 292-369-370.
- 27-لمقامي، ص: 212.
- 28-لمقامي، ص: 211.
- 29-ينظر: عبد القادر خليفي، المرجع السابق.
- 31-محمد لمقامي، ص: 165.
- 32-الزبير: ضابط جيش التحرير الوطني، تحصل على ترقياته نتيجة أعماله الحربية في إطار قيادته التي أبلى فيها البلاء الحسن خلال مسيرته الحربية في الداخل. وقد سمحت له الترقيّة من ملازم مسنول عسكري للمنطقة السابعة لتيارت-سوقر إلى نقيب قائد المنطقة الأولى بتلمسان. كان الزبير قد التحق بصفوف الثورة فارا من صفوف القوات الفرنسية بصفة رقيب أول من سرية للقناصة الفرنسية، مصطحبا معه 25 جزائريا، وذلك في شهر فيفري 1956 من مركز الصبائنة بالقرب من تلمسان، وقد أحضر كمية هامة من الأسلحة من العدو. جاء من الأراضي الجزائرية قصد التزود بالسلح، وبعد استراحتة بالأراضي المغربية في شهري ديسمبر-جانفي لاحظ الزبير التراخي من قبل الضباط المستقرين بالمغرب لقرار لطفي، القاضي بالتحاق كل الضباط بقياداتهم الخاصة إلى الجبهة الداخلية. كما لاحظ نقص المبادرات لمواجهة السد المكهرب، فقام يحتج ضد بومدين وضباط سامين آخرين بقيادة الأركان الشرقية والغربية وقيادة الحدود. هذه المبادرة جلبت له خصوما كثيرا، الذين اتهموه بالعصيان، وحكموا عليه في شهر أوت الموالي من سنة 1960 بالإعدام وتم التنفيذ. ينظر: Ahmed Bensaadoun, ibid. P:146.
- 33-محمد لمقامي، ص: 200.
- 34-محمد لمقامي، ص: 216.
- 35-محمد لمقامي، نفسه.

خط موريس بين الأبعاد الاستراتيجية الإستعمارية ورد فعل الثورة التحريرية الجزائرية

د.جيلالي بلوفة عبد القادر
جامعة تلمسان/ الجزائر

مقدمة:

تعددت أساليب مواجهة الإستعمار الفرنسي في الجزائر، من انتفاضات شعبية ومقاومة سياسية وكفاح مسلح، وتفاعلت حسب الظروف المحلية والخارجية. وشكلت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية تصعيد جديد نحو التفكير الجدي في العمل المسلح، وهذا منذ تأسيس المنظمة الخاصة في فبراير 1947؛ وهي جناح شبه عسكري وسري تابع لحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية؛ أوكلت له مهمة التحضير العملي للثورة المسلحة التحريرية، إلا أن إكتشاف أمر هذه المنظمة منذ مارس 1950 أدى إلى تأخير إنطلاقة الثورة إلى غاية 01 نوفمبر 1954. وصفت الإدارة الإستعمارية الثورة الجزائرية عند بدايتها بثورة الفلاحة وقطاع الطرق والخارجين عن القانون... لكن إستمرار هذه الثورة وصعوبة توقيفها، أدى بالإستعمار إلى تغيير أسلوبه اتجاهها، بتبني طرقا أخرى كإقامة المحتشدات والمناطق المعزولة وإقامة الأسلاك الشائكة على الحدود الشرقية والغربية من الجزائر قصد عزل الثورة وخنقها وتطويقها. وكان من بين أساليب الاستعمار في هذا المجال: إقامة خط موريس على الحدود الجزائرية المغربية، أي في تراب المنطقة الخامسة (قبل مؤتمر الصومام) أو الولاية الخامسة... فما تأثير إقامة هذا الخط على مستقبل الثورة التحريرية، وكيف ردت الثورة على هذا الأسلوب الإستعماري؟.

1/ الولاية الخامسة: الإطار العام:

كانت الولاية الخامسة (المنطقة الخامسة قبل مؤتمر الصومام 20 أوت 1956) تمتد من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى أقصى جنوب الجزائر شرقا، أي حدود الولاية الرابعة والسادسة تمر بالقرب من تنس، وتنحدر إلى وادي شلف وتقطع الونشريس¹. احتلت الولاية الخامسة موقعا إستراتيجيا نظرا للخصائص الطبيعية المتوفرة بها، حيث لها سلسلة جبلية تمتد من جبال العصفور، عمور، تسالة تلمسان، الظهرة والونشريس، صف إلى ذلك أن لها حدود إقليمية هامة تطل على منافذ كثيرة وهي:

الحدود الموريتانية المغربية، الصحراوية والمالية وكذا النيجيرية إلى جانب إطلالها على إسبانيا من خلال البحر المتوسط. إن ثلثي مساحة الولاية الخامسة هي عبارة عن سهول معرارة وأراضي قاحلة، وتشكل الولاية الخامسة ثلث مساحة الجزائر. إداريا ومنذ مؤتمر الصومام (20 أوت 1956)، أصبحت الولاية الخامسة موزعة إلى ثماني مناطق وهي:

- المنطقة الأولى: تلمسان ومغنية.
 - المنطقة الثانية: الغزوات وبنو صاف.
 - المنطقة الثالثة: وهران وما جاورها.
 - المنطقة الرابعة: مستغانم.
 - المنطقة الخامسة: سيدي بلعباس.
 - المنطقة السادسة: معسكر وسعيدة.
 - المنطقة السابعة: تيارت.
 - المنطقة الثامنة: آفلو وما تبقى من المناطق الجنوبية للولاية.
- تعاقب على قيادة الولاية الخامسة، كل من محمد العربي بن مهيدي (1923-1957)، والذي حضر للثورة بمنطقة الغرب الجزائري وخطط لإنطلاقتها حيث شارك في عملية أحفير بصبرة (تلمسان)² ليلة 01 نوفمبر 1954، وشارك في مؤتمر الصومام، وعيّن في لجنة التنسيق والتنفيذ وقاد معركة الجزائر (1956-1957)، ثم أعتقل في فبراير 1957³.
- وخلفه على قيادة الولاية الخامسة: عبد الحفيظ بوصوف (1926-1982)، ثم هواري بومدين (1932-1978) منذ 1957، ودغيني بن علي (العقيد لظفي) (1934-1960) منذ ماي 1958 إلى غاية إستشهاده يوم 27 مارس 1960 بجبل بشار⁴، وخلفه نائبه: بن حدو بوحجر – العقيد عثمان (1927-1977) الذي بقي في منصبه حتى الاستقلال. عند إندلاع الثورة التحريرية، شهدت المنطقة الخامسة بعد عمليات تحضير الإنطلاقة شن الثوار أربعة عشر هجوما ليلة الفاتح نوفمبر⁵؛ توزعت في نواحي ومناطق عديدة في وهران، مستغانم، تلمسان وسعيدة...⁶.
- شكلت العمليات الفدائية الأولى بالمنطقة الخامسة تنبيها للرأي العام المحلي والوطني والفرنسي والدولي ببداية الثورة المسلحة في الجزائر، فكانت رمزية أكثر من أن تكون عسكرية.
- وعانت الثورة خلال الشهور الأولى من إنطلاقتها من مشكلة عويصة تخص السلاح؛ وهو حال أي ثورة في مهدها وبدايتها.

ويرجع البعض أسباب فتور وقلة النشاط الثوري في المنطقة الخامسة خلال الشهور الأولى من بداية الثورة إلى "إصدار قائد المنطقة الخامسة محمد العربي بن مهيدي هذا الأمر وتركيزه على عمليات التوعية والتنظيم وإرساء الهياكل القاعدية للثورة في القرى والمداشر قبل أن تنطلق على نطاق واسع بداية من أواخر 1955 ومطلع 1956"⁷.

كما أنه يمكن إرجاع سبب التأخر في إنطلاق العمليات العسكرية الكبرى إلى "قلة السلاح وتزويد المنطقة الخامسة للمناطق الأخرى، كالمناطق الرابعة والسادسة بالأسلحة... وهو ما جعل تأخر هذه العمليات بالغرب الجزائري إلى غاية مطلع 1956"⁸.

إضافة إلى مشكلة السلاح، فقد كان للسياسة الإستعمارية والتدابير المتخذة من قبل فرنسا عند بداية الثورة التحريرية تأثير على الواقع، حيث سعت إلى القضاء على الثورة في مهدها بممارسة حرب على مختلف المستويات، خاصة العسكرية والدعائية والنفسية⁹. فاعتمدت على نشر مناشير تدعو فيها السكان إلى "الهدوء والتخلي على العصاة"¹⁰؛ ثم تطورت إلى إنشاء هيئات وتنظيمات خاصة بالحرب النفسية مثل "المكتب الخامس" الذي أنشأ بموجب قرار وزاري مؤرخ في 1 مارس 1955، وشرع في العمل به منذ جويلية 1955، وكذلك الفصائل الإدارية المتخصصة منذ سبتمبر 1955..

ومع إشتداد وتطور الثورة الجزائرية، لجأت السلطات الإستعمارية إلى إقامة المناطق المحرمة وترحيل الشعب إلى مراكز تجمع خاصة، وهذا بنهاية من 12 نوفمبر 1954، بغية عزل الشعب عن الثورة¹¹.

علما بأنه قد أعلنت فرنسا حالة الطوارئ في 03 أفريل 1955، وعلى أن تطبق لمدة ثمانية أشهر، وهي الفترة التي حددتها للقضاء على الثورة الجزائرية¹². وفي نفس السياق الرامي إلى الحل العسكري وإخماد الثورة، تم إستدعاء الجنود الاحتياطيين الفرنسيين، منذ قرار مؤرخ في 23 أوت 1955، وعلى دفعات متتالية...¹⁴

إن إستمرار الثورة الجزائرية وتحقيقها انتصارات عسكرية وشعبية، خاصة بعد مؤتمر الصومام (20 أوت 1956) الذي نظم الثورة على مختلف الأصعدة العسكرية، السياسية والشعبية، وفي الداخل والخارج دفع بالإستعمار الفرنسي إلى إتخاذ تدابير أخرى لتطويق الثورة بالداخل وعزلها... ومن هذه الأساليب إقامة الأسلاك الشائكة على الحدود الشرقية والغربية للجزائر.

2/ إنشاء خط موريس:

عملت السلطة الإستعمارية على إقامة حواجز منيعة، بهدف عزل الثورة عن قواعدها الشعبية والخلفية في تونس والمغرب¹⁴، ولهذه الغاية، تم إنشاء الأسلاك الشائكة على الحدود.

تعود فكرة إقامة الخطوط الدفاعية إلى السياسي الفرنسي بول بايلاف (Paul Paileve) الذي ترأس وزارة الدفاع الفرنسية بين 1925-1929، حيث أقر إنجاز حاجز دفاعي على الحدود الفرنسية الألمانية، مواجهة لأي هجوم مباغت... وتجسيد هذا القرار عمليا بإصدار وزير الدفاع أندري ماجينو (André Majinau) (1929-1932) قانون 04 جانفي 1930¹⁵.

كما تعود فكرة إقامة الخطوط المكهربة إلى الجنرال فانكسام (Vanuxem) الذي حاول تطبيقها في الفيتنام، إلا أنها لم تتجسد في الميدان¹⁶.

أما في الجزائر، فقد عرفت التطبيق على يد أندري موريس (André Maurice) الذي تقلد عدة وزارات، ومنها وزارة الدفاع الفرنسي سنة 1957 وحمل مشروعه إسمه، إضافة إلى أسماء أخرى مثل: "حاجز الموت"، "الحاجز القاتل"، "خط ماجينو الجديد"، "خط ماجينو الجزائر"، "الثعبان العظيم"، وقد إستوحى قراره بإنشاء الأسلاك الشائكة، حسب تصريحه، من "قرارات مؤتمر الصومام القاضية بأولوية الداخل على الخارج" تبعا للمقولة التالية: "إن إصدار أي قرار يستوجب الإطلاع على قرارات الخصم..."¹⁷، وكانت الغاية من إقامة الخطوط المكهربة العازلة للحيلولة دون دخول الأسلحة والدخيرة عبر الحدود إلى الداخل وتنقل ثوار جيش التحرير الوطني بين الداخل والمناطق الخلفية الحدودية في تونس والمغرب... وشرع في إقامة هذه الأسلاك الشائكة منذ نهاية 1956 ومطلع 1957.

3/ المواصفات التقنية لخط موريس:

يمتد خط موريس على الحدود الجزائرية- المغربية، وينطلق من مرسى بن مهدي شمالا إلى بشار جنوبا، مرورا بالمشربية، فقيق وبني ونيف، العبادلة؛ ولا يمر الخط مباشرة على الحدود الغربية، وإنما يلامسها نظرا لطبيعة الأرض¹⁸.

يتكون من أسلاك شائكة وخيوط وأعمدة فيها تيار كهربائي طاقته أكثر من 2500 فولط أثناء النهار، وترتفع هذه الطاقة إلى 5000 فولط أثناء الليل¹⁹، وقد يصل عرض الخط في بعض المناطق الإستراتيجية الحساسة إلى 60 متر، وهو مزود بالتحصينات التالية:

- شبكة الإنذار: وهي عبارة عن منبهات إلكترونية تنبه بخطر ما، وعن أماكن قص السلك المكهرب بدقة فائقة.

- حقل الألغام: يوجد في مقدمة الحاجز، عرضه يتراوح بين 3 و5 أمتار، به حوالي 50 ألف لغم في 20 كلم من الحاجز، وتكون الألغام متباعدة عن بعضها البعض بحوالي 40 - 50 سنتيمتر²⁰.
 - شبكة الأسلاك الشائكة، بأشكال مضلعة ودائرية أو ممتدة عموديا أو أفقيا، بها أوتاد يصل علوها إلى 1,2 متر، وعرضها 4 أمتار.
 - السياج المكهرب: علوه 1,8 متر، يتكون من 8 أسلاك متباعدة عن بعضها البعض بحوالي مترين ونصف، ويمر بها تيار كهربائي شدته متفاوتة.
 - سياج: يحمي سيارات الحراسة التي تمر وسط الحاجز، وهي تحمي الشبكة المكهربة من أسلحة جيش التحرير الوطني المضادة للدبابات.
 - السياج المكهرب الثاني: يشبه الأول تماما، غير أنه معزز من الأعلى والأسفل بشد الأسلاك الشائكة بدبابيس تمنع المجاهدين من إبعادها عن بعضها البعض للمرور... وكذلك فرشت الأرض تحت السياج بأسلاك شائكة تمنع المجاهدين من حفر ممر تحتها.
 - ممر الحراسة: تسلكه سيارات الحراسة المسماة بالمشط.
 - السياج المكهرب الثالث: إضافة إلى الممر التقني لتصليح الأعطاب التي تحل بالأسلاك المكهربة.
- وجهزت هذه الحواجز بالآلات الإلكترونية ورادارات وأضواء كاشفة.. وأبراج حراسة والمراكز الإدارية الخاصة (S.A.S) وبلغت تكلفة 1 كلم من الخط: 2 058 00 فرنك فرنسي قديم، وتكلفة إقامة المركز العسكري الواحد بحوالي: 1 500 000 فرنك فرنسي قديم²¹.

4/ الأبعاد الإستراتيجية لخط موريس:

بعد فشل محاولات ومخططات القضاء على الثورة، استعملت فرنسا الأسلاك الشائكة المكهربة، وسخرت إمكانيات مادية وبشرية ضخمة لأهداف تعدت الجانب العسكري إلى مجالات سياسية وإجتماعية وإقتصادية؛ ويمكن تصنيف هذه الأبعاد الإستراتيجية الإستعمارية لخط موريس فيما يلي:

أ- البعد العسكري:

- تطويق وخنق الثورة.
- عزل جيش وجبهة التحرير عن العالم الخارجي قصد خنق الثورة.

ب- البعد الإقتصادي - الإجتماعي:

إن زيادة وإتساع رقعة الثورة أثر على قطاعات ومؤسسات الإقتصاد الإستعماري نظرا لارتفاع النفقات العسكرية المتزايدة بإستمرار، ومن جراء "التخريب" الذي طال

قطاعات حيوية وإستراتيجية، قدرت بنحو 730 عملية ضد القطارت و 227 عملية ضد المحطات (1954/11/1 إلى 1957/10/31)²²؛ وقد كلفت هذه العمليات خسائر للإقتصاد الفرنسي قدرت سنة 1957 بخمسة ملايين فرنك فرنسي.

جاء في تقرير عمر أو عمرات مسؤول التسليح، وجه إلى لجنة التنفيذ والتنسيق بتاريخ 1958/07/08 ما يلي: "إن جيش التحرير الوطني الطي بلغ أوج قوته، من حيث العدد والسلاح سنة 1957 يصاب حاليا بخسائر فادحة، إذ فقد في ظرف شهرين فقط أكثر من 6000 مجاهد في منطقة عنابة وحدها، وإذا كان في العام الماضي، قد أوصلنا إلى الداخل كميات كبيرة من الأسلحة فإن تجديدها وتزويدها بالذخيرة، قد أصبح الآن صعبا جدا بسبب الأسلاك الشائكة المكهربة، وما تشمل عليه من فجوات وحقول الألغام"²³.

وهو ما أشار إليه كذلك تقرير بن طوبال قائد الولاية الثانية؛ حول خطورة خط شال...²⁴

إضافة إلى التأثير العسكري- البشري على الثورة الجزائرية، فقد كان لخط موريس (مثل شال) تأثير في مجالات أخرى:

- الترحيل الإجباري للمدنيين المقيمين على إمتداد الشريط الحدودي الغربي (من مرسى بن مهدي شمالا حتى تندوف جنوبا).
 - أصبحت المنطقة الحدودية "محرمة".
 - كما أقامت السلطات العسكرية الفرنسية عمليات تخريبية (المحاصيل الزراعية، الأراضي، المنازل، قتل الحيوانات والمواشي، حشد السكان في محتشدات جماعية...).
 - إيقاف نشاط السكان على الحدود (التجارة).
 - ظهور فئة اللاجئين الجزائريين في المغرب (مثل تونس).
- مقابل هذه التأثيرات فإن بعض التقارير الفرنسية كانت ترى بأن هذه الخطوط لم تكن فعالة وناجعة.

5/ رد فعل الثورة التحريرية الجزائرية:

- عمليا ردت الثورة التحريرية بمبادرات إقتحام وتدمير؛ رغم صعوبة المهام إلا أنها كانت ضرورية حتى ترفع الحصار والخنق وفقا للأسس التالية:
- يتم إقتحام في ليلة مظلمة وليست ممطرة لتجنب أضرار التيار الكهربائي.
 - التدريب العالي للقوة المكلفة بتدمير الخط المكهرب.
 - توفير الحماية لمجموعة الإقتحام والقيام بهجمات تمهيدية.
 - أهمية الإلتزام بالسرية التامة عند تنفيذ عمليات الإختراق.
 - إتمام تنفيذ خطة الإقتحام في حدود ساعة من الزمن.

- "إن خطة الإقتحام تحتاج إلى 6000 مقاتل لتدمير العازل في 25 قطاع ونقطة.."²⁵
لجأت الثورة الجزائرية إلى البحث عن طرق جديدة للتموين، بالإعتماد على القواعد الخلفية في المغرب، وتحول نشاط شبكة التسليح إلى الإعتماد على الطرق البحرية لتوفير الأسلحة والذخيرة، وبفضلها إستطاعت إدخال كمية من الأسلحة عبر الحدود الغربية²⁶.

والحقيقة أن خط موريس لم تكن له الفعالية الموجودة بإعتراف الجيش الفرنسي نفسه، ولقد إصطدم بإرادة وإيمان المجاهدين وخططتهم في إزالة الألغام وكيفيات إتلاف الأسلاك الشائكة والمكهربة²⁷.
ومواجهة لهذا التطويق تطور تعامل جيش التحرير الوطني مع الحاجز المكهرب وعبر مراحل حسب ما يلي:

1- العبور عبر المناطق الجنوبية، أي تجنب الأسلاك الشائكة لعدم معرفة طبيعتها.
2- إحتكاك المجاهدين بالخطوط المكهربة (الحفر تحت الأسلاك الشائكة بتشكيل ممر تحتها...وهي عملية صعبة تتطلب وقتا).
3- إستعمال المقصاة المغطاة بالمطاط العازل (جيء بها من ألمانيا)، ويمكن بواسطها قطع سلك +20 ألف فولط.

4- إستعمال المحول الكهربائي: قدرة جيش التحرير الوطني في إستعمال تقنية جديدة، تعذر على الإستعمار معرفة مكان قطع التيار الكهربائي.
5- إستعمال صناديق خشبية تشبه النعش، يعبر داخلها المجاهد للوصول إلى الجهة المقابلة، وهذه الصناديق عازلة للكهرباء؛ وهي سهلة التفكيك والتركيب، أطلق عليها إسم الصاروخ²⁸.

6- طريقة طوربيد البنغالور (Bangalore Torpédo): أنابيب معدنية محشوة بمادة TNT وفيها نظام إطلاق النار عن بعد (طول الأنبوب 1.5 إلى 2 متر وقطره 5-6 سم ووزنه 6-10 كلغ)، وشرعت الثورة في استعمال هذه الوسيلة منذ 1958 على مستوى الحدود الغربية. وكان مفيدا نظرا للفجوات الكبيرة التي كان يحدثها في وسط الخط المكهرب، ولم يكن مجديا للعبور...

ومن هذه العينة شهادات حية لمجاهدين ومعطوبي حرب عابثوا تجارب نزع الألغام وعبور الخط المكهرب: موريس، نذكر منها ما يلي:

- يقول محمد بن طالب المدعو بن موسى (مجاهد ومعطوب حرب): "كان هذا الخط بمثابة تحد للمجاهدين خلال الثورة"²⁹.

تلقى المجاهد بن موسى بعد إلتحاقه بالثورة التحريرية 1957 تدريباً عسكرياً بنزع الألغام مدة ثلاثة شهور في القواعد الخلفية، عُين في المنطقة الثامنة من الولاية الخامسة بضواحي بني سمير في بلدية جنين بوزرق على بعد 200 كلم شمال بشار...

يقول بن موسى: "لإجتياز الخط، لابد من إختيار مكان به أشجار كثيفة حتى يتمكن المجاهدون من الإختفاء عند ظهور المدرعات، ونازعوا الألغام يطهرون الأرض بإستعمال شفرة سكين لكشف الألغام... وهي عملية تتم في الظلام". ويقول المجاهد محمد مصطفى طالب (1939- حي): "إن عملية إجتياز الخط الشائك والمكهرب تتم بإختيار مختصين لهذا العمل، حسب الخبرة والذكاء واللياقة البدنية والجسمية".

وفي سنتي 1959-1960 أستعين بخبراء ألمان في إستعمال جرار مجنزر يستعمله جيش التحرير الوطني لتدمير الخط في عمليات إختراق دخولا وخروجا.. جرار دون سائق.. لكن سلطات الإستعمار تفتنت لذلك ودمرت الجرار³⁰.

خاتمة:

إن إنشاء الأسلاك المكهربة على الحدود الشرقية والغربية هو تدبير إستعماري لتطويق الثورة التحريرية، وهو تصعيد في أسلوب تعامل فرنسا مع الثورة، بعد فشل مخططات عديدة.

لم تكن لخط موريس "الفعالية الإستعمارية" المرغوب فيها والموجودة، وفي المقابل، ردت الثورة التحريرية على هذا الأسلوب الإستعماري بطرق عديدة، منها محاولات الإختراق والعبور، وإيجاد منافذ أخرى عبر الحدود الجنوبية والبحر، ونقل الثورة التحريرية إلى داخل المدن.

الهوامش:

- جمال قندل/ خط موريس وشال على الحدود الجزائرية التونسية والمغربية وتأثيرها على الثورة الجزائرية (1957-1962)، ط1، دار الضياء، الجزائر، 2006، ص23.

¹ - أحمد وهراني، شهادة حية مسجلة بتاريخ 02 فبراير 2008.

¹ - Benjamin Stora, Dictionnaire Biographique des militants Nationalistes Algériens (1926-1954), Ed l'Harmattan, Paris, 1985, p323.

¹ - بلحسن يالي، العقيد لطفي - السنوات الدامية من حرب التحرير الجزائرية، تر: محمد نقادي، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2008، ص34-38.

¹ - كاهينة نايت عبد الله، التحضير لأول نوفمبر 1954، مجلة الرائد، المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، نوفمبر- ديسمبر 2001، ص10.

¹ - جيلالي بلوفة عبد القادر، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في عمالة وهران (1939-1954)، ط1، دار الألمعية، الجزائر، 2011، ص....

¹ - الزبير بشلاغم، أضواء على واقعة تراقية، مجلة أول نوفمبر، مديرية المجاهدين، ولاية وهران، ع:166، 2004، ص32.

¹ - بوشنة قدور، شهادة حية، 2007/03/09.

¹ - لخضر شريط، إستراتيجية العدو الفرنسي لتصفية الثورة الجزائرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 01 نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص314.

- ¹ - يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1980، ص368.
- ¹ - أحسن بومالي، إستراتيجية الثورة التحريرية في مرحلتها الأولى (1954-1956)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، (د.ت)، ص178.
- ¹ - يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص370.
- ¹ - عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص201.
- ¹ - صالح بلحاج، تاريخ الثورة الجزائرية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2008، ص320.
- ¹ - مسعود كواتي، مقارنة بين خطي ماجينو وموريس، الملتقى الوطني الأول حول الأسلاك الشائكة والألغام، الجزائر، عمل منشور، دار القصب، الجزائر، 2009، ص99.
- ¹ - الطاهر سعدي (مذكرات)، القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص130.
- ¹ - نفسه، ص130.
- ¹ - جمال بلغردي، هيكله وتنظيم جيش لتحرير الوطني الجزائري على الحدود الشرقية والغربية (1958-1962)، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 2005، ص60.
- ¹ - جمال قندل، نفس المرجع، ص90.
- ¹ - نفسه، ص51.
- ¹ - جمال بلغردي، المرجع السابق، ص65.
- ¹ - جمال قندل، المرجع السابق، ص61.
- ¹ - جمال بلغردي، المرجع السابق، ص66.
- ¹ - محفوظ قداش، ..وتحررت الجزائر، تر: العربي بونيون، دار الأمة، الجزائر، 2011، ص214.
- ¹ - فتحي الديب، عبد الناصر والثورة الجزائرية، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984، ص396.
- ¹ - بو بكر حفظ الله، التموين والتسليح إبان ثورة التحرير الجزائرية (1954-1962)، الجزائر، 2011، ص297.
- ¹ - بوعلام بولعراس، خط شال وموريس وإرادة الثوار، مجلة الجيش، ع:376، الجزائر، 1994، ص23.
- ¹ سامية قوبي، الخطوط المكهربة (شال وموريس)، تر: مساعيد ظريفة، الجيش الوطني الشعبي، ع: 472، الجزائر، 2002، ص31.
- ¹ - Un Ancien Moudjahid raconte la Ligne Calle-Maurice, quotidien, n° 2469, 2003.
- ¹ - محمد عباس، ثوار عظماء، حديث الإثنيين، ك1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1991، صص:172-173.

المحور الثاني

المنظومة الأرشيفية في الجزائر رؤية نقدية

أ. قاضي عبد القادر
جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

تمهيد:

عندما نتناول موضوع الأرشيف ببلادنا يجذبنا شعور قوي نحو حفظ ذاكرتنا الوطنية والاعتزاز بموروثنا الوثائقي؛ وعلى نفس المنوال يعترينا انشغال يكاد يقلقنا نحو حفظ وصيانة ذاكرة الغد التي تُصنع اليوم. إن المعادلة التي ذكرناها على قدر بساطتها هي في حقيقة الأمر معقدة ومركبة، تتداخل فيها جوانب واهتمامات متعددة. تسعى مساهمتنا هذه حول المنظومة الأرشيفية ببلادنا إلى تسليط الضوء على بعض جوانب المنظومة التي تجلت من خلال الممارسة الميدانية لسنوات طويلة التي أعقبت الاستقلال الوطني. ما من شك أن جوانب منظومة الأرشيف عندنا والتي سوف نتناولها تتمثل أساسا في العناصر التالية:

- *التعريف الذي يعكس رؤيتنا للأرشيف،
- *الترسالة القانونية لقطاع الأرشيف،
- *تركيبية الجهات المختصة بالأرشيف والتي تمثل الشبكة الأرشيفية،
- *نوعية تكوين الإطارات التي تسند إليها الوظيفة الأرشيفية،
- *بنايات الأرشيف واحترام المعايير الدولية،
- هي بعض ملامح منظومة وطنية للأرشيف.

1/ التعريف أو إشكالية تحديد هوية الأرشيف في الجزائر:

تملك الجزائر على غرار الكثير من الدول التي أدركت أهمية الأرشيف قانونا متعلقا بذلك: هو القانون رقم 88-09 المؤرخ في 26/01/1988. جاء قانون الأرشيف في (30) مادة موزعة على (06) أبواب في محاولة لتناول المهمة والوظيفة الأرشيفية من كل جوانبها. يهمننا في هذا المضمون موضوع القانون ألا وهو الأرشيف الوطني والتعريف الذي يعطيه لهذا الأمر.

يُعرّف القانون الجزائري الأرشيف على خلاف قوانين دول أخرى في مادتين هما المادة (02) والمادة (03)؛ المادة الثانية تنص على: «أن الوثائق الأرشيفية بمقتضى هذا القانون هي عبارة عن وثائق تتضمن أخبارا مهما يكن تاريخها أو شكلها أو سندها المادي، أنتجها أو سلمها أي شخص طبيعيا كان أو معنويا أو أية مصلحة أو هيئة عمومية كانت أو خاصة أثناء ممارسة نشاطها»
تنص المادة الثالثة على: «يتكون الأرشيف بمقتضى هذا القانون من مجموعة الوثائق المنتجة أو المستلمة من الحزب والدولة والجماعات المحلية والأشخاص الطبيعيين أو المعنويين سواء من القانون العام أو الخاص أثناء ممارسة نشاطها معروفة بفوائدها وقيمتها سواء كانت محفوظة من مالها أو حائزها أو نُقلت إلى مؤسسة الأرشيف المختصة»

من المعروف في التشريع أن القوانين عند إصدارها تُعرب في بداية نصها عن الغرض من القانون وتُحدد موضوعه. نتساءل عن جدوى إدراج مادتين الثانية والثالثة لتعرف على ماذا يتكلم القانون ومراده، كان من السهل أن يأتينا تعريف الأرشيف بدون أن يضيف المشرع مفهوم الوثائق الأرشيفية.

ألم تكن تكفي مادة واحدة للتعريف بالأرشيف بما أن القانون يتعلق بالأرشيف؟ هل وثائق الأرشيف والأرشيف مفهومين مختلفين أم يعينان نفس الشيء بما أنهما وردا في بداية القانون؟ إن كان كذلك فلماذا مادتين؟
الإجابة إذا أراد المشرع خلاف ذلك.

خلق هذا الوضع نوعا من الغموض في رؤية مؤسساتنا للأرشيف والتعامل مع الأرشيف ومؤسساته مما أثر سلبا على منظومتنا الأرشيفية، للاعتبارات التالية:
*ورثت الجزائر عند استقلالها إدارة على الطريقة الفرنسية بما لها من تقاليد وممارسات حتى الرؤية المتعلقة بالأرشيف نتيجة طول الفترة الاستعمارية.

من ذلك، نفهم عبارات المادة الثالثة من قانون الأرشيف؛ يسوقنا هذا الكلام إلى القول بأن المشرع الجزائري في مجال الأرشيف كرس ما هو معهود منذ زمن وأن رؤيته للأرشيف توحى بأن الجزائر تنتمي إلى المدرسة التي نعتبرها المدرسة الكلاسيكية للأرشيف وتعتبر فرنسا من أبرز روادها. رغم حاجة هذا القانون إلى إعادة النظر في مسائل عديدة إلا أن مسألة التعريف تحتاج أكثر من أي شيء آخر لإعادة صياغتها بما يليق بالتغيرات التي عرفتها الجزائر.

من جهة أخرى، توضيح المهمة الأرشيفية التي تقوم عليها مؤسسة الأرشيف الوطني وإعطائها دورا أكثر فاعلية من ذلك الدور الذي كرسه الفقرة الأخيرة من المادة الثالثة والمستمر إلى غاية وقتنا الراهن، هذا الدور القاضي بانتظار ما تجود به

الهيئات المالكة أو الحائزة "إذا أرادت" وتحفظ الهيئات بحقها في الاحتفاظ بأرشيفها.

ألا يعني ذلك إخلالا بما هو متعارف عليه عند الدول بدور الأرشيف الوطني بحفظ التراث الوثائقي وإلزام كل الهيئات بدفع أرشيفها النهائي. ثم إن هناك تناقضا بين نص المادة الثالثة: "... سواء كانت محفوظة من مالكةا أو حائزها أو نُقلت إلى مؤسسة الأرشيف المختصة"، والمادة الثامنة الفقرة الثالثة التي تُنصُّ على أنه: "تُدفع وجوبا الوثائق التي تحتوي على فائدة أرشيفية للمؤسسة المكلفة بالأرشيف الوطني". عند قراءة النصين نحتار بين الاختيار الذي جاء في الفقرة الثالثة والوجوب الذي ورد في المادة الثامنة، ما يفهم لدى الإدارات بأنها ليست ملزمة بدفع أرشيفها النهائي إلى المؤسسة المكلفة بالأرشيف الوطني التي هي مستودعات للحفظ الدائم.

أما التعريف الآخر للوثائق الأرشيفية الوارد في المادة الثانية يوحي بأن المشرع الجزائري الذي صاغ النص قام بقراءة مستجدات الممارسة الأرشيفية في العالم لا سيَّما عند الدول الأنجلوساكسونية التي أنتت بنظرة مغايرة لما هو معهود لدى المدرسة الكلاسيكية التي تعنتي بالأرشيف النهائي أو التاريخي كما تحبذ أن تسميه. اعتمدت الدول الأنجلوساكسونية مقاربة أكثر ديناميكية للممارسة الأرشيفية تقضي بالتدخل في كافة مراحل حياة الوثيقة منذ نشأتها إلى غاية تحديد مصيرها النهائي، كانت هذه هي إدارة السجلات أو مقدمات لما سيُعرف فيما بعد بالمعيار الدولي 15489.

إن تجسيد أحكام هذه المادة ميدانيا لم يكن بالأمر الميسور في الوسط الإداري الجزائري بسبب الموروث الإداري الفرنسي الاستعماري كما أن آليات تجسيد التدخل المبكر في حياة الوثيقة المتمثلة أساسا:

✓ في جداول التسيير أو رزنامة الحفظ التي لا تزال متعثرة،
✓ صُفِّ إلى ذلك أن تسيير السجلات أو الوثائق يعتمد أيضا على تقييم الوثائق؛ إن عملية التقييم هذه ليست بالهيئنة وتستوجب إطلاق معايير وتحديد مؤشرات يمكن من خلالها تقييم الوثائق لانتقاء ذات الفائدة الدائمة والتخلص من تلك التي لا تملك قيمة إضافية أو قيمة ثانوية.

هذا الاختلاف في مفهومي الأرشيف ووثائق الأرشيف كرسه المنشور رقم 03 لسنة 1991 المتعلق بتسيير وثائق الأرشيف للمديرية العامة للأرشيف الوطني عندما أدى في معناه إلى التحلي أو غياب الأرشيف الوطني عن مجالات إنتاج الأرشيف المتمثلة في الإدارات. كما كرس هذا المنشور القطيعة المستمرة إلى يومنا هذا بين الأرشيف الإداري المتروك للإدارات والأرشيف التاريخي رغم محاولات المديرية العامة للأرشيف الوطني في النصوص التي تلت ذلك، لكن دون جدوى. هذه الرؤية صَعَبَت

من إمكانية إشراك الأرشيف الوطني كمؤسسة للدولة في الوسط الإداري وقُصّت من نشاطها وتدخلها في الإدارات.

إن نقد هذه الحالة التي أفضى إليها التعريفين يقضي بضرورة توضيح الوظيفة الأرشيفية ومن يقوم عليها بشكل لائق من خلال مراسيم تنفيذية تشرح التوجهات العامة للقانون وليس من خلال المناشير أو التعليمات،

كما أن اعتماد التدخل في حياة الوثيقة أصبح ملحا لما يوفره من تعريف وإحصاء للوثائق المنتجة على مستوى الإدارات وبالتالي توفير الحماية اللازمة لها ووقايتها من التصرفات العشوائية التي تتعرض لها في كثير من الأحيان.

ما من شك أن القانون رقم 88-09 المتعلق بالأرشيف الوطني رغم احتوائه على أشياء إيجابية كثيرة وردت به؛ هناك إجماع على أنه في حاجة ماسة لإعادة النظر وتصحيح كل النقائص التي لوحظت كنتيجة لتجسيده في الواقع وضرورة مواكبة المستجدات التي طرأت في مجال الأرشيف على المستوى الدولي.

2/ الترسانة القانونية لقطاع الأرشيف في الجزائر:

رغم أن الجزائر نالت استقلالها متأخرة عن دول عربية وإفريقية، إلا أنها من الدول ذات السبق في مجال تقنين الأرشيف. عرفت الجزائر أول نص متعلق بالأرشيف من خلال الأمر الذي صدر سنة 1971 (الأمر رقم 71-36 المؤرخ في 03 جوان 1971)، جاء هذا الأمر يسد فراغا تشريعيًا في مجال الوثائق التي تهم تاريخ الجزائر لا غير، غير أنه كان في حاجة ماسة لتوضيح أحكامه رغم قلتها (05 مواد) التي لا تفي بالمهمة الملقاة على عاتق المؤسسة التي ستنشأ لهذا الغرض.

تلى هذا الأمر نص تطبيقي تمثل في المنشور المؤرخ في 1971/11/08 يتعلق بإدارة الوثائق موضحا المراحل التي تمر بها الوثيقة وبعض المشاكل التي تتعرض لها الوثائق الإدارية. كان ذلك أول نص يعكس رؤية الجزائريين للعملية الأرشيفية بصفة رسمية. ثم تلا الأمر الرئاسي؛ المرسوم رقم 74-75 المؤرخ في 1974/04/25 المتضمن تأسيس مجلس استشاري للمحفوظات الوطنية، أعقب ذلك سنة 1977، المرسوم رقم 77-67 المؤرخ في 1977/03/20. يُعتبر هذا المرسوم مثاليا في معانيه وتصوراتهِ للأرشيف الوطني لا سيما مكونات المؤسسة الناشئة وتنظيمها، غير أن هذا المرسوم لم يطبق بحذافيره وبقي حبرا على ورق. كُلت مجهودات الأرشيف الوطني سنة 1988 بإصدار القانون رقم 88-09 المؤرخ في 1988/01/26 المتعلق بالأرشيف الوطني ما يُعد مكسبا كبيرا للأرشيف الوطني الجزائري، رغم تجاوزه الزمن إلا أن هذا القانون لا يزال ساري المفعول إلى غاية يومنا هذا. أما المراسيم التي صاحبت صدور القانون المتعلق بالأرشيف الوطني تتعلق بهيئات المؤسسة المكلفة بتسيير الأرشيف المتمثلة في:

- المرسوم رقم 88-45 المؤرخ في 01/03/1988 المتضمن إحداث المديرية العامة للأرشيف الوطني ويحدد اختصاصاتها. مع العلم أن المديرية العامة للأرشيف الوطني شهدت الميلاد شهر ديسمبر من عام 1972 وكان مرسوم 1988 السالف الذكر يُنشئها للمرة الأولى،

- المرسوم رقم 88-46 المؤرخ في 01/03/1988 المتعلق بالمجلس الأعلى للأرشيف الوطني الذي وُلد ميتا ولم يرى النور إلى وقتنا الراهن،

- المرسوم رقم 88-47 المؤرخ في 01/03/1988 الذي يعدل المرسوم رقم 87-11 المؤرخ في 06/01/1987 المتضمن إنشاء مركز المحفوظات الوطنية. هذا المرسوم أعطى نفس الصلاحيات التي هي من اختصاص المديرية العامة للأرشيف لمركز الأرشيف الوطني بل أكثر من ذلك فبإعطائه الشخصية المعنوية والاستقلال المالي منح هذا المرسوم مكانة الند للند مع المديرية العامة، لأجل ذلك، ومنذ 2002 تم تعيين المدير العام للأرشيف الوطني ولم يتم تعيين مدير مركز الأرشيف تيقنا من السلطات أن ذلك سيؤدي حتماً إلى تصادم الصلاحيات بين الهيئتين من جديد.

لقد بات من الضروري أكثر من أي وقت مضى إعادة النظر في هيكله مؤسسة الأرشيف الوطني لتدارك النقائص الناجمة عن التشريع لهذا القطاع. من جهة أخرى، تعززت الترسانة القانونية للأرشيف في الجزائر بنص خاص بقطاع العدالة المتمثل في المرسوم رقم 96-198 المؤرخ في 13/05/1996 الذي يحدد كفاءات تسيير الأرشيف القضائي وحفظه، عدا هذه النصوص المنبثقة عن التشريع العادي والفرعي لم تتعزز الترسانة القانونية للأرشيف بنصوص من ذات المستوى بل سيتم استكمالها عن طريق المناشير والتعليمات الصادرة عن المديرية العامة للأرشيف الوطني، هاته النصوص على أهميتها لا تتمتع بالوزن القانوني الكافي لإلزام جميع الهيئات بالتدابير التي تنص عليها.

أخذت المديرية العامة للأرشيف الوطني على عاتقها إصدار ما تراه مناسباً للممارسة الأرشيفية طبقاً للصلاحيات التي خولها إياها المرسوم المنشأ لها؛ لا سيّما المادة الثانية النقطة الرابعة: "تُعد النصوص التنظيمية والتقنية الضرورية لتنظيم العمل الوثائقي وتفتحها"،

أصدرت المديرية العامة منذ سنة 1990 إلى يومنا هذا حسب مدونة النصوص التنظيمية التي نشرها الأرشيف الوطني في 2011 ؛

- (29) منشور،

- (14) مذكرة ومذكرة توجيهية،

- (04) تعليمات.

هاته النصوص عالجت أو حاولت أن تعالج قضايا أصبحت تطرح نفسها بإلحاح على المديرية العامة للأرشيف التي من دون شك ستصغي لما يطرأ وما يطرحه الأرشيفيون في الميدان، على أن تجد الآليات والميكانيزمات الملائمة لمتابعة ما يجري من ممارسات ميدانية وتوحيدها. كما أن النصوص الخاصة بأرشيف القطاعات الوزارية مثل ما حدث مع وزارة العدل (مرسوم 1996) لا بد ألا يخرج عن السياسة العامة التي تسطرها المديرية العامة للأرشيف الوطني.

3/ الشبكة الأرشيفية في الجزائر:

تُشكل الشبكة الأرشيفية في الجزائر حقيقة ميدانية تتجسد من خلال مركز الأرشيف الوطني، مراكز ومصالح أرشيف الولايات والمراكز الآخذة في النمو كمراكز الأرشيف التابعة للقطاعات الوزارية كما هو الحال بالنسبة لوزارة العدل (مشروع المركز الجهوي للعدالة بوهران) ومراكز الأرشيف لقطاعات الضمان الاجتماعي والتقاعد وغير ذلك من القطاعات. رغم وجود هذه الشبكة إلا أن العائق الذي يعرقل عملها هو ذلك الارتباط العضوي القانوني فيما بينها خاصة المراكز المنجزة لأجل الحفظ الدائم للوثائق الأرشيفية كما هو الحال بالنسبة لأرشيف الولايات. إن حالة أرشيف الولايات تدعونا للنظر والتساؤل عن مكانة هذه المصالح ضمن رؤية الأرشيف الوطني لها.

لم يوضح قانون الأرشيف الوطني لسنة 1988 المؤسسة المكلفة بالأرشيف الوطني (هكذا في صلب نص القانون) ولم يذكر أي من مكوناتها التي أحدثتها مراسيم تلت صدور القانون المذكور (المراسيم 45-88، 46-88 و 47-88)، على عكس القانون السالف الذكر أشار المرسوم 67-77 لـ 20 مارس 1977 في مادته (29) مكونات الأرشيف الوطني وعكس مبدئياً وجود شبكة أرشيفية ومؤسسة بكامل ملامحها خاصة اعتبار أرشيف الولايات عنصر أساسي في العملية الأرشيفية وفي الحفظ الدائم للأرشيف،

تنص المادة (29) على: "تتألف هيئات المحفوظات الوطنية من:

- مديرية المحفوظات الوطنية،
 - مديرية المستودع المركزي للمحفوظات الوطنية،
 - مديريات الولاية للمحفوظات الوطنية،
 - المفتشية العامة للمحفوظات الوطنية،
 - المجلس الاستشاري للمحفوظات الوطنية".
- هذه المادة لم نجد لها شبيها في قانون سنة 1988 والتي وضحت بشكل صريح مستويات الأرشيف الوطني والتي من دون شك ستأخذ بعين الاعتبار في أي مشروع مراجعة لقانون الأرشيف الوطني.

ما من شك بأن أرشيف الجماعات المحلية يُعدُّ امتدادا طبيعيا ومنطقيا للأرشيف الوطني على عكس ما كرسه المنشور الوزاري المشترك الساري المفعول المؤرخ في 03 ماي 1992 الذي ينظم مصالح الأمانة العامة للولاية من كون مصالح أرشيف الولايات ما هي إلا مصالح للحفظ المؤقت لا غير وأن على هذه المصالح دفع الأرشيف النهائي للولايات إلى المؤسسة المكلفة بتسيير الأرشيف الوطني، بالإضافة إلى ذلك، لا تزال محاولات إنشاء مراكز جهوية للأرشيف الوطني تراوح مكانها إن لم تكن باءت بالفشل قبل انطلاقها، لتكامل في المقابل مشاريع بعض القطاعات الوزارية كوزارة العدل من بناء مراكز أرشيف جهوية متخصصة.

أما الحديث عن أرشيف البلديات لما لهذه الإدارات من أهمية بالغة في الإنتاج الوثائقي يُحتم أن تحتفظ البلديات بأرشيفها الدائم إذا توفرت لديها شروط التكفل الأمثل بحفظ، ترتيب، صيانة وحماية وثائقها خاصة البلديات الكبيرة التي تتمتع بعائدات مالية معتبرة تمكنها من إعطاء الوثائق الأرشيفية حقا من الاهتمام والاعتناء.

إن ملامح الشبكة الأرشيفية الوطنية على غرار ما هو معمول به في الدول الرائدة في هذا المجال وعلى غرار قطاعات أخرى في الجزائر كالحماية المدنية والجمارك والأمن وغيرها من القطاعات حسب رأينا تتدرج على نفس المنوال من المستوى المركزي، الجهوي والمحلي على النحو التالي:

على المستوى المركزي:

- مديرية عامة للأرشيف الوطني بمختلف أجهزتها،
- هيئة استشارية كالمجلس الأعلى للأرشيف وتفعيله،
- مفتشية عامة للأرشيف الوطني،
- بالإضافة إلى مركز الأرشيف الوطني ينبغي إحداث مراكز وطنية متخصصة وإحكام الوصاية على مراكز أرشيف القطاعات الوزارية كي لا تخرج عن دائرة الأرشيف الوطني،

على المستوى الجهوي:

- مفتشيات جهوية للأرشيف الوطني،
- مراكز جهوية تأخذ بعين الاعتبار التطور الإداري في الجزائر واعتبارها محطات لدعم الحفظ الدائم للجماعات المحلية جهويا وتوفير فضاءات حفظ وتخزين تكميلية،

على المستوى المحلي:

- مفتشيات محلية ولائية للأرشيف،
- مراكز أرشيف أو بالأحرى مديريات ولائية للأرشيف (و ليس مصالح أرشيف)،

- مديريات للأرشيف البلدي،

4/ تكوين الإطارات الأرشيفية :

لكي تعطي المنظومة الأرشيفية ببلادنا الثمار المرجوة منها؛ يلعب العنصر البشري المؤهل دورا محوريا في جودة وفعالية الوظيفة الأرشيفية، لا بد من القول أن تكوين الأرشيفيين في الجزائر لم يرتقي بعد إلى المستوى المطلوب لإعداد الأرشيفيين للأسباب التالية:

-تعطي أقسام علم المكتبات بالجامعة تكويننا عاليا في مجال علم المكتبات والعلوم الوثائقية ويُدرَسُ مقاييس فقط حول الأرشيف (سواء النظام الكلاسيكي سابقا أو نظام ل م د) في الوقت الذي نلاحظ فيه أن غالبية الطلبة بعد تخرجهم تتوفر لديهم فرص العمل في الأرشيف كوثائقين أمناء-محفوظات أكثر مما توفره المكتبات ومراكز التوثيق لكن إعدادهم لا يتم وفق هذه الحقيقة.

-تكوين إطارات ذات كفاءة مهنية من حاملي شهادة الليسانس لا يتم إلا من خلال أقسام علم المكتبات بكل من جامعات وهران، الجزائر وقسنطينة،

-وجود بعض المحاولات من حين لآخر من طرف المعاهد المتخصصة في التكوين المهني لفتح تخصص في الأرشيف والتوثيق درجة تقني سامي يعتمد أساسا في تعليم مواد الأرشيف على خريجي أقسام علوم المكتبات الذين تنقصهم المعرفة والخبرة على حد سواء،

-تتردد لهؤلاء وهؤلاء نفس المقاييس مع نفس العبارات والكلمات من دون أدنى جديد في برامج التكوين وتدعيم المعارف المكتسبة واستكمال الجوانب التي تدخل في تخريج أرشيفيين أكفاء،

يتفق جميع المهتمين أنه بات من الضروري إفراد الأرشيف كتخصص علمي مستقل عن علم المكتبات بالجامعات أو تجسيد ما نادى به منذ مدة المديرية العامة للأرشيف الوطني من إنشاء مدرسة عليا للأرشيف قادرة على تخريج كفاءات عالية وفعالة ميدانيا، على أن يصاحب ذلك نظام تحفيزي لاستثمار تلك الكفاءات من خلال مناصب نوعية تتماشى مع الشبكة الأرشيفية الوطنية وحتى يتمكن الأرشيفيون من الارتقاء في الرتب والوظائف تماما مثل القطاعات الأخرى،

تجسيد وتفعيل التكوين المستمر من خلال الدورات التدريبية، تحسين المستوى والرسكلة التي تنقص منظومتنا الأرشيفية، إذ يلاحظ أنه بمجرد التوظيف ينقطع الأرشيفي عن عالم المستجدات العلمية الحاصلة في تخصصه ورفع العجز الملاحظ أيضا على الأرشيفيين الجدد أمام عدم مقدرتهم على تجسيد بعض المهام التي لم يستوعبها أثناء الدراسة نظرا لغياب التطبيقات.

5/ بنايات الأرشيف واحترام المعايير الدولية :

ورثت الجزائر من العهد الاستعماري مركزين اثنين للأرشيف بأتم معنى الكلمة موجودين بوهراة والجزائر العاصمة، مع وجود محلات أخرى هنا وهناك لحفظ الوثائق لا ترقى لتلك المهمة بشكل لائق في الكثير من الحالات، أمام هذا العجز في هياكل استقبال الوثائق الأرشيفية عمدت الدولة إلى بناء مركز الأرشيف الوطني الذي يعتبر تحفة معمارية احترمت فيها مقاييس بنايات الأرشيف المعمول بها دوليا فكان بذلك نموذجا لكثير من الدول. كما أن الكثير من الولايات شرعت في بناء مراكز للأرشيف ما تحمّد عليه الجماعات المحلية كإجراء ضروري لحفظ وثائقها، غير أن هناك حالات عديدة فوّنت فيها الولايات فرصة بناء مراكز مطابقة للمعايير وهي الآن -أي المراكز- محسوبة على الأرشيف. ما من شك أن بنايات الأرشيف لن تُبنى في كل الأوقات، لذلك يُفترض فيها -أي البنايات- أن تحترم المعايير الدولية وإيفاء الغرض الرئيسي المتمثل في الحفظ لمدة زمنية كبيرة.

من أهم المخالفات الملاحظة على بنايات الأرشيف للولايات ما يلي:

-تحويل أجنحة من البناية لأغراض إدارية أخرى، هذا إن لم يكن هناك تقليص في المساحة المخصصة للبناية،

-عدم احترام بعض التوصيات كالارتفاع تحت السقف مما أدى إلى التعدي والاستيلاء على المحلات،

-عدم تخصيص نسبة 70% من مساحة الأرضية المبنية لفاعات الحفظ وضياع مساحات معتبرة كان من باب أولى أن تُستغل إلى أقصى حد كمساحات لحفظ الوثائق، -تقليص الأغلفة المالية الموجهة لمراكز الأرشيف وتحويلها إلى وُجهات أخرى غير تلك التي مُنحت من أجلها،

-تحمل عمليات بناء مراكز الأرشيف عموما عنوان: "دراسة، إنجاز وتجهيز مركز للأرشيف"، إلا أن المُلاحظ فيما يخص التجهيز أنه في كثير من الأحوال لا يتم وفق التجهيز الملائم لمثل هاته المراكز بل شاهدنا اقتناء تجهيزات لا تمت بصلة للأرشيف وحُولت إلى وُجهات أخرى على حساب المراكز وبالتالي حرمانها من معدات وتجهيزات مهمة لأداء العمل في أحسن الظروف،

-تجد معظم الولايات حرية في إنجاز مراكز الأرشيف بدون دفتر شروط نموذجي وبدون مراقبة أو تدقيق من الجهات التي يُفترض أن تقف وراء هذا النوع من البنايات.

خاتمة :

تبقى جوانب لا تقل أهمية عمّا تناولناه كطرق العمل التي تبقى في رأينا في حاجة ماسة إلى توحيد الممارسات وتقنينها لدى الأرشيفيين الممارسين، كما أن هناك

ضرورات ملحة تساعد في العمل الأرشيفي كبرنامجات الحفظ وجداول التسيير باعتبارهما أداة فعالة في العملية الأرشيفية، بالإضافة إلى ضرورة وضع سياسة وطنية لأدوات البحث التي تبقى دون المستوى نظرا لضعف التكوين في هذا المجال والتي نعتبرها -أدوات البحث- مقياسا ومؤشرا على حسن أدائنا لمهمتنا وفاعلية مصالحننا الأرشيفية في الحفظ والترتيب والتبليغ، هذه بعض ملامح منظومتنا الأرشيفية التي تبقى في حاجة إلى تطوير وتنمية، وتتطلب منا إعادة النظر في طريقة الأداء التي يقدمها الأرشيفيون في الميدان ولن يتأتى ذلك إلا بضمان تكوين نوعي وجيد لأرشيفيي المستقبل من خلال إعادة النظر في البرامج التكوينية مع تحسين مستوى الأرشيفيين الحاليين.

المراجع:

- حمودة، محمود عباس. الأرشيف ودوره في خدمات المعلومات. القاهرة: دار غريب، 2003. 327 ص
- نايتي، محمد الصالح. مراكز الأرشيف ودورها في نشر المعلومات: الواقع الوطني. "مجلة العلوم الإنسانية" المجلد 2، رقم 3 (ديسمبر، 2003). ص. 81-87
- القانون رقم 88-09 المؤرخ في 26/01/1988 المتعلق بالأرشيف الوطني. جريدة رسمية رقم 04 (يناير، 1988). ص. 139-141
- قانون 98-04 المؤرخ في 15/06/1998 المتعلق بحماية التراث الثقافي. جريدة رسمية رقم 44 (يونيو، 1998). ص. 3-19
- مرسوم رقم 96-168 المؤرخ في 13/05/1996 الذي يحدد كفاءات تسيير الأرشيف القضائي وحفظه. جريدة رسمية رقم 30 (مايو، 1996). ص 8-10
- المنشور رقم 03 المؤرخ في 02/02/1991 المتعلق بتسيير وثائق الأرشيف.
- المنشور رقم 08 المؤرخ في 24/01/1995 المتعلق بتسيير الأرشيف الإداري.
- المنشور المؤرخ في 02/03/1999 المتعلق ببرنامج بناء مراكز الأرشيف.
- Association des archivistes français. Manuel d'archivistique : théorie et pratique des archives publiques en France. Paris :SEVPEN, 1970. 805 p.
- Badjadja, Abdelkrim. Méthode d'évaluation d'une politique nationale de gestion des archives : l'expérience algérienne. Actes du séminaire national sur le système national d'information SNI2. Etat actuel et perspectives. Alger : Cerist, 1999. 25 p.
- Coeuré, Sophie. Les archives. Paris : la découverte, 2001. 124 p.
- Couture, Carol [et al.]. les fonctions de l'archivistique contemporaine. Québec : Presse de l'université du Québec, 1999. 559 p.
- Direction générale des archives nationales. Etat des archives de l'Algérie en 1994. In : « Publications des archives nationales » N°01, 1995. Actes de la journée nationale sur la gestion des archives administratives organisée le 16 avril 1994 à Alger
- Favier, Jean. Les archives. Paris : PUF, 1959. Coll. Que sais-je ?
- Issolah, Rosa. Management des systèmes d'information : enjeux et méthodes d'évaluation. Alger : OPU, 2005. 96 p.
- Duchein, Michel. La révolution archivistique : le défi des archives modernes à l'archiviste. In : « la gazette des archives » N°80 (1^{er} trim., 1973). Pp. 11-25
- Pérotin, Yves. Les archivistes et le mépris. In : « la gazette des archives » N° 68 (1^{er} trim., 1970). Pp. 07-23
- Fouad, Soufi. Les archives : une problématique patrimonialisation. In : « Insaniyet » N°12 (septembre-décembre, 2000). Pp.129-148
- Fouad, Soufi. En Algérie : l'Etat et ses archives. Mémoire de magister. Alger : département de Bibliothéconomie, 2002. 324 p.
- Walne, Peter. Dictionnaire de terminologie archivistique : english, french and arabic. Beyrouit : arab scientific publishers, 1990. 278 p.

من المخطوطات الورقية بالخرانات الشعبية (الزوايا) إلى المكتبة الرقمية للمخطوطات بالمركز الوطني للمخطوطات (أدرار).

د . مولاي امحمد.

جامعة أدرار/ الجزائر

مقدمة:

تعتبر المخطوطات أحد الأوعية الفكرية التي لا غنى عنها للباحثين، ورغم هذه الأهمية التي تكتسبها إلا أنها لم تحظى إلى حد الآن في الجزائر بالاهتمام الكافي، يجعلها في متناول الباحثين، جمعا وصيانة وفهرسة ثم رقمتها من أجل الحفظ والنشر، وتعد الجزائر من بين البلاد العربية الغنية بالمراكز العلمية التي تحتفظ بالمخطوطات، كالزوايا، والخرانات الشعبية، والقصور، هذه المراكز تحتفظ بكنوز من المخطوطات النفيسة إلا أنها في أشكال تقليدية، وفي ظروف طبيعية قاسية غير ملائمة لحفظ المخطوطات خاصة خزانات الجنوب الجزائري (الصحراء).

وباعتبار المركز الوطني للمخطوطات المؤسسة الوطنية المسؤولة عن جمع المخطوطات وإتاحتها للباحثين عبر الوطن، وخاصة مخطوطات الصحراء الجزائرية التي لا زالت تنتظر حملة واسعة للكشف عنها، حتى تكون في متناول الباحثين، وبظهور الرقمنة كوسيلة تكنولوجية حديثة، إضافة إلى ظهور أنواع حديثة للمكتبات المتمثلة في المكتبات الرقمية، أصبح بإمكان الباحثين الحصول على المخطوطات دون التنقل إلى هاته الخزانات إذا ما تمت رقمنة مخطوطاتها وأتيح للباحثين بأشكال حديثة دون الإضرار بالمخطوطات الأصلية سواء إتاحتها للتفحص على الشبكات المحلية أو العالمية، أو إتاحتها داخليا داخل المركز الوطني للمخطوطات، ولهذا الغرض جاءت هذه الدراسة من أجل وصف واقع المركز الوطني للمخطوطات، واقتراح آفاق ورؤيا مستقبلية للمركز الحديث الإنشاء من خلال تحويل مخطوطات الخزائن الشعبية من الشكل التقليدي تحت الرمال والبنىات الطينية إلى الشكل الرقمي (مخطوطات رقمية) داخل مخازن حفظ المخطوطات المتوفرة على الشروط العالمية لحفظ المخطوطات، وإيضاح كيفية الاستفادة من التكنولوجيات الحديثة وتكنولوجيا الاتصال في ذلك، بغرض بناء قاعدة بيانات لهاته المخطوطات وإتاحتها رقميا للباحثين في موقع المركز الوطني للمخطوطات والذي حاولنا إنشاءه شخصيا بواسطة المكتبة الرقمية للمخطوطات، وبين هذا وذاك فإذا كانت الفهرسة عاملا من عوامل الحفاظ على التراث العربي المخطوط فان الرقمنة كوسيلة تكنولوجية حديثة لها دورها البالغ الأهمية في الحفاظ على المخطوطات ومعالجتها علميا وماديا، وإتاحتها في

أشكال حديثة ضمن مكتبات متطورة تعرف بالمكتبات الرقمية للمخطوطات، فكيف يمكن الحفاظ على مخطوطات الخزانات الشعبية خاصة خزانات الجنوب الجزائري وإتاحتها رقميا من خلال المركز الوطني للمخطوطات؟ وما هي مختلف العمليات أو المراحل التي لابد منها قبل عملية الرقمنة؟ ثم كيف يمكن تحويل هاته المخطوطات إلى المركز الوطني للمخطوطات مع إنشاء مكتبة رقمية للمخطوطات بالمركز مستفيدين في ذلك من التجارب الرائدة في هذا المجال؟

1. الخزانات الشعبية (الزوايا) للمخطوطات بالجنوب الجزائري (خزانات ولاية أدرار نموذجاً):

1.1. تعريف خزانة المخطوطات الشعبية: خزانة المخطوطات هي المكتبة الشعبية التي بها مخطوطات¹، تكون في أغلب الأحيان تابعة لزوايا العلم والقرءان، حيث أنها تمثل مكتبة الزاوية²، وهي مركز غير رسمي حيث تعود ملكية المخطوطات فيه إلى شيخ الزاوية أو إلى مالك الخزانة والذي يرثها عن أجداده حيث تتم قسمة المخطوطات مثل باقي الإرث من المال والمسكن وغيرها، وغالبا يرث المخطوطات الابن الفقيه في العائلة³، حيث لا يخلو بيت من المخطوطات في مختلف الفنون المعرفية في إقليم توات بالجنوب الجزائري مثلا⁴.

2.1. مراكز المخطوطات في الجزائر: تنتشر مراكز المخطوطات في ربوع الوطن شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، حيث لا يمكن القول أنها موجودة في منطقة دون سواها باستثناء الفارق في الكمية، " حيث تعد منطقة الصحراء الكبرى الجزائرية من أغنى المناطق بالمخطوطات، إذ نجد في مراكزها العلمية على اختلاف أنواعها شتى ضروب المعرفة الإنسانية"⁵، ويمكن أن نقسم المراكز العلمية للمخطوطات إلى قسمين:

1.2.1. المراكز الرسمية: ونعني بها المراكز العلمية التي تشرف عليها هيئات رسمية وعمومية، ومن أبرزها:

- المكتبة الوطنية الجزائرية: حيث وصل آخر إحصاء بالإضافة إلى الاقتناء الأخير الذي قامت به المكتبة الوطنية الجزائرية في سنة 2006 إلى 3853 مخطوط⁶.

- المكتبة المركزية "أحمد عروة" لجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة وتضم 719 مخطوط.

- مكتبة مديرية التراث بوزارة الشؤون الدينية في العاصمة، بلغ عدد مخطوطاتها 700 مجلد.

- مكتبة ثانوية ابن زرجب بتلمسان وبها 100 مخطوط.

وكل هاته المراكز الرسمية تقريبا لم تعد فهارس لمخطوطاتها ماعدا المكتبة الوطنية⁷.
2.2.1. المراكز الغير الرسمية: تتمثل المراكز الغير الرسمية في الخزانات (الأهلية) الشعبية للمخطوطات، وتحتوي هاته المراكز على أعداد هائلة من الكتب المخطوطة مقارنة بالمراكز الرسمية، وما يزال الكثير من هاته الخزائن مجهول لدى الباحثين بل حتى الأهالي في بعض القصور، إذ من حين لآخر يتم العثور على أعداد لنسخ نادرة من المخطوطات المدفونة هنا وهناك بين القصور القديمة، ومن أمثلة هذه الخزائن:

- خزانة مكتبة زاوية مولى القرقور بسريانة ولاية باتنة.

- خزانة الزاوية العثمانية بطولقة ولاية بسكرة.

- مكتبة الزاوية القندوسية بولاية بشار.

- مكتبة الشيخ المهدي البوعبدلي بولاية وهران.

- مكتبات منطقة وادي ميزاب بولاية غرداية.

- خزانات مخطوطات ولاية معسكر.

1.2.2.1. خزائن مخطوطات إقليم توات (ولاية أدرار): تعتبر منطقة توات التاريخية (ولاية أدرار حاضرا) بأقاليمها الثلاث (توات، وقورارة، وتديكلت) منطقة عبور وتواصل بين مختلف الشعوب القاطنة في شمال إفريقيا وجنوبها⁸، وبحكم هذا الموقع الجغرافي الاستراتيجي شكل الإقليم نقطة عبور لجملة من القوافل التجارية⁹، وركاب الحجيج حيث كان الإقليم يعتبر ممر لمختلف حجاج المغرب عبر السودان، كل هاته العوامل كانت سببا في ربط علاقات الإقليم ثقافيا وسياسيا واقتصاديا داخل الجزائر كتلمسان والجزائر العاصمة¹⁰ وخارجها كبلاد السودان وفاس بالمغرب ومالي والنيجر، هذه العلاقات بأنواعها أفرزت إنتاجا فكريا هائلا تجسد في المخطوطات التي تمثلها بها الخزائن الشعبية بأنواعها، وتشير الإحصاءات الأخيرة للمخطوطات بولاية أدرار أن عدد المخطوطات المتبقية بالخزانات هو 3000 مخطوط في حين أن هذا العدد كان 27000 مخطوط قبل عمليات النهب والسرقة التي تعرض لها المخطوط بالمنطقة¹¹، ثم إن الناظر في خزانات المخطوطات التواتية، يجد من الوهلة الأولى أن غالب مخطوطاتها في الفقه واللغة، وغير ذلك من العلوم بدرجة أقل¹²، حيث يضم إقليم تيديكلت (11) خزانة للمخطوطات، في حين يحتوي إقليم توات الوسطى على (28) خزانة، بينما إقليم قورارة (14) خزانة، وكل هاته الخزانات غير مفهومة ولا تتوفر فيها أدنى شروط حفظ المخطوطات، والجدول الملحق بالبحث يبين أسماء كل الخزائن مع موقعها على الخريطة مع عدد المخطوطات الذي استطعنا الحصول عليه بكل خزانة.

2.2.2.1. نموذج من خزائن إقليم توات:

خزانة كوسام: تقع هذه الخزانة بمنطقة تيمي، التابعة حاليا لبلدية تيمي، وهي تبعد عن مقر الولاية بـ 9 كم. يشرف عليها حاليا معلم قرآن، وهو يقوم بإعادة نسخ المخطوطات نظرا للحالة المادية السيئة لها، حيث قام بنسخ 200 مخطوط إلى حد الآن، ويبلغ عدد المخطوطات الذي تمكن من التعرف عليه حوالي 300 مخطوط أصلي بالتقدير¹³ في مختلف ميادين المعرفة الإنسانية مثل الفلك والرياضيات والطب والنحو والآداب والفقه، جدران الخزانة من الطين أجريت بها مؤخرا مجموعة من الترميمات بالاسمنت من الداخل وهي تحتوي على رفوف تقليدية من الطين توضع المخطوطات بداخلها كما هو موضح في الموقع الملحق بالبحث بالصور، معظم المخطوطات بالخزانة مصابة إن لم تكن كلها فهي في حالة جد خطيرة تحتاج إلى عمليات الصيانة والترميم الاستعجاليتين، حيث أثرت فيها العوامل الطبيعية القاسية كالحرارة والرياح إضافة إلى القوارض والحشرات، وعلى العموم فإن حال خزانة كوسام يعكس الصورة الحقيقية لمخطوطات الخزائن الأخرى من حيث الحالة المادية والهيكل العام للخزانة، وتجدر الإشارة إلى أن الاطلاع على المخطوطات من أصعب العقبات التي تواجه الباحثين في مجال المخطوطات داخل الخزائن حيث أن معظم الخزائن يستحيل الاطلاع على مخطوطاتها بل أن منها من لا يعرف مكانها إلا أصحابها كما هو الحال في خزانة مخطوطات قصر انزجمير التي لا يعرف مكانها إلا مالكيها، لكن هذا المشكل له عدة أسباب أنتجت خاصة عمليات النهب والسرقة من بعض السياح بل حتى الباحثين أحيانا، وهو ما جعل أصحاب الخزائن يغلقون أبوابهم في وجه الباحثين وأصبح لا يستطيع الدخول إلى الخزانة إلا من له وساطة أو ضمانات لأصحابها، وهذا هو حال معظم خزائن المخطوطات بالمنطقة، فكيف يمكن إنقاذ هاته المخطوطات وإتاحتها للباحثين داخل الجزائر ولما لا خارجها؟

2. المكتبات الرقمية:

1.2. تعريف المكتبة الرقمية: هي في الأساس مكتبة بدون جدران¹⁴، تقتني مصادر المعلومات الرقمية، سواء المنتجة أصلا في شكل رقمي أو التي تم تحويلها إلى الشكل الرقمي (المرقمنة)¹⁵، والمعلومات الرقمية هنا مثل كثير من المعلومات التي تكتب على الحاسوب، ومن ثم تُنشر عبر وسيط إلكتروني كالكتاب الإلكتروني أو من خلال دورية إلكترونية أو بواسطة الإنترنت، أما المعلومات المرقمنة هي التي يتم تحويلها من الأوعية التقليدية (الكتب الورقية، أو الميكروفيلم أو الميكروفيش أو أي وسيط آخر -بصرف النظر عن وسيلة التحويل سواء كانت بالتصوير أو المسح الضوئي scanning أو بإعادة الإدخال- إلى شكل يمكن من خلاله قراءتها والتعاطي معها

والإفادة منها،¹⁶ حيث يتم جمع وتخزين المعلومات فيها بالشكل الرقمي (الإلكتروني) وقراءة المعلومات من الشاشة، وهي لا تحتاج إلى مبنى وإنما إلى مجموعة من الخوادم (servers) وشبكة تربطها بالنهايات الطرفية للاستخدام¹⁷، والمكتبة الرقمية أيضا نظام معلومات تكون فيه موارد المكتبة متوفرة في شكل يعالج بواسطة الحاسوب، وتستند فيه جميع وظائف الاقتناء والحفظ والاسترجاع والإتاحة إلى تكنولوجيا الرقمنة¹⁸، وللمكتبة الرقمية وجود مادي، فهي عبارة عن مجموعة نصوص رقمية أتحت للعرض بواسطة تقنية النص المترابط (hypertext) ومتاحة على شبكة محلية أو شبكة الانترنت، يطلع عليها المستفيد عن بعد أي أن الاتصال بالمكتبة الرقمية لا يكون إلا عبر الحاسوب¹⁹، ومن خلال هذه التعاريف نستنتج أن اهتمام المكتبة الرقمية ينصب على الإتاحة، Access والخدمة Service أي بمعنى أن أهم مميزات المكتبة الرقمية هي المحتوى الرقمي وتقنيات إتاحة المعلومات (على الشكل الرقمي)²⁰.

2.2. الرقمنة والمواد الرقمية: تنقسم المواد الإلكترونية بطبيعتها إلى شقين، المواد ذات الشكل التناظري ومن نماذجها الأشرطة الصوتية وأشرطة الفيديو المرئية، والمواد ذات الشكل الرقمي ومن أمثلتها الأقراص المكنزة وأقراص الفيديو الرقمية ومصادر الإنترنت، والرقمنة أو التحويل الرقمي هو عملية تحويل البيانات إلى شكل رقمي وذلك لأجل معالجتها بواسطة الحاسب الإلكتروني، وفي سياق نظم المعلومات، وعادة ما تشير الرقمنة إلى تحويل النصوص المطبوعة أو الصور (سواء كانت صور فوتوغرافية أو إيضاحات أو خرائط.. إلخ) إلى إشارات ثنائية باستخدام نوع من أجهزة المسح الضوئي التي تسمح بعرض نتيجة ذلك على شاشة الحاسوب، وتنقسم الرقمنة إلى نوعين:

الرقمنة في شكل صورة: يعني هذا الشكل حفظ الوثائق بشكل صورة غير قابلة للتحويل أو التغيير²¹، ويتم في هذه الحالة تصوير الكتاب صفحة بصفحة، وهي الطريقة المعتمدة في رقمنة المجموعات الكبيرة من الكتب، لأن التكلفة باعتماد هذه الطريقة تكون منخفضة، هذا بالإضافة إلى المحافظة على فكرة الكتاب الصفحة والتصفح لأن النسخة الرقمية هي في الحقيقة نسخة للشكل الورقي²².

الرقمنة في شكل نص: يتم في هذا الشكل استرجاع المعلومات مع إمكانية إدخال بعض التحويلات والتعديلات عليها وذلك باستخدام برنامج خاص بالتعرف الضوئي على الحروف OCR²³، وفي هذه الحالة يتم نسخ الكتاب صفحة بصفحة أي أن المكتبة ستعيد كتابة النص كاملا، وعلى عكس الطريقة الأولى فإنه لا يمكن الاحتفاظ

بفكرة الكتاب، ذلك لأن الكتاب في هذه الحالة يصبح نصاً، يظهر بصفة متواصلة على الشاشة²⁴.

3.2. أسباب إنشاء المكتبة الرقمية:

1. الحاجة إلى تطوير الخدمات وتقديمها بشكل أسرع وأفضل.
2. وجود تقنية مناسبة وبتكاليف مناسبة.
3. وجود العديد من أوعية المعلومات بشكل رقمي و متاح تجارياً.
4. انتشار الإنترنت وتوفيرها لدى العديد من المستخدمين²⁵.
5. الانفجار المعلوماتي العالمي للمعلومات وصعوبة السيطرة عليه.
6. المشاكل والعراقيل التي تتخبط فيها المكتبات التقليدية.

4.2. أهداف المكتبة الرقمية: لقد أوجزت لجنة تنسيق Interagency مبادرة

المكتبات الرقمية أهداف المكتبة الرقمية فيما صاغته كرسالة للمكتبة الرقمية عندما أكدت أن الهدف الواسع لمبادرة المكتبة الرقمية يكمن في تحسين سبل تجميع مصادر المعرفة وتخزينها وتنظيمها وإتاحة استخدامها بشكل واسع في مختلف أشكالها الإلكترونية²⁶ إتاحة عالمية للمعلومات،²⁷ إضافة إلى هذا فإن المكتبات الرقمية تهدف إلى:

- الإسهام في إنتاج المعرفة وتقاسمها والإفادة منها، مما يجعل المجتمعات أكثر فعالية وإنتاجية، وأيضاً لتعظيم درجة التعاون بين تلك المجتمعات.
- معاونة المجتمعات القائمة في قطاعات البحث والتعليم، وتيسير إنشاء مجتمعات جديدة في تلك القطاعات.

إن إنشاء المكتبات الرقمية ليس هدفاً في حد ذاته، وإنما تفيد هذه المكتبات في إدارة المصادر الرقمية، والتجارة الإلكترونية، والنشر الإلكتروني، والتدريس والتعلم، وغيرها من الأنشطة²⁸، وحتى تتضح أهداف المكتبات الرقمية بصورة دقيقة نورد فيما يلي خصائص هذا النوع من المكتبات.

5.2. خصائص ومزايا المكتبة الرقمية: حتى يتصف أي رصيد وثائقي سواء كان كتب أو دوريات أو مخطوطات بصفة المكتبة الرقمية، فإنه يشترط فيه أن يبني على العناصر التالية:

- المحتوى الرقمي ومستودعات المصادر هي العنصر المميز للمكتبة الرقمية.
- بيئة عمل موزعة تتكون من شبكات حاسبات وتقنيات اتصال²⁹.
- إمكانية إنتاجها من عدة مناطق مختلفة على أن يتم الولوج إليها على أساس أنها كيان واحد.
- أن تكون منظمة ومصنفة من أجل ولوج سهل انطلاقاً من المكان الذي هو مقرها³⁰.

- إنتاج المعلومات والتحويل الرقمي (الرقمنة).
 - صيانة المجموعات والحفظ الرقمي لضمان استمرارية الإتاحة على المدى الطويل³¹.
 - حيادية الموقع: حيث تمتاز المكتبة الرقمية بأنها متوفرة للمستخدم في أي وقت ومن أي مكان يتوفر فيه حاسوب مرتبط بشبكة³²، أي أنها تحمل مجموعاتها إلى المستخدم حيث هو³³.
 - تهيئة الدخول المفتوح: لا يمكن أن نصف أي مجموعات معلوماتية رقمية بأنها مكتبة رقمية ما لم تكن مفتوحة إما للعامة أو لجمهورها الذي تحدده هي، كما يجب توفر خصائص البحث والتصفح.
 - مصادر معلومات متنوعة: تتميز المكتبة الرقمية باحتوائها على مصادر المعلومات المختلفة فلا تكتفي بالمعلومات البيولوجرافية أو النصية بل تشمل كل مكونات المعلومات ومصادرهما على اختلاف أشكالها.
 - دائماً متوفرة: حيث تقضي المكتبة الرقمية على مشكلات ساعات العمل التي تؤرق المكتبيين التقليديين والمستخدمين التقليديين على حد سواء وذلك بتبنيها مفهوم 24-7، أي أربعة وعشرون ساعة يوميا – سبعة أيام في الأسبوع³⁴.
 - إمكانية الاستفادة من الموضوع ومطالعة من قبل عدد كبير من الباحثين في وقت واحد³⁵.
- 6.2. الوظائف الأساسية للمكتبات الرقمية:** يتفق كثير من الباحثين على أن الهدف الأساسي للمكتبة الرقمية هو إنجاز جميع وظائف المكتبة التقليدية³⁶، حيث يشير جلادني (Gladney) إلى أنه لا بد للمكتبة الرقمية من تقديم كل الخدمات الأساسية للمكتبات التقليدية، إضافة إلى استثمار ما يتيح الاختزان الرقمي وأساليب البحث وتكنولوجيا الاتصالات من مزايا³⁷، وفي الواقع نجد أن المكتبة الرقمية- كما أشرنا في تعريف المكتبة الرقمية- ما هي إلا امتداد رقمي للمكتبة التقليدية تختلف عنها في جانب الخدمة والإتاحة، ولكي تتمكن المكتبة الرقمية من تحقيق أهدافها بأكثر فعالية يترتب عليها القيام بالوظائف التالية:
- 1.6.2. الاختيار والتزويد:** ويتضمن ذلك اختيار المحتوى الذي تتألف منه المكتبة بكافة أشكاله (سواء كان يتواجد بالداخل أو بالخارج، مجانياً أو تجارياً، مملوكاً للمكتبة أو مرخصاً باستخدامه) ورقمته³⁸.
- 2.6.2. التنظيم:** تنظيم المحتوى وينقسم إلى:
- **تنظيم فكري:** لوصف الكيانات المعلوماتية من خلال إنشاء واصفات البيانات metadata، والتصنيف، والتكشيف، بغرض تفعيل عمليات البحث والاسترجاع.

- **تنظيم مادي:** ويضم الأجهزة والبرمجيات المرتبطة بإنشاء قواعد البيانات والكشافات، وأدوات البحث والاسترجاع التي تمثل واجهة المكتبة الرقمية التي يتم الإفادة منها من قبل المستخدمين بواسطة التصفح والبحث والاسترجاع واستعراض محتويات المكتبة الرقمية، وعادة ما يتم عرض هذه الواجهة للمستخدمين في صفحة عنكبوتية بصيغة تشكيل النص الفائق.

3.6.2. موقع المكتبة الرقمية: وهو الحاسب الخادم server الذي يستضيف مجموعة المكتبة الرقمية، ويعرض هذه المجموعة للمستخدم في شكل صفحة رئيسية لموقع عنكبوتي، ويمكن للمستخدم هنا اختيار الرابطة المناسبة في هذه الصفحة للانتقال إلى الواجهة الخاصة بالبحث والاسترجاع المذكورة آنفًا، وتقوم المكتبة الرقمية بإيصال المحتوى بناء على عمليات البحث والاسترجاع هذه، والجدير بالذكر أن الصفحة الرئيسية نفسها للمكتبة الرقمية يمكن ربطها مع موقع المكتبة من خلال إحدى الروابط الفائقة المناسبة.

4.6.2. المشابكة (الربط الشبكي): حيث ينبغي أن يكون موقع المكتبة الرقمية مرتبطًا بالشبكة المحلية للمؤسسة أو بالشبكة العالمية الانترنت.

5.6.2. الإتاحة وإدارة الإتاحة: وتشمل أساليب البحث وعرضه وتوصيله للمستخدم، وإدارة هذه الإتاحة من خلال ضبط الإتاحة للمصادر المرخصة، وأمن وحماية المحتوى.³⁹

7.2. متطلبات إنشاء المكتبات الرقمية: من أهم متطلبات إنشاء المكتبة الرقمية ما يلي:⁴⁰

متطلبات قانونية: احتياجات قانونية وتنظيمية إذ يتعين على المكتبة عند تحويل موادها النصية من تقارير وبحوث ومقالات وغيرها إلى أشكال يمكن قراءتها آليا الحصول على إذن خاص من صاحب الحق عملا بقوانين حقوق الطبع والحماية الفكرية.

متطلبات تجهيزية: أجهزة خاصة لربط المكتبة بشبكة إتصالات داخلية وشبكة الانترنت العالمية، أجهزة تقنية خاصة بتحويل مجموعات المكتبة من تقليدية إلى رقمية، أجهزة الحواسيب ولواحقها المختلفة، طابعات ليزيرية متطورة، مساحات ضوئية، وأجهزة تصوير.

متطلبات برمجية: برمجيات Software وبروتوكولات لربط نظم استرجاع المعلومات على الخط، بالإضافة إلى الاشتراك في الدوريات الإلكترونية، حيث يتم ربط المكتبة بالناشر أو مقدم الخدمة برقم النطاق Ip Adress.

متطلبات بشرية: كوادر بشرية فنية مؤهلة وقادرة على التعامل مع التقنيات الحديثة بوجهيها المادي والفكري، وهنا يعتبر هذا العامل أهم عنصر باعتبار الكادر البشري هو الأساس لنجاح أي عملية.

متطلبات مالية: الدعم المالي القوي الذي يساعد على تنفيذ المشروع وتشغيله.

8.2. أسس إنجاز المكتبات الرقمية: إن بناء مكتبة رقمية مكلف ويتطلب العديد من الموارد قبل الإقدام على مثل هذه المشاريع ومن المهم جدا أخذ بعض الأسس بعين الاعتبار وخصوصا التصميم والأجهزة وأدوات الصيانة، ولأجل أن تدوم محتويات المكتبة الرقمية وتصبح متاحة دوما بغض النظر عن جهاز الكمبيوتر، المتصفح أو حتى الشكل الرقمي المستخدم ينصح بإتباع جملة من الأسس والممارسات التي لا تطبق على المكتبات التي تحولت من التقليدية إلى الرقمية فحسب، بل أيضا على المكتبات الرقمية في الأصل (التي ولدت رقمية) وأيضا مزج المكتبات الرقمية التي يمكن لمحتوياتها أن تكون بالنوعين الرقمي وغير الرقمي أي المهجنة، ونورد فيما يلي بعض الأسس التي وضعها كل من Meceray Alexat و Gallay her Marie E⁴¹ وهي عشرة أسس كالتالي:

- 1- توقع التغيير Expect change.
 - 2- تعرف على محتوياتك Know your content.
 - 3- إشراك الناس الملائمين People Involve the right.
 - 4- تصميم نظام يمكن استعماله System Design usable.
 - 5- تأكيد الوصول المفتوح Ensure open Access.
 - 6- كن على علم بحقوق المعلومات rights be aware of data.
 - 7- الأتمتة كل ما أمكن Possible Automate when ever .
 - 8- التبنّي والإنضمام إلى المعايير standards Adoptand ad hereto.
 - 9- تأكيد النوع - الصفة Ensurequality.
 - 10- الاهتمام بالمتابعة persistence be concerned about⁴².
- 9.2. أنواع المكتبات الرقمية:** يمكن تصنيف المكتبات الرقمية تبعا لنوعية المعلومات التي تهدف هي لإتاحتها وتبعا لنوعية وشكل الوثائق التي تخزنها وتعرضها، حيث يصنفها الدكتور سعد الزهري إلى:
- مكتبات رقمية مكونة من مجموعات متعددة الأشكال (نص، صور، تسجيلات).
 - مكتبات رقمية في شكل مجموعات مصورة Image .
 - المكتبات الرقمية للمواد سريعة الزوال⁴³، وليس بعيد عن هذا التصور، يصنفها الأستاذ محمد طاشور إلى:

- المكتبات الرقمية الموجهة للجامعات:

لقد عرف قطاع الجامعات في الدول المتقدمة أربعة أنواع من المبادرات: القواعد الرقمية، الموجزات الرقمية، سلاسل الكتب الإلكترونية، وأدوات الدروس الرقمية. المكتبات الرقمية التراثية: يتكفل هذا النوع من المكتبات الرقمية برقمنة الوثائق النادرة والتمينة، قصد وضعها في متناول الباحثين⁴⁴.

2.10. عيوب المكتبات الرقمية: تعاني المكتبات الرقمية من مجموعة العيوب تتمثل في:

- 1- مشكلة الزوال التكنولوجي للأجهزة والبرامج حيث يصل إلى 30 سنوات بالنسبة للبرامج و10 سنوات بالنسبة لأحدث الوسائط⁴⁵.
- 2- ضعف التحكم في المعلومات من قبل مالكي الحقوق الفكرية، وصعوبة إدارة هذه الحقوق⁴⁶.
- 3- الارتفاع النسبي في تكلفة إنشاء هذه المكتبات.
- 4- الزيادة الهائلة في اقتناء البيانات والمعلومات وتمثيلها في أشكال رقمية متنوعة⁴⁷.

3. المكتبات الرقمية للمخطوطات: من خلال التصنيفات السابقة الذكر للمكتبات الرقمية نستنتج التعريف التالي للمكتبة الرقمية للمخطوطات.

1.3. تعريف المكتبة الرقمية للمخطوطات: هي مكتبات رقمية تتيح مواد ربما لا يتاح المجال لمطالعته نظراً لطبيعتها أو لحالتها⁴⁸ ونحن نعلم أن المخطوطات هي أهم الأوعية الفكرية التي حالتها المادية سيئة جداً خاصة إذا ما تعلق الأمر بالمخطوطات التي لازالت في الخزائن الشعبية التي تنعدم فيها أدنى شروط الحفظ، فتلجأ المكتبات الرقمية للمخطوطات لإنتاج نسخ رقمية للاستخدام حتى لا تتأثر المخطوطات الأصلية⁴⁹، وذلك من خلال رقمنتها ونشر الأصلية والنادرة منها على أقراص مليزرية وإتاحتها إما للتصفح الداخلي، باستخدام برنامج خاص بالتصفح⁵⁰، وهو نفس التصور الذي يطبق في مركز جمعة الماجد- الإتاحة الداخلية للمخطوطات الرقمية- أو بالإتاحة الخارجية على الشبكات (المحلية، الانترنت) بإتاحة الفهرس الرقمي للمخطوطات فقط مثل مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، أو تفحص المخطوط كلياً كما في موقع الدكتور يوسف زيدان، هذه السياسة في الرقمنة ترمي إلى التكفل بالتراث الثقافي العربي الإسلامي المخطوط للأمة العربية الإسلامية وصيانة ذاكرتها الجماعية من الضياع.

2.3. المخطوط الرقمي: المخطوطات الرقمية هي المخطوطات التي تم تحويلها من الشكل التقليدي (الورق- البردي- الجلود- الأحجار) إلى الشكل الرقمي (الأقراص

بأنواعها-والحوامل الالكترونية الأخرى)⁵¹ عن طريق عملية الرقمنة(على شكل نص أو على شكل صورة)⁵² بغض النظر عن وسيلة التحويل سواء أكانت بالتصوير أو المسح الضوئي scanning أو بإعادة الإدخال⁵³ فنتحصل على مخطوطات مرقمنة وبالتالي رقمية.

3.3. مزايا المكتبات الرقمية للمخطوطات: بما أن المكتبات الرقمية للمخطوطات نوع من المكتبات الرقمية فان لها نفس متطلبات الإنشاء ونفس المزايا والخصائص، بالإضافة إلى :

1- يقول صلاح الدين المنجد في كتابه قواعد تحقيق المخطوطات إن من شاء تحقيق مخطوطة عليه أولاً أن يسعى إلى معرفة نسخها العديدة التي قد توجد مبعثرة في مكتبات العالم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً⁵⁴، ولا شك أن المكتبات الرقمية للمخطوطات تمثل الأداة والنظام المناسب لذلك.

2- المساعدة في الحفاظ على الوثائق النادرة السريعة العطب بدون إخفائها عن الباحثين، فعلى سبيل المثال تحتفظ المكتبة الوطنية البريطانية في لندن بالنسخة الوحيدة لمخطوطة بيوولف beowulf التي تعود إلى القرون الوسطى، ولم يكن مسموحاً برؤيتها إلا لقلّة من الباحثين المختصين إلى أن قام كيرنان من جامعة كنتكن الأمريكية بتصويرها، كما قامت مكتبة داي الوطنية في طوكيو بإنشاء 1236 نسخة رقمية لمطبوعات خشبية وملفوفات فنية تراثية لكي يتمكن الباحثين من تصفحها دون المساس بالنسخ الأصلية.

3- إظهار تفاصيل لا يمكن رؤيتها مباشرة على الوثيقة، فمثلاً إذا عدنا إلى المثال السابق مخطوطة بيوولف استخدم في تصويرها الماسح الضوئي بثلاث مصادر مختلفة للضوء مبينا بذلك تفاصيل لا ترى بالعين المجردة⁵⁵.

4.3. نماذج عن المكتبات الرقمية للمخطوطات:

1.4.3. المكتبة الوطنية الفرنسية والمكتبة الوطنية البريطانية: تتمثل تجربة المكتبة الوطنية الفرنسية في عرضها لأرصدة المهندسين المعماريين Boulè و Leque من خلال موقع Gallica، الذي تم فتحه سنة 1997 وهو بمثابة الموقع الالكتروني للمكتبة الفرنسية الوطنية⁵⁶، أما في المكتبة البريطانية في لندن فتستخدم الأرشفة الضوئية لحفظ المخطوطات القديمة التي تعود إلى القرون الوسطى⁵⁷.

2.4.3. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية: أنشئ مركز الملك فيصل لبحوث والدراسات الإسلامية عام 1403 هـ ومن بين الأهداف التي يسعى إليها المركز المحافظة على التراث الإسلامي، حيث قام بإنشاء قسم خاص بالمخطوطات يحتوي

على ثمانية آلاف مخطوطة، وهو يسعى لاقتناء أكبر عدد ممكن من المخطوطات، إضافة إلى أنه يقوم بتخزين المعلومات التفصيلية عن المخطوطات في جهاز الحاسب الآلي⁵⁸.

3.4.3. مركز الوثائق والبحوث: يطمح مركز الوثائق والبحوث بديوان رئيس الدولة من جهته إلى تقديم خدماته للباحثين عبر العالم بنشر سبعة ملايين وثيقة تاريخية على شبكة الانترنت بعد التصوير الرقمي⁵⁹، كما يهدف أيضا إلى وضع المواد الأرشيفية كافة بالنظام الرقمي لحفظها وجعلها متوفرة على شبكة الإنترنت⁶⁰.

4.4.3. مركز جمعة الماجد: يقوم مركز جمعة الماجد بدولة الإمارات المتحدة بدبي بتوفير عشرات الآلاف من الكتب والمخطوطات النادرة والخرائط والوثائق الفريدة التي يكتنيتها لتكون تحت تصرف طلاب العلم والباحثين من كل أنحاء العالم، وقد بلغ عدد المخطوطات التي يكتنيتها المركز ما يقارب الخمسين ألف عنوان، حيث يحتفظ بما يصل إلى 880 فهرسا تقع في 1344 مجلد تحصر المخطوطات الموجودة في 52 دولة حول العالم، وقد قام الباحثون في المركز بابتكار وتصنيع جهاز لصيانة وترميم المخطوطات، وتم إهداء وحدات من ذلك الجهاز إلى جهات عديدة داخل الإمارات العربية المتحدة وخارجها مثل الجزائر وإيران وغيرها، وأشار الأمين العام المساعد للمركز الدكتور جاسم محمد جرجس إلى أن مكتبة الوسائط المتعددة في المركز تشمل المواد البصرية والسمعية والأسطوانات المدمجة والمصغرات الفيلمية وغيرها، كما يتيح المركز في قاعة المراجع بعض المجموعات المرجعية العامة على رفوف مفتوحة، أما باقي المجموعات والتي من بينها المخطوطات فيتم تخزينها داخليا وبتاح تعرف المستفيدين عليها من خلال الفهرس الآلي المتاح في قاعة المراجع، لترسل مباشرة من قبل مسئول المخازن الداخلية إلى قاعة المراجع العامة ليتم اطلاع المستفيدين عليها داخليا، حيث لا يسمح المركز بالإعارة الخارجية لمقتنياته من مصادر المعلومات، أما عن النظام الآلي المستخدم فقد تم إعداده وتطويره محليا داخل المركز كنظام متكامل يستخدم في الفهرسة، والبحث في الفهارس، والتزويد والإعارة الداخلية⁶¹.

5.4.3. المكتبة الرقمية للمخطوطات بمكتبة الإسكندرية: تهدف هذه المكتبة الرقمية إلى العناية بالتراث من خلال رقمنة المخطوطات ونشر الأصول النادرة على أقراص مليزرة وإتاحتها للتصفح الداخلي، باستخدام المتصفح التخيلي للمخطوطات، وهو برنامج أهدي للمكتبة من السويد، وقد أصدرت المكتبة في 2003 من خلال ادارتي المخطوطات والتزويد المجموعة الأولى، وتضم سبع مخطوطات مختارة من مجموعة بلدية الإسكندرية، والتي آلت إلى مكتبة الإسكندرية، وصدرت المجموعة

الثانية تضم مجموعة من أكثر مخطوطات مجموعة التراث الإسلامي ندرة بمسجد العارف بالله أبي العباس المرسي، وهناك مشروع الأرشيف الرقمي للمخطوطات يهدف المشروع إلى عمل نسخة رقمية كاملة لجميع المخطوطات المحفوظة بمكتبة الإسكندرية (يصل عناوينها إلى أكثر من ستة آلاف عنوان)، بالإضافة إلى الكتب النادرة والخرائط والوثائق، على أن يتم اختزان هذه النسخ على أقراص مليزرية مخصصة لأغراض الحفظ طويل المدى، وعمل نسخة منها للاستخدام بقاعة المخطوطات⁶² التي تضم حاليا 10 آلاف إلى 50 ألف من المخطوطات والكتب النادرة⁶³.

6.4.3. المكتبة الرقمية لدار الكتب الوطنية: تذخر الدار بنفائس التراث من المخطوطات النادرة، مما جعلها هدفا لمرافق المعلومات والمؤسسات المهمة بحفظ ونشر التراث وبناء عليه تحدد واقع مشروع المكتبة الرقمية الفعلي بها في جهود رقمنة نماذج من المخطوطات ونشرها، حيث قام المركز الإقليمي لتكنولوجيا المعلومات وهندسة البرامج برقمنة عدد من نفائس مخطوطات الدار الكتب، وأصدر من خلاله قرصا مليزرا حصلت الدار على نسخة منه محملة على جهاز حاسب مستقل بقاعة المخطوطات، وهي لا تمتلك نسخة أصلية مخزنة على وسيط خارجي، وفي سبتمبر 2002 قامت دار الكتب برقمنة مجموعة من المخطوطات سواء الورقية أو الميكروفيلمية وإصدارها على أقراص مليزرية، ونتج عن هذا انجاز قاعدة بيانات للمخطوطات، إضافة إلى إعلان القائمين على مشروع الرقمنة قرب صدور أول اسطوانة حول دور العرب في الطب⁶⁴.

7.4.3. المكتبة الرقمية لجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية: تعتبر أول مكتبة رقمية على المستوى الوطني تسمح بالمحافظة على الأوعية النادرة من أمهات الكتب والمخطوطات في العلوم الإسلامية التي تحتوي عليها مكتبة د.أحمد عروة الجامعية، وتوازيا مع استخدام النظام الآلي لتسيير وظائف مكتبة د.أحمد عروة الجامعية، بدأت فكرة رقمنة رصيد المخطوطات منذ سنة 2005، وخاصة لما توفرت الشروط المادية والبشرية، باهتمام إدارات المكتبة بضرورة معالجة هذا الكم النادر من المخطوطات بالطريقة الآلية وهذا للحفاظ على خصوصية المخطوطات ووضعها في متناول الباحثين والدارسين وخاصة بتوفر الأجهزة والمعدات التي تساعد على تسريع العملية مقارنة بحوسبة الأرصدة الوثائقية التي تحتويها المكتبة المركزية⁶⁵.

4. عيوب المكتبات الرقمية للمخطوطات: تعاني المكتبات الرقمية للمخطوطات من مختلف عيوب المكتبات الرقمية إضافة إلى:

- إن المكتبات الرقمية للمخطوطات العربية التي تعرض مخطوطات كاملة تتعرض من حين لآخر لعمليات التحميل الهابط لهاته المخطوطات ومن ثم التغيير في محتواها بالحذف أو بالإضافة مما يشكل خطرا كبيرا على موروثنا العربي المخطوط، وهو ما حدث مؤخرا في موقع الدكتور يوسف زيدان حيث تمت قرصنة مخطوطة لمصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه وأعيد نشرها من جهات مجهولة⁶⁶.
- مشكلة تأثر المخطوطات أثناء عمليات الرقمنة، خاصة الإشعاعات الصادرة من آلات التصوير وعمليات نقل المخطوطات المصابة إلى أجهزة الرقمنة مما يزيد في إصابتها.
- مشكلة عدم التعرف الضوئي على حروف المخطوطات العربية نظرا لتعدد أنواع الخطوط العربية مما يطرح مشكلة عملية تكشف هاته المخطوطات والتي تتم رقمنتها على شكل صور.

5. المكتبة الرقمية للمخطوطات بالمركز الوطني للمخطوطات:

1.1.5. المركز الوطني للمخطوطات:

- 1. النشأة والموقع:** يقع المركز الوطني للمخطوطات بقلب ولاية أدرار بالجنوب الغربي الجزائري، أنشأ المركز بموجب القرار رقم 06-10 المؤرخ في 15 ذو الحجة 1426 هـ الموافق ل 15 جانفي 2006، على أن يتم إنشاء ملحقات بالمركز في مختلف المناطق الأثرية الأخرى عبر الوطن⁶⁷.
- 2. مهام المركز الوطني للمخطوطات:** جاء في المادة 4- من القرار السابق الذكر مختلف مهام المركز الوطني للمخطوطات والتي من بينها:
 - 1- حفظ المخطوطات بالطرق العلمية الحديثة.
 - 2- تحقيق جرد وتصنيف شامل للمخطوطات.
 - 3- الفهرسة العلمية للمخطوطات.
 - 4- اقتناء كل الإمكانيات المهمة لنشاط المركز.
 - 5- التعريف بالخريطة الوطنية للمخطوطات.
 - 6- دراسة المكونات المادية للمخطوطات، التوريق، صناعة الحبر، مناهج الكتابة وصناعة الكتاب.
 - 7- التعريف برسالة المخطوطات العلمية التراثية الفنية عالميا باستخدام مختلف التكنولوجيات الحديثة.

8- باليوغرافيا⁶⁸ المخطوطات ذات الأهمية والقيمة العلمية بواسطة الأبحاث المتخصصة.

9- ترقية التراث الفكري في إطار اقتصادي وسياحي.

10- دفع الطاقات الفكرية والإبداعات الفنية الوطنية نحو المخطوطات وما يتصل بها من تجليد وغيرها⁶⁹.

3. مصالح المركز: يتربع المركز على مساحة حوالي 200م² تقريبا، يتكون من ثلاثة طوابق، إضافة إلى حديقة كبيرة محيطة بالمركز، وحسب ما أطلعنا عليه من خلال زيارتنا للمركز فإن مصالح المركز تقريبا كلها لازالت فارغة حيث يوظف إلى تاريخ إعداد هذا البحث 10 موظفين فقط كلهم ليسوا بموظفين رسميين ولا مختصين بل فقط متعاقدين في إطار الشبكة الاجتماعية كأعوان، عدا مدير المركز الذي عين بصفة رسمية بقرار من معالي وزيرة الثقافة السيدة خليدة تومي، لكن بمقابل هذا يقوم المركز باستقبال ملفات خريجي الجامعات المتخصصة في مجال المخطوطات (الكيمياء والتاريخ وعلم المكتبات) بهدف توظيفهم في نهاية سنة 2007⁷⁰، ومن هنا يمكن القول أن مصالح المركز إلى حد الساعة لم تتحدد بشكل دقيق ماعدا المجلس العلمي للمركز الذي تحصلنا على مختلف مهامه من الجريدة الرسمية الجزائرية.

1.3. المجلس العلمي للمركز: يشرف على المجلس العلمي للمركز خبير في المخطوطات يتم تعيينه من طرف وزارة الثقافة ويقوم المجلس العلمي بمساعدة مدير المركز في التعريف والتقييم للنشاطات العلمية والتقنية إضافة إلى مواكبة المناهج الحديثة في ميدان المخطوطات وفي هذا الإطار يقوم بـ:

- وضع برامج ومواضيع البحوث وتقييم نتائجها.

- الإشراف على اقتناء التجهيزات والتوثيق.

- المشاركة في عمليات التربص داخل المركز وتفعيل الملتقيات ومختلف التظاهرات العلمية التي لها علاقة بنشاطات المركز.

- دراسة المصادر للامتحانات والخبرة.

ومن هنا يمكن القول أن المجلس العلمي يتدخل في مختلف النشاطات التي لها علاقة بمهام المركز⁷¹.

4. رصد المركز الوطني للمخطوطات: في إطار مناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية تم إيداع مجموعة من المخطوطات من قبل الزاوية العيساوية بولاية غليزان ممثلة في الشيخ زين الدين بن عبد الله لدى المركز الوطني للمخطوطات، وتضم هذه الهبة 100 مائة مخطوط يعود معظمها إلى عام 1700 للميلاد، مشكلة بذلك النواة

الأولى لرصيد المركز الوطني للمخطوطات⁷²، على أن تلتحق مخطوطات مختلف الخزانات الشعبية الأخرى.

5. تجهيزات المركز الوطني للمخطوطات: يحتوي المركز الوطني للمخطوطات على مجموعة من التجهيزات والمعدات الآلية منها:

- 1- أجهزة الحواسيب وملحقاتها كلها حديثة ومتطورة.
- 2- أجهزة الاتصالات والمتمثلة في شبكة الهاتف إضافة إلى شبكة الانترنت.
- 3- أجهزة التصوير حيث يتوفر المركز على أجهزة تصوير جد متطورة بغرض رقمنة المخطوطات، أما بالنسبة للبرامج فيمكن للمركز أن يقتني برنامج *gesmanus*⁷³.
- 4- أجهزة الصيانة والترميم يتوفر المركز على مجموعة من الأجهزة المتطورة لصيانة وترميم المخطوطات وتجليدها بما في ذلك جهاز الماجد للصيانة والترميم،⁷⁴ حيث يقول الدكتور أمين الزاوي أن المكتبة الوطنية الجزائرية عملت على اقتناء وحدة من جهاز الماجد للصيانة والترميم للمركز الوطني للمخطوطات⁷⁵، ويمكن لهذا الجهاز أن ينتقل إلى المخطوطات داخل الخزانات الشعبية حيث يصل حجمه إلى 80سم عرض و110سم طول و100سم ارتفاع⁷⁶، ملاحظة: إن مختلف الأجهزة التي يحتويها المركز لازال الكثير منها في علب وأكياس التغليف إلى تاريخ إعداد هذا البحث.

6. نحو إنجاز المكتبة الرقمية للمخطوطات للمركز الوطني للمخطوطات: إن المركز الوطني للمخطوطات حديث ولا يحتوي على رصيد هائل من أجل رقمته حيث أنه مازال في إطار التكوين، ثم إن المخطوطات في الجزائر عموما وفي المنطقة الجنوبية على الخصوص لازالت لدى الأشخاص وفي الخزانات الأهلية ولهذا فالمركز لازال يحاول إقناع أصحاب هذه الخزائن على بيع أو إهداء أو إيداع ما لديهم من مخطوطات في المركز بغرض نشرها للباحثين، وبالفعل بدأت المبادرة ببيع المخطوطات وإهدائها منذ إنشاء المركز لكنها بطيئة نوعا ما، ورغم هاته الصعوبات التي واجهتنا إلا أن ذلك لم يمنعنا من التفكير في إعطاء رؤيا مستقبلية للمركز ومحاولة إنجاز موقع للمركز يحتوي على مكتبة رقمية للمخطوطات من خلال رقمنة بعض المخطوطات داخل الخزائن الشعبية التي أتاحت لنا الفرصة لدخولها بطريقة أو بأخرى بعد عناء كاد أن يؤدي بالبحث إلى الهلاك.

1.6. أسباب إنجاز المكتبة الرقمية للمخطوطات للمركز الوطني للمخطوطات: هناك مجموعة من الأسباب التي تلح على ضرورة إنشاء المكتبة الرقمية للمخطوطات بالمركز منها:

- 1- الحالة المادية للمخطوطات خاصة مخطوطات الخزائن الشعبية التي لا تتوفر فيها أدنى شروط الحفظ.
- 2- مشكلة بعد الخزائن عن الباحثين خاصة القاطنين في شمال البلاد حيث تصل المسافة أحيانا إلى 1400 كم مما يستحيل على الباحث قطع هاته المسافة من أجل الحصول على مخطوط.
- 3- توفر الإمكانيات مستقبلا لدى المركز الوطني للمخطوطات اللازمة لذلك.
- 4- ضرورة إتاحة المخطوطات للباحثين في مجال المخطوطات داخل وخارج الوطن.
- 5- إمكانية الوصول السريع إلى المخطوطات في مصادرها المختلفة دون الحاجة إلى تنقل الباحث من مكانه.
- 6- الحفاظ على النسخ النادرة المخطوطات وحمايتها من العطب والسرقة.
- 7- مواكبة التطور التكنولوجي وإستغلال التكنولوجيا الحديثة في نشر العلم والمعرفة⁷⁷.
- 8- حاجة الباحثين لدراسة التراث العربي المخطوط جمعاً وصيانة وتحقيقاً ورقمنة ونشراً.
- 9- إن التراث العربي المخطوط يعد في الوقت الحالي أهم تراث مكتوب، بل لعله التراث الإنساني الوحيد الذي قاوم عوامل الزمن⁷⁸.

2.6. مراحل إنشاء المكتبة الرقمية للمخطوطات للمركز الوطني للمخطوطات:

1. مراحل ما قبل الرقمنة:

- **الصيانة والترميم:** هي أول مرحلة تطبق على المخطوطات، والترميم نوعان ترميم آلي وآخر يدوي⁷⁹، أما الصيانة فتكون من العوامل الكيميائية والطبيعية والبيولوجية التي تصيب المخطوطات⁸⁰، والمخطوطات التي تم ترميمها وصيانتها تودع في مخزن المخطوطات والذي تتوفر فيه المعايير الدولية لحفظ المخطوطات، وتجدر الإشارة هنا إلى أن المركز يمتلك وحدة من جهاز الماجد للصيانة والترميم الآلي لم يشغل بعد.

- **الفهرسة:** هي المرحلة التي تمر عليها المخطوطات بعد صيانتها وترميمها وقبل رقمنتها في نفس الوقت⁸¹، إلا أن عناصر بطاقة فهرسة المخطوط مازالت موضع خلاف بين المفهرسين العرب، وان مسميات هذه العناصر وترتيبها ليس محل إجماع⁸² وذلك رغم الندوات التي تعقد من حين لآخر في هذا المجال، لكن نموذج البطاقة الفهرسية العربية للمخطوطات المقترح في ندوة الدار البيضاء بمؤسسة الملك عبد العزيز يعتبر محض إجماع تقريبي بين المفهرسين في مجال المخطوطات.

2. الرقمنة: وهي المرحلة الموائية لعملية الفهرسة، وقمنا باستخدام الماسح الضوئي، وءالة تصوير رقمية من نوع (cyber-shot)، إضافة إلى كاميرا فيديو حيث تمت رقمنة المخطوطات على شكل صورة والتي تعتبر الطريقة المناسبة لرقمنة المخطوطات من أجل حمايتها من التغير والتحويل، وبهذا تم تحويل المخطوطات من الأشكال النصية إلى صور، وقد قمنا باستخدام هذا النوع من الرقمنة رغم أنه يطرح مشكلة عدم إمكانية البحث في داخل النص، نظرا لانعدام برنامج التعرف الضوئي على الحروف، ثم لأنه يطرح مشكلا بالنسبة للمخطوطات من حيث تنوع الخطوط في اللغة العربية وأشكال كتابة المخطوطات المتنوعة حيث نجدها أحيانا دائرية وأخرى مائلة وغيرها، وتجدر الإشارة هنا إلى ضرورة اختيار نوع الأجهزة التي تنتقل إلى المخطوطات لا العكس وذلك من أجل الحفاظ على سلامة المخطوطات إضافة إلى المساحات الضوئية الملونة من أجل إظهار حروف المخطوطات بألوانها المختلفة.

3. المعالجة: وفي هذا المستوى قمنا بمعالجة الصور باستخدام برنامج Picture Manage 2003 إضافة إلى برنامج Paint حيث تم تعديل صور المخطوطات وتطويعها حتى تصبح واضحة وغير مشوهة في الشكل والحجم اللازمين وحفظها مؤقتا قبل أن تطبق عليها المرحلة الموائية المتمثلة في ضغط الملفات.

4. ضغط وتحويل الملفات: وفي هاته المرحلة تم تحويل مختلف المخطوطات التي تمت رقمنتها وتحويلها إلى ملفات من نوع PDF باستخدام برنامج ScanSoft PDF Create 3.0، يمكن تصفحها باستخدام Adobe Reader 7.0، ولم نقوم بضغط ملفات المخطوطات لان الرصيد ليس كبيرا لدرجة طرح مشكلة مساحة تخزين الملفات أو سرعة تصفح الملفات.

3.6. تصميم موقع المكتبة الرقمية للمخطوطات المركز الوطني للمخطوطات: استخدمنا في إنشاء موقع المكتبة الرقمية للمخطوطات برنامج FrontPage 2003 لتصميم المواقع، حيث تحتوي الصفحة الأولى للموقع على خلفية لصورة خارجية للمركز الوطني للمخطوطات بها تسع أيقونات بداية بالمجلس العلمي للمركز مرورا بالمكتبة الرقمية للمخطوطات إلى أيقونة الاتصال بالمركز عبر البريد الإلكتروني، ومختلف الأيقونات ترتبط تشعبيا بنتائج المراحل السابقة إضافة إلى مجموعة من الصور من داخل المركز والخزانات الشعبية للمخطوطات، وتم استعمال نتائج مختلف المراحل السابقة وربطها بالصفحة الأولى للموقع باستخدام تقنية النص المترابط، على أن يتم إتاحة المعلومات المتوفرة بالمكتبة الرقمية للمخطوطات مستقبلا بواسطة شبكة الانترنت، وما على الباحثين إلا اختيار الرابطة المناسبة في الحصول على المعلومات.

4.6. صعوبات انجاز المكتبة الرقمية للمخطوطات بالمركز الوطني للمخطوطات:

هناك مجموعة من المشاكل التي تعترض إنشاء المكتبة الرقمية للمخطوطات بالمركز ومنها:

- حداثة المركز حيث أنه لا يتوفر على معدات كاملة وان توفر على بعضها فهي لم تشغل بعد.

- مشكلة تخوف أغلب مالكي الخزائن من إعطاء مخطوطاتهم إلى المركز الوطني للمخطوطات من أجل ترميمها أو تصويرها.

- غلق مالكي الخزائن الأبواب في وجه الباحثين نظرا لعمليات السرقة التي تعرضت لها بعض الخزائن من طرف بعض الباحثين والسياح.

- مشكلة تباعد الخزائن من حيث المسافة في طبيعة صحراوية صعبة المسالك.

- انعدام الإطارات المتخصصة في إنشاء المكتبة الرقمية بالمركز.

ومن هنا نستنتج أن الصعوبات التي تواجه إنشاء المكتبة الرقمية للمخطوطات بالمركز، هي صعوبات اجتماعية واقتصادية وتشريعية، أكثر منها تقنية.

خاتمة : من خلال ما جاء في هذا البحث ومن أجل الوصول إلى مكتبة رقمية للمخطوطات فعالة تتيح المخطوطات التقليدية للباحثين رقميا نخلص إلى الاقتراحات التالية:

- يجب على هيئات الدولة أن تتدخل استعجاليا من أجل إنقاذ المخطوطات المتواجدة داخل الخزانات الشعبية بطريقة أو بأخرى بداية بمرحلة صيانة المخطوطات وترميمها.

- إقناع مالكي الخزائن بضرورة رقمنة المخطوطات وإتاحتها للباحثين.

- تشجيعهم بمبالغ مالية أو تخصيص رواتب من طرف الجهات المعنية لكل مالك خزانة من طرف الجهات المعنية.

- اقتناء الأجهزة اللازمة في أسرع وقت ممكن مع اختيار الأجهزة المتنقلة إلى مخطوطات الخزانات الشعبية لا العكس.

- فتح المجال واسعا أمام المختصين خاصة المكتبيين من أجل صقل مواهبهم في إنشاء مكتبة رقمية بالمركز الوطني للمخطوطات.

- ربط العلاقات مع المكتبات الرقمية العالمية للمخطوطات والاستفادة من خبراتها.

- إنشاء قواعد بيانات للمخطوطات الرقمية مع استخدام التكنولوجيا متعددة الأوساط عن طريق دعمها بالمعلومات المسموعة.

- تجهيز الخزائن الشعبية بمختلف التكنولوجيات الحديثة ورقمنة مخطوطاتها مع بقائها داخل الخزانات، وربطها بشبكة محلية تتيح مخطوطاتها الرقمية في كيان واحد هو المكتبة الرقمية للمخطوطات بالمركز الوطني للمخطوطات.

بما أن المكتبات الرقمية للمخطوطات الآن أصبحت ضرورة تطرح نفسها بشدة فالأمر الذي يجب أن نفكر فيه الآن هو في كيفية التغلب على عيوب هذا النوع من المكتبات كالقرصنة مثلا وتأمين المخطوطات الرقمية المتاحة سواء داخلها أو خارجها، ولا شك أن المركز الوطني للمخطوطات إذا قام بانتهاج مختلف الدراسات النظرية والتي أشير لبعضها في هذا البحث لمتخصصين أجانب وعرب إضافة إلى التجارب العالمية الرائدة للمكتبات الرقمية للمخطوطات سيتمكن حتما من إنشاء مكتبة رقمية للمخطوطات في اقرب الآجال، وذلك هو أملنا.

قائمة المراجع:

1. ورقة بحثية (غير منشورة) مقدمة للمشاركة في المؤتمر الدولي الثامن عشر للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات حول " مهنة المكتبات وتحديات الواقع والمستقبل ودورها في الوصول الحر للمعلومات العلمية والتقنية " من 17 إلى 20 نوفمبر 2007، بجدة -بالمملكة العربية السعودية-.
2. ميروك، مقدم، المخطوط داخل الخزانة الشعبية خلال نهاية القرن 19م. بتوات وقورارة وتدكلت، أدرار: جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار، 1994.
3. الصديق، حاج احمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، أدرار: مديرية الثقافة لولاية أدرار، 2006، ص.58.
4. أحمد، مولاي، بحث تاريخ المؤسسات الجزائرية، تحت إشراف ديفرور دحو، وهران: جامعة السانبا، 2006.
5. عبد الكريم، عوفي، التراث الجزائري المخطوط بين الأمس واليوم، مجلة آفاق للثقافة والتراث، ص.5، ع.20-21، ابريل 1998، ص.107، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.
6. عبد الكريم، عوفي، مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري: إقليم توات نموذجا، مجلة آفاق للثقافة والتراث، ص.9، ع.34، يوليو 2001، ص.113، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.
7. زاوي، أمين، من كنوز المكتبة الوطنية الجزائرية، نشرة اقتناءات المخطوطات 2006، الجزائر: المكتبة الوطنية الجزائرية، دائرة المخطوطات والحفظ مصلحة المخطوطات والمؤلفات النادرة، 2006.
8. عبد الكريم، عوفي، التراث الجزائري المخطوط بين الأمس واليوم، مجلة آفاق للثقافة والتراث، ص.5، ع.20-21، ابريل 1998، ص.111، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.
9. احمد، جعفري، رجال في الذاكرة، الجزائر: دار الكتاب العربي، 2004.
10. منشورات جمعية الدراسات والأبحاث التاريخية لولاية أدرار، أدرار: مديرية الثقافة لولاية أدرار، 2000.
11. أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1998.
12. منشورات جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار، 2000.
13. بكري، عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من ق.9 إلى ق. 14هـ، عين ميله: دار الهدى للطباعة والنشر، 2006، ص.46.
14. مقابلة مع السيد شاري الطيب المشرف على خزانة كوسام بتاريخ " 20/08/2007".
15. صوفي، عبد اللطيف، المراجع الرقمية والخدمات المرجعية في المكتبات الجامعية، ميله: دار الهدى للطباعة والنشر، 2004، ص.169.
16. محمد، عماد عيسى صالح، المكتبات الرقمية الأسس النظرية والتطبيقات العملية، القاهرة: الدار اللبنانية المصرية، 2006، ص.29.
17. الزهري، سعد، رقمنة ملايين الكتب في الغرب وعدم التفريق بين الانترنت والمكتبة الرقمية في الشرق، مجلة المعلوماتية، ع.10، ماي 2005.
18. كمال، بطوش، المكتبة الجامعية الافتراضية ترف تكنولوجيا أم خيار مستقبلي، مجلة المكتبات والمعلومات، م.ع.2، جانفي 2005، ص.33.
19. أرمز، وليم، المكتبات الرقمية تحديات الحاضر وآفاق المستقبل، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2006، ص.10.
20. المرجع نفسه، ص.11.

21. الخثعمي، مسفرة بنت دخيل الله، المكتبات الرقمية، مجلة المعلوماتية، ع.10 ماي 2005.السعودية: مركز المصادر التربوية بوزارة التربية والتعليم.
22. هالة، كيلة، الرقمنة كوسيلة تكنولوجية حديثة لحفظ المخطوطات العربية في مدينة القدس، كتاب الوقائع: المكتبات العربية في مطلع الألفية الثالثة، مج1، الشارقة: إ.ع.م.م، 2003.
23. طاشور، محمد، من المكتبة التقليدية إلى المكتبة الرقمية، مجلة المكتبات والمعلومات مج.2.ع.2.جانفي 2005، قسنطينة: جامعة منتوري، 2005.
24. هالة، كيلة، المرجع نفسه.
25. طاشور، محمد، المرجع نفسه.
26. الخثمي، مسفرة بنت دخيل الله، المكتبات الرقمية، مجلة المعلوماتية، السعودية: مركز المصادر التربوية بوزارة التربية والتعليم، أبريل 2005، ع.10.
27. الزهري، سعد، المرجع السابق.
28. محمد، عماد عيسى صالح، المكتبات الرقمية الأسس النظرية والتطبيقات العملية، القاهرة: الدار اللبنانية المصرية، 2006، ص.38.
29. فراج، عبد الرحمان، مفاهيم أساسية في المكتبات الرقمية، مجلة المعلوماتية، ع.10، ماي 2005.
30. المرجع نفسه، ص.47.
31. محمد، طاشور، من المكتبة التقليدية إلى المكتبة الرقمية، مجلة المكتبات والمعلومات، ج.2، ع.2، جانفي 2005، ص.80.
32. محمد، عماد عيسى صالح، المرجع السابق.
33. الزهري، سعد، رقمنة ملايين الكتب في الغرب وعدم التفريق بين الانترنت والمكتبة الرقمية في الشرق، مجلة المعلوماتية، ع.10 ماي 2005.
34. أرمز، وليم، المكتبات الرقمية تحديات الحاضر وآفاق المستقبل، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2006.
35. الزهري، سعد، المرجع السابق.
36. الخثمي، مسفرة بنت دخيل الله، المكتبات الرقمية، مجلة المعلوماتية، السعودية: مركز المصادر التربوية بوزارة التربية والتعليم، أبريل 2005، ع.10.
37. فراج، عبد الرحمان، المرجع السابق.
38. محمد، عماد عيسى صالح، المرجع السابق، ص.37.
39. محمد عيسى، المرجع نفسه ص.53.
40. محمد، عماد عيسى صالح، المرجع السابق، ص.53.
41. Mel, Collier. Toward a General Theory of the Digital Library. [en ligne], [29/02/2006]. Available at: <http://www.dl.ulis.ac.jp/Isdl97/proceedings/collier.htm>
42. جلاهير ماري، أليكسام كراي. أسس لتطوير المكتبات الرقمية. (على الخط المباشر). متوفر على شبكة الأنترنت على الموقع: <http://www.librarian.net> تاريخ الزيارة 2007/08/25
43. عكنوش، نبيل، المكتبة الرقمية لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية نشأة وتطور فكرة، مجلة المكتبات والمعلومات ج.2.ع.2.جانفي 2005.
44. الزهري، سعد، المرجع السابق.
45. محمد، طاشور، من المكتبة التقليدية إلى المكتبة الرقمية، مجلة المكتبات والمعلومات، ج.2، ع.2، جانفي 2005، ص.80.
46. بجاجة، عبد الكريم، نحو تحديد سياسة لحفظ الأرشيف الإلكتروني في المدى الطويل على الخط المباشر متاح على الموقع " www.arbica.net " تاريخ الزيارة 2005/10/30.
47. فراج، عبد الرحمان، مفاهيم أساسية في المكتبات الرقمية، مجلة المعلوماتية، ع.10، ماي 2005.
48. المرجع نفسه.
49. المرجع نفسه، ص.80.
50. المرجع نفسه، ص.80.
51. محمد، عماد عيسى صالح، المكتبات الرقمية الأسس النظرية والتطبيقات العملية، القاهرة: الدار اللبنانية المصرية، 2006، ص.109.
52. المرجع السابق، ص.29.

53. هالة، كيلة، الرقمنة كوسيلة تكنولوجية حديثة لحفظ المخطوطات العربية في مدينة القدس، مجلة الوقائع، ج.2003، 1، الشارقة: جامعة الشارقة، 2003، ص.378.
54. الزهري، سعد، رقمنة ملايين الكتب في الغرب وعدم التفريق بين الإنترنت والمكتبة الرقمية في الشرق، مجلة المعلوماتية، ع.10 ماي 2005.
55. المنجد، صلاح الدين، قواعد تحقيق المخطوطات، بيروت، دار الكتب الجديدة، 1970، ص.31.
56. نظم المعلومات الحديثة في المكتبات والأرشيف على الخط المباشر متاح على الموقع "www.arabcin.net"
57. محمد، طاشور، المرجع السابق، ص.80.
58. Electronic Access to Medieval Manuscripts. www.hmml.org/eamms/index.html consulte le 14/03/2007.
59. المشوخي، عابد سليمان، فهرسة المخطوطات العربية، الأردن: مكتبة المنار، 1989، ص.134.
60. عبد الكريم، بجاجة، نحو تحديد سياسة لحفظ الأرشيف الإلكتروني في المدى الطويل، على الخط المباشر، متاح على شبكة الإنترنت على الموقع: www.arbica.net تاريخ زيارة الموقع (2005-10-30).
61. مركز الوثائق والبحوث بالإمارات العربية المتحدة، مجلة المعلوماتية ع.7 جويلية 2004 متاح على شبكة الإنترنت على الموقع <http://informatics.gov.sa/magazine> تاريخ زيارة الموقع (2007-08-20).
62. بامفلح، فائق سعيد، مركز جمعة الماجد، مجلة المعلوماتية، ع.3 يوليو 2003، على الخط المباشر، متاح على شبكة الإنترنت على الموقع: <http://informatics.gov.sa/magazine> تاريخ زيارة الموقع "2007-08-20"
63. محمد، عماد عيسى صالح، المكتبات الرقمية الأسس النظرية والتطبيقات العملية، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2006، ص.109.
64. مكتبة الإسكندرية، مجلة المعلوماتية، على الخط المباشر، متاح على شبكة الإنترنت على الموقع <http://informatics.gov.sa/magazine> تاريخ الزيارة "2007-08-20".
65. محمد، عماد عيسى صالح، المرجع نفسه.
66. رشيد، مزلاح، الأنظمة الآلية ودورها في تنظيم مخطوطات مكتبة جامعة الأمير عبد القادر: واقع وآفاق، أطروحة ماجستير، علم المكتبات، قسنطينة: جامعة منتوري، 2006.
67. محمد، خالد حسين إبراهيم، مواقع المخطوطات العربية على شبكة الإنترنت دراسة تحليلية، القاهرة: جامعة حلوان، 2005.
68. JOURNAL OFFICIEL DE LA REPUBLIQUE ALGERIENNE N°3 18-DHOU ELHIDJA 1426-18 JANVIER 2006P.03.ART.4.
69. حسب رأي شوقي بنينين: باليوغرافيا هي دراسة الخطوط القديمة دراسة علمية والبليوغرافيا هو الخبير في مادة الكتابة
70. JOURNAL OFFICIEL DE LA REPUBLIQUE ALGERIENNE N°3 18-DHOU ELHIDJA 1426-18 JANVIER 2006P.03.ART.12
71. مقابلة مع السيد مهدي، تيطافي، مدير المركز الوطني للمخطوطات تاريخ المقابلة "2007-08-20"
72. JOURNAL OFFICIEL DE LA REPUBLIQUE ALGERIENNE N°3 18-DHOU ELHIDJA 1426-18 JANVIER 2006P.03.ART.12
73. منشورات وزارة الثقافة، مجلة البهجة، بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، ع.5، أفريل 2007.
74. تم انجاز هذا البرنامج من طرف الأستاذ حامة مصطفى بقسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية بجامعة الجزائر يقوم البرنامج بتخزين واسترجاع المخطوطات.
75. مقابلة مع السيد مهدي تيطافي مدير المركز الوطني للمخطوطات بتاريخ "2007/08/20"
76. مقابلة مع د. أمين الزاوي مدير المكتبة الوطنية الجزائرية بتاريخ "2007/04/10"
77. داغستاني، بسام عدنان، النظام العربي الإسلامي في ترميم المخطوطات والوثائق التاريخية باستخدام الألياف السيلبوزية في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، مجلة آفاق للثقافة والتراث، س.5، ع.20-21، أفريل 1998.
78. مقابلة مع السيد مهدي تيطافي مدير المركز الوطني للمخطوطات يوم 2007/08/21.
79. هاشم فرحات، تكنولوجيا المعلومات وأثرها في ضبط المخطوطات العربية وإتاحتها، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية مج. 9، ع.2 سبتمبر 2003.
80. داغستاني، بسام عدنان، طرق صيانة المخطوطات من العوامل المؤثرة فيها، المخطوط الإسلامي العربي من الترميم إلى التجليد، دبي: جامعة الإمارات، 1997.
81. مصطفى، السيد النشار، صيانة المخطوطات علما وعملا، القاهرة: دار الكتب، 2001.
82. عكنوش، نبيل، المكتبة الرقمية لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية: نشأة وتطور فكرة، مجلة المكتبات والمعلومات، مج.2 ع.2 جانفي 2005، قسنطينة: جامعة منتوري، 2005.
83. الحلوجي، عبد الستار، المخطوطات والتراث العربي، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2002.

دور الاجهزة الذكية في استعمال بوابات الخدمات الإلكترونية الرسمية - دراسة تقييميه لبوابة وزارة التربية الجزائرية -

د. العربي بن حجار ميلود
جامعة وهران 1 أحمد بن بلة-الجزائر

مقدمة:

تعتبر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على نطاق واسع من التقنيات المستخدمة لنقل ومعالجة وتخزين البيانات عن طريق الوسائل الإلكترونية¹، فشبكات الإنترنت باعتبارها قناة الإتصال الأهم في مجتمعنا، وغوغل المكان الذي معظمنا يذهب إليه للحصول على إجابات لأسئلتنا، فهي وسيلة ربط بين الناس لأنها تتيح بينهم التفاعل والمشاركة، ومع نموها نجد أن مجموعة واسعة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات حولت العلاقات الاجتماعية والتعليم ونشر المعلومات، إلى علاقات لها خصائص من الحميمية، كما أن العلاقات على الإنترنت تميل إلى أن تكون أكثر اعتمادا على المصلحة المتبادلة بدلا من القرب المادي².

إذ أنها فتحت الباب أمام عالم جديد من المعلومات التربوية ذات جودة عالية ومع ذلك، فإن حجم الفوضى من البيانات المتاحة في (www) غالبا ما تكون مُضَلِّلة، فسعيننا إلى التعريف بالبوابة الإلكترونية التربوية التي يمكن استخدامها كمركز لتبادل المعلومات وتوفير منفذ لنشر منتجات تعليمية ذات جودة عالية، فتكنولوجيا المعلومات والاتصالات لديها القدرة على المساعدة في تسهيل العمل الجماعي لكل من التلاميذ والأساتذة مع الزيادة أكثر في إنتاجية وفعالية بيئة التعلم³، فنمو الشبكة وانتشارها في جميع أنحاء العالم على مدى السنوات الماضية أدى إلى انتشار البوابات الإلكترونية على الإنترنت، والهدف من وجودها تقديم خدمات للجمهور فهي راحة واعدة ومرونة للمستخدمين، وزيادة إنتاجية لمقدمي الخدمة، بينما العديد من هذه البوابات تتطلب الاشتراك والتسجيل، فهناك أعداد كبيرة التي تقدم الخدمات مجانا إلى أي شخص مع الوصول إلى الإنترنت. كما أن البعض منها ما زال في محاولة الوصول إلى المستخدمين، بينما البعض الآخر أصبح أكثر تطورا، وتُخطط للمزيد من النجاحات والتوسيع في الخدمات التي تقدمها، ولديها خطط طموحة للغاية لتطوير مواقعها على شبكة الإنترنت، كأداة لتحسين وزيادة الكفاءة والاتصالات، حتى بالنسبة للمحتوى المقدم على مواقعها على شبكة الإنترنت فمنها من توفر للمستخدمين مجموعة واسعة من المحتوى، وبعضها الآخر دقيقة جدا. وبعضها موجه نحو الخدمات، وقد ركز هذا

البحث على تحديد عينة تمثيلية من هذه البوابات، واصفا الخدمات التي تقدمها، والتركيز على فهم أفضل الممارسات بالنسبة للناشئة.

إذ أصبحت البوابات ضرورة ملحة في مجال التربية كدعمها للنظام التعليم المدرسي مثلا، حيث لا يمكن التواصل بين الأستاذ والتلميذ في كل الظروف، لذلك فمن الممكن للدارس أن يحصل على دروسه أو نتائج المسابقات والامتحانات ويطلع عليها وهو في بيته ومن أي مكان من خلال الأجهزة الذكية التي أصبحت في أيدي الجميع وتستعمل لأغراض عديدة كمستشار قانوني، دليل سياحي، ومركز للاتصالات، إذ حان الوقت للتفكير في استخدام الأجهزة الذكية في التربية. إذ تحاول هذه الدراسة تقديم لمحة عامة عما هو موجود في أرض الواقع واستكشاف الفرص والقضايا فيما يخص استخدام الأجهزة الذكية في استعمال بوابات الخدمات الإلكترونية الرسمية، وبوابة وزارة التربية الوطنية هي نموذج لذلك.

حيث نشهد اليوم طفرة من التحولات والممارسات التربوية التعليمية: التلاميذ لديهم المناهج التعليمية المختلفة تماما، مع خليط من التعلم التقليدي وعن بعد، علينا أن نقدم بيئة فريدة من نوعها قادرة على أن تأخذ في الاعتبار الاحتياجات المختلفة لكل فرد، ومختلف خلفياتهم وموادهم التعليمية⁴.

على الرغم من أن الأجهزة الذكية تحتوي على مكونات إلكترونية هشة، وتحتاج الطاقة للتشغيل والربط للوصول، كما تعتمد كلياً على الطاقة الكهربائية والاتصال بالشبكة وكفاءة المستخدم، إلا أنها تستعمل من قبل المؤسسات التعليمية في العديد من البلدان. فما هي إذاً نوع التكنولوجيا والمحتوى والأجهزة الذكية المستعملة؟ ما هي أنواع الخدمات التي تقدمها البوابة الإلكترونية الرسمية لوزارة التربية الوطنية؟ ما هي النتائج من حيث مخرجات التعلم بالنسبة للتلميذ؟ هل الأجهزة الذكية تجعل المتعلمين أذكى؟ ما الدور الذي ستلعبه الأجهزة الذكية في مستقبل التربية؟ ما هي الفوائد التي يحصل عليها المستفيد من استخدام خدمات الأجهزة الذكية؟ هل البوابة الإلكترونية ستكون متاحة للتلاميذ ويتم الوصول إليها من المنزل؟

الهدف من هذه الدراسة هو:

- إبراز الدور التربوي والتعليمي للبوابة الإلكترونية لوزارة التربية الوطنية.
- أهمية البوابة الإلكترونية بالنسبة لتقديم الخدمة للتلاميذ في التخصصات العلمية المختلفة.
- إبراز الدور النشط والحيوي للبوابة الإلكترونية بالمدرسة في الرفع من مستوى الأداء.
- مقومات تحقيق الريادة في مجال البوابة الإلكترونية لوزارة التربية الوطنية.

وتم اختيارنا للأجهزة الذكية باعتبارها حوامل جديدة وحديثة تسمح بالولوج إلى عالم الإنترنت مثل: (Smartphones)،⁵ (tablettes, TV connectées) كما أنها في طلب متزايد ضمن أوساط المستهلكين للهواتف المحمولة وأجهزة المساعد الرقمي الشخصي، مع زيادة رضا المستخدمين، نظر لتلبية احتياجاتهم عبر الإنترنت.

تعريف البوابات الإلكترونية⁶ (Les Portails électroniques)

مصطلح البوابة من الجانب التاريخي توصف على أنها منفذ أو موقع متعدد الخدمات والأنشطة كالشحن والتفريغ يتم استخدامه على نطاق واسع⁷، كما يشير أيضا المصطلح إلى فتحة في الجدران أو البناية وغالبا ما يعتبر مدخل البوابة مثير للإعجاب في مبنى مهم⁸، ويعرفها قاموس التراث الأمريكي على أنها: "مدخل بوابة وخاصة تلك التي هي كبيرة ومهيبة"⁹، أما أصل كلمة بوابة مأخوذة من المصطلح الإنجليزي (Portal) ويعني المدخل أو الباب، لكنها مستمدة من الكلمة اللاتينية (Portale) وتعني بوابة المدينة¹⁰، أما في العصر الحديث يمكننا النظر إلى البوابة أنها تعمل على نطاق واسع لوصف وظيفة متعددة الخدمات، فهي تتضمن أقساما عامة وخاصة، تسمح باسترجاع المعلومات والأدوات المقدمة، والمحتوى الشخصي، وغالبا ما تكون بالبوابة روابط أو وصلات لأنظمة أو خدمات تربوية وتعليمية مرتبطة بها¹¹، وقد تطور تعريف البوابة في العصر الحديث إلى حد كبير، إذ كان ظهور البوابات على شبكة الإنترنت مترام مع نشأة محركات البحث في أوائل عام 1990، وكانت البوابات بدائية جداً في طرق تصميمها ومحتوياتها، وتختلف كثيراً عما هو متعارف عليه اليوم، وتطورت من خلال الدفع التكنولوجي في منتصف نفس السنة من خلال انتشار متصفحات الويب (web browsers)، وأصبحت البوابات الإلكترونية ناضجة في أواخر عام 1990، ولكن التاريخ الحقيقي للبوابة يعود إلى سنة 1960، إذ أن أول من استخدمه هم المكتبيين عندما تم إنشاء أول إصدار رقمي من الكشاف الطبي¹²، والبوابات الإلكترونية لم تكن مستقلة عن أدبيات علم المكتبات والمعلومات، إذ ظهرت لأول مرة بوابة إلكترونية في جانفي عام 1999 بمكتبة جامعة شمال ولاية كارولينا¹³، عادة ما يشار إلى موقع على شبكة الإنترنت يعمل كبوابة على أنه بوابة، والبوابات هي مواقع على شبكة الإنترنت، وأن المعلومات الواردة بها من مصادر متعددة موجودة بطريقة متماسكة والتي تسمح لمستخدمي الإنترنت بالوصول إلى موقع ويب أخرى¹⁴، أو هي موقع إلكتروني يمتلئ بالبيانات والمعلومات الخاصة بموضوع معين، ومنها ما هو خاص بشخص أو فرد معين، حيث يتطلب الوصول إلى بعض هذه المعلومات أن يكون المستخدم مسجلاً ضمن المستخدمين لهذا الموقع. والبوابة في قاموس الإنترنت هي نقطة انطلاق المستخدم، عندما يشرع في الإبحار نحو مواقع الشبكة العنكبوتية العالمية (الويب) وهي في الوقت ذاته المرفأ الذي يُلقى ذلك

المستخدم مرساته كي يُنعم بالخدمات التي يحتاجها والمعلومات التي يبحث عنها¹⁵. أما حسب قاموس اكسفورد (Oxford) فالبوابة هي تقديم موقع الإنترنت أو روابط لمواقع أخرى¹⁶. أما حسب قاموس لاروس (Larousse) فهو موقع صمم ليكون نقطة ولوج على شبكة الإنترنت والذي يقدم لمستخدميه الخدمات الموضوعية والشخصية¹⁷. أما حسب موقع أكاديمية كاين (Caen) فهي صفحة ويب التي توفر الوصول إلى مجموعة من المواقع ذات اهتمام لعدد معين من الناس¹⁸، أما حسب تعريف جريدة البيان أن البوابة (Portal): "موقع «ويب» الذي يشكل نقطة البداية للاتصال بمواقع الويب الأخرى. وقد جاء اسم البوابة من وظيفتها كباب مفتوح يُطل المرء منه على عالم المعلومات والفعاليات الأخرى التي يوفرها الإنترنت. وتتميز البوابة عن مواقع «الويب» بدرجة عالية جداً من التنظيم، إذ تُتيح خدماتها المتكاملة الولوج بسهولة وسرعة إلى أهم المواضيع التي تحظى باهتمام الناس. وتحصل أغلب البوابات على تمويلها من الروابط الإعلانية التي تظهر فيها، وتفقد هذه الروابط زوار البوابة إلى مواقع المعلنين أنفسهم"¹⁹. ومنهم من يرى أن البوابة عبارة عن موقع إنترنت أو إنترانت الذي يسمح بعرض مجموعة واسعة من الموارد والخدمات وترتكز على مجال أو مجتمع معين²⁰، أما حسب المخبر المتقدم في أبحاث الإعلام الآلي بسانت دونيس، بجامعة باريس 8 (Saint Denis, Paris 8) فالبوابة عبارة عن واجهة تم إعدادها حسب الطلب، تعمل كوسيط بين المستخدمين وموارد الشبكة²¹، ويرى جو زهو (Joe ZHOU) أن البوابة يمكن أن تكون شخصية من قبل المستخدمين الفرديين لتصفية المعلومات من الويب تلقائياً²².

لهذا يمكن تعريف البوابات الإلكترونية بأنها مدخل موحد لعدد من الخدمات والوظائف وهي بهذه الصيغة تتيح للمستخدم الوصول إلى هذه الخدمات من مدخل واحد. فالبوابة الإلكترونية التربوية يمكن تعريفها على أنها موقع على شبكة الإنترنت الذي يسمح بالوصول إلى العديد من الموارد والخدمات، مثل المواد التعليمية، وخطط الدرس، والأخبار حول الأحداث الجارية، والرسائل الفورية والبريد الإلكتروني، والقدرة على إجراء عمليات الرقابة والتفتيش²³. يمكننا تصنيف تطور البوابات تاريخياً إلى أربعة أصناف²⁴:

بوابة التجميع (Portail D'Agrégation): تجميع المعلومات المبعثرة.

بوابة الجيل الثاني بوابة شخصية (Portail personnalisé): ضبط البوابة حسب معلومات المستعمل ضمناً أو صراحة، هذا النوع من البوابات يمكن أن يحمل معه قنوات الإتصال عن بعد من خلال استخدام أجهزة الاستقبال عن بعد مثل الهواتف النقالة.

بوابة الجيل الثالث بوابة الاندماج (Portail d'intégration): بوابة الإندماج تسمح بالوصول إلى تطبيقات تسيير المحتوى، تجميع، بحث متقدم، وصول عالمي، تركز على بوابات.

بوابة الجيل الرابع بوابة موحدة (Portail d'unification):

- سوف تكون وسائط متعددة (المساعد أو المنظم الشخصي الرقمي PDA، الهاتف) وتسمى أيضا MAG (متعدد القنوات بوابة الوصول)؛
- عرض تطبيقات الأعمال على أساس الخدمة (SOA)
- أن تستند إلى مكونات (المدخل) متعددة البائع (WSRP) للاتصال والتكامل للبوابة الدولية؛
- نشر التطبيقات المركبة.

1- أنواع البوابات²⁵ :

البوابات تختلف طبقاً للمستخدمين الذين تخدمهم والخدمات التي تقدمها ويمكن تقسيمها إلى عدة مجموعات:

البوابات العمودية (Portails Vertical)

تعمل البوابة العمودية على تلبية متطلبات أو حاجيات معينة في سياق محدد، لذلك نجد أن هذه البوابة تقتصر على ميزات متوقعة وتوفر منصة للتخصيص والتكيف معها، والمواقع التجارية هي أمثلة عن البوابات العمودية²⁶، وقد انبثق من مفهوم البوابات العمودية نوع فرعي هو: بوابة معلومات العمل (EIP) التي تدعى بالبوابات المؤسسية، وهي نوع من البوابات تركز أساساً على مصادر المعلومات عن الشركات المركزية وكذلك على مواردها كنقطة أساسية²⁷. وتتشارك هذه البوابات المعلومات عن الشركات مثل: الميزانية والتسعيرة وتوقعات البيع والعوائد، ومعلومات عن الزبائن، والأخبار، وذلك من مختلف المصادر الداخلية والخارجية.

إذ نجد تعريفها حسب قاموس القانون أنها عبارة عن واجهة إلكترونية متكاملة، حيث تسمح للمؤسسة سواء مالية أو غيرها، بتوفيرها للعملاء إمكانية الوصول إلى مجموعة واسعة من المعلومات عن الأسواق والبحث والتسعيرات وتنفيذ الصفقات²⁸.

بوابة تطبيق العمل (EAP) هي بوابة تعمل على تجميع تطبيقات الأعمال المختلفة للمؤسسة، في حين أن إدارة وصول المستخدمين متصلة بالمنصة²⁹. البوابة الخبيرة للعمل (EEP) هي بوابة اليقظة تعمل على جمع معارف المؤسسة وإتاحتها للمستخدمين³⁰.

البوابات الصناعية (Portails de l'industrie)

وتدعى أيضاً بوابات الأعمال التي تخدم الأعمال (B2B) ومن أمثلتها: (sales.com) و (WebMD.com) وهي تشبه بوابات معلومات العمل (EIP) ولكن الخلاف بينهما في

أنها تذلل الكثير من العقبات التي تقف عائقاً أمام اجتماع الباعة والزبائن حول العالم، لعقد الصفقات عبر الويب.

البوابات الأفقية (portails horizontal)

هو موقع ويب للعامّة الذي يحاول التوفير لمستخدميه جميع الخدمات التي يحتاجون إليها مثل التسوق، أحوال الطقس، أسعار الأسهم، الاخبار، محركات البحث، مجموعة الدردشة، الابراج وغيرها³¹، وينطوي تحت هذه الفئة بوابة (B2C) وهو الشكل الأكثر شعبية في البوابات وهو نموذج للأعمال التجارية التي تسعى إلى توفير منتجات أو خدمات إلى المستهلكين المستهدفين، ومن البوابات الأفقية نجد: (Yahoo) و (Igoogle) و (AOL) و (MyExite) و (NetCenter)، ولكن أيضاً لتخصيص مواقع وسائل الإعلام والابراج³².

تم تصميم البوابات الأفقية بناءً على حاجة وبيئة معينة ويمكن ان تتضمن بالإضافة إلى ذلك مجموعة الخصائص القياسية، وآلية توحيد متكاملة تسمح بتطبيقها في بيئات مختلفة، وهي الأكثر شيوعاً وشهرة واستخداماً³³.

على الرغم من وجود عدة بوابات إلكترونية مثل: البوابات العامة، والبوابات المتخصصة وبوابات المؤسسات، وبوابات التسويق، إلا أن هناك قاسم مشترك يجمع بينهما وهو خدمة المستخدمين³⁴.

2- أنواع البوابات التربوية الموجودة على شبكة الإنترنت³⁵

أظهرت التقييمات على شبكة الإنترنت أن هناك مجموعة من البوابات على شبكة الإنترنت المتاحة حالياً، إذ نجد منها:

- بوابات الشبكة (*Portails réseau*): هي بوابة تواصل، توفر لمختلف الأفراد (المعلمين، والمتعلمين، والمديرين، والمسؤولين) الأدوات والمرافق التربوية التعليمية.

- البوابة التنظيمية (*Portail de l'organisation*): هي بوابة شُيّدت من قِبَل، محددة لتنظيم الأعمال الأساسية والممثلة في تقديم المواد التربوية التعليمية.

- البوابات القائمة على الموارد (*Portails axés sur les ressources*): إن البوابة القائمة على الموارد هو المدخل الذي يتيح الوصول إلى المصادر التربوية التعليمية المختلفة على الانترنت، عموماً هذه الأنواع من البوابات تحتوي على مرافق كافية للبحث، وروابط لغيرها من المنظمات ذات الصلة أو المؤسسات فضلاً عن خدمات الاشتراك في كثير من الحالات، يتم دمج هذه الخدمات في بوابة واحدة.

3- الخدمات والصيانة للبوابات الإلكترونية لقطاع التربية

تختلف الخدمات المقدمة من بوابة لأخرى حسب اهتمامات واحتياجات المستخدمين، ولكن على العموم هي تقدم مجموعة واسعة من مصادر المعلومات وغالبا ما تعطي للمستخدمين منها بعض الخدمات الأساسية، على سبيل المثال فإن معظم البوابات توفر للمستخدمين الوصول لمحركات البحث، مجتمع الدردشة بالمنتديات، الصفحات الرئيسية الشخصية، الوصول إلى البريد الإلكتروني، بالإضافة إلى ذلك تسمح لهم من التحقق من عناوين الأخبار وأسعار الأسهم، والحصول على ما يصل إلى حد السرعة كالقيل والقال والترفيه³⁶. وما يهمنا نحن في هذه الدراسة هو الخدمات التي تقدمها البوابة الإلكترونية الرسمية المتعلقة بوزارة التربية أي الجانب التربوي والتعليمي، لهذا نحاول أن نحدد عموما مختلف الخدمات التي يمكن أن تقدمها البوابة:

- تقديم أخبار بشكل دوري عن كل المستجدات التي تهم المجتمع المدرسي.
- تقديم إحصائيات عن عدد التلاميذ الذين تم استقبالهم في السنة الدراسية الجارية.
- تقديم أخبار حول أحوال تقدم الأساتذة في دروسهم في المادة التعليمية.
- توفير أخبار حول أحوال الامتحانات وفترة إجرائها.
- عرض المعلومات بطريقة منظمة حيث تسمح للتلميذ والأساذ على حد سواء من الوصول المباشر للمعلومة.
- إعطاء فرصة للمتعلمين للنقاش مع بعضهم البعض حول موضوع المادة التعليمية.
- توفير مساحة لتحميل المواد التعليمية بالنسبة للتلاميذ.
- احتواء البوابة على مكتبة رقمية تحتوي على مواد تعليمية.
- إذ يمكن إستغلال هذه البوابات الإلكترونية في قطاع التربية من خلال ربط الشبكة الخارجية للتربية، حيث يمكن للوالدين التواصل مع الأساتذة والإدارة، ويمكن للتلاميذ أخذ دورات على الإنترنت وإجراء البحوث³⁷.
- إن البوابة الإلكترونية الخاصة بقطاع التربية صممت خصيصا من أجل توفير مجموعة كبيرة من الخدمات التربوية والتعليمية، فالقدرة على تقديم المحتوى هو أمر ضروري ومن الوظائف الأساسية من بوابة التربية والتعليم، إذ أصبحت التكنولوجيا اللازمة لدعم هذا النوع من بنية الموقع متاحة على نطاق واسع، خصوصا مع ظهور وظيفة إدارة المستخدم كجزء من خادم ويب، ولتوفير المحتوى هناك طريقتان³⁸: سلسلة من اشكال القالب (Une Série de formes de calibre) ، أو استخدام حل إدارة المحتوى (Gestion de contenu) .

تشير إدارة المحتوى إلى جميع النصوص والصور والملفات والبيانات المقدمة للمستخدمين من خلال بوابة التربية والتعليم. في العديد من المنظمات، ومدير الموقع يُلج إلى الموقع بحسابه البريدي الخاص، ولديه القدرة على الحفاظ أو إضافة تعديلات

إلى محتوى البوابة، في القطاعين العام والخاص، هذا الدور بالغ الأهمية للحفاظ على موقع وظيفي وتلبية احتياجات المستخدم³⁹. معناه لا بد من توفير الموارد لكي تصل لأعداد كبيرة من المتعلمين بسهولة وبتكلفة منخفضة نسبياً، كما يجب تكييفها وتحديثها باستمرار⁴⁰.

فالبوابة الإلكترونية لوزارة التربية لا بد أن توفر معلومات عامة عن المدارس، والبرامج، ويتم تشجيع المستخدمين على الرجوع إلى البوابة، بدلاً من الاتصال بالمدرسة مباشرة للحصول على معلومات عامة، تقع هذه المسؤولية على مدير المحتوى من خلال مراجعته ونشره للمحتوى الدقيق وذو صلة بالمتعلمين، وسهل الوصول إليه⁴¹.

كما تقدم البوابة للتلاميذ المسجلين اسم المستخدم وكلمة المرور لتسجيل الدخول إلى المجال الخاص لهذه البوابة، هنا يتم توفير محتوى مخصص لهم، يستند إلى قاعدة بيانات أو أداة مماثلة التي تحمل بيانات التلاميذ على سبيل المثال، يمكن للتلاميذ تسجيل الدخول إلى بوابة التربية من مدرستهم ونرى دراستهم الحالية، برنامج الدراسة، والرسوم، وغيرها من المعلومات ذات الصلة، إذ أن عمق واتساع المعلومات المقدمة تختلف على نطاق واسع، وغالباً ما ترتبط ببنية نظام المدرسة⁴².

إنشاء وصيانة بوابة المعلومات هو التطور التكنولوجي الجديد، الذي أدى إلى خلق فرص عمل ومسارات مهنية جديدة، هناك نوعان من مجالات المهارات المطلوبة لتشكيل البوابة التربوية التعليمية: أنظمة الحاسوب وإدارة المحتوى. هذا النوع من الموقع يتطلب خادم ويب مساعد، الذي يمكن أن يدعم الأقسام العامة والخاصة على حد سواء، يجب أن تكون هناك آلية أو برنامج لإدارة طلبات هوية المستخدم وكلمات المرور، فضلاً عن القدرة على تذكير المستخدمين بكلمات المرور الخاصة بهم أو السماح لهم بإعادة تعيين كلمة المرور⁴³.

إن الكميات الهائلة من المعلومات الموجودة على شبكة الإنترنت، والتي هي هامشية أو لا قيمة جوهرية لها ونتيجة لذلك، لا يوجد أي نقطة مناسبة في إنشاء البوابة مالم يكن هناك إلتزام حقيقي لإنشائها من نوعية عالية جداً، من أجل جذب المستفيدين وبالتالي تحتاج إلى جهد لجعل البوابة مثيرة للاهتمام، وأن تبقى في ديناميكية، فالبوابات التي تبقى ثابتة دون صيانة ببساطة لا تشجع على العودة لزيارتها، كما لا بد من تحديث وصلات المواقع الأخرى على الإنترنت التي تمت إزالتها أو عفا عليها الزمن⁴⁴. وألا تترك تطوير الخدمات الإلكترونية للصدفة، بل يجب أن تكون مدروسة بمهارة⁴⁵، زيادة على إدارة المستخدم الأساسية يجب أن تكون هناك حماية لخصوصية التلاميذ ومنع الوصول غير المصرح به، المطلوب إذا هو وجود أخصائي معلومات مدرب تدريباً خاصاً وموظفي البنية التحتية لإنشاء وصيانة هذه الأدوات⁴⁶.

4- الفوائد المرجوة من البوابة الإلكترونية لقطاع التربية⁴⁷

- زيادة مشاركة التلاميذ: من خلال إيجاد طرق سهلة للتواصل مع أساتذتهم وزملائهم لحثهم على المزيد من المشاركة في فصولهم الدراسية، في أي وقت وفي أي مكان ومن أي نوع من جهاز متصل.
- إتخاذ قرارات أفضل: إبلاغ القرارات الروتينية والتخطيط الاستراتيجي طويل المدى في جميع الوظائف والأعمال والتخصصات مع دقة البيانات، وسهولة العروض المتاحة في صيغ بديهية ومألوفة.
- تسمح بالتركيز في البحث والتدريس: إذ تجعل من السهل لأعضاء هيئة التدريس لإيجاد الموارد التعليمية، وتقييم التلاميذ، تسجيل وتتبع الدرجات؛ وسيكون لديهم المزيد من الوقت والطاقة للتركيز على البحوث الهامة وتيسير خبرات التعلم، معناه تلبي الاحتياجات الفريدة من التلاميذ بشكل فردي.
- تبسيط المهام الإدارية: تجعل من السهل بالنسبة للتلاميذ من التسجيل في الدروس، والوصول إلى المعلومات، المساعدات المالية، ودفع الرسوم الدراسية، التسجيل للحصول على برامج الغداء، تقرير الغياب ومن أي جهاز متصل.
- التواصل مع المجتمع: عن طريق اثبات طرق بسيطة ومخصصة للوصول إلى المعلومات والتواصل مع المؤسسة الخاصة به، يمكنه جني فوائد وصلات قوية مع الخريجين وغيرهم من أعضاء المجتمع الأوسع. ولكن هذا يحتاج إلى النظر في العديد من المسائل المتعلقة بإدارة البوابات⁴⁸

5- الفرق بين الموقع والبوابة

- موقع على الانترنت هو عبارة عن مجموعة من الملفات على شبكة الإنترنت حول موضوع معين، يتضمن ملف يسمى البداية الرئيسية للصفحة. فعلى سبيل المثال فإن معظم الشركات والمنظمات، أو الأفراد الذين لديهم مواقع على شبكة الإنترنت لديها عنوان واحد وهو عنوان الصفحة الرئيسية، ومن الصفحة الرئيسية يمكنك الحصول على جميع الصفحات الأخرى على الموقع⁴⁹. تقسم مواقع الإنترنت من حيث المحتوى أو الهدف إلى عدة أنواع كالمواقع الشخصية والمواقع السياسية والمواقع التجارية وغيرها...، أما من حيث التقنية التي تعتمد عليها في تصنيف المحتوى وإدارة السماحيات وغيرها فيمكن تقسيمها إلى نوعين⁵⁰:
- المواقع التقليدية (Websites) التي تمثل الجيل الأول من مواقع الويب.
 - البوابات الإلكترونية (Portals) التي تمثل الجيل الثاني والثالث من مواقع الويب.
- كما أن هناك فرق في التصميم الفني بين الموقع والبوابة فلكل منهما متطلباته ومواصفاته الفنية الخاصة به⁵¹.

6- تعريف الأجهزة الذكية (Smart Devices)

أجهزة ذكية هي أجهزة إلكترونية رقمية⁵²، قادرة على إيصال الصوت والصورة والفيديو، وتسمح بتصفح الإنترنت، وتحديد المواقع الجغرافية وهي ممثلة في الهواتف النقالة مثل (Iphone, Apple, BlackBerry)، وكذلك جهاز الفابلت (Phablets)، والكمبيوتر اللوحي مثل⁵³ (Iphone, Apple, BlackBerry)، والمساعد أو المنظم الشخصي الرقمي⁵⁴ (Personal Digital Assistants PDA)، مرتبطة عموماً مع الأجهزة أو الشبكات الأخرى عبر بروتوكولات مختلفة مثل بلوتوث (Bluetooth)، (NFC)، (wifi)، (3G) وغيرها، والتي يمكن أن تعمل إلى حد ما بشكل تفاعلي ومستقل. فحسب قاموس أكسفورد هي مبرمجة بحيث تكون قادرة على اتخاذ بعض الإجراءات المستقلة⁵⁵، أو يمكن اعتبار الجهاز الذكي الذي يسلك بعض خصائص الحوسبة بما في ذلك الذكاء الاصطناعي وهي ممثلة أيضاً في الأجهزة متعددة الأغراض مثل الكاميرا... إلخ⁵⁶. وحتى أجهزة الصراف الآلي (Les Distributeurs Automatiques de Billets)، إذ الأجهزة الذكية تمتلك القدرة على⁵⁷:

- تبادل المعلومات مع الأجهزة والأنظمة الأخرى.
- التكامل مع التطبيقات التي تستخدم واجهات برمجة التطبيقات المتقدمة.
- توفير اتصالات شخصية.
- الوصول إلى شبكة الإنترنت.

7- أدوار الأجهزة الذكية في استرجاع المعلومات من البوابات الإلكترونية

إن التطور السريع وزيادة التقارب بين تكنولوجيا المعلومات والاتصالات حفز النقاش حول أهمية الأدوار التي يمكن أن تقوم بها الأجهزة الذكية في تسريع وتيرة التربية والتعليم، ولاسيما في الدول النامية، خصوصاً أنها تواجه العديد من التحديات في النظم التربوية والتعليمية، ومعوقات كبيرة من حيث الموارد ومجموعة من المشاكل غير التعليمية كالفقر والمرض على نطاق واسع، لهذا لا بد أن ننظر بعناية للتطبيقات المحتملة لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في دعم التربية والتعليم، فكان لزاماً أن تكون البوابة الإلكترونية لوزارة التربية الوطنية فعالة في العملية التعليمية بناءً على بوابات متطورة ومتواجدة في أنحاء العالم⁵⁸.

أما على الصعيد العالمي نجد أن انتشار هذا النشاط أو بمعنى أوسع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات عززت بكفاءة وفعالية نظم التربية والتعليم، وهي من المحفزات التي تدعم وتحسن التعليم المستمر، خصوصاً أمام المشاكل التي واجهت النظم التربوية دولياً والمتمثلة في⁵⁹:

- الضغط المتزايد على التربية والتكوين التقليدية، لهذا لا بد من توفير الوسائل التي تسمح بوصول أكبر عدد من التلاميذ، ومن جميع الأعمار إلى مصادر المعلومات.

- أزمة ثقة في النهج التقليدي في التربية والتعليم، والتي كثيرا ما تخلط بين نقل المعلومات، وتداول التمويل -بالأرقام الحقيقية -لأغراض التربية والتكوين في القطاع العام.

فالأجهزة الذكية وامتزاجها مع شبكة الإنترنت أصبحت لها القدرة على الوصول إلى موارد الوسائط المتعددة، التي تجمع بين الصوت والرسومات والصور والنص فهي مصدر لقوة وإمكانات هائلة⁶⁰. وجلب قاعدة موارد ضخمة متواجدة على شبكة الإنترنت في جميع أنحاء العالم، هذه القيمة التربوية يمكن تسخيرها بفعالية في الأقسام الدراسية والمنزل وفي أي مكان من قبل المربين، ويمكن أن تصبح مصدرا مفيدا جدا من خلال الاستخدام الحكيم للرباط والوصلات، هناك اتجاه جديد نحو إعادة الاستخدام الذكي، وإعادة النشر من حيث المحتوى وجيل متقدم⁶¹.

كما تسمح بالإتصال وتبادل الأفكار وحصول ما يسمى رجوع الصدى في هذه البوابة التربوية، ويمكن التحقق من المصادقية وصحة المعلومات الواردة عن طريق الإتصال بالفرد أو الأفراد الذين نشروا المعلومات الواردة في هذه البوابة⁶². إذ أن تكنولوجيا الأجهزة الذكية سوف تغير سلوكيات الشباب، ففي دراسة قام بها موقع (Hackcollege.com) توصل إلى نتيجة أن 57 بالمائة من تلاميذ المدارس يستخدمون الهواتف الذكية، و60 بالمائة يشعرون على أنهم مدمنون على هواتفهم، و75 بالمائة ينامون بجوار هواتفهم، 97 بالمائة يستخدمون هواتفهم الذكية في التواصل الإجتماعي، و40 بالمائة يستخدمونها للدراسة قبل الإمتحان⁶³. كما أن الرسائل النصية أيضا تلعب دورا هاما في حياة الطالب الجامعي، ووجدت دراسة أجريت في جامعة كولورادو والعديد من الجامعات الأخرى في عام 2010 أن الرسائل النصية والبريد الإلكتروني وهما من الوظائف الأكثر استخداما في الهواتف الذكية بين طلاب الجامعات، تليها قراءة الأخبار، ومشاهدة الفيديو وقراءة الكتب⁶⁴.

إذ أن الاجهزة الذكية وسيلة محمولة تمكنا من الوصول إلى البوابات والاستفادة من معلوماتها وخدماتها الإلكترونية، كالدفع الإلكتروني عن طريق نظام الدفع الإلكتروني الحكومي، إستقبال مشاركات وأخبار البوابة على التواصل الإجتماعي، إضافة إلى إستقبال مواد البوابة التوعوية والإخبارية والمرئية على الاجهزة المحمولة والذكية بشكل دائم التحديث، فهي تعمل على إختصار الوقت والجهد في إستخدام الخدمات الإلكترونية للجهات الرسمية وسداد مستحقات الدولة إلكترونيا مثل دفع تكاليف رسوم خدمات الكهرباء والماء وفواتير الهاتف⁶⁵. إذ تمكن بعض الأجهزة الذكية من تبادل أمن وتصفح وثائق سرية للغاية⁶⁶.

في الواقع الأجهزة الذكية لديها إمكانات هائلة لتكون أداة مستخدمة في التربية حاليا، فالتعلم بمساعدة التكنولوجيا بصفة عامة مر بثلاث مراحل بدءا من التعلم الإلكتروني

(E-learning) نحو التعلم باستخدام النقال (M-learning) نحو التعلم في كل مكان (U-learning) حيث تشير الدراسات إلى أن استخدام الأجهزة الذكية يحسن نوعية التلاميذ من حيث مستويات العمل، والإنجاز والتعاون، وهذا للأسباب الآتية: خلق درجة عالية من التفاعلية، زيادة مدى الاهتمام، توفير الوقت، تعزيز الاستقلالية، كثرة التنقل، وتتميز بالديناميكية⁶⁷. الأجهزة الذكية معناه فضاءات ذكية ممثلة في المساحة الفعلية الغنية بالأجهزة والبرمجيات والخدمات التي هي قادرة على التفاعل مع الناس، والبيئة المادية والخدمات الشبكية الخارجية⁶⁸.

على الرغم من ما تتميز به الأجهزة الذكية من وجود شاشات صغيرة ومنصات متعددة الوظائف، وطاقة حاسوبية أقل، وسعة قرص بذاكرة محدودة، وآليات إدخال النصوص المعقدة، ومخاطر أعلى من تخزين البيانات، ووضوح أقل للعرض، فلا يمكن أبداً أن تحل محل أساليب التعلم التقليدي أو الأقسام الدراسية، ويمكن أن يكون التعلم مع الأجهزة الذكية فقط مكمل للتعليم التقليدي⁶⁹.

8- مزايا الأجهزة الذكية في التربية⁷⁰

- الأجهزة الذكية هي مناسبة لجيل جديد من المتعلمين (التلاميذ الرقميون)، والغرض من التربية هو الإعداد المناسب لأطفالنا لمستقبلهم.
- الأجهزة الذكية تعزز التعاون بين مجموعة التلاميذ في القسم، على الرغم من أننا نتوسل التلاميذ لإيقاف هواتفهم الخلوية بداخل القسم، فإنهم يستمرون في تشغيلها وإرسال رسائل نصية إلى الأصدقاء، لماذا إذاً لا نحاول استغلال هذه الأدوات بطريقة أكثر إيجابية في عملية التربية؟
- هذه التقنيات النقالة بمثابة مصدر لتحفيز التلاميذ الذين يحبذون الدراسة بالأدوات التي يحبونها، وبالتالي نحصل على شغف التلاميذ على التعلم، هذا يجعل عملية التعلم متعة، وتحسين مشاركة التلاميذ في أنشطة التعلم.
- الأجهزة الذكية تسمح بالوصول السريع إلى الموارد اللازمة، مما يلغي الحاجة إلى الانتظار.
- الأجهزة الذكية في التعليم الإلكتروني تسمح للتلاميذ التحميل بسهولة الدروس الصوتية والفيديو إلى أجهزتهم.
- تمكن التلاميذ أيضاً من عرض وتحرير وثائق نصية باستخدام هواتفهم الذكية والتكنولوجيات المتنقلة الأخرى في التعلم.

9- دراسة تقييمه لبوابة وزارة التربية الوطنية الجزائرية

من أجل مساندة الجزائر للدول الغربية والعربية الأخرى المتطورة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، قامت وزارة التربية الوطنية بتطوير وتنفيذ منصة

ديناميكية جديدة لإدارة المحتوى وإعطاء خدمة على الإنترنت ولهذا تم وضع بوابة إلكترونية جديدة (2014)، وسيتم نقل محتوى الموقع القديم للوزارة إلى البوابة الجديدة عبر مراحل⁷¹.
قبل تقييم بوابة وزارة التربية الوطنية علينا فهم المعايير التي من خلالها يتم تقييم البوابة الإلكترونية خصوصا الرسمية وهي كالآتي⁷² :

المعيار	التعريف
المحتوى	رقم هاتف: الذي يسمح للمواطنين الاتصال بالوحدة الحكومية المعنية.
	العنوان: الذي يسمح للمواطنين الاتصال بالوحدة الحكومية المعنية.
	البريد الإلكتروني: الذي يسمح للمواطنين الاتصال بالوحدة الحكومية المعنية.
	العبارة الرسمية
العداد	أداة لحساب عدد الزيارات للبوابة.
قابليتها للاستخدام	المنشورات
	الأرشيف الإلكتروني
	من نحن
	الصوت / الفيديو
	موبايل ويب
	طول الصفحة الرئيسية
	البحث ضمن البوابة
	ويشار إلى المنشورات، المعلومات المتاحة عبر الإنترنت والتي يمكن تحميلها. أن تكون غالبية المنشورات/ قواعد البيانات متوفرة/ قابلة للوصول إليها عبر الإنترنت ولا تعاني من خلل الرابط. إذا كان هناك ملخص لا يعتبر منشور. لا تعتبر المقالات/ القصص الصحفية بمنشورات. أرشيف المقالات، لقطة الأخبار والمنشورات الخ. يبدأ الأرشيف من أول سنة.
	في الأساس أنه يوفر المعلومات عن الوحدة الحكومية المعنية. يمكن أن تكون إما صراحة عبارة "من نحن" في إطار أو في صفحة المقدمة.
	لقطات / مقاطع صوتية يمكن تحميلها أو هي مقاطع مع الصوت فقط، يتم تسجيلها لغرض الاستماع. صوت الخلفية ليس مقطع صوتي. لقطات/ مقاطع الفيديو التي تم تحميلها هي مقاطع مع الصوت والصور المتحركة، يتم تسجيلها لغرض العرض.
نسخة الويب تكون مناسبة ليتم عرضها باستخدام الأجهزة النقالة. يجب أن يكون إصدار أبسط من إصدار سطح المكتب.	
تميرا لأسفل البوابة يجب أن تكون 3 صفحات أو أقل. القياس: 1280x800 كحد أقصى.	
مرفق للحصول على معلومات عامة من البوابة عن طريق الكتابة في الاستعلامات. يجب أن تكون هناك وظيفة البحث الداخلي، وهذا بداخل البوابة.	

رابط حكومتي myGov.	يجب على كل وكالة تقديم رابط إلى البوابة myGovernment
أقسام البوابة	فهرس للبوابة الخاصة بالوكالات الفرعية. يجب تضمين ارتباط تشعبي من الوكالات الفرعية.
خريطة البوابة	نموذج نص منظم لمحتوى البوابة التي تتيح للمستخدم التنقل من خلالها للعثور على المعلومات التي يبحث عنها.
لا رابط معطل	الروابط التشعبية على بوابة لا تعمل، أو غير موجودة، أو الرابط تم تغييره أو الصفحة تم نقلها. عناصر تحديث الأنشطة:
تحديث الأنشطة	الأخبار والفعاليات والأحداث الجارية. الإعلانات والمعلومات والدعاية. التصريحات والمقالات الصحفية. الملصقات والرايات. عرض المناقصة، اقتباس وظائف شاغرة. إحصائية الخدمات عبر الإنترنت: توفير عملية التحديث لكافة المعاملات والخدمات على الإنترنت المقدمة والمدرجة في البوابة على أساس شهري.
التخصيص	أن تكون هناك أقسام تلبي احتياجات جمهور محدد من أجل إزالة الفوضى. توفير وصلات بحيث يمكن للمستخدمين رؤية نوع المعلومات مصممة خصيصا لاحتياجاتهم، أي التلاميذ وأولياء الأمور، والمعلمين، والشركاء. وسيلة سريعة وسهلة لوصول المستخدمين مباشرة نحو المعلومة والخدمات التي يبحثون عنها.
اللغة	اللغة العربية الزامية. اللغة الفرنسية: تشجع اللغة الفرنسية ليتم تضمينها في البوابة. يجب أن يترجم المحتوى كله من البوابة في لغة معينة، سواء كانت لغة أجنبية أو لغة العربية. كما يجب تجنب التناقض بين المحتوى وترجمته. لغة ثالثة: لغة أخرى هو اختياري.
رابط شبكة المعلومات العالمية (W3C) إرشادات الوصول لمحتوى الويب	المستوى 1- بوابات تتوافق مع مستوى المبادئ التوجيهية للنفاذ إلى محتوى الويب. تغيير حجم النص: المستخدمين الذين يعانون من سوء النظر لهم القدرة على تغيير حجم نص البوابة حسب ما يفضلونه. الحد الأدنى للنتابين: يجب ان تقدم للمستخدمين الذين يعانون لون العمى، القدرة على تغيير النص ولون الخلفية حتى يستفيدوا من البوابة.
وقت التحميل	وقت التحميل من البوابة لا يجب أن يتجاوز 10 ثواني.
الشكل والمظهر	الحفاظ على نفس الشكل والمظهر لكل صفحة على

البوابة. التجانس والتناسق في اللوحات الرأسية والسفلى والجانبية للصفحة.		
مميزات الدخول لمستخدمي البوابة (دخول عام).	تسجيل الدخول	الحماية
الآلية التي قام بها المستخدم بإدخال اسم المستخدم وكلمة المرور هي واحدة والتي يمكن الوصول بها إلى جميع الخدمات عبر البوابة. أن تعلن عن توافر ميزة النفاذ الإلكتروني الموحد (SSO) على البوابة.	هوية واحدة	
يجب التصريح ببيان حول الامن والخصوصية للزوار المشاهدين. لا يعتبر التنويه والشروط بيان الخصوصية.	الحماية والخصوصية	
يجب عرض بيان حقوق الطبع والنشر.	حق المؤلف	
يجب إعلام المستخدم على بيان إخلاء المسؤولية.	تنصل	
رجع صدى/ تعليق: يتم تعريف رجع الصدى/ تعليق والآراء المعبر عنها من قبل المستخدمين فيما يتعلق بوظيفة البوابة. لا يمكن اعتبار الشكوى كجزء من هذا المعيار. رجع الصدى تلقائي: ستطالب كود للزوار عند تقديم أشكال ردود فعل أو تعليقات أو استفسارات على البوابة. رجع الصدى/ الاستجابة: الوكالة لديها حق الرد في غضون ثلاثة أيام على تقديم رجع الصدى/ تعليق من قبل الزائر.	رجع ميكانيزم الصدى	المشاركة
كل ما يمت بصلة بالإنترنت والتفاعل بين التكنولوجيا، والصور والأصوات. ميزة إضافية للتكنولوجيا / ويب 2.0 هو الآن جزء من هذا المعيار.	وسائل الإعلام الجديدة	
ينبغي إنشاء أسئلة وأجوبة القسم من أجل الإجابة على المواطنين التحقيق// إشغال البال. من المستحسن توفير الاتصالات (البريد الإلكتروني على سبيل المثال) بالنسبة لمسائل أخرى التي لم ترد في أسئلة وأجوبة.	أسئلة وأجوبة	الخدمات
يتم تعريف خدمات الإنترنت والخدمات التي يمكن التعامل معها بشكل كامل عبر الإنترنت دون الحاجة إلى زيارة جسدية لمقر الحكومة. يجب توفير الخدمات داخل نطاق البوابة. يمكن أن تكون خدمات G2G، G2C، G2B الموجهة. يعتبر الدفع الإلكتروني من الخدمات عبر الإنترنت.	عدد الخدمات عبر الإنترنت	
قاعدة بيانات يمكن البحث فيها والوصول إلى المعلومات التي تؤدي إلى استجابة خدمة حكومية معينة.	البحث في قاعدة البيانات	

إنطلاقاً من معايير تقييم البوابات الإلكترونية الرسمية نجد أن البوابة الإلكترونية
لوزارة التربية الوطنية تميزت بالخصائص الآتية:

1- المحتوى:

- تم تحديد سهولة الاستخدام والبساطة في التنقل من مختلف المواقع.
- وجود خريطة فعالة للبوابة مما سهل الملاحه من خلال المعلومات المنظمة بطريقة منطقية.
- القوائم الرئيسية واضحة للعيان، كما نجد وصلة إلى الفروع الرئيسية وموقع من كل قسم فرعي.
- نجد بالبوابة كل تفاصيل الاتصال من رقم الهاتف والعنوان والبريد الإلكتروني الخاص بالوزارة.
- ضمن إطار إصلاح الخدمة العمومية، وضعت وزارة التربية الوطنية تحت تصرف المواطنين رقما أخضرا (1075) وذلك تسهيلا لاتصالهم بمختلف مصالح الوزارة.
- للتأكد من مصداقية وأصالة صحة البوابة التي نحن بصدد تقييمها، لاحظنا أن البوابة صادرة عن هيئة تتمتع بسمعة طيبة من خلال وجود عبارة رسمية تُعبر عن كونها بوابة حكومية وهي: الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التربية الوطنية، هذا مما يشير إلى الحاجة المتزايدة لآليات بسيطة لتحديد المصداقية من تلك الخدمات.
- لا يوجد عداد يحدد عدد الزيارات.
- تتوفر البوابة على منشورات يمكن تحميلها ولا تعاني من أي خلل في الرابط ومنها: القانون التوجيهي للتربية، النظام التربوي الجزائري، دليل النصوص التشريعية والتنظيمية الخاصة بقطاع التربية الوطنية، النشرة الرسمية بداية من سنة 2003 إلى 2013.
- تحتوي على البوابة على إيقونة للأرشيف (سوف يتم نقل الأرشيف من الموقع القديم نحو البوابة تدريجيا).
- تتوفر البوابة على معلومات تخص الوحدة الحكومية الممثلة في وزارة التربية الوطنية.
- يوجد بالبوابة أيقونة تسمى فضاء الفيديو وتم فيها عرض مجموعة من مقاطع الفيديو بالصوت والصورة المتحركة.
- النسخة مناسبة ليتم عرضها عبر الأجهزة النقالة.

2- قابليتها للإستخدام:

- التصميم والملاحه⁷³ (Conception et Navigation): من حيث تصميم البوابة على شبكة الإنترنت وتقييمها، لوحظ وجود قدر كبير من المعلومات، ولكن هناك إتساق في

جميع المعلومات كما أنها سهلة الإستعمال بكل بساطة، والبوابة نظيفة ومرتبطة ونجد إعلانات، مما يسهل للمتصفح تحديد مسارات الملاحه.

- دقة الشاشة الافتراضية الخاصة بها 800 × 600 بكسل، عموما تم وضع الرسومات في الأعلى من الشاشة مع سهولة قراءة النص الوارد على البوابة، ووضوح حجم الخط المستخدم كما أننا نجد تباين بين الخلفية والنص.

- يمكن البحث ضمن البوابة من خلال توفرها على وظيفة البحث الداخلي، فمن خلال عملية التقييم لبوابة وزارة التربية الوطنية تم العثور على حقلين، الحقل الأول يتم وضع الكلمة المراد البحث عنها مع تحديد عملية البحث هل عن طريق (جميع الكلمات، أي كلمة، العبارة بالضبط)، ثم الحقل الثاني وهو مخصص لتحديد نتيجة البحث وماذا يفضل المستفيد حسب الترتيب الآتي هل الموضوع الاحداث أولا، الأقدم أولا، الأكثر شعبية، حسب الأبجدية، قسم/مجموعة، كما أنه بإمكان المستفيد تحديد بدقة أين يمكنه البحث هل في المقالات، دليل المواقع، جهات الإتصال، المجموعات، الأقسام أو التغذيةيات الإخبارية.

- تتوفر البوابة على رابط حكومتي <http://www.education.gov.dz>

- تحتوي البوابة على أقسام وارتباط تشعبي خاص بالوكالات الفرعية منها (الوزير، الإدارة المركزية، هيئات تحت الوصاية، التوثيق، الأشخاص ذوي الإحتياجات الخاصة).

- توجد بالبوابة أيقونة تسمى مواقع مفيدة عبارة عن وصلات تسمح للمستفيد من التنقل نحو هيئات ومؤسسات لها علاقة بالتربية.

- الروابط التشعبية بالبوابة كلها تعمل.

- وجود أخبار وفعاليات وأحداث جارية لها علاقة بالتربية.

- توجد هناك تحديثات طفيفة من حيث المحتوى وبعض التغيرات ولكن فقط ذات طابع تقني، من خلال فحص الأخطاء التقنية (أي رابط قيد الإنشاء)، حيث أن بعض القوائم هي أقل ديناميكية من غيرها، وربما لا تكون هناك حاجة لتلك التحديثات العادية، إذ نجد في النهاية تحديث شهري لكافة المعاملات والخدمات على البوابة.

- نجد ان المحتوى تم عرضه باللغة العربية وتمت ترجمته وبدون تناقض إلى اللغة الفرنسية.

- وقت التحميل لا يتجاوز 10 ثواني.

- حافظت البوابة على نفس الشكل والمظهر لكل صفحة.

- وجود تناسق في اللوحات الرأسية والسفلى والجانبية للصفحة.

3- الحماية:

- دخول عام للبوابة.

- يمكن الاشتراك بإدخال عنوان البريد الإلكتروني للحصول على أخبار جديدة لوزارة التربية الوطنية.
- كما تتوفر على بيان حقوق الطبع والنشر وهي محفوظة لمركز البحث في الإعلام العلمي والتقني (cerist)

4- الخدمات:

- هناك خدمات على الخط هي موجهة لاحتياجات جمهور محدد وهم التلاميذ وأولياء الأمور والأساتذة والشركاء ومنها: (دليل المؤسسات، مصادر بيداغوجية وتعليمية، الإمتحانات والمسابقات، الوثائق والإستمارات).
- كما توفر البوابة وصلات لمواقع وزارات أخرى.

خاتمة:

حاولنا في هذه الدراسة توفير إطار للممارسات الجديدة والجيدة لتطوير بوابة التربية الوطنية، مع ما تمثله البوابة على شبكة الانترنت كمصدر للموارد، خصوصا التي تم تصميمها بطريقة منظمة ومفيدة وانتقائية للمعلومات، بوابة تتيح للمستخدمين التنقل بسهولة نحو المجالات ذات الاهتمام، بدلا من الاضطرار إلى تصفح الإنترنت بطريقة عشوائية وأقل تركيزا، إذ تعزز بفعالية وكفاءة استخدام الإنترنت. في رأينا، ينبغي أن تكون البوابة التربوية مدروسة بعناية وتجمع وتتيح بين المزايا والمرافق التعليمية ذات الصلة.

المؤسسات التربوية واجهت دائما قيود في الحصول على موارد تكنولوجيا المعلومات مثل أجهزة الكمبيوتر والإنترنت للتعليم الإلكتروني، بيد أن معظم التلاميذ لديهم الأجهزة النقالة، والكمبيوتر اللوحي فالموارد متاحة بالفعل، والعديد من المشاريع الرائدة حول استخدام الأجهزة الذكية في مجال التربية في البلدان النامية خلقت تأثير كبير، كما نوقش في وقت سابق العديد من هذه المشاريع التي سوف تغير الحياة ولها القدرة على تغيير الوضع الاقتصادي للبلد التي تنفذه، لقد حان الوقت للانتقال من المرحلة التجريبية إلى التنفيذ الكامل⁷⁴. فالأجهزة الذكية لن تحل أزمة التعليم لدينا، لكنها أداة أخرى في مجموعة الأدوات التي إذا ما استخدمت بشكل صحيح، أن تكون ذات مغزى من تمكين خبرات التعلم⁷⁵. أو أنها الاستخدام التكاملية الفعال لجميع تقنيات المعلومات والاتصالات، لتسهيل وتسريع التعاملات بدقة عالية داخل الجهات الحكومية، وبينها وبين تلك التي تربطها بالأفراد، وقطاعات الأعمال⁷⁶، فدخولنا لعصر الأنظمة الذكية تمثل في الارتفاع الكبير في الهواتف الذكية وغيرها من الأجهزة النقالة وما هو إلا مجرد بداية لحقبة مقبلة من الحوسبة على نحو متزايد⁷⁷. لهذا لا بد أن تعمل البوابة الإلكترونية لوزارة التربية على⁷⁸:

- تحسين فرص مشاركة المواطنين.
- تحسين مشاركة المواطنين في مناقشة وعمليات صنع القرار عبر الموقع الإلكتروني.
- الارتباط مع الشبكات الاجتماعية (الفايسبوك،... الخ).
- الاستمرار في تحسين كل من المحتوى والأداء الوظيفي، يجب توفير المزيد من الخدمات إلكترونياً.

علينا أن نسلك إذا الطريق الصحيح مثلما فعلت عدة دول عربية أخرى حين أصبحت قادرة على التعامل مع أحدث اتجاهات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، إذ تمكنت من جذب الاهتمام المحلي والعالمي على حد سواء، من خلال مبادرات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي تهدف إلى توفير منصات ولوج سريعة مع تقدم المنتجات من قبل مقدمي التكنولوجيا وسرعات النطاق الترددي المقدم من موفري الاتصالات السلكية واللاسلكية، وقد ساعدت المبادرات الحكومية الأخيرة للإمارات العربية المتحدة مثلًا في نمو القطاع الخاص نظراً لأتمتة الخدمات الإلكترونية في الخدمات الحكومية مع ضمان تعزيز التواصل والشفافية في خدمة العمليات، وقد سمح هذا أيضاً لجميع جوانب المجتمع، سواء كانت اقتصادية، سياسية وبيئية وصحية والقانونية بالتطوير والنمو، كما حققت المبادرات سرعة تسليم الخدمات التعليمية والمهنية التي تهدف إلى وضع دولة الإمارات العربية المتحدة كدولة مصدرة للتعليم بدلاً من المستورد، ومركزاً تجارياً رئيسياً في المنطقة⁷⁹.

إذ أن بوابة الهاتف النقال هو نتيجة لشراكات بين القطاعين العام والخاص، إذ نجد أن حكومة دبي الإلكترونية كذلك حققت نجاحاً باهراً من خلال توفير مجموعة من الخدمات الإلكترونية لتعزيز خدمة العملاء، تم إطلاق البوابة بعد دراسة استقصائية متعمقة أجريت مؤخراً من قبل حكومة دبي الإلكترونية لتقييم جدوى توفير الخدمات الحكومية عبر الإنترنت من خلال الهاتف النقال كقناة مبتكرة، لخدمات الدوائر الحكومية، وتلبية احتياجات العملاء وزيادة استخدام الخدمات عبر الإنترنت⁸⁰.

حكومة المحمول إذا هي ظاهرة عالمية، ومع ذلك هناك بعض الاختلافات الهامة بين مبادرات حكومة المحمول في البلدان المتقدمة والمشاريع في المناطق النامية، ففي البلدان الأفريقية والآسيوية المتخلفة التي تعاني من فقدان البنى التحتية القائمة على الأسلاك، والتكنولوجيات المتنقلة، فهي أمامها فرصة وحيدة للاتصال ممثلة في الهواتف المحمولة التي غالباً ما تكون الطريقة الوحيدة للناس للتواصل مع بعضها البعض عبر مسافات أطول، وفرصة فعالة للحكومات في الحصول على الاتصال مع المواطنين في أفريقيا وآسيا، وبالتالي استخدام التقنيات النقالة تستعمل في كثير من الأحيان للرعاية الصحية وأغراض تعليمية منذ بزوغ شبكات الجيل الثالث على الرغم

من عدم توفرها حتى الآن في بعض البلدان النامية، وعادة ما يقتصر تطبيقها على خدمات الصوت والإرسال (SMS). فحكومات هذه الدول تحاول وضع مشاريع لتكون أداة مناسبة لتسهيل حياة الناس في البلدان النامية ومكافحة الفجوة الرقمية.⁸¹ إذ من العوامل التي من شأنها أن تسهم في زيادة انتشار الإنترنت في الأسر الجزائرية خصوصا الشباب، انخفاض سعر اللوحات الرقمية والهواتف الذكية مع وصول الإنترنت إلى سعر منخفض مع سرعة التدفق، وبالتالي يمكن للجمهور المستهدف ان يعمل من خلال أجهزته الذكية الوصول الحر والسريع إلى بوابة وزارة التربية الوطنية والاستفادة من خدماتها، ويتحسن بذلك مستوى التلاميذ من خلال استفادتهم هم أيضا من خدمات البوابة من ناحية دعمها للمنهج الدراسي وهذا بتوفيرها لمواقع ووصلات وتوجيههم نحو المعلومة التي يحتاجونها من دروس، وتمارين ومواعيد ونتائج للإمتحانات والمسابقات، وهذه الخدمات لا تتعلق بالبوابة التي قمنا بدراستها وإنما تتعلق أيضا على باقي البوابات الحكومية الأخرى، وفي النهاية سوف نصل إلى ما يسمى بالحكومة الإلكترونية (E-gouvernement)، والتي تعني كل المعلومات الرقمية وخدمات المعاملات عبر الإنترنت للمواطنين، كما يستخدم الآخريين المصطلح للإشارة إلى التجارة الإلكترونية، وإقتناء المشتريات وهم على الانترنت.⁸²

قائمة المصطلحات والمفاهيم حسب ورودها بالمقال :

- على الرغم من الهواتف المحمولة ليست مصممة أساسا للاستخدام التعليمي، إلا أن هناك أدلة متزايدة على أنه يمكن تسخيرها لتحقيق أقصى قدر من إمكانات التعلم، من خلال توفير المعلومات في متناول الطالب، لأنها تعزز شكلا أكثر نشاطا من التعلم، مما يسمح للتعلم أن يحدث بوتيرة يختارها المتعلم. والتطبيقات على الهواتف النقالة لها فوائد مماثلة للأطفال لذوي الاحتياجات الخاصة، إلى جانب القدرة على زيادة ثققتهم بأنفسهم أنظر

ITU. Making mobile phones and services accessible for persons with disabilities: A joint report of ITU – The International Telecommunication Union and G3ict – The global initiative for inclusive ICTs, August 2012 [in line]www.itu.int/ITU-D/sis/PwDs/.../Mobile_Report.pdf (consulted in 24/07/2013).

- (Personal digital Assistant)PDA: هو عبارة عن حاسوب جيب، مركب من معالج وذاكرة حية، وشاشة تعمل باللمس أو القلم. معظم أجهزة المساعد الرقمي الشخصي لها قدرات لتدوين الملاحظات، وكتابة الرسائل، والحفاظ على السجلات، وأداء وظائف جدول البيانات، كان يستخدم في البداية لتسجيل المواعيد والعناوين، ولكنه أصبح اليوم بفضل التطور التقني، يستخدم لتصفح الإنترنت والبريد الإلكتروني وممارسة الألعاب الفورية (Online) وغيرها. أنظر منتديات بيت حواء. المساعد الرقمي PDA إستخدامات جديدة [على الخط] http://forum.hawahome.com/t5199.html (تاريخ الإطلاع يوم 2013/07/22). انظر أيضا

Futura-Sciences [en ligne]http://www.futura-sciences.com/magazines/high-tech/infos/dico/d/high-tech-pda-1933/ (consulté le 12/07/2013). See also Business Dictionary.com : Over 20.000 Terms, Clear, Concise, Comprehensive. personal digital assistant (PDA) [in line]http://www.businessdictionary.com/definition/personal-digital-assistant-PDA.html (consulted in 19/07/2013).

- (Multichannel Access Gateway) MAG: جسر ضروري للتقارب من أجل ربط النظم الخلفية والأجهزة المحمولة، أنظمة تشغيل ومئات من الشبكات ولكل منها سمات مختلفة. انظر

Sybase inAnywhere MAG : Gateway to convergence [in line] http://www.sybase.com/products/mobileenterprise/informationanywheresuite/mag (consulted in 12/07/2013).

- SOA (Service-oriented architecture): هو تصميم البرمجيات والهندسة المعمارية فنمط التصميم على أساس مجموعات منظمة من وحدات برمجية منفصلة، والمعروفة باسم الخدمات، التي تقدم بشكل جماعي وظيفة كاملة من تطبيق البرمجيات كبيرة. والغرض من (SOA) هو أنها تسمح بتعاون من عدد كبير من أجهزة الكمبيوتر المتصلة عبر الشبكة. يمكن تشغيل كل جهاز كمبيوتر بحوي أي عدد من البرامج التي تم إنشاؤها في هذه الطريقة التي يمكن تبادل المعلومات مع أي خدمة أخرى في متناول الشبكة دون التفاعل بين الإنسان ودون الحاجة إلى إجراء تغييرات كاملة على البرنامج نفسه. انظر

Journal du net [in line] <http://www.journaldunet.com/solutions/dsi/soa/v> (consulté le 12/07/2013)

- WSRP (Web Services for Remote Portlets): خدمات ويب للمواصفات المداخل البعيدة يعرف واجهة خدمة ويب للوصول والتفاعل مع خدمات الويب التفاعلية الموجهة للعرض. انظر

OASIS : advancing open standards for the information society [in line] https://www.oasisopen.org/committees/tc_home.php?wg_abbrev=wsrp (consulted in 12/07/2013).

¹ - VEP : Vertical Enterprise Portals

¹ - EIP : Enterprise Information Portal= Le portail d'information d'entreprise

¹ - EAP : Enterprise Application Portal= Le portail d'application d'entreprise

- EEP : Enterprise Expertise Portal= Le portail d'expertise d'entreprise

- صفقات أعمال إلى أعمال Portail Business-to-Business: وهي كل صفقات البيع والشراء التي تتم ما بين الشركات، وهذا النوع من البوابات يعمل على إعانة المؤسسات التي تعمل على تقديم خدمات معينة للأقسام من خلال استهداف موضوع محدد أو خدمات مهنية خاصة، هذه البوابات تسمح بالوصول إلى موارد معينة أنظر

SECRETARIAT D'ETAT DE LA TECHNOLOGIE, MINISTERE DE L'INDUSTRIE ET DE LA TECHNOLOGIE, REPUBLIQUE TUNISIENNE, OP. CIT. P 14. Voir aussi الإدارة نجم عبود نجم، المعرفة الإلكترونية: الإستراتيجية-الوظائف-المجالات. الأردن: اليازودي، 2009، ص:41.

- <http://sales.oracle.com/en-us/>

- <http://www.webmd.com/>

HEP : Horizontal Enterprise Portals

- B2C : Portail Business-to-Consumers voir Jude LOBO. MySAP.com:

Enterprise portal cookbook. Vol.01: PO2 [in

line] <http://www.erpgenie.com/sapgenie/docs/Enterprise%20Portal%20Cookbook%20Vol%201.pdf>

نجم عبود نجم. الإدارة والمعرفة الإلكترونية: الإستراتيجية-الوظائف- (consulted in 12/07/2013). voir aussi المجالات، المرجع السابق الذكر، ص:49.

- إدارة المحتوى: تتوفر على شبكة الإنترنت أنواع مختلفة من المعلومات والمحتويات، هذا المحتوى يتطلب التنظيم من خلال عدة وسائل مختلفة، اعتمادا على نوعها وكيفية السيطرة على هذه المعلومات بطريقة منظمة، إدارة كل قطعة من المحتوى يختلف تبعا لنوعها. المحتوى يمكن أن يكون في شكل كلمات أساسية أو تكون جملة، ويمكن أن تحتوي أيضا على الروابط التشعبية التي توجه القارئ إلى معلومات إضافية، المحتوى الرقمي يمكن أن يكون أكثر تعقيدا من ذلك بكثير، قد تكون موجودة في ملفات الوسائط المتعددة، مثل الفيديو أو ملفات الصوت، فإنها قد تحتاج إلى دعم تقنية إضافية ومساحة تخزين افتراضية. انظر

Wise geek: clear answers for Common questions [in line] <http://www.wisageek.com/what-is-content-management.htm> (consulted in 13/07/2013).

- تلفون يحتوي نظام تشغيل ويقوم ببعض وظائف الكمبيوتر. انظر قاموس المعاني: لكل رسم معنى. معنى كلمة smart phone [على الخط]

تاريخ http://www.almaany.com/home.php?language=arabic&lang_name=English&word=smart (الإطلاع 2013/07/19)

- Phablet: هي فئة الهاتف الذكي يضم أحجام الشاشة 5,0- 6,9 بوصة، تهدف إلى الجمع بين جانبي أو وظائف الهاتف الذكي والكمبيوتر اللوحي، مما يلغي الحاجة للجهازين، مصطلح مكون من كلمتين هما (Phone) و (Tablet) أنظر

Jared NEWMAN. Phablets Are a Niche, Not a Fad. *Time tech*. 02 April 2013 [in line] <http://techland.time.com/2013/04/02/phablets-are-a-niche-not-a-fad/> (consulted in 16/07/2013). See also Parmy OLSEN. Why Get A Tablet When You Can Have A Phablet? [in

line] <http://www.forbes.com/sites/parmyolson/2012/02/28/why-get-a-tablet-when-you-can-have-a-phablet/> (consulted in 16/07/2013). see also WhatIs.com. Definition phablet. [in

line] <http://whatis.techtarget.com/definition/phablet> (consulted in 19/07/2013)

- جهاز كمبيوتر لوحي، هو جهاز كمبيوتر محمول من قطعة واحدة. وعادة ما يكون العمل عليه باللمس عن طريق الإصبع أو بالقلم، وعادة ما تستخدم لوحة المفاتيح الافتراضية القادرة على الكتابة، تتميز من خلال كونها أكبر من

الهواتف الذكية أو المساعدات الرقمية الشخصية. أنها عادة ما تكون 7 بوصة (18 سم) أو أكبر. أنظر

Edutors PC magazine. Definition of tablet computer PC magazine [in line]
<http://www.pcmag.com/encyclopedia/term/52520/tablet-computer> (consulted in 16/07/2013) see also
Editors dictionary.com. Tablet computer [in
line]<http://dictionary.reference.com/browse/tablet+computer> (consulted in 16/07/2013) see also Erica
OGG. What makes a tablet a tablet? [in line]http://news.cnet.com/8301-31021_3-20006077-260.html?tag=newsLeadStoriesArea.1(consulted in 16/07/2013).
- NFC : Near Field communication : الإتصال قريب المدى: هو تقنية جديدة للاتصال اللاسلكي بين الهواتف الذكية
والأجهزة الأخرى عن طريق موجات الراديو من خلال تلامس الأجهزة أو تقريباها من بعضها. تعتبر هذه التقنية تطويراً
لتقنية التعرف بموجات الراديو Radio-Frequency Identification أو RFID ، إلا أنها تضيف إمكانيات جديدة لها مثل
إمكانية الإرسال في الاتجاهين بالإضافة إلى مميزات أخرى. أنظر مصطفى حسن دهشان. الإتصال قريب المدى =
Near Field Communication. صحيفة رسالة الجامعة، 03 فيفري 2012 [على الخط]
<http://rs.ksu.edu.sa/69430.html> (تاريخ الإطلاع يوم 2013/07/24).
1- *E-learning*: يشير التعلم الإلكتروني باستخدام الكمبيوتر والإنترنت للتعلم. حين يلعب الكمبيوتر دوراً حيوياً في
التعليم الحديث وعلم أصول التدريس أنظر

Liu G.and Hwang G. A key step to understanding paradigm shifts in e-learning: towards context-aware ubiquitous learning. *British Journal of Educational Technology*, 2010, vol. 41(2).[In line]
<http://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1111/j.1467-8535.2009.00976.x/abstract>(consulted in
15/07/2013).

- *M-learning*: وهو التعلم باستخدام النقال ويتحقق مع الأجهزة المحمولة والاتصالات اللاسلكية إذ يمكن إستقبال
إشارات البث دون إنقطاع حيثما كان جهاز المتعلم، وليست الأجهزة الذكية ممثلة فقط في الهواتف الذكية فهي أضا
الكمبيوتر اللوحي، والمساعدات الرقمية الشخصية (Personal Digital Aids) أنظر

Liu G.and Hwang G. A key step to understanding paradigm shifts in e-learning: towards context-aware ubiquitous learning. *British Journal of Educational Technology*, January 2009, vol. 40 (1), PP
92-118. [In line]<http://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1111/j.1467-8535.2007.00809.x/abstract>
(consulted in 15/07/2013). See also El-Hussein M. O. M. and Cronje J. C. Defining Mobile Learning
in the Higher Education Landscape. *Educational Technology & Society*, 2010, vol. 13 (3),PP 12–21.
[In line]http://www.ifets.info/journals/13_3/3.pdf (consulted in 15/07/2013)

1- *U-learning*: التعلم في كل مكان، يتطلب الأجهزة النقالة المزودة بتكنولوجيا الاستشعار والاتصالات اللاسلكية أنظر
Liu G.and Hwang G. A key step to understanding paradigm shifts in e-learning: towards context-aware ubiquitous learning. *British Journal of Educational Technology*, 2010, vol. 41(2).[In line]
<http://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1111/j.1467-8535.2009.00976.x/abstract> (consulted in
15/07/2013).

- بوابة الاقتراحات والملاحظات

- Web Content Accessibility Guidelines (WCAG) 2.0: مبادئ التوجيهية للنفاذ إلى محتوى
الويب (WCAG2.0) هي مجموعة كبيرة من التوصيات التي تجعل النفاذ إلى محتوى الويب أيسر، وبالتالي يبسر الأمر
لمجموعة كبيرة من الأشخاص ذوي الإعاقات كالمكفوفين وضعيفي البصر والصم وفاقد السمع ومحدودي الإدراك
والقاصرين عن الحركة ومن لهم صعوبات في النطق ومن لهم حساسية للضوء ومن اجتمعت فيهم أكثر من واحدة من
هذه الإعاقات. وإن مراعاة هذه المبادئ التوجيهية يجعل محتوى الويب أسهل في الاستعمال للمستخدمين له بصفة عامة .
أنظر محمد الجملي. المبادئ التوجيهية للنفاذ إلى محتوى الويب WCAG2.0 [على الخط]
<http://www.utic.rnu.tn/wcag2.0/#contents> (تاريخ الإطلاع يوم 2013/07/19).

- Refer to Resize Text of Level AA WCAG 2.0.

- Refer to Contrast Minimum of Level AA WCAG 2.0.

- Single Sign-On ou identification unique: تعد معلومات النفاذ الإلكتروني الموحد (SSO) معلومات تعريفية
إلكترونية للفرد أو المنشأة ذي الصفة الطبيعية أو الاعتبارية أنظر برنامج التعاملات الإلكترونية الحكومية. النفاذ
الإلكتروني الموحد (SSO) [على الخط]
https://www.yesser.gov.sa/AR/BUILDINGBLOCKS/Pages/The_Single_sign-on.aspx (تاريخ الإطلاع
يوم 2013/07/19).

1- Frequently Asked Questions (FAQs): وتعني الإجابة على الأسئلة الأكثر تكراراً في مجال معين، وكثيراً ما
تدور

حول طريقة الاستخدام، معلومات الخدمة، طرق الدفع وما إلى ذلك. أنظر تعرف على بعض المصطلحات المتداولة في
مجال المعلوماتية. منتديات الجلفة لكل الجزائريين [على الخط]
<http://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=70854> (تاريخ الإطلاع يوم 2013/07/24).

- من الحكومة إلى رجال الأعمال (الموردين) (G2B (Government to business): التوصل إلى معلومات ومعطيات وإحصائيات رسمية حكومية انظر أسس الحكومة الإلكترونية [على الخط]

- من الحكومة إلى المواطن (G2C (Government to citizen): معلومات عن طرق الاتصالات والأدلة الخاصة بالجهات وساعات العمل ومعلومات عن الطقس... إلخ أنظر أسس الحكومة الإلكترونية، نفس المرجع.

- من الحكومة إلى الحكومة (G2G (Government to Government): نشر ميزانية الصرف التي تقرها الدولة لكل وزارة وجهة حكومية على المواقع الإلكترونية [على الخط] أسس الحكومة الإلكترونية، نفس المرجع.

الهوامش:

- 1 - Chandrasekhar C. P. and Ghosh J., Information and communication technologies and health in low-income countries: The potential and the constraints. *Bulletin of the World Health Organization*, 2001, vol.79, N°9, Geneva. Retrieved online August 24, [in line] <http://www.scielo.org/pdf/bwho/v79n9/v79n9a10.pdf> (consulted in 24/07/2013).
- 2 - Bargh J. A., McKenna K., Fitzsimons G. M., Can you see the real me? Activation and expression of the "true self" on the internet. *Journal of Social Issues*, 2002, vol.58, N°1, PP 33-48.[in line] smg.media.mit.edu/personals/chi2004/.../bargh.pdf (consulted in 24/07/2013).
- 3 - Brian E. PERRON, Harry O. TAYLOR, Joseph E. GLASS...[et al.], Information and Communication Technologies in Social Work. *Advances in Social Work*, 2010, Vol. 11 N°. 1, PP 67-81 [in line] deepblue.lib.umich.edu/bitstream/handle/.../46.pdf (consulted in 24/07/2013).
- 4 - Christian MARTEL, Laurence VIGNOLLET. Educational Web Portal based on personalized and collaborative services [in line] http://pdf.aminer.org/000/270/221/educational_web_portal_based_on_personalized_and_collaborative_services.pdf (consulted in 14/07/2013).
- 5 ligne] <http://www.xerfi.fr/etudes/1com15.pdf> (consulté le 12/07/2013).
- 6- د. العربي بن حجار ميلود، أ. شايب دراع بنت النبي. الجزائر والتوجه الاستراتيجي نحو الحكومة الإلكترونية: خدمات البوابات الإلكترونية الرسمية نموذجا. ص4-5. في: المؤتمر الدولي لتكنولوجيا المعلومات الرقمية: الاتجاهات الحديثة في تكنولوجيا المعلومات (عمان/الأردن 13-15 ماي 2014). - جامعة الزرقاء. - أكاديمية جلوان للتدريب والدراسات، 2014.
- 7 - wise geek: clear answers for Common questions [in line] <http://www.wisegeek.com/what-is-an-education-portal.htm> (consulted in 13/07/2013).
- 8 - Ibid.
- 9 - Joe ZHOU, A History of web portals and their development in libraries. *Information technology and libraries*, sept. 2003, vol.22, N°03, P120 [in line] <http://aaa.volospin.com/BT606B/zhou-history-of-web-portals.pdf> (consulted in 12/07/2013).
- 10 - Ibid.
- 11 - Wise geek, OP. CIT.
- 12 - Joe ZHOU. OP. CIT. P120.
- 13 - Ibid, P 122.
- 14 - Wise geek, OP. CIT.
- 15- البوابات الإلكترونية.. آفاق تخترق فضاء المعلوماتية. صحيفة البيان، 24 جوان 2012 [على الخط] <http://www.albayan.ae/science-today/education-com/2012-06-24-1.1674956> (تاريخ الإطلاع يوم 2013/07/11).
- 16-Oxford Dictionaries: The World's most trusted dictionaries [in line] <http://oxforddictionaries.com/definition/english/portal> (consulted in 11/07/2013).
- 17-Dictionnaires de Français LAROUSSE [en ligne] <http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/portail/62682> (consulté le 11/07/2013).
- 18 - Le Site de l'académie de Caen <http://www.etab.ac-caen.fr>
- 19 - البوابات الإلكترونية.. آفاق تخترق فضاء المعلوماتية، الموقع السابق الذكر، وانظر أيضا غزوان حسنة. بين موقع الإنترنت والبوابات الإلكترونية. مجلة المعلوماتية، العدد 09، تشرين الثاني 2006 [على الخط] <http://electronicportals.blogspot.com/> (تاريخ الإطلاع يوم 2013/07/11).
- 20- Techno-Science.net. portail web [en ligne] <http://www.techno-science.net/?onglet=glossaire&definition=1434> (consulté le 11/07/2013).

- 21 - GIGA information group, Portail d'entreprise : P06 [en ligne] http://www.ai.univ-paris8.fr/~ga/Public/portal_up8.pdf (consulté le 12/07/2013).
- 22- Joe ZHOU. OP. CIT. P120.
- 23 - Jennifer BURKE. Educational Web Portals: Guidelines for Selection and Use : A guide to help school district administrators assess the quality, usefulness and reliability of commercially provided educational Web portals designed for schools [in line]http://www.info.sreb.org/programs/edtech/pubs/pdf/web_portals.pdf (consulted in 15/07/2013).
- 24 - Frédéric JACQUENOD. Les Portails : la synthèse : pp 03-04-05 [en ligne]http://portail.jacquenod.net/Web/Portail/Pdf/portail_synthese.pdf (consulté le 11/07/2013).
- 25- البوابات الإلكترونية...أفاق تخترق فضاء المعلوماتية، الموقع السابق الذكر.
- 26 - SECRETARIAT D'ETAT DE LA TECHNOLOGIE, MINISTERE DE L'INDUSTRIE ET DE LA TECHNOLOGIE, REPUBLIQUE TUNISIENNE. Portail d'entreprise open source : livre blanc. Tunis : créative Commons, juillet 2011 :P15 [en ligne]http://www.opensource.tn/fileadmin/media/pdf/livres_blanc/LivreBlanc.Portail.Entreprise.OS.pdf (consulté le 12/07/2013).
- 27 - . Ibid, P 13.
- 28 - The Law Dictionary: Featuring Black's Law Dictionary Free Online Legal Dictionary 2nd Ed.[In line] <http://thelawdictionary.org/electronic-portal/> (consulted in 11/07/2013).
- 29 - SECRETARIAT D'ETAT DE LA TECHNOLOGIE, MINISTERE DE L'INDUSTRIE ET DE LA TECHNOLOGIE, REPUBLIQUE TUNISIENNE, OP. CIT. P 14.
- 30 - Ibid.
- 31 - Richard N KATZ, Associates. Web portals and higher education technologies to make IT personal, chapter 04, 2002 : P 35 [in line]<http://net.educause.edu/ir/library/pdf/pub5006g.pdf> (consulted in 12/07/2013).
- 32 - SECRETARIAT D'ETAT DE LA TECHNOLOGIE, MINISTERE DE L'INDUSTRIE ET DE LA TECHNOLOGIE, REPUBLIQUE TUNISIENNE, OP. CIT. P 14.
- 33 - Ibid, P 15.
- 34 - Julia PAVLOVA. Human-computer interaction : web portal services : P03 [in line]<http://www.mayr.informatik.tu-muenchen.de/konferenzen/Jass05/courses/6/Papers/02.pdf> (consulted in 12/07/2013).
- 35 - Neil BUTCHER. Best Practice in Education Portals : Research Document Prepared for The Commonwealth of Learning and SchoolNet Africa. Canada: The Commonwealth of Learning, 2002: P3 [in line]http://www.col.org/SiteCollectionDocuments/02EducationPortals_Report.pdf (consulted in 14/07/2013).
- 36- Wise geek, OP. CIT.
- 37 - Janet CALDOW. The Quest for electronic vision. Caldow : Institut for electronic government, 1999 : P11 [In line]<http://www-304.ibm.com/jct01003c/industries/government/ieg/pdf/egovvision.pdf> (consulted in 11/07/2013).
- 38- Wise geek, OP. CIT.
- 39 - Ibid.
- 40- Neil BUTCHER. OP. CIT., P09.
- 41- Wise geek, OP. CIT.
- 42 - Ibid.
- 43 - Ibid.
- 44 - Neil BUTCHER. OP. CIT., P21.
- 45 - Ida LINDGREN. Public e-Service Stakeholders : A study on who matters for public e-service development and implementation. Sweden : Linköping, 2013 [in line]liu.diva-portal.org/smash/get/diva2:616838/FULLTEXT01.pdf(consulted in 23/07/2013).
- 46 - Wise geek, OP. CIT.
- 47 - Microsoft in education, learning portals for higher education : Connect everyone in your learning community to the people, information, and resources they need, when they need them. [in line]<http://www.microsoft.com/education/ww/solutions/Pages/web-portals-higher-ed.aspx> (consulted in 13/07/2013).

- 48- Jennifer BURKE. Educational Web Portals: Guidelines for Selection and Use : A guide to help school district administrators assess the quality, usefulness and reliability of commercially provided educational Web portals designed for schools [in line]http://www.info.sreb.org/programs/edtech/pubs/pdf/web_portals.pdf (consulted in 15/07/2013).
- 49 - APEC. Malaysia Government Portals and Websites Assessment (MGPWA). Selangor : Multimedia Development Corporation, 2013 : P13 [in line]<http://www.mscomalaysia.my/sites/default/files/mgpwa/CriteriaMGPWA2013.pdf> (consulted in 20/07/2013).see also <http://snamasr.ahlamontada.com/t5841-> [على الخط] 02 أكتوبر 2012 مكتب التربية العربي لدول الخليج، الأحد 02 أكتوبر 2012 [على الخط] topic (تاريخ الإطلاع يوم 2013/07/20).
- 50- غزوان حسنة. بين مواقع الإنترنت والبوابات الإلكترونية. الموقع السابق الذكر.
- 51- فهد بن ناصر العبود. المواقع والبوابات الإلكترونية. جريدة الرياض، 28 جوان 2008، العدد 14614 [على الخط] <http://www.alriyadh.com/2008/06/28/article354343.html> (تاريخ الإطلاع يوم 2013/07/20)
- 52- Tamer NADEEM. App Development for Smart Devices. P22 [in line]http://www.cs.odu.edu/~cs495/materials/Lec-01_Course-Introduction.pdf (consulted in 18/07/2013). See also Chuanxiong GUO, Helen J. WANG, Wenwu ZHU. Smart-Phone Attacks and Defenses : P 1 [in line]<http://research.microsoft.com/en-us/um/people/helenw/papers/smartphone.pdf> (consulted in 27/07/2013).
- 53 - Wikipedia : the free encyclopedia. Smart device. [in line] http://en.wikipedia.org/wiki/Smart_device (consulted in 15/07/2013).
- 54 - Daniel RAMOS. The Rise of Smart Devices on Mobility in Wireless Networks [in line] www.cse.unr.edu/~mgunes/.../Daniel_Mobility.ppt (consulted in 19/07/2013).
- 55- Oxford Dictionaries : The World's most trusted dictionaries [in line]<http://oxforddictionaries.com/definition/english/smart> (consulted in 19/07/2013).
- 56 - Tamer NADEEM. App Development for Smart Devices. P22 [in line]http://www.cs.odu.edu/~cs495/materials/Lec-01_Course-Introduction.pdf (consulted in 18/07/2013).
- 57- By Bruce DRAGT. A First Data White Paper Universal Commerce: Adapting to the Power of Smart Devices , 2012, P3 [in line]<http://www.firstdata.com/downloads/thought-leadership/2765-Smart-Device-WP.pdf> (consulted in 19/07/2013).
- 58 - Neil BUTCHER. OP. CIT., P08.
- 59 - Ibid, P08.
- 60 - Ibid, P09.
- 61 - Ibid, P09.
- 62 - Ibid, P21.
- 63 - Fuxin (Andrew) YU. MOBILE/SMART PHONE USE IN HIGHER EDUCATION, PP 832-833 [in line]http://www.swdsi.org/swdsi2012/proceedings_2012/papers/Papers/PA144.pdf (consulted in 15/07/2013)
- 64 - Dean J. Smartphone user survey: a glimpse into the mobile lives of college students. 2010 [in line] <http://testkitchen.colorado.edu/projects/reports/smartphone/smartphone-survey/> (consulted in 15/07/2013).
- 65- مرفت عبد الدايم. تكنولوجيا المعلومات اطلق الخدمات الحكومية الإلكترونية على الأجهزة الذكية، الوطن، العدد 13431 (07 ماي 2013) [على الخط] http://pdf2013.kuwait.tt/In_20130507_1.pdf (تاريخ الإطلاع يوم 2013/07/15) وأنظر أيضا محمد راشد. إطلاق الخدمات الحكومية الإلكترونية على الأجهزة الذكية، الجريدة، العدد 1960 (08 ماي 2013) [على الخط] <http://www.aljarida.com/epaper/index/703/2> (تاريخ الإطلاع يوم 2013/07/15)
- 66 - Satoshi KIMURA, Kazumi YOSHIDA. UNIVERGE Mobile Portal Service: A Smart Device Utilization Platform Optimized for BYOD [In line]<http://www.nec.com/en/global/techrep/journal/g12/n03/pdf/120309.pdf> (consulted in 15/07/2013).
- 67 - The Benefits of smart devices in education [in line]<http://www.edifywithapps.net/>(consulted in 16/07/2013).

- 68 - Alan DAVY. Components of a smart device and smart device interactions [In line] http://www.m-zones.org/deliverables/d234_1/papers/davy-components-of-a-smart-device.pdf (consulted in 19/07/2013).
- 69 - Wang Y., Wu M., Wang, H. Investigating the determinants and age and gender differences in the acceptance of mobile learning. *British Journal of Educational Technology*, January 2009, vol. 40 (1), PP 92-118. [In line] <http://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1111/j.1467-8535.2007.00809.x/abstract> (consulted in 15/07/2013).
- 70 - Kereen TATHAM-MAYE. Ten Benefits of Mobile Learning Technology, Such as Smart Phones : Despite some perceived disadvantages of cell phones in schools, mobile learning devices are creating a revolution in education called e-learning.[In line] <http://suite101.com/article/ten-benefits-of-mobile-learning-technology-such-as-smart-phones-a344021> (consulted in 16/07/2013).
- 71 - موقع وزارة التربية الجزائرية، البوابة الإلكترونية الجديدة 2014، [على الخط] <http://www.m-education.gov.dz/Article.aspx?ArticleID=15df772e-14c2-4ac1-99de-e667e10b20c4&RubriqueID=1d5dbad6-b877-44aa-bba6-f4eadfcdac66> (تاريخ الإطلاع يوم 2014/01/31).
- 72 - APEC. Malaysia Government Portals and Websites Assessment (MGPWA). Selangor: Multimedia Development Corporation, 2013: PP 4-11 [in line] <http://www.mscmalaysia.my/sites/default/files/mgpwa/CriteriaMGPWA2013.pdf> (consulted in 19/07/2013).
- 73 - Neil BUTCHER. OP. CIT., P03.
- 74 - Sam GOUNDAR. What is the Potential Impact of Using Mobile Devices in Education? *Proceedings of SIG GlobDev Fourth Annual Workshop, Shanghai, China*, December 3, 2011 [In line] <http://www.globdev.org/files/Shanghai%20Proceedings/14%20REVISED%20Goundar%20Using%20Mobile%20Devices%20in%20Education%20-%20Final.pdf> (consulted in 17/07/2013).
- 75 - Todd HOFFMAN. Can Smartphones Make Kids Smarter? [In line] <http://www.education.com/magazine/article/smartphones-kids/> (consulted in 16/07/2013).
- 75 - أمانة منطقة الرياض، الإدارة العامة لتقنية المعلومات والخدمات الإلكترونية. خدمة البريد الإلكتروني، ص 02 [على الخط] <http://emunicipality.alhriyadh.gov.sa/Documents/EServices/WebMail/WebMail.pdf> (تاريخ الإطلاع يوم 2013/07/11).
- 76 - IDC I V I E W. The Rise of Intelligent Systems: Connecting Enterprises and Smart Devices in Seamless Networks, April 2012, P3 [In line] http://idc.cycloneinteractive.net/microsoft-intelligent-systems-iview/Final-iView-content_Intelligent_Systems.pdf (consulted in 19/07/2013).
- 77 - smart cities : My city online : Making the case for municipal web portals : case studies and strategies for web site development from smart cities : P40 [in line] www.northsearegion.eu/.../20130404144735_MyCity. (consulted in 23/07/2013).
- 78 - National committee. Successful stories. World summit on the information society. United arab Emirates, 2013 [in line] www.tra.gov.ae/pdf/wsis-report-2013-english.pdf (consulted in 23/07/2013).
- 79 - Zaigham ALI MIRZA. E-services on mobiles! *Khaleej Times*, 21 September 2005 [in line] http://www.khaleejtimes.com/DisplayArticle.asp?xfile=data/theuae/2005/September/theuae_September652.xml§ion=theuae (consulted in 23/07/2013).
- 80 - Thomas ZEFFERER. MOBILE GOVERNMENT E-GOVERNMENT FOR MOBILE SOCIETIES STOCKTAKING OF CURRENT TRENDS AND INITIATIVES. Secure Information Technology Center – Austria : P48 [in line] www.asit.at/pdfs/.../mobile_government_1.0.pdf (consulted in 23/07/2013).
- 81- Janet CALDOW. The Quest for electronic vision. Caldow : Institut for electronic government, 1999 : P02 [In line] <http://www-304.ibm.com/jct01003c/industries/government/ieg/pdf/egovvision.pdf> (consulted in 11/07/2013).

أدوار التظاهرات العلمية الجامعية
في بناء مجتمع المعرفة الأكاديمي المتخصص
حالة قسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية
بجامعة باجي مختار، عنابة.

د. عين أحجزهير
جامعة عنابة

1. مقدمة:

إن قطاع التعليم العالي من بين القطاعات التي تساهم في تحقيق التنمية الشاملة في المجتمعات، وهو الحجر الأساس والنواة الأساسية التي تبني عليها الأمم رقيها وتحقيق أهدافها المرجوة، كما يعتبر من بين المجالات التي تسعى أية دولة إلى التحكم فيها وتطويرها، باعتباره أداة فعالة تساهم في التنمية، وتكوين إطارات بشرية مؤهلة، فمستويات المؤسسات الأكاديمية اليوم تعبر عن مدى تقدم هذه الدول، لذا فإن نجاح أي برنامج تعليمي يعتمد على توفر مجموعة من المعطيات والمقومات البشرية والمادية، من أجل الحصول على نتائج جيدة وتحقيق الغايات المرجوة والوصول إلى الأهداف المسطرة، فنجاحه يقف على مجموعة من المتطلبات، أهمها توفير بيئة معرفية أكاديمية متخصصة تصب في مصلحة التحصيل العلمي للمجتمع الجامعي بكل مكوناته الطالب والأستاذ، كونه لم يعد مجرد خيار وإنما أصبح ضرورة تفرضها متغيرات الحاضر والمستقبل، فهو في حاجة إلى مراجعة مستمرة لإستراتيجية تطوير أساليب التعليم على مؤشرات وآفاق المستقبل، لذلك فإنه يواجه العديد من التحديات والمتغيرات الآنية والمستقبلية، أهمها الانفجار المعلوماتي والمعرفي الذي تسببت فيه الثورة العلمية والتكنولوجية الحاصلة في عصر أقل ما يقال عليه عصر المعرفة والعولمة، مؤديا إلى ظهور حاجات جديدة للمجتمع الجامعي، ومرتبطة ارتباطا وثيقا بالمعرفة الأكاديمية المتخصصة.

إن التعليم العالي يتطور بسرعة مطردة داخل محيط تميزه المعلومات الرقمية وشبكة الانترنت والتعليم الإلكتروني وغيرهم، مصبها القطاع الأكثر ديناميكية في مجال المعلومات والمعرفة المتخصصة، حيث وبصفة عامة فرضت عليه تقنيات المعلوماتية أعباء ومسؤوليات كبيرة، كما وكذلك على تعليم المكتبات بصفة خاصة باعتباره يعنى بتأهيل إطارات متخصصة، تأخذ على عاتقها مهمة الإشراف على تسيير مؤسسات معلومات حساسة، تتأثر بسرعة بالتطورات الحاصلة في بيئتها المعرفية، ويعد تخصص المكتبات والمعلومات وعلوم الأرشيف والتوثيق من العلوم الأساسية

التي تركز عليها بقية التخصصات، من حيث توفير الأدوات والوسائل الممكنة في وصول المستفيد إلى تلبية رغباته من المعلومات والمعرفة في علاقة تشابكية جد معقدة.

تعدّ التظاهرات العلمية الجامعية بالنسبة للأستاذ والطالب معا واحدة من أهم الأدوات التعليمية الأساسية في بناء البيئة المعرفية الأكاديمية لهما، فهي من جهة توفر سبلا جديدة للتحصيل العلمي للطالب، كما أيضا من جهة أخرى توفر فضاء يقيم فيه الأستاذ معارفه العلمية، كما تسمح له بتحسينها باستمرار، وهو العامل الذي يعطيه تماشيا مع معطيات تخصصه، وهو الحال نفسه بالنسبة للطالب والأستاذ في تخصص علم المكتبات. كون هذه التظاهرات العلمية تشكل مناسبة معرفية أكاديمية، تربط بين كل الأطراف التي تهتم ولها علاقة بالموضوع المعالج في هذه التظاهرات، التي يحضرها كثيرا من المدعوين، ومن الباحثين المتخصصين الذين يقدمون أبحاثهم ومستجداتها وأرائهم، في محاولات لإعطاء الحلول والمقترحات للإشكالية المطروحة فيها.

والتظاهرات العلمية الجامعية تتنوع وتختلف من حيث الفائمين بها، وموضوعاتها، وعدد أيامها، ومستوى المشاركين فيها، كما تختلف من حيث التغطية الجغرافية للمشاركين والمهتمين، ويمكن أن تكون واحدة من هذه الأنواع المعروفة: مؤتمر دولي، ملقى دولي، ملتقى وطني، ندوة وطنية، أيام دراسية، يوم دراسي، معرض دولي، معرض وطني، وغيرها من التظاهرات العلمية الجامعية المختلفة. قد تقوم بها الجامعات أو الكليات أو الأقسام، كما قد يقوم بها الطلبة الجامعيون عن طريق نواديهم العلمية، هذه الأخيرة التي تشكل بمثابة المؤسسة المعرفية المصغرة التي يعبر فيها الطلبة عن أفكارهم وإبداعاتهم العلمية المعرفية والفنية، تحت الإشراف الدائم للجامعة أو الكلية أو القسم، التي تدعم كل مبادراتهم البناءة والتي تصبّ في الإطار العام للتحصيل المعرفي لهم في الجامعة. وعليه فإنّ دور التظاهرات العلمية يعتبر أساسيا في عملية الدعم العلمي والبيداغوجي للمقررات الدراسية، لذلك فهي مجال خصب للتعريف بالانتاجات المعرفية الجامعية الخالصة، حيث يقدم من خلالها كل من له معارف جديدة للمناقشة والإثراء، ومن ثم للإفادة والاستفادة.

ولقد بادر قسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية بجامعة باجي مختار عنابة منذ نشأته إلى السعي في بناء بيئة معرفية أكاديمية متخصصة، وذلك بالإضافة إلى ما يتوفر عليه من مكتبة متخصصة، ورصيده المتخصص من الوثائق والمعلومات في مكتبة الكلية والمكتبة المركزية. وكما أيضا على قاعات الإعلام الآلي وقاعات الانترنت، حيث قام بتنظيم العديد من التظاهرات العلمية، وكذلك المشاركات العديدة لأساتذته فيها وفي غيرها من الملتقيات الوطنية الأخرى، وفي الملتقيات والمؤتمرات الدولية، على

غرار المؤتمر العربي الذي يعقده سنويا الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات في واحدة من الدول العربية. ولقد لعبت مجمل هذه التظاهرات العلمية سواء المنظمة من طرف القسم أو التي شارك فيها أستاذته، في الوطنية أو الدولية في دعم مستواهم المعرفي بالدرجة الأولى وانعكاساته الايجابية على التحصيل المعرفي المباشر للطالب الجامعي في علم المكتبات بالدرجة الثانية، إضافة إلى ما تقدمه بعض هذه التظاهرات العلمية التي ينجزها القسم، سواء من طرف إدارته أو من طرف ناي القسم، في التواصل المباشر مع المتخصصين والتعبير عن آرائهم دون حواجز، فهي الدعامة الأساسية في الرقي بالتكوين العالي في علم المكتبات، ووضع خطوة أساسية في بناء مجتمعه المعرفي الأكاديمي المتخصص للتكوين فيه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة باجي مختار عنابة.

وقد جاءت هذه الدراسة الميدانية التحليلية لمعالجة موضوع التظاهرات العلمية الجامعية على مستوى قسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية بجامعة عنابة، وماله من مظاهر وأسباب وحيثيات مبادرة بناء مجتمعه المعرفي، الذي أصبح ضرورة حتمية أفرزتها مقتضيات قيمة وجودة المعارف التي قد توفرها هذه التظاهرات، معتمدا فيها على الكثير من مصادر المعلومات والوثائق، أهمها برامج المكتبات والمؤتمرات وأعمالها، تغطيتها الإعلامية الصحفية والسمعية البصرية، وأشرطة الفيديو، وأصداء الطلبة والمقررات الدراسية وبعض النصوص القانونية وعروض التكوين وغيرها. هذا من جهة، كما هي فرصة لتوجيه الاهتمام المستمر من طرف المسؤولين في الجامعات كل قدر صلاحيات إلى تفعيل تنظيمها وترسيخ فكرة اهتمام الطالب بحضور فعاليات واستغلال تواجد في بيئتها المعرفية المتخصصة.

2. إشكالية البحث

في عصرنا اليوم، يركز التكوين العالي في الجامعات على إيجاد سبل جديدة له تتميز بالجودة العالية وقلّة التكاليف، والمسيرة لمتطلبات المتغيرات الحاصلة في المجتمعات والأمم، حيث ارتفعت الحاجة للحيازة على أكبر قدر من المعلومات والمعارف المعاصرة التي تساهم في بناء الاقتصاديات، وفق نظم محددة تضبطها مخططات وإستراتيجيات التنمية الشاملة في بلدان هذه الجامعات، التي وجدت في واحدة من هذه الأساليب الفعالة في دعم التكوين العالي عقد التظاهرات العلمية في مناسبات محددة، تكون فرصة لجمع أكبر عدد ممكن من المتخصصين المتميزين لمناقشة إشكالية راهنة، في موضوع متخصص معين له علاقة بالتنمية الوطنية ومن محاور البحث العلمي المعاصر، وهي الفرصة لتقديم معارف مباشرة جديدة للمحيط الجامعي وفي مقدمته الطلبة الجامعيين والباحثين، فهذه الفئة من المجتمع تعتبر النخبة المرجو منها كثيرا من الأدوار تلعبها في المجتمع.

وعليه فهذه التظاهرات العلمية الجامعية لا غنى عنها في توفير المعارف الجديدة، ومن هذا المنظور وبنفس المبدأ ساهمت إدارة قسم علم المكتبات بكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية منذ نشأته وبفضل أساتذته وطاقمه الإداري في إرساء بيئة معرفية أكاديمية، تلعب فيه التظاهرات العلمية المحور الأساسي، حيث تنظم سنويا تظاهرة علمية وطنية على مستواه، وتشجيع أساتذته في المشاركة فيها وفي التظاهرات الأخرى على المستوى المحلي والدولي. ومن أجل إبراز القيمة الحقيقية لهذه التظاهرات في التحصيل العلمي للطالب ورسكلة المعلومات والأفكار عند الأساتذة جاءت هذه الدراسة من أجل تحديد دور وأهمية هذه الأخيرة في وضع أسس بناء المجتمع المعرفي الأكاديمي المتخصص في علم المكتبات بجامعة عنابة، الذي تطمح إلى تحقيقه إدارة الجامعة بصفة عامة وإدارة القسم بصفة خاصة، يستفيد منه كل فرد جامعي. كما جاءت هذه الدراسة للتعريف بعناصر هذه البيئة المعرفية الأكاديمية ومؤسساته ومجهوداته، ودور الأفراد ومبادرات التعاون والتنسيق في تنمينه، وفق أهداف وخطط مشتركة، ومواضيع التظاهرات العلمية وأنواعها والمؤسسات الداعمة لها، والنشاطات المقدمة ضمن مجريات فعاليتها ووثائق المعلومات ومصادرها المقدمة، التي يجدها المستفيدين مصادرا قيمة للمعلومات والمعارف، يستخدمونها في إنجاز بحوثهم وتطوير قدراتهم العلمية، وبذلك تحسين تحصيلهم العلمي، وهو الهدف الأساسي من التكوين العالي في تخصص علم المكتبات بجامعة عنابة. وقد انطلقت هذه الدراسة من مجموعة من أسئلة جوهرية هي:

- ما هي العناصر المكونة لمجتمع المعرفة الأكاديمي لقسم علم المكتبات بجامعة عنابة، وما هي عناصر مؤسسات التعاون العلمية والثقافية الداعمة له، والتي أفرزتها التظاهرات العلمية؟
- ما هي التظاهرات العلمية المنجزة والمشارك فيها بقسم علم المكتبات بعنابة، وما هي أطر تعاون بيئة مجتمعه المعرفية؟
- ما هي العلاقات التفاعلية لعناصر مجتمع المعرفة الأكاديمي لقسم علم المكتبات، وما تأثيراتها على نشاط أساتذته والتحصيل العلمي لطلابه؟
- ما هي آفاق القسم المستقبلية لمواصلة إرساء خطوات بناء مجتمعه المعرفي الأكاديمي، وتجسيد بعض أهدافه؟

3. أهداف البحث

- إبراز أهمية التظاهرات العلمية الأكاديمية كأسلوب فعال وغير مكلف في دعم العملية التعليمية الجامعية بصفة عامة وفي علم المكتبات بصورة خاصة، ودورها في بناء أي مجتمع معرفي أكاديمي.

- معرفة العناصر المكونة لمجتمع المعرفة الأكاديمي لقسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية بجامعة عنابة، والمؤسسات العلمية والثقافية المساهمة في تجسيد سبل التعاون الثقافي والمعرفي.
- معرفة موضوعات التظاهرات العلمية المنجزة والمشارك فيها بقسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية من طرف أساتذته وطلبته بجامعة باجي مختار عنابة، وأطر تعاون مؤسسات البيئة المعرفية الناتجة.
- تحديد أنماط العلاقات التفاعلية البينية لعناصر المكونة لمجتمع المعرفة الأكاديمي لقسم علم المكتبات، وما مدى دورها في تطوير معارف أساتذته والتحصيل العلمي المتخصص لطلبته.
- معرفة الآفاق والتطلعات المستقبلية لقسم علم المكتبات بجامعة عنابة وسيرورته نحو تحقيق خطوات بناء مجتمعه المعرفي الأكاديمي.
- تحقيق ضبط للفضاء المعرفي الأكاديمي العام لقسم علم المكتبات بجامعة عنابة وتقييم منتجاته المعرفية، التي يستفيد منها القسم في توصيل المعارف المتخصصة إلى عناصر العملية التعليمية بالدرجة الأولى، وهما: الأستاذ والطالب.

4. أهمية البحث

- تستمد هذه الدراسة أهميتها من مجموعة من النقاط أهمها:
 - ضعف التأطير العلمي المتخصص في علم المكتبات بصفة عامة، ومكانة التظاهرات العلمية في دعمه ودعم المقررات الدراسية بالمعلومات والمعارف المتجددة، وتبادل الخبرات والتجارب التي يملكها الباحثين المشاركين فيها، في حيز معرفي متخصص يركز على أساليب علمية ومنهجية في النقاش وتبادل الآراء.
 - وضع بعض الحلول الفعالة لحاجيات الطلبة المعرفية المتخصصة، بأسلوب بيداغوجي غير مملّ ومتميز بنشاطات ثقافية داعمة، لها تأثير مباشر على مكتسباته المعرفية والثقافية والإبداعية وحتى الشخصية، تخرجه من الروتين السائد طوال شهور الدراسة الجامعية.
 - توفير الفرص العلمية لطرح الإشكاليات الراهنة في تخصص علم المكتبات، خاصة وأن هذه التظاهرات يحضرها باحثين متقدمين جدا في بعض الإشكاليات، ما يمكّن الطلبة والأساتذة والباحثين الحاضرين الآخرين من أسبقيتهم في الاطلاع على مستجداتها.
 - التأكيد على أن التظاهرات العلمية هي أيضا حلقة أساسية في بناء أي مجتمع معرفي أكاديمي متخصص، لا تقل أهمية عن المقررات الدراسية وإدماج الإطار العلمية المتخصصة، ولا ينبغي على مسؤولي أقسام المكتبات والمعلومات تجاهل ذلك. وحقيقة أن التلقين المعرفي في بيئة التظاهرات العلمية تعطي دافعية كبيرة للاكتساب المعرفي،

وتفاعلية كبيرة في التواصل البيئي، هذا الأخير الذي يشكل القناة الأساسية في التعبير وتبادل الأفكار والمعارف.

- ترقية إستراتيجيات أقسام المكتبات عن طريق الاستفادة من مساهمات بعض المؤسسات العلمية والثقافية، التي تصب في الكثير من الأهداف المشتركة، ما يسمح بالتماشي مع مستجدات التكوين العالي في علم المكتبات، والخروج إلى محيط البيئة المعرفية الخارجي.

5. منهج البحث

طبقت هذه الدراسة الميدانية منهج تحليل المحتوى لجملة من الوثائق ومصادر معلومات، بغرض الوقوف على واقع التظاهرات العلمية المتخصصة في علم المكتبات والمعلومات، التي نظمها قسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة باجي مختار عنابة أستاذة وطلبة، وذلك من أجل تحديد ملامح البيئة المعرفية الأكاديمية التي يطمح إلى بناءها قسم علم المكتبات بجامعة عنابة، فتكون مجالاً معرفياً متخصصاً يتكوّن فيه الطالب ويطوّر فيه الأستاذة قدراتهم البيداغوجية والمعرفية المتخصصة. ومنه الإجابة على مجمل الأسئلة التي وضعت على ضوء الإشكالية المسطرة لهذه الدراسة، معتمداً على مجموعة من المصادر المختلفة والتي تصب في صلب موضوعها، والتي من خلالها تم الحصول على البيانات الميدانية.

6. الضبط الإجرائي لمصطلحات البحث

أولاً- التظاهرات العلمية: هي مناسبات لتجمع ثقافي أو علمي تحت عنوان أو موضوع محدد، يُدعى إليه المتخصصون في مجال ما ويُقدّمون أبحاثاً وأوراق عمل تعالج قضية ما، عادة ما تُنظّمها مؤسسة تعليمية كالجامعات أو مراكز البحوث، وعادة ما يمتدّ لأيام يتم خلالها مناقشة الأبحاث وأوراق العمل، ثم تختتم فعاليتها بقراءة التوصيات الختامية، وهي النتائج التي يتوصّل إليها الباحثون من خلال أبحاثهم وأوراق العمل التي قدموها خلاله، وعادة ما تكون تلك التوصيات عبارة عن عناصر محددة تعدّ خلاصة لأبحاث التظاهرة العلمية وأوراق العمل التي قدمت فيه، وغالباً ما تكون أول توصية هي شكراً للجهة المنظمة للتظاهرة العلمية ثم تكون التوصيات التالية في صميم موضوعاته¹ كما هي أيضاً حلقة نقاش بين عدد من المتخصصين في موضوع محدد تتكون من: موضوع ومتحاورين ومدير الحلقة وجمهور، فيها يتم اختيار الموضوعات الحيوية والمهمة لمناقشتها كما يفترض اختيار المتحاورين الأكثر عمقا وتخصصا لإثراء موضوعها، حيث يتم طباعة مداخلاتها وكل فعاليتها وتوزيعها على المهتمين، وقد يتم نقلها بواسطة وسائل الاتصالات الحديثة كشبكة الإنترنت² وهذه التظاهرات

العلمية متنوعة فقد تكون: مؤتمرا دوليا، ملتقا دوليا، ملتقا وطنيا، ندوة وطنية، أيام دراسية، معارضا علميا وغيرها. وإجرائيا المقصود بمفهوم التظاهرات العلمية في هذه الدراسة هي أهم المؤتمرات العربية والدولية والملتقيات الوطنية والأيام الدراسية التي شارك فيها أساتذة قسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية بجامعة عنابة، بالإضافة إلى جميع الملتقيات الوطنية والأيام الدراسية التي نظمها قسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية، وكذلك النشاطات العلمية التي قام طلبة القسم من خلال نادي المكتبات والمعلوماتية، وهذا منذ سنة 2008 إلى غاية 2012.

ثانيا- علم المكتبات: هو علم من العلوم الهامة التي ظهرت خلال القرن التاسع عشر، وقد مر بتطورات متسارعة وتفرعت منه علوم أخرى تكميلية لعلم المعلومات وعلم التوثيق، ومن ناحية أخرى فقد توثقت صلة هذا العلم ببقية العلوم التي قد أرست قواعدها في ميدان العلم، حتى أصبح علما يرتبط بالمعرفة الإنسانية ويعمل على حفظها، وضبطها، وبنها، وتيسير الحصول عليه³ وأهم تعاريف هذا العلم هو أنه علم تدبير المكتبات؛ التي من مهامها جمع الوثائق؛ وحفظها ونشرها، حسب تقنيات مضبوطة تعتمد عليها؛ لضمان وظيفتها؛ في الاقتناء والحفظ والصيانة والنشر. كما هو العلم الذي تعنى بتصنيف المعلومات وكيفية استعمالها، كما يدرس كيفية تطويع الوسائل التكنولوجية الحديثة لخدمة الناس، ويربط علم المكتبات الأفكار من المجالات المختلفة بعضها ببعض، مما يساعد على سهولة عمليات المكتبات فمثلا استعمال نظرية المعلومات، وهي فرع من العلوم وهندسة وتحليل نوع المعلومات ومواصفاتها وإرسالها واستعمالها⁴ بالإضافة إلى انه العلم الذي يهتم بالموضوعات والمعرفة المتصلة بأصل المعلومات وتجميعها وتنظيمها واختزالها واسترجاعها وتفسيرها وبنها وتحويلها واستخدامها، كما يتضمن علم المكتبات البحث عن تمثيل في النظم الطبيعية والصناعية واستخدام الرموز في نقل الرسالة والتعبير عنها، فضلا عن اهتمام علم المعلومات بدراسة أساليب أجهزة معالجة المعلومات كالحاسبات الإلكترونية ونظم البرمجة⁵.

وهو جانب عملي من علم المعلومات، وأحد علومه الأساسية، يطبق تقنيات خاصة به، فهذا العلم يسعى إلى تتبع مصادر المعلومات؛ وجمعها وحصرها وتنظيمها؛ وضبطها وتيسير الاستفادة منها، سواء عن طريق التكنولوجيا، أو عن طريق الاستخدام اليدوي⁶. وهو مجموعة الدراسات النظرية والتطبيقية؛ التي تهتم بالبحث في خصائص المعلومات، ومركباتها وطرق جمعها وتدبيرها؛ وكيفية استخدامها ووسائل تحويلها، وهي تهدف كذلك إلى تطوير مناهج تنظيم أجهزة المعلومات؛ كالمكتبات ومراكز التوثيق، حيث تتمثل مجموع الدراسات النظرية في نظرية المعلومات، بث المعلومات، النتاج الفكري، مصادر المعلومات، الاتصال العلمي، إدارة المعرفة،

اقتصاد المعلومات؛ والظاهرة الاجتماعية للمعلومات. أما مجموعة الدراسات التطبيقية فتتمثل في تخزين واسترجاع المعلومات، تحليل النتائج الفكري، الاستخلاص والتكشيف، الفهرسة والتصنيف، القياسات الكمية للاستخدام، تقييم معايير الجودة على المعلومات، مؤسسات المعلومات والمكتبات الرقمية. وعلم المعلومات مرتبط بمجموعة أخرى من العلوم والمجالات ومتفاعل معها مثل تكنولوجيا الحواسيب، وتكنولوجيا الاتصالات، بالإضافة إلى علمين قريبين من علم المكتبات هما: علم الأرشفة وعلم التوثيق. فالأرشفة هي مجموعة الوثائق الناتجة عن نشاط شخص أو هيئة خاصة أو عامة، وتكون هذه الوثائق محفوظة؛ ومنظمة قصد استعمالها والرجوع إليها في الأعمال الجارية للمؤسسة لإثبات حق معين. كما يطلق هذا الاسم أيضا على المكان الذي تحفظ فيه؛ مثل هذه الوثائق، ويتمثل حفظ هذه الوثائق في مجمل الإجراءات؛ والطرق الملائمة لعمليات الترتيب المادي للوثائق.⁷ ويرتبط الأرشفة بعلم الوثائق الذي هو علم من العلوم الأساسية لدراسة التاريخ.⁸

فمنذ فجر التاريخ؛ أحس الإنسان إلى حاجة ماسة إلى توثيق الأحداث؛ التي مرّ بها إثباتا لدوره في المشاركة وصنع تلك الأحداث؛ وتأثيره عليها، ولولا عملية التوثيق التي قام بها الإنسان على مرّ العصور لما استطعنا أن نتعرّف على الحضارات المختلفة السابقة؛ وما وصلت إلينا أخبارهم. ونستطيع القول بأن بداية عملية التوثيق المعروفة حاليا كانت مع الحضارات الأولى، أي بدأت مع بداية البشرية، حيث استخدم الإنسان طرقا وأساليب مختلفة باختلاف الأدوات والمقامات المتاحة في ذلك الوقت؛ والتي تعتمد على الظروف البيئية المحيطة بفترة زمنية، ويتجلى ذلك بوضوح في الآثار؛ والعملات والمخططات القديمة التي عثر عليها، والتي تضمنت معلومات تشير إلى الحقب الزمنية التي كان يعيش فيها صانعي تلك الآثار. ففي أواخر القرن التاسع عشر؛ أصدر العالمان هنري لافونتان وبول أوثلاي البيبليوغرافية العالمية؛ بغرض تجميع الإنتاج الفكري، وتعتبر البيبليوغرافية التي قاما بها العالمان أول عمل موثوق، وأطلقوا على ذلك النشاط الذي قاما به التوثيق. وقد اعتمدا في ذلك على تصنيف ديوي العشري؛ الذي حوّاه إلى التصنيف العشري العالمي،⁹ ليأخذ علم التوثيق يتوسع بشكل عنكبوتي شمل العالم كله.

ثالثا- التكوين العالي في علم المكتبات وعلوم التوثيق والأرشفة بالجزائر

وتعتبر الجزائر من ضمن أولى الدول العربية التي بدأ بها التكوين العالي في علم المكتبات سنة 1975، حيث سبقتها إلى ذلك مصر في بداية الخمسينيات، والسودان في منتصف الستينيات، ثم المملكة العربية السعودية ولبنان والعراق في بداية السبعينيات. وقد أنشأ ثلاثة معاهد جامعية في بادئ الأمر في الجزائر، وهم معهد علم المكتبات بجامعة الجزائر العاصمة سنة 1975، وذلك بموجب المرسوم رقم 90-75

المؤرخ في 24 جويلية 1975، والمتضمن تنظيم الدراسات للحصول على شهادة الليسانس في علم المكتبات، وهذا المرسوم ساري المفعول إلى غاية الآن.¹⁰ ثم نشأ بعد ذلك قسم علم المكتبات بجامعة قسنطينة سنة 1982 لتكوين دفعة حاملي الدبلوم العالي للمكتبيين، ثم تبعها دفعات لتكوين التقنيين وكذا الليسانس. وقد اجتهد هذا القسم لتطوير التخصص بما كان فيه من أساتذة رغم قلتهم، وكذلك من خلال الاستعانة بالخبرات العربية والأجنبية، دون نسيان التذكير في المقام الأول بالدور الكبير الذي لعبه الأستاذ الدكتور عبد اللطيف صوفي، الأستاذ الدكتور عبد المالك بن السبتي، الأستاذة الدكتورة قموح نجية، والأستاذ الدكتور عز الدين بودربان، وغيرهم من الأساتذة الآخرين في تنمية هذا القسم على جميع المستويات.¹¹

ليليهما تأسيس معهد قسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية بجامعة وهران سنة 1984، ليضاف إلى القائمة باعتباره ثالث معهد في علم المكتبات والعلوم الوثائقية، الذي يقوم بتكوين متخصصين في الميدان، إذ تأسس بمقتضى القرار الوزاري المؤرخ في الخامس من شهر جوان سنة 1984، وحاليا هو قسم من أقسام كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بجامعة السانبا وهران. كما تأسس قسم رابع آخر على المستوى الوطني يعني بالتكوين العالي في علم المكتبات هو بجامعة باجي مختار عنابة في سنة 2007 مترئسا إياه الدكتور عين أحجر زهير، ويقدم هذا القسم شهادة الليسانس والماستر في علم المكتبات وعلم الأرشفة بالنظام الجديد المعروف بنظام ل م د (ليسانس بثلاث سنوات، ماستر بسنتين، دكتوراه بأربع تسجيلات). وقد كان ذلك نتيجة الاهتمام الكبير جدا لرئيس جامعة باجي مختار عنابة آنذاك، الأستاذ الدكتور محمد الطيب العسكري وعميد الكلية الآداب الأستاذ الدكتور عبد المجيد حنون بتخصص علم المكتبات والأرشفة والمخطوطات، وتطبيقا للاستراتيجية الوطنية لتعميم تخصص علم المكتبات في جميع الجامعات بالوطن. وقد رسم كقسم مستقل في خريطة أقسام كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة عنابة بموجب القرار الوزاري رقم 218 المؤرخ في 1 جويلية 2010، المتضمن إنشاء الأقسام المكونة لكلية الآداب بجامعة عنابة، والذي يلغي القرار الوزاري رقم 41 المؤرخ في 4 مارس 1999. لتلي بعد ذلك تأسيس أقسام عديدة أخرى في علم المكتبات على المستوى الوطني، كامتداد لأقسام جذوع مشتركة في العلوم الإنسانية الاجتماعية، تتوجه إلى تقديم تكوين عالي متخصص في علم المكتبات والمعلومات.

رابعا- المعرفة: للوصول إلى المفهوم الصحيح لمصطلح المعرفة لا بد من المرور عبر سلسلة من المصطلحات المتسلسلة التي لها علاقة به وتصب في مضمونه، وذلك في علاقة منطقية بينهم، وهي على نحو الشكل التالي: الحقائق، البيانات، المعلومات، المعرفة، ثم العلم.¹² حيث أن مفهوم المعرفة ليس بالأمر الجديد بالطبع، فالمعرفة

رافقت الإنسان منذ العصور الأولى لظهوره، وارتقت معه من مستوياتها البدائية حتى اتساع مداركه وتعمقها، إلى أن وصلت إلى ذروتها الحالية. غير أن الجديد اليوم هو حجم تأثيرها على نمط حياة الإنسان، وذلك بفضل الثورة العلمية والتكنولوجية. فهي الأفكار أو الفهم الذي تبديه كينونة معينة والذي يستخدم لاتخاذ سلوك فعال نحو تحقيق أهداف الكينونة، ولا بد من التمييز بين المعرفة والمعلومات، فعلى الرغم من عدم وضوح الحدود الفاصلة بين المصطلحين، إلا أنهما ليسا وجهين لعملة واحدة، فالمعلومات هي ما ينتج من معالجة البيانات التي تتوالد في بيئة معينة، وهي تزيد مستوى المعرفة لمن يحصل عليها. أي ما يعني أن المعرفة هي أعلى شأنًا من المعلومات. ومع ذلك فهناك حالات يمتلك فيها المعلومات ولكن لا يعبر عنها، وهذا هو حال المعرفة في مؤسساتنا التعليمية وغيرها، فليس كل من يكون قادرًا على الأداء وإن كان متميزًا، يكون قادرًا على التصريح عن المعلومات المتعلقة بتأدية العمل، للاحتفاظ بها كجزء من معرفة أو أصول المؤسسة التي يعمل فيها، فمهما كان فالمعرفة على العموم هي تطبيق الخبرات والتقنية والعلاقات بين العملاء والمهارات الفنية جميعها، وتشكل رأس المال الفكري للمؤسسة فتصبح بذلك موردًا لها، يتعين عليها الاستفادة منها، ويعكس هذا المفهوم أن المعرفة تمثل القوة على اتخاذ الفعل أو العمل.¹³

وهناك مصادر متعددة للمعرفة يمكن تصنيفها في مصدرين أساسيين، هما: مصادر داخلية، وتشمل الإنسان أو الفرد العامل الذي لديه معارف وخبرات متخصصة في كيفية إنجاز الأعمال التي تتطلب إبداعًا من طرفه، وفرق العمل التي تمثل مجموعة من الأفراد الذين يتميزون بقدرات إبداعية ويعملون لابتكار معارف جديدة في مجال عملهم، والبحوث والدراسات التي تسهم في تطوير أنشطة المنظمات. ومصادر خارجية: وتشمل العلاقات المتبادلة فيما بين المنظمات، إذ تؤدي هذه العلاقات إلى تعلم كثيرًا من المهارات والخبرات، والتقليد والتعلم من الأطراف الخارجية والتفاعل مع البيئة الخارجية على نحو عام. وتصنف المعرفة في نوعين رئيسيين، هما: المعرفة الصريحة والمعرفة الضمنية، وفيما يلي شرح مبسط لهما:¹⁴ النوع الأول هو المعرفة الصريحة، وهي المعرفة القائمة على اقتناء البيانات والمعلومات وتحليلها بطرق منهجية، وهي معرفة مرّزة ومنظمة وجاهزة وقابلة للوصول والنقل والتعليم، ويمكن تقاسمها بين جميع العاملين أو المستفيدين على أساسا تشاركون وتظهر دون غموض، وتكون موثقة في مصادر المعرفة الرسمية (الأدلة، وبحوث المؤتمرات، وإجراءات العمل، والسياسات، والمواد السمعية، وغيرها)، وتسمى لذلك المعرفة الرسمية. كما هي أيضا المعرفة المنظمة المحدودة المحتوى التي تنتصف بالمظاهر الخارجية لها ويعبر عنها بالرسم والكتابة والتحدث وتتيح التكنولوجيا

تحويلها وتناقلها. أما النوع الثاني فهو المعرفة الضمنية، وهي ما يطلق عليها أيضا المعرفة غير الرسمية أو غير المكتوبة، وتتمثل في: النماذج العقلية، الخبرات الاعتقادات، القيم، والمهارات التي تستقر في العقل البشري أو المنظمات، والمكتسبة من خلال تراكم خبرات سابقة، وغالبا ما تكون ذات طابع شخصي، مما يصعب الحصول عليها لكونها مختزلة داخل عقل صاحب المعرفة. ويمثل هذا النوع من المعرفة استكمالاً مهما للمعرفة الصريحة. كما هي أيضا المعرفة القاطنة في عقول وسلوك الأفراد، وهي تشير إلى الحدس والبديهية والإحساس الداخلي، تعتمد على الخبرة ويصعب تحويلها بالتكنولوجيا، بل هي تنتقل بالتفاعل الاجتماعي، وكما وتوجد خمسة أقسام رئيسية لصناعة المعرفة وهي: التعليم، البحوث والتنمية، وسائل الإعلام والاتصال، آلات المعلومات، خدمات المعلومات.¹⁵

خامسا- تكنولوجيا التعلّم المعاصر: وتعرف كلمة تكنولوجيا لغويا؛ على أنها علم التقنيات، والمأخوذة من الكلمتين اليونانيتين LOGOS و TECHNE.¹⁶ وهي من أكثر الألفاظ شيوعا واستخداما في عصرنا، فقد اكتسب هذا اللفظ أي التكنولوجيا الكثير من المرونة ولحقه الكثير من التأويل والالتباس، حتى أصبح يعني أشياء كثيرة ومختلفة حسب مستخدم اللفظ، كما اكتسبت كلمة أيضا قوة ميتافيزيقية.¹⁷ حتى أصبح من الصعب؛ تحديد مفهومها بدقة، ولعل السبب في ذلك؛ يرجع بالدرجة الأولى إلى التغيير السريع الذي يواكب تطور الأشياء نفسها، حيث تكون في البداية بسيطة ومحددة المعالم؛ ورؤيتها واضحة، ثم لتتطور بمرور الزمن، حتى يصبح شكلها الحاضر؛ على درجة عالية من التعقيد يصعب معها؛ إمكانية حصر الشيء وتحديد أبعاده، وهذا ما ينطبق على التكنولوجيا.¹⁸

أما اصطلاحا فقد عرّفت بعديد التعاريف باختلاف القواميس، والموسوعات ومنها أنها مجموعة المعارف والخبرات المترابطة والمتاحة؛ والأدوات والوسائل المادية والتنظيمية؛ والإدارية، التي يستخدمها الإنسان؛ في أداء عمل ما، أو وظيفة ما، في مجال حياته اليومية، لإشباع الحاجات المادية والمعنوية، سواء على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع.¹⁹ وكما أيضا هي مجموعة من الأدوات والوسائل التي يمكن أن نضيفها لحياة الإنسان ومن هنا وجب استخدامها في جميع ميادين الحياة بما في ذلك الميدان التعليمي، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال برامج مدروسة بتفعيل الوسائل التكنولوجية في العملية التعليمية. هذه الأخيرة التي هي ليست بالحديثة بل هي قديمة قدم المهنة، وقد تطورت مع الحياة وتطور عمليات التعليم، وهي مجموعة متكاملة من المواد والأدوات والأجهزة التعليمية التي يستخدمها المعلم أو المتعلم لنقل محتوى معرفي أو الوصول إليه بهدف تحسين عملية التعليم، ومن أهم التقنيات العصرية في ذلك: التلفزيون التعليمي، الحاسب الآلي، الأقراص المضغوطة، الإنترنت، الفيديو

التفاعلي، البريد الإلكتروني والعرض الحاسوبي. هذه الأخيرة قد غيرت حياة الأشخاص وعملهم وطرق تعلمهم بسبب مفروض هو أن الطرق التقليدية المستعملة في التعليم لم تعد قادرة على الاستجابة إلى احتياجات الطلبة، وبإمكان تكنولوجيا المعلومات أن توفر إمكانيات كبيرة منها إمكانية تكيف التعلم مع الفرد.²⁰

7. مصادر البيانات الميدانية

وأهم هذه المصادر ما يلي:

أولاً- أعمال المؤتمرات العربية والدولية، وتمثل أهمها فيما يلي:

1. أعمال المؤتمرات التي نظمها الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات (إعلم) منذ سنة 2009، وهي:

أ- المجلدان، الأول والثاني لمطبوع أعمال المؤتمر العربي العشرين "نحو جيل جديد من نظم المعلومات والمتخصصين: رؤية مستقبلية"، المنعقد بالدار البيضاء بالمملكة المغربية، ما بين 9، 11 ديسمبر 2009.

ب- المجلدان، الأول والثاني لمطبوع أعمال المؤتمر العربي الواحد والعشرين "المكتبة الرقمية العربية عربي أنا: الضرورة، الفرص والتحديات"، المنعقد ببيروت بلبنان، ما بين 6، 8 أكتوبر 2010.

ج- النسخة الإلكترونية لأعمال المؤتمر العربي الثاني والعشرين "نظم وخدمات المعلومات المتخصصة في مؤسسات المعلومات العربية: الواقع، التحديات والطموح"، المنعقد بالخرطوم بالسودان، ما بين 18/21 ديسمبر 2011.

2. النسخة الإلكترونية لأعمال المؤتمر الدولي الأول "لتقنيات الاتصالات في التعليم والتدريب"، المنعقد بالحمامات بجمهورية تونس، ما بين 7/10 ماي 2012.

ثانياً- برامج فعاليات تظاهرات علمية، وتمثل أهمها فيما يأتي:

أ. برامج مداخلات ونشاطات الملتقيات الوطنية التي نظمتها إدارة قسم علم المكتبات بجامعة عنابة.

ب. برامج مداخلات ونشاطات الملتقيات الوطنية والأيام الدراسية الوطنية الأخرى التي شارك فيها أساتذة من القسم.

ج. برنامج فعاليات الملتقى الوطني الذي أعده طلبة الماستر بالتنسيق مع نادي القسم "المكتبات والمعلوماتية".

د. مداخلات علمية في ملتقيات وطنية معدة من طرف طلبة الماستر بالقسم.

هـ. برنامج فعاليات المعرض الوطني الأول لعلم المكتبات بقسم المكتبات بعنابة، أيام 14/11 أبريل 2011.

ثالثا- برامج مقررات تكوين عالي في علم المكتبات، وتمثلت فيما يلي:
أ.برنامج مقررات تكوين طور الليسانس في علم المكتبات وعلم الأرشفة بجامعة
عنابة.

ب.برنامج مقررات تكوين طور الماستر تخصص معالجة المعلومات بجامعة عنابة.
ج.دفتر شروط تأهيل عرض تكوين دراسات الطور الثالث لنيل شهادة الدكتوراه
الدرجة الثالثة بعنوان"معالجة مصادر المعلومات في المكتبات ومراكز
التوثيق"بجامعة باجي مختار عنابة.

رابعا- مصادر أخرى:

أ.كتيبات النشاطات الثقافية لدار الثقافة محمد بوضياف بعنابة، لحصيلة سنتي 2008
و2009.

ب.جريدة أخبار جامعة باجي مختار عنابة، العدد 25، جوان 2011.

ج.النشرة الإعلامية"نور"تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة
عنابة. عدد جانفي 2011.

د.فيديوهات فعاليات التظاهرات العلمية التي نظمتها إدارة قسم علم المكتبات مند سنة
2009، وهي ناتجة عن التغطية السمعية التي تقوم بها مصلحة خاصة بذلك بكلية
الآداب بجامعة عنابة لجميع التظاهرات العلمية المنظمة في الكلية.

8. حدود البحث

أولاً- الحدود المكانية: أنشأت جامعة باجي مختار عنابة بمقتضى الأمر رقم75/28
المؤرخ في 29 أبريل 1975، ومقرها بسيدي عمار، وقد اشتملت في بادئ الأمر على
معاهد العلوم التقنية. حاليا تتكون من سبع كليات هي: الطب، العلوم، علوم المهندسين،
الحقوق، علوم الأرض، كلية الآداب، العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير.²¹ عن أفق
خريطتها الإدارية درس مجلس إدارة الجامعة في دورته العادية بتاريخ 7 أبريل
2011 برئاسة رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور قاضي عبد الكريم مشروع إعادة تنظيم
الجامعة، حيث رأى أن جامعة باجي مختار ستتكون من عشر كليات بدلا من سبع،
توفر تكوين عالي متخصص يطبق النظام الجديد ل م د ويستجيب لمقاييس الدولية،
لتصبح هيكل الجامعة الجيدة المقترحة للوزارة للتصديق عليها تتكون من الكليات
العشرة التالية هي: كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، كلية الآداب واللغات، كلية
العلوم والتكنولوجيا، كلية علوم الأرض، كلية علوم المادة، كلية علوم الطبيعة والحياة،
كلية الرياضيات والإعلام الآلي،كلية الحقوق والعلوم والعلوم السياسية، كلية العلوم
الاقتصادية وعلوم التسيير والتجارة، كلية الطب.²²

أنشأت كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بموجب القرار وزاري رقم 41
المؤرخ في 4 مارس 1999 المتضمن إنشاء الأقسام المكونة لكلية الآداب بجامعة

عناية، حيث لم بعد قسم علم المكتبات موجود بها. حالياً هي تحت إشراف العميد الأستاذ الدكتور فؤاد بوقطة، وتحتوي على 13 قسم، من بينها قسم علم المكتبات، بموجب قرار وزاري رقم 218 المؤرخ في 1 جويلية 2010، والأقسام هي:

قسم علم المكتبات، قسم الجدع المشترك علوم إنسانية واجتماعية، قسم علم النفس وعلوم التربية، قسم علم الاجتماع، قسم علوم الإعلام والاتصال، قسم اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة الانجليزية، قسم اللغة الفرنسية، قسم اللغة الايطالية، قسم الترجمة، قسم الفلسفة، قسم التاريخ وقسم الرياضة والتربية البدنية. وقد ضم هيكلها البشري في السنة الجامعية 2010 / 2011، 394 أستاذا و278 عاملا، وعدد إجمالي من الطلبة يقدر بـ 11000 طالب، منهم 961 إجمالاً مسجلون في الدراسات العليا، موزعين ما بين طلبة الماجستير وعددهم 481 وطلبة الدكتوراه علوم وعددهم 467، بالإضافة إلى طلبة الدكتوراه دولة وعددهم 13. تقدم 20 عرض تكوين في طور الماستر في مختلف تخصصات أقسام كلية. ويعتبر قسم علم المكتبات واحد من الثلاثة أقسام الجديدة التي جاءت بموجب القرار الوزاري المذكور أعلاه، إضافة إلى قسم التاريخ والفلسفة، جاء بعد تطبيق النظام الجديد في التكوين العالي بالجزائر، وهو نظام ل م د، يشرف على هيئته التدريسية 15 أستاذا متخصصا في علم المكتبات موزعين على مختلف الرتب، وآخرون غير متخصصين يقدمون معارفا تكميلية في اللغات الأجنبية والإعلام الآلي وفي بعض مقاييس في تخصصات أخرى، مثل التاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع وغيرهم، وعلى العموم يقدم القسم تكوينا متخصصا لأكثر من 250 طالب جامعي موزعين كذلك على مختلف السنوات والأطوار. ²³ فيما يلي الجدولين الإحصائيين التاليين:

الرتب	أ.مساعد ب	أ.مساعد أ	أ.محاضر ب	أ.محاضر أ	أ.مؤقت	المجموع
العدد	7	7	0	1	4	19
الجدول رقم 1: يبين التوزيع الإحصائي للهيئة التدريسية حسب الرتب المهنية						

السنة الجامعية	الثانية ليسانس	الثالثة ليسانس	الأولى ماستر	الثانية ماستر	المجموع
2008/2007	62	/	/	/	65
2009/2008	65	61	/	/	126
2010/2009	68	64	38	/	170
2011/2010	84	65	38	26	213
2012/2011	124	68	38	24	254
2013/ 2012	160	80	38	28	306
الجدول رقم 2: يبين التوزيع الإحصائي والزمني للطلبة المتمدرسين حسب السنوات والأطوار					

1- مقاييس تدريس التدرج لنيل شهادة الليسانس²⁴

أ- السنة الأولى جدع مشترك:

- **السداسي الأول:** تاريخ وسائل الإعلام، مدخل إلى وسائل الإعلام والاتصال، مدخل للمناهج البيبليوغرافية، تنظيم وتسيير أنظمة المعلومات، مدخل إلى تاريخ الحضارات، تاريخ الجزائر المعاصر، جغرافية المغرب العربي، مدارس ومناهج، مدخل إلى الإعلام الآلي، لغة أجنبية.

- **السداسي الثاني:** تاريخ وسائل الإعلام، علم اجتماع الإعلام، مدخل للمناهج البيبليوغرافية، تنظيم وتسيير أنظمة المعلومات، العالم المعاصر منذ 1914، تاريخ الجزائر المعاصر، المجتمع والدولة في المغرب العربي، مدارس ومناهج، مدخل إلى الإعلام الآلي التوثيقي، ولغة أجنبية.

ب - السنة الثانية فرع علم المكتبات والعلوم الوثائقية:

- **السداسي الثالث:** اللغات التوثيقية، فهرسة، إنترنت، بيبليوغرافيا متخصصة، تاريخ الأفكار، مدخل إلى تاريخ الجزائر الثقافي، منهجية وتقنيات البحث، تكنولوجيا الاتصال، ولغة أجنبية.

- **السداسي الرابع:** اللغات التوثيقية، فهرسة، تسويق، مدخل إلى مصادر تاريخ الجزائر، تاريخ الأفكار، المجتمع والاقتصاد في الجزائر المعاصرة، منهجية وتقنيات البحث، تكنولوجيا الاتصال، ولغة أجنبية.

ج - السنة الثالثة تخصص علم المكتبات وعلم الأرشيف

- **السداسي الخامس:** التحليل الوثائقي والاستخلاص، الفهرسة، علم الأرشيف، بيبليوجيا، شبكات المعلومات، تقييم نظم أنظمة المعلومات، مهن الكتاب، المكتبات الرقمية، علم النفس الاجتماعي للقراءة، ولغة أجنبية.

- **السداسي السادس:** التحليل الوثائقي والاستخلاص، الفهرسة، فنيات الأرشيف، بيبليوجيا، شبكات المعلومات، تقييم نظم أنظمة المعلومات، تقنيات القراءة والتحرير، مذكرة التخرج وتربص، ولغة أجنبية.

2 - مقاييس تدريس التدرج لنيل شهادة الماستر

يقدم قسم علم المكتبات بجامعة عنابة عرض تكوين تدرج لنيل شهادة الماستر "تخصص معالجة المعلومات" لطلبة القسم الحاملين لشهادة الليسانس "علم المكتبات وعلم الأرشيف"، وذلك منذ سنة 2009 بموجب القرار الوزاري رقم 211 المؤرخ في 1 جويلية 2009، المتضمن تأهيل الماستر المفتوحة بعنوان السنة الجامعية 2009/2010 في جامعة عنابة، وقد تخرجت لحد الآن دفعتين متتاليتين، وحيث يدوم هذا عرض التكوين لمدة ثلاث سنوات جامعية قابلة للتجديد، ومواد التدريس فيه هي حسب ما يأتي:

أ- السنة الأولى:

- السداسي الأول: المعالجة الموضوعية، استخلاص وتكثيف، السلسلة الوثائقية، منهجية وتقنيات البحث، لسانيات التوثيق، برمجيات وثائقية، حوسبة ورقمنة.
- السداسي الثاني: التسيير الإلكتروني للوثائق، الإدارة العلمية لأنظمة المعلومات، بناء المجموعات المكتبية، بناء نظم المكانز، منهجية وتقنيات البحث، بحث بيبليوغرافي، لغة إنجليزية متخصصة.

ب - السنة الثانية:

- السداسي الثالث: بنوك وقواعد المعلومات، تقييم أنظمة المعلومات الحديثة، معالجة مصادر المعلومات الحديثة، بحث بيبليوغرافي.
- السداسي الرابع: مذكرة تخرج عمل شخصي، تربص في مؤسسة، ملتقيات.

3- دراسات ما بعد التدرج:

اقترحت إدارة القسم مشروع عرض تكوين لدراسات ما بعد التدرج لنيل شهادة الدكتوراه في علوم المكتبات الدرجة الثالثة، بعنوان "معالجة مصادر المعلومات في المكتبات ومراكز التوثيق"، وهو مشروع قيد الدراسة على مستوى رئاسة الجامعة. و مسؤول هذا المشروع هو الدكتور عين أحجر زهير، بينما المؤسسات المشاركة والمساهمة فيه والأساتذة المؤطرين هم مبينون في الجدول التالي:

اسم المؤسسة المشاركة	نوعها	مسؤول الاتفاق	توقيع	صفته	أساتذة مؤطرين
مركز البحث في الإعلام العلمي والتقتي	مركز بحث	بعداش نجيب		المدير	د. دحمان مجيد ²⁵
مخبر الدراسات والبحث حول الإعلام والتوثيق العلمي والتكنولوجي	مخبر بحث	أ.د. عبد المالك بن السبتي		المدير	أ.د. عبد المالك بن السبتي ⁽²⁶⁾
مخبر تكنولوجيا المعلومات ودورها في التنمية الوطنية	مخبر بحث	أ.د. قموح نجية		المديرة	أ.د. قموح نجية ⁽²⁷⁾ أ.د. بودريان عز الدين ²⁸

الجدول رقم 3: يبين المؤسسات المشاركة والأساتذة المؤطرين في مشروع عرض تكوين نيل شهادة الدكتوراه

- حيث تساعد هذه المؤسسات المشاركة المحددة أعلاه مشروع الدكتوراه من خلال:
- المشاركة في الملتقيات، الورشات والمحاضرات المنظمة لهذا الغرض.
- المشاركة في لجان المناقشات.
- العمل على التعاون في استخدام الوسائل البشرية والمادية.

4 - نادي المكتبات والمعلوماتية:

تأسس هذا النادي لطلبة القسم تحت تسمية "نادي المكتبات والمعلوماتية"، بناء على محضر تنصيب المكتب التنفيذي بتاريخ 27 فيفري 2011، تكون من سبع طلبة

موزعين على جميع المستويات والسنوات، تم اختيارهم عن طريق الاقتراع. ومن مهامه التعبير عن آراء الطلبة وابتكاراتهم، كتنظيم النشاطات العلمية والثقافية والرياضية والسياحية، والمساهمة في النشاطات العلمية التي ينظمها القسم.

ثانيا - حدود عينة البحث:

تمثلت عينة الدراسة في أهم التظاهرات العلمية التي شارك فيها أساتذة القسم على المستوى المحلي والعربي، وكذلك التي نظمها القسم بمقره. بالإضافة إلى النشاطات العلمية التي قام بها طلبته عن طريق المبادرة أو عن طريق نادي المكتبات والمعلوماتية بعد نشأته، وعددها في المجموع 22 تظاهرة علمية، وهي مبينة في الجدول العام الموالي:

المنظم - نوع التظاهرة	مؤتمر دولي	مؤتمر عربي	ملتقى وطني	أدراسية	ملتقى طلبة	معرض وثائقي
الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات (إعلم)		3				
جامعة تونس	1					
قسم علم المكتبات عنابة			2	1		
قسم علم المكتبات قسنطينة			1			
قسم الجذع المشترك ع إلتبسة			1			
مخبر الدراسات والبحث حول الإعلام			3			
مخبر تكنولوجيا المعلومات ودورها في التنمية			2			
مديرية الثقافة لولاية عنابة			4			
مديرية الثقافة لولاية سكيكدة				2		
نادي المكتبات والمعلوماتية					1	
طلبة الماستر بالقسم						1
المجموع = 22 تظاهرة علمية	1	3	13	3	1	1

الجدول رقم 4: يبين توزيع العينة (التظاهرات العلمية) حسب أنواعها والمنظمين لها

ثالثا- الحدود الموضوعية للبحث

تمثلت الحدود الموضوعية للدراسة في أهم التظاهرات العلمية بمختلف أنواعها المحددة حسب مفهومها الإجرائي المذكور سابقا (وهي أهم المؤتمرات العربية والدولية، الملتقيات الوطنية، الأيام الدراسية، المعارض الوثائقية ونشاطات الطلبة)، والتي تم كذلك توضيحها أكثر في الجدول السابق، أعدها قسم علم المكتبات بجامعة عنابة وشارك فيها أساتذته وطلبته، أو أعدتها هيئات أخرى عربية ووطنية وكانت فيها مشاركات أيضا لبعض من أساتذته أيضا. بالإضافة أيضا التظاهرات والنشاطات العلمية التي نظمها الطلبة بالقسم تحت مظلة نادي المكتبات والمعلوماتية، أو حتى مبادراتهم الفردية من قبل أن ينشأ هذا النادي.

رابعاً- الحدود اللغوية للبحث

لا توجد أي حدود لغوية محددة لعينة التظاهرات العلمية المدروسة، فيها من التظاهرات ما تسمح بتقديم المداخلات إما باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية، خاصة في التظاهرات العربية إقليمياً، وهو نفس الشيء للتظاهرات الوطنية المنعقدة في الجزائر. والتي تقدم فيها المداخلات والنقاشات باللغة العربية أو باللغة الفرنسية، وهو أمر طبيعي، لأن هذه التظاهرات العلمية على العموم هي ناطقة باللغة العربية بالدرجة الأولى، وموجهة بصورة دقيقة إلى مجتمع مستفيد محدد مسبقاً خصائصه اللغوية والمعرفية، وهم أساتذة التخصص وطلبتهم.

خامساً- الحدود الزمنية للبحث

غطت هذه الدراسة تقريباً أهم التظاهرات العلمي المنجزة حسب ما محدد مفهومها إجرائياً، وعدد ها 22 تظاهرة، نظمت في فترة ما بين نوفمبر 2008 وماي 2012، أي تقريباً طيلة ثلاثة سنوات ونصف، وهي بداية الفترة ذاتها التي نسيباً تأسس فيها قسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية بجامعة باجي مختار عنابة، ما يمكن من القول أن هذه الدراسة حصرت معظم التظاهرات العلمية منذ نشأته إلى غاية الآن، هذا من جهة، ومن جهة أخرى - وعن مجريات الدراسة - فقد مرت بالمراحل المتسلسلة التالية:

- شهر ماي 2012: في حقيقة الأمر كان اهتمامي من الأول كبير جداً بإعداد دراسة ميدانية ترتبط بعلاقة التظاهرات العلمية بتطوير ونمو قسم علم المكتبات بجامعة عنابة باعتباري أول رئيس له، وذلك من منطلق إستراتيجية واضحة مخطط لها، وهي التعريف به قدر المستطاع على المستوى الوطني والعربي والدولي، من خلال اساتذته وطلبتهم وما يقوم به من هذه المناسبات العلمية التي يحضرها الكثيرون من المتخصصين الذين يتشرف بحضورهم دائماً، وهو الهدف الأولي إضافة إلى أهداف أخرى كتوسيعه من حيث المقر، وتوظيف أكبر عدد ممكن من الأساتذة المتخصصين، والاحتكاك أكبر عدد ممكن من الطلبة للدراسة فيه، وتكوين مجمع معرفي متخصص ومتنوع، هو بمثابة البيئة العلمية الكاملة لتكوين الطالب وتطوير معارف الأساتذة، وهو ما كان فعلاً بالرغم من الفترة القصيرة والمتواضعة منذ نشأته. هذا كله سمح بتراكم قدر كبير من الوثائق ومصادر المعلومات المختلفة (تمّ شرحها سابقاً) وتبلور إشكالية واضحة، هي التي درست في هذا البحث. ثم لما كان إعلان الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات عن موضوع مؤثره الثالث والعشرين ومحاوره لهذه السنة، كانت هذه الإشكالية ضمن المحور الرابع من محاوره. وبذلك وجب استكمال دراستها أي دراسة وتحليل ذلك الكم الهائل المتراكم من الوثائق ومصادر المعلومات. أين في

شهر ماي 2012 تمّ العودة لها بالتفصيل وتنظيمها منهجيا من أجل تحضير محاورها ككل.

- شهر جوان 2012: تحضير الهيكل العامة للدراسة، وتحديد الخطوات المراد إتباعها، بالإضافة إلى جمع المعلومات النظرية والمنهجية.
- شهر جويلية 2012: الاطلاع المدقق لجميع الوثائق ومصادر المعلومات، ووضع تصور مبدئي للخطوات الميدانية لتقريب محتوى الوثائق ومصادر المعلومات المدروسة، ومحورة ذلك وصياغة أهم النتائج وتحليلها.
- شهر أوت 2012: مراجعة الدراسة وتحريرها.

9. تحليل محتوى مصادر البيانات الميدانية

المحور الأول: الهيئات المساهمة في بناء مجتمع المعرفة الأكاديمي لقسم علم المكتبات بجامعة عنابة

في الواقع، يطمح أي قسم من الأقسام الجامعية تقديم تكوين عالي متخصص، يتوافق مع متطلبات سوق الشغل، وهذا لا يكون إلا إذا تلقى طلبته في كل سنوات التدريس القدر المناسب من المعارف النظرية والتطبيقية، حسب المقررات والبرامج البيداغوجية، التي يدرسها أساتذة متخصصين متمكنين، ويتوفر مرافق علمية ضرورية هي بمثابة العناصر الداخلية للمجتمع المعرفي تكون تابعة للقسم. فبالنسبة لقسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية بجامعة باجي مختار عنابة عناصره هي كل ما يتيح فرص التفاعل والتحاور مع مصادر المعرفة فيما بين عناصر العملية التعليمية والتعليمية أي الطالب والأستاذ، وهي:

- **مكتبة القسم:** وهي مكتبة متخصصة تتوفر على رصيد متنوع معتبر من الوثائق المطبوعة والوسائط الالكترونية CD-ROM والفيديو، تم تكوينه من خلال تراكم مذكرات التخرج لنيل شهادتي الليسانس والماستر المناقشة بالقسم، وتقارير التربص بالمؤسسات الوثائقية. بالإضافة إلى مجموعة أرصدة من كتب، معاجم، مجلات متخصصة، رسائل جامعية ماجستير ودكتوراه، نشرات إخبارية وإعلامية، كتيبات أدلة وغيرها تحصلت عليها مكتبة القسم عن طريق الهدايا من طرف هيئات علمية جامعية وثقافية مساهمة، أهمها: مركز البحث في الإعلام والتقني، مخبر تكنولوجيا المعلومات ودورها في التنمية الوطنية، مديرية الثقافة ودار الثقافة لولاية عنابة، مديرية الطبع والنشر لجامعة عنابة، مصلحة السمعي البصري لكلية الآداب.

- **مكتبة الكلية:** تتوفر مكتبة الكلية على جناح خاص بكتب علم المكتبات والأرشيف والمخطوطات، تكون عن طريق سياسة التزويد بالشراء من المعارض ودور النشر والتوزيع، الموجودة إلى جانب أرصدة التخصصات الأخرى القريبة منه، مثل: رصيد علوم الإعلام والاتصال، علم النفس، علم الاجتماع، الفلسفة، والتاريخ.

بالإضافة إلى عناصر داخلية أخرى هي: المكتبة الجامعية، قاعة الأساتذة، قاعة الإشراف، قاعات الإعلام الآلي والانترنت، ونادي المكتبات والمعلوماتية. أما الهيئات المساهمة والتي شكلت عناصر المجتمع المعرفي الخارجي للقسم فهي: الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات، مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني، قسم علم المكتبات جامعة قسنطينة، مخبر تكنولوجيا المعلومات ودورها في التنمية الوطنية، مخبر الدراسات والبحث حول الإعلام العلمي والتكنولوجي، مديرية الثقافة ودار الثقافة لولاية عنابة، حيث ساهمت هذه الهيئات حقيقة في دعم تنمية وتطوير القسم، كواحد من مؤسسات التكوين العالي في علم المكتبات في الجزائر الجديدة، بكثير من أطر التعاون على كل الأصعدة.

المحور الثاني: أطر مساهمة الهيئات الخارجية لمجتمع المعرفة الأكاديمي لقسم علم المكتبات بجامعة عنابة

إطار التعاون - الهيئة	(1)	(2)	(3)	(4)	(5)	(6)
دعم متنوع لإنجاز تظاهرة علمية				X	X	
مشاركة باحثيهم بمدخلات علمية		X	X	X	X	
دعوة أساتذة القسم لحضور التظاهرات العلمية	X		X	X	X	X
دعوة طلبة القسم لحضور التظاهرات العلمية			X		X	X
دعم مشاريع التكوين ما بعد التدرج		X	X	X	X	
إهداء وثائق أو أرصدة معلومات متنوعة	X	X		X	X	X
نشر مقالات علمية في مجلة الهيئة	X	X		X	X	
دعم فني وسياحي لإنجاز تظاهرة علمية	X					
(1) - الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات. (2) - مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني						
(3) - قسم علم المكتبات جامعة قسنطينة. (4) - مخبر تكنولوجيا المعلومات ودورها في التنمية الوطنية						
(5) - مخبر الدراسات والبحث حول الإعلام العلمي والتكنولوجي. (6) - مديرية الثقافة ودار الثقافة لولاية عنابة						
الجدول رقم 5: يبين أطر مساهمة الهيئات الخارجية في مجتمع المعرفة الأكاديمي لقسم علم المكتبات بجامعة عنابة						

يوضح الجدول رقم 5 مختلف أنواع أطر مساهمة الهيئات الخارجية لمجتمع المعرفة الأكاديمي لقسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية بجامعة عنابة، فبتنوع هذه الهيئات تنوعت مساهماتها مقدمة دفعا معرفيا قويا له، خاصة في دعوة أساتذة القسم وطلبته لحضور تظاهراتهم العلمية المتمثلة بالدرجة الأولى في ملتقيات وطنية، وكذلك في إهداء وثائق وأرصدة معلومات متخصصة، ساهمت في تنمية المجموعات الوثائقية لمكتبة القسم، ومحقة بذلك بعضا من الإرضاء للحاجيات المعرفية لطلبته.

بالإضافة إلى أن هذه الهيئات وغيرها قد قدمت مساهمات أخرى استفاد منها القسم معرفيا، وهي كما يلي:

1- نشر أساتذة القسم لمقالات علمية في مجلات تلك الهيئات وهي مبينة في الجدول الموالي:

اسم المجلة	الهيئة	ر د م د
مجلة "التواصل"	جامعة عنابة	1111 - 4932
مجلة "اعلم"	الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات	1658 - 3779
مجلة "الإعلام العلمي والتقني RIST"	مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني	1111 - 0015
مجلة "المكتبات والمعلومات"	مخبر تكنولوجيا المعلومات ودورها في التنمية الوطنية	1112 - 5098
مجلة "LERIST"	مخبر الدراسات والبحث حول الإعلام العلمي والتكنولوجي	/
الجدول رقم 6: يبين مجلات النشر العلمي للهيئات المساهمة في مجتمع المعرفة الأكاديمي لقسم علم المكتبات بجامعة عنابة		

2- كما ساهمت هذه الهيئات العلمية والثقافية أيضا في الدعم المالي في إنجاز التظاهرات العلمية التي نظمها القسم، التي كان عددها ثلاثة تظاهرات علمية ملتقيين وطنيين ويومين دراسيين، والهيئات المعنية بهذا النوع من المساهمات هو مخبر تكنولوجيا المعلومات ودورها في التنمية الوطنية ومخبر الدراسات والبحث حول الإعلام العلمي والتكنولوجي، وبمساهماتهم بتلبية دعوة حضور باحثهم وتقديم مداخلات وتأطير مشروع التكوين في الدراسات ما بعد التدرج (أنظر الجدول رقم:3)، وتقديم مساهمات فنية وسياحية على هامش تلك التظاهرات العلمية خاصة من طرف مديرية الثقافة ودار الثقافة لولاية عنابة، حضرها كل المدعوين من أساتذة وباحثين وطلبة وغيرهم. وبهذه المساهمات كلها يكون قسم علم المكتبات بجامعة عنابة قد حقق متطلبات كثيرة لبناء مجتمعه المعرفي الأكاديمي الذي يأمل إليه كل طالب وأستاذ.

المحور الثالث: التظاهرات العلمية والمجتمع المعرفي الأكاديمي لقسم علم المكتبات بجامعة عنابة

1- التظاهرات العلمية العربية والدولية التي شارك فيها أساتذة قسم علم المكتبات لجامعة عنابة

موضوع التظاهرة	نوعها	تاريخه	العدد
نحو جيل جديد من نظم المعلومات والمتخصصين	المؤتمر العربي 20 للإتحاد العربي للمكتبات والمعلومات	09،11 ديسمبر 2009 بالدار البيضاء بالمملكة المغربية	1
المكتبة الرقمية العربية	المؤتمر العربي 21 للإتحاد العربي للمكتبات والمعلومات	06،08 أكتوبر 2010 ببيروت بلبنان	5
نظم وخدمات المعلومات المتخصصة في مؤسسات المعلومات العربية	المؤتمر العربي 22 للإتحاد العربي للمكتبات والمعلومات	18،21 ديسمبر 2011 بالخرطوم بالسودان	6
تقنيات الاتصالات في التعليم والتدريب"	جامعة تونس	ما بين 7،10 ماي 2012 بالحمامات بتونس	1
الجدول رقم 7: يبين التظاهرات العلمية العربية والدولية التي شارك فيها أساتذة قسم علم المكتبات لجامعة عنابة			

إن المستوى الرفيع للمؤتمرات العربية التي يعقدها سنويا الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات بإشراف رئيسه الأستاذ الدكتور حسن بن عواد السريحي، والتي يحضرها الباحثين والمهتمين العرب من مختلف أنحاء الوطن العربي والعالم ككل لهو خاصية أساسية تصب في الاكتساب المعرفي المتجدد لأساتذة القسم الذين يحضرونها، والملاحظ أنه لهم مشاركات فيها مند المؤتمر العربي العشرين للإتحاد العربي للمكتبات والمعلومات المنعقد بالدار البيضاء بالمملكة المغربية في 2009، إلى غاية آخر مؤتمر الخرطوم في 2012. هذا الاكتساب المعرفي الذي بدوره يغذي الحلقة المعرفية للقسم، ويجدها ويستفيد منها الطالب، علما أن هذه المؤتمرات تصدر لها أعمال فعاليات في شكل وعاء مطبوع أو في شكل قرص إلكتروني، يتحصل عليه المشاركون ضمن فعاليات المؤتمر، أي يتم طبعها ونشرها للمستفيدين، حيث يتيحها أساتذة القسم لطلبته ويعرفونهم بها عند عودتهم من تلك المؤتمرات. كما يحضرون منها الكثير من الوثائق والمنشورات الهامة التي تقدمها للزائرين الهيئات المساهمة في عقد مؤتمرات الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات، تقدم للطلبة شأنها شأن أعمال المؤتمرات. وقد كانت هناك وجهة أخرى لمشاركة الأساتذة في التظاهرات الدولية وهي المؤتمر الأول "لتقنيات الاتصالات في التعليم والتدريب" المنظم من طرف جامعة تونس، والذي شارك فيه أحد أساتذة القسم بمداخلة باللغة الفرنسية.

2- التظاهرات العلمية التي نظمها قسم علم المكتبات لجامعة عنابة

موضوع التظاهرة	نوعها	تاريخه	عدد الأساتذة
المخطوطات والأرشيف وكتابة تاريخ الجزائر	يومين دراسيين	10، 11 ماي 2009	9
الإدارة العلمية الحديثة في المكتبات الجامعية	ملتقى وطني	12، 13 أفريل 2010	11
التكوين العالي في علم المكتبات بالجزائر	ملتقى وطني	12، 13 أفريل 2011	14

الجدول رقم 8: يبين التظاهرات العلمية التي نظمها قسم علم المكتبات لجامعة عنابة

في إطار خطة واضحة لقسم علم المكتبات بجامعة باجي مختار عنابة، وهي تنظيم تظاهرة علمية في كل سنة جامعية سواء أيام دراسية أو ملتقى وطني، نظمت هذه المؤسسة للتكوين العالي في علم المكتبات بالجزائر -كمؤسسة تكوينية جامعية جديدة- ثلاث تظاهرات علمية متنوعة الموضوعات والإشكاليات، بداية بيومين دراسيين في سنة 2009، ثم ملتقيين وطنيين في 2010 و2011، وملتقى وطني ثالث مبرمج لعقده في نهاية سنة 2012 بعنوان "المكتبات المدرسية في لجزائر: نحو مكتبة مدرسية معيارية في كل مؤسسة تربوية". وقد شارك في هذه التظاهرات عدد كبير من أساتذة القسم وبعض من طلبة الماستر بمداخلات لدراسات ميدانية قاموا بها، بالإضافة إلى

كثير من الباحثين المدعويين والعارفين لمستجدات إشكالياتها. والملاحظ على هامش هذه التظاهرات العلمية يقدم قسم علم المكتبات نشاطات ثقافية ورحلات سياحية وأثرية ومعارض للكتب والوثائق وغيرها، تصهر على تنظيمها كمساهمات مديرية الثقافة لولاية عناية بإشراف مديرتها،²⁹ وفق تنسيق دقيق يخدم أهداف مشتركة بين قسم علم المكتبات ومديرية الثقافة لولاية عنابة. تهدف في غايتها الأساسية إلى توسيع نطاق المجتمع المعرفي للقسم، وخروجه إلى المحيط المعرفي الثقافي والفني، وهو المكمل للمجمع المعرفي الأكاديمي الجامعي. و بصفة عامة ساهمت التظاهرات العلمية التي أعدها القسم في التعريف فعلا به على المستوى الوطني، حيث في كل مرة تزداد وثيرة حضور الباحثين للملتقيات التي يعقدها، وهو ما يعكس نمو فعلي للمجتمع المعرفي الأكاديمي للقسم.

3- التظاهرات العلمية التي شارك فيها أساتذة القسم ونظمها قسم علم المكتبات قسنطينة وقسم ج م تبسة

عدد الأساتذة	تاريخه	نوعها	موضوع التظاهرة
5	29.30 نوفمبر 2008	ملتقى الوطني	مهن المعلومات في الجزائر، قسم علم المكتبات، قسنطينة
4	14.15 نوفمبر 2011	ملتقى الوطني	مناهج التكوين الجامعي في علوم المكتبات والمعلومات في ظل نظام ل م د، قسم الجدد المشترك علوم إنسانية، جامعة تبسة
الجدول رقم 9: يبين التظاهرات العلمية التي شارك فيها أساتذة القسم ونظمها قسم علم المكتبات قسنطينة وقسم ج م تبسة			

تهتم بعض الأقسام الجامعية بتنظيم ملتقيات وطنية تعالج إشكاليات راهنة في علم المكتبات على غرار قسم علم المكتبات بجامعة منتوري قسنطينة وقسم الجدد المشترك علوم إنسانية واجتماعية بجامعة تبسة. وقد تم حضور فعاليتها بعض أساتذة القسم في سنة 2008 بالنسبة لملتقى قسم علم المكتبات بقسنطينة، وفي 2011 بالنسبة لجامعة تبسة. هذا في إطار تبادل الأفكار والمعارف والاطلاع على منجزات هذه الأقسام، على المستوى العلمي والبيداغوجي والإداري، ومن ثم الاستفادة بها على المستوى المحلي بالقسم، خاصة وأن قسم علم المكتبات بقسنطينة يعتبر قسما رائدا في التكوين العالي، به عدد كبير من الأساتذة الجامعيين ذوي رتب عليا، وبه ثلاث مخابر بحث جامعية، كل له إطاره المعرفي الخاص به. وقد أثمر فعلا حضور هذين الملتقيين التعرف على المنشورات الجامعية بهما من مجلات ونشرات جامعية وعلى أرصدة مكتبتيهما، وعلى الأبحاث المنجزة من طرف الطلبة في إطار تحضير مختلف الشهادات الجامعية، مشكلة بذلك كمّا معرفيا متنوعا ومعتبرا في تناول أساتذة القسم المشاركين. ومنه فبعملية تحويلها وتكييفها تصبح معارفا جاهزة لتلقينها للطلبة.

4- التظاهرات العلمية التي شارك فيها أساتذة القسم ونظمها: مخبر تكنولوجيا المعلومات ومخبر الدراسات والبحث

موضوع	التظاهرة	نوعها	تاريخه	عدد الأساتذة
واقع قطاع المعلومات بالجزائر	ملتقى وطني	07، 08 أفريل 2011	7	
الرقمنة بالمؤسسات التوثيقية الجزائرية: الضرورة والرهانات	ملتقى وطني	23، 24 ماي 2012	9	
الجدول رقم 10: يبين التظاهرات العلمية التي شارك فيها أساتذة القسم ونظمها مخبر تكنولوجيا المعلومات ودورها في التنمية الوطنية				

يعتبر مخبر تكنولوجيا المعلومات ودورها في التنمية الوطنية أول مخبر بحث جامعي يتأسس بقسم علم المكتبات بجامعة منتوري قسنطينة، وقد كان أول مدير له هو الأستاذ الدكتور عبد اللطيف صوفي، ثم بعد ذلك وإلى غاية الآن الأستاذة الدكتورة قموح نجية، ومن أساتذته الأعضاء أساتذة من قسم علم المكتبات لجامعة عنابة، حيث يحرص هذا المخبر على مشاركة أكبر عدد ممكن من أعضائه من مختلف أقسام التكوين العالي في علم المكتبات عبر الوطن، مقدما بذلك فرصا دائمة لهم لتقديم أبحاثهم وعرضها. كما كان ذلك في الملتقيين "واقع قطاع المعلومات بالجزائر" في 2008 و"الرقمنة بالمؤسسات التوثيقية الجزائرية: الضرورة والرهانات" في سنة 2012، الذين حضرهما عدد كبير من أساتذة القسم. ولقد ساهم هذا المخبر بمبادراته هذه إلى إثراء معارفهم وتجديدها ودعم مساراتهم المهنية، وهو الأمر الذي يخدم الأهداف المعرفية المشتركة بين المخبر والقسم، في إطار خطة تعاون يستفيد منها كلا الطرفين، ومنه تنمية القدرات المعرفية التكوينية للقسم باعتباره جديدا، وفي حاجة دائمة للمساعدات الفكرية والدعم المعرفي من طرف هذا المخبر.

موضوع	التظاهرة	نوعها	تاريخه	عدد الأساتذة
المعلومات العلمية والتقنية في الجامعة الجزائرية	ملتقى وطني	13، 14 ديسمبر 2010	3	
التوجهات الحديثة في تكوين وإدارة الموارد البشرية في المؤسسات الوثائقية الجزائرية	ملتقى وطني	11، 12 ماي 2011	4	
التكتلات المعلوماتية في المؤسسات الوثائقية الجزائرية	ملتقى وطني	10، 11 ديسمبر 2011	5	
الجدول رقم 11: يبين التظاهرات العلمية التي شارك فيها أساتذة القسم ونظمها مخبر الدراسات والبحث حول الإعلام العلمي والتكنولوجي				

ومخبر الدراسات والبحث حول الإعلام العلمي والتكنولوجي هو ثاني مخبر يتأسس بقسم علم المكتبات قسنطينة ومديره الأستاذ الدكتور عبد المالك بن السبتي مند تأسيسه، فمن خلال ملتقيات الوطن المنعقدة استطاع أساتذة قسم علم المكتبات لجامعة عنابة أن يقدموا مداخلات دراسات علمية في مواضيع مختلفة يدعمون بها ما لهم من معارف مسبقة، ولقد بادر هذا المخبر بتقديم الدعوة أيضا لبعض طلبة الماستر لقسم علم

المكتبات بعنابة، مع تحمله كامل التكاليف طيلة فعاليات الملتقى، وهي المبادرة الفريدة من نوعها، حيث وسّع دعوته إلى العديد من الأقسام الأخرى بنفس الطريقة على المستوى الوطني. ولقد استحسن الطلبة هذه المبادرة القيمة مقترحين استمرارها كلما سمحت الفرص، فخلال تواجدهم في هذه التظاهرات العلمية يتبادلون معارفهم فيما بينهم، وعناوين إيميلاتهم وأرقام هواتفهم، وكل سبل التواصل المعرفي البناء، خاصة في البحث عن المراجع العلمية لإعداد مذكرات التخرج.

6- التظاهرات العلمية التي شارك فيها أساتذة القسم ونظمتها مديرتي الثقافة لولايتي عنابة وسكيكدة

موضوع	التظاهرة	نوعها	تاريخه	عدد الأساتذة
التكنولوجيات الجديدة وعالم الإعلام والاتصال	ملتقى وطني	11، 12 ماي 2008	1	
المكتبات العمومية في عصر تكنولوجيات المعلومات	ملتقى وطني	06، 07 ديسمبر 2009	3	
المكتبات المدرسية في الجزائر	ملتقى وطني	24، 25 أكتوبر 2010	2	
المكتبة المتنقلة والمطالعة الجوارية	ملتقى وطني	13، 14 ديسمبر 2011	3	
الجدول رقم 12: يبين التظاهرات العلمية التي شارك فيها أساتذة القسم ونظمتها مديرية الثقافة لولاية عنابة	يوم دراسي	20 أبريل 2009	3	
المكتبات ودورها في دفع المسار الثقافي والتربوي	يوم دراسي	26 أبريل 2010	4	
تنظيم وتسيير مكتبات المطالعة العمومية	الجدول رقم 13: يبين التظاهرات العلمية التي شارك فيها أساتذة القسم ونظمتها مديرية الثقافة لولاية سكيكدة			

وعلى غرار المؤسسات المهمة بقطاع المكتبات والمعلومات في الجزائر نجد مديرتي الثقافة لولايتي عنابة وسكيكدة، فهما أبرز مديرتين على مستوى كل ولاية من تنظم تظاهرات علمية وتدعوا إليها أساتذة من قسم علم المكتبات بعنابة، وليس على هذا الحد فقط بل أيضا إلى دعوة طلبة القسم لحضور مختلف الفعاليات وتقديم أسئلتهم وأرائهم، خاصة في التظاهرات العلمية التي تعقدتها مديرية الثقافة لولاية عنابة نظرا لقرب المسافة، فما من تظاهرة علمية أو فنية أو مسرحية إلا وألحت مديرتها على حضور أكبر عدد ممكن من الاساتذة والطلبة، وهذه المديرية تعقد سنويا ملتقا علميا خاصا بعلم المكتبات يحضره باحثين متخصصين، ويتم التغطية الإعلامية والصحفية على أوسع نطاق، يقدم فيه بعض المتدخلين تصريحاتهم العلمية واستجواباتهم الصحفية لمختلف مؤسسات الصحافة، الإذاعة، والتلفزيون. وتنشر سنويا هذه المديرية حصيلة أعمالها في كتيبات، توزعها مجانا على مختلف المصالح والمدعويين، وقد استفادت مكتبة القسم من مجموعة كبير منها، كما أيضا الطلبة الحاضرين. وتقدم عادة على هامش الملتقيات المنظمة بدار الثقافة لولاية عنابة أيضا أعمالا فنية متنوعة، موسيقية، عروض رقص، معارضا الألواح الزيتية، معارض كتب ومعدات الإعلام الآلي والتكنولوجيات الحديثة وغيرها.

7- التظاهرات العلمية التي أنجزها نادي المكتبات والمعلوماتية وطلبة الماستر لقسم علم المكتبات بجامعة عنابة

موضوع	التظاهرة	نوعها	تاريخه	الحضور
المعرض الوطني الأول في علم المكتبات بقسم علم المكتبات بعنابة	معرض علم المكتبات بقسم علم المكتبات بعنابة	معرض للمراجع	11، 14 أبريل 2011	دعوة عامة
المكتبة شريك أساسي في تكوين الطالب		ملتقى	26 أبريل 2012	دعوة عامة
الجدول رقم 14: يبين التظاهرات العلمية التي أنجزها نادي المكتبات والمعلوماتية وطلبة الماستر لقسم علم المكتبات بجامعة عنابة				

نتيجة لتطور الوعي المعرفي للطلبة لجامعيين بقسم علم المكتبات بجامعة عنابة أخذوا يفكرون في لعب أدوار معتبرة ضمن التظاهرات العلمية التي ينظمها هذا القسم، ففي البداية كانت فكرتهم إنجاز معرض وطني يتم فيه عرض كل أنواع الوثائق والمعلومات، بكل أشكالها ووسائطها، ليتمّ التعريف أكثر بالقسم ضمن الخريطة الجديدة للكلية، وأعمالهم الشخصية والتخصص بصورة عامة، وقد كان ذلك كمنشآت موازي على هامش الملتقى الوطني الثاني في علم المكتبات المنعقد في 2011، تحت عنوان " التكوين العالي في علم المكتبات بالجزائر "، وقد كان معرضا ناجحا جدا على كل الأصعدة، تم فيه عرض مجموعة من الأفلام العلمية السمعية البصرية المتعلقة بنشاطات القسم، باستخدام العرض الحائطي المكبر، كما تم فيه عرض بعض أنواع لحواسيبهم الشخصية. كما اشتمل أيضا هذا المعرض على عرض فني للصناعات التقليدية الوطنية في ميدان الألبسة النسوية والخياطة، وكذلك الطهي وإعداد الحلويات. ثم تطور هذا النشاط إلى بلورة فكرة تأسيس نادي المكتبات والمعلوماتية، في فيفري 2011، والذي أوصل إلى تحقيقهم غاية إعداد ملتقى متخصص في علم المكتبات، أعده طلبة الماستر في 26 أبريل 2012، حيث كانت الدعوة عامة، وقد كان بعنوان: "المكتبة شريك أساسي في تكوين الطالب"، حيث قدموا فيه مجموعة من المداخلات العلمية القيمة. وبهذا استطاعوا أن يساهموا قد استطاعهم في بناء المجتمع المعرفي للقسم، الذي تصب كل أهدافه في إعطاء جودة عالية لتكوينهم.

المحور الرابع: أفاق قسم علم المكتبات بجامعة عنابة في بناء مجتمعه المعرفي الأكاديمي

يطمح قسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية بجامعة عنابة إلى تحقيق محيط معرفي رائد، يكون كفيلا بتطوير التحصيل المعرفي العلمي والبيداغوجي، وذلك بعقد تظاهرة علمية كل عام كتقليد سنوي، ومن المنتظر عقد الملتقى الوطني الثالث في نهاية السنة الجامعية الحالية 2011/2012، كتظاهرة علمية بعنوان: "المكتبات المدرسية في الجزائر: نحو مكتبة معيارية في كل مؤسسة تربوية"، كما يطمح أيضا إلى تحقيق الآفاق التالية:

- تجسيد فتح الدراسات العليا في التخصص.
 - تكثيف النشر العلمي في المجالات العلمية المتخصصة.
 - توظيف عدد جديد من الأساتذة المتخصصين.
 - تطوير طرق التدريس بالاعتماد على التكنولوجيات الحديثة.
 - المشاركة الفعالة في المؤتمرات العربية والدولية.
 - تجسيد تعاون كبير مع المؤسسات الأخرى، وخلق فضاءات جديدة لهذا التعاون.
- هذه الآفاق وغيرها من أدوارها هو توسيع المجتمع المعرفي للقسم إلى أبعد الحدود، ليُعبّر حقيقة على أنه مؤسسة للتكوين العالي المتخصصة في علم المكتبات في الجزائر، تؤثر وتتأثر بالمحيط المعرفي الداخلي والخارجي، ولها مكانتها في التنمية الوطنية الشاملة.

10. النتائج العامة للبحث:

- لقد بينت هذه الدراسة في مجملها مدى وعي قسم علم المكتبات بجامعة عنابة بضرورة بناءه لمجتمع معرفي أكاديمي خاص به، له إستراتيجية واضحة، ومسطرة الأهداف، يتميز بتنوع مصادره، وبجودة أهدافه على الصعيدين الأستاذ والطالب، حيث من أهم نتائجها ما يلي:
- تنوّع مؤسسات عناصر المجتمع المعرفي للقسم، وذلك من حيث طبيعتها ومن حيث أدوارها فيه.
 - وجود خطة للقسم في تحقيق نمو سنوي ملحوظ في توفير علاقات تعاون جديدة مع مختلف الجهات.
 - احترام تقليد سنوي وهو إنجاز تظاهرة علمية وطنية.
 - مساهمة كبيره لطلبة القسم في دعم مجتمعه المعرفي.
 - مشاركات معتبرة لأساتذة القسم في التظاهرات الوطنية والعربية.
 - تطوير في طرق التدريس والتلقين العلمي للطلاب.
 - حاجة القسم الكبيرة لدعم مستمر لبناء مجتمعه المعرفي الأكاديمي من قبل مؤسسات الشراكة المتعامل معها.
 - الدور الكبير للمبادرات الفردية بالقسم سواء من طرف الأساتذة أو من الطلبة في تطوير مجتمعه المعرفي.

11. خاتمة البحث

أصبح واضحاً وبصور عملية أنه للتظاهرات العلمية دوراً كبيراً جداً في إستراتيجية قسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية بعنابة، لها تأثيرات واضحة على الاكتساب المعرفي للطلاب والأساتذ، وهي طريقة من الطرق البيداغوجية الفعالة في التكوين العالي المعتمد عليها، كما كذلك إرادة إدارية ملموسة في الترقية الدائمة لمستوى النشاط المعرفي والأكاديمي بالقسم، وفي تفاعله مع المحيط الخارجي الجامعي والثقافي. وعلى العموم فهما من هذه المجهودات المعتبرة فإنه في الحقيقة يبقى دائماً المجمع المعرفي مجتمعاً سريع التغيير، ليس له حدود، وهو يتوقف على الإرادات المتجددة والاستيرتيجيات المسطرة جيداً في شكل علاقة طردية، حيث كلما زادت التظاهرات

العلمية بالقسم والمشاركات في غيرها، كلما وقّر مجالات معرفية رفيعة المستوى، يطمح بها إلى دعم النقائص الممكن وجودها في برامج المقررات الدراسية، وكذلك توفير جو بيداغوجي غير ممل بإمكان أي طالب بالقسم أن يعبر فيه عن أفكار وإبداعاته.

هوامش البحث:

- 1- مؤتمر. زيارة (09 أوت 2012)، متوفر على الرابط. <http://ar.wikipedia.org/wiki>
- 2- ندوة زيارة (09 أوت 2012)، متوفر على الرابط. <http://ar.wikipedia.org/wiki>
- 3- عبد الله العلي، أحمد. مدخل إلى علم المكتبات و المعلومات. القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2001. ص. 07.
- 4- الموسوعة العربية العالمية. الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، 1999. ص. 07.
- 5- أحمد، بدر. مدخل إلى علم المعلومات و المكتبات. الرياض: دار المريخ للنشر، 1985. ص. 381.
- 6- عبد الله العلي، أحمد. المرجع نفسه. ص. 15.
- 7- عبد الحق، رشيد. المصطلحات العربية في علوم المعلومات. تونس: المعهد الأعلى للتوثيق، 1983. ص. 45.
- 8- عبد العزيز، عبد القادر. التوثيق المنهجيات والنظم في علم تحليل الوثائق. مجلة المعلوماتية، 2006، ع. 14. ص. 35.
- 9- عبد العزيز، عبد القادر. المرجع نفسه. ص. 38.
- 10- وهبية، غراممي. التكوين العالي في مجال المكتبات و المعلومات بالجزائر. مجلة المكتبات و المعلومات، 2006. مج. 3. ع. 1. ص. 81-94.
- 11- عبد المالك، بن السبتي. أفاق تطوير مهنة المكتبات و المعلومات في الجزائر. مجلة المكتبات و المعلومات، 2006. مج. 3. ع. 1. ص. 25-42.
- 12- علم الدين، محمود. تكنولوجيا المعلومات وصناعة الاتصال الجماهيري. القاهرة: العربي للنشر و التوزيع، 1990. ص. 23.
- 13- عماد، الصباغ. إدارة المعرفة ودورها في إرساء مجتمع المعلومات. زيارة (18 فيفري 2012)، متوفر على الرابط <http://doc.abhatoo.net.ma/article>
- 14- مصطفى عليان، ربحي. اقتصاد المعلومات. عمان: دار صفاء للنشر و التوزيع، 2010. ص. 170.
- 15- مصطفى عليان، ربحي. المرجع السابق. ص. 142-143.
- 16- قنديلجي، عامر إبراهيم. المعجم الموسوعي لتكنولوجيا المعلومات والإنترنت. عمان: دار المسيرة، 2003. ص. 331.
- 17- صوفي، عبد الطيف. التكوين العالي في علوم المكتبات و المعلومات قسنطينة: دار الهدى للطبع والنشر، 2002. ص. 103.
- 18- الحفاوي، وليد سالم محمد مستحدثات تكنولوجيا التعليم في عصر المعلوماتية. عمان: دار الفكر، 2006. ص. 35.
- 19- سرايا، عادل. تكنولوجيا التعليم المفرد وتنمية الابتكار. عمان: دار وائل للنشر، 2007. ص. 119.
- 20- الفرجاني، عبد العظيم. التكنولوجيا و تطوير التعليم. القاهرة: دار غريب، 2000. ص. 39.
- 21- جامعة باجي مختار عنابة. جريدة الأخبار. جامعة باجي مختار عنابة. جوان 2011. ع. 25. ص. 06.
- 22- جامعة باجي مختار عنابة. المرجع السابق. ص. 03.
- 23- كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية جامعة عنابة النشرة الإعلامية نورجانفي 2011. ص. 02-04.
- 24- برنامج المقرر الدراسي للسنة أولى جدم مشترك علوم إنسانية و اجتماعية. جامعة عنابة، 2006.
- 25- هو مدير قسم البحث في علوم المعلومات بمرکز البحث في الإعلام العلمي و التقني.
- 26- و هو رئيس قسم علم المكتبات بجامعة منتوري قسنطينة.
- 27- و هي أستاذة في التعليم العالي بقسم علم المكتبات بجامعة منتوري قسنطينة.
- 28- و هو أستاذ في التعليم العالي بقسم علم المكتبات بجامعة منتوري قسنطينة.
- 29- و هي الأستاذة مناجلية الهدية مديرة مديرية الثقافة، و كذلك مديرة دار الثقافة لولاية عنابة.

12. ببليوغرافية:

أ. الكتب:

- حيدر، يونس إبراهيم. الاستيراتيجية مقاربات صياغتها و مكوناتها و أبعادها. دمشق: دار الرضا للنشر، 2009.
- زرارفة، فيروز. في منهجية البحث الاجتماعي قسنطينة: منشورات مكتبة اقرأ، 2007.
- سعيد، سعاد جبر. سيكولوجية التغيير في حياة الأفراد و المجتمعات. إربد: عالم الكتب الحديث 2007.
- فوضيل، دليور. دراسات في المنهجية الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2008.
- لمياء، حكمت. التفكير تعلمه و التعلم به. دمشق: دار الرضا للنشر، 2007.
- مصطفى عليان، ربحي. الاتصال و العلاقات العامة. عمان: دار صفاء للنشر و التوزيع، 2005.
- ب. نصوص قانونية و إدارية:
- القرار الوزاري رقم 211 المؤرخ في 1 جويلية 2009، المتضمن تأهيل الماستر المفتوحة بعنوان السنة الجامعية 2009/2010 لجامعة باجي مختار عنابة.
- القرار الوزاري رقم 218 المؤرخ في 1 جويلية 2010، المتضمن إنشاء أقسام كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية لجامعة باجي مختار عنابة.
- محضر تنصيب المكتب التنفيذي لـ "نادي المكتبات و المعلوماتية"، 27 فيفري 2011.
- ج. مواقع و اب:
- الموقع الرسمي لجامعة عنابة: www.univ-annaba.org
- الموقع الرسمي لوزارة التعليم العالي و البحث العلمي: <http://www.mesrs.dz>

المحور الثالث

في فجوة التنظير الإعلامي العربي الواقع، الرهانات وضرورة التجديد

حفصة كويبي
مستغانم، الجزائر

مقدمة :

ما يميز علوم الاعلام والاتصال منذ نشأتها إلى يومنا هذا هو تعدد الرؤى النظرية وتباين أسبابها وتداعياتها لدى الدارسين والباحثين والممارسين الاعلاميين والجمهور المتلقين، في هذا الميدان المتشعب، وهذا ما يمكن الاصطلاح عليه بـ "فجوة العقل الاعلامي"، وتتجلى هذه الفجوة في ثلاثة مجالات رئيسية:¹

أولاً- تعددية الرؤى الفلسفية والنظرية في هذا الحقل المعرفي المهم.
ثانياً- تنوع الممارسات المهنية في وسائل الإعلام المقروء والمرئي والمسموع.
ثالثاً- طبيعة الجمهور المتلقي، والتي تزخر بكثير من التباينات الاقتصادية والثقافية والديموغرافية، علاوة على تعدد مستويات الوعي السياسي والاجتماعي.
وما يهمننا في هذه الورقة هو العنصر الأول، فما يميز الساحة الاعلامية الغربية هو تعدد الرؤى النظرية والتيارات المنهجية التي تناولت الظاهرة الاعلامية والاتصالية بالدراسة والتحليل والتفسير في طريق البحث عن نظرية شاملة تفسر هذا النوع من الظواهر الشديدة التعقيد والتداخل بين مختلف الظواهر الاخرى التقنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها من الأسباب الكثيرة شكلت نتيجة واحدة هي "ازمة الاعلام والاتصال" كحقل معرفي مستقل بذاته.

وإن كانت هذه وضعية الساحة الغربية المنقسمة بين الأوروبية والامريكية فإن الساحة العربية ليست بأفضل حال منها، فهي الأخرى تشكوا فقرا موضوعيا وعجزا منهجيا، في الوقت الذي تتأكد فيه حتمية الأدوار التي أصبحت تلعبها وسائل الاعلام والاتصال في المجتمعات المعاصرة، وتتأكد فيه حتمية التجديد والتأصيل المعرفي، غير أنه "لا يمكن الحديث هذا التأصيل" دون التعرض لبعض القضايا ذات الصلة بجوهر هذا العلم ووقائعه، وهذه القضايا تمثل في حقيقتها الملامح المميزة لعلم الاتصال نفسه، كما أنها تشكل العوامل الكابحة لعجلة الاجتهاد وفي حركة التأصيل لهذا العلم "²

وتنركز إشكالية الدراسة في الأسئلة التالية :

- ✓ ما هي الأسباب التي شكلت الأزمة الغربية في الاعلام والاتصال؟
- ✓ ما هي وضعية هذا الحقل المعرفي في الوطن العربي ز في الجزائر؟

✓ كيف يمكن التمييز بين الدراسات الإعلامية والاتصالية في المنطقة العربية؟

1- أزمة الإعلام والاتصال : أزمة عالمية / غربية

1-1- في مظاهر الأزمة

وتتجلى مظاهر أزمات علوم الاعلام والاتصال في :

1- إشكالية التسمية /المصطلح: علوم الاعلام والاتصال sciences de l'information et de la communication هي عبارة فرنسية للتدليل على مجموعة البحوث والدراسات في الإعلام والاتصال، التي تدرج مواد تدريسها والبحث فيها اختصاصات شتى في حقل ما يسمى بعلوم الاعلام والاتصال (كسيولوجيا، وأنثروبولوجيا، قانون واقتصاد، الخ...)، أما حسب التعبير الأنجلوسكسوني فجد تعبير "الدراسات الإعلامية أو Media studies.

كما تميل الكثير من المؤسسات الأكاديمية خاصة الانجلوساكسونية إلى التمييز بين الدراسات الاتصالية والدراسات الاعلامية، اما في الفضاء الفرنكفوني فعلى الرغم من تأثر الفرنسيين بالعقلانية الديكارتية والوضعية الكونتية، والذي كان من المفترض أن يدفع بهم إلى انتاج تنظيم اكايمي يفصل بين الدراسات الاتصالية والدراسات الاعلامية كما حصل ذلك في تمييزهم بين العلوم الدقيقة والعلوم الاجتماعية والانسانية، فقد تم مزج الحقلين تحت مسمى علوم الاعلام والاتصال، مع ما صاحب ذلك من جدل أكاديمي مازال قائما إلى اليوم فقد أشار "جون ميريا ""JEAN Meyriat "عندما تم انشاء لجنة علوم الاعلام والاتصال في شهر فبراير 1975 إلى انه " تم تبني كلمة "اعلام" الاكثر تحديدا تضيي نوعا من الدقة على فكرة الاتصال التي تظل مبهمة ويسمح هذا التزاوج بخدمة مجموعات كبيرة من المتخصصين، ذوي الاهتمامات المختلفة، دون اتخاذ موقف نهائي حول ابستمولوجيا هذا الحقل.³

2 – إشكالية البناء النظري في البحوث والدراسات الاعلامية والاتصالية

فإذا كان مفهوم الاتصال يطرح إشكاليات كثيرة على الباحث فإن نظرية الاتصال ليست أقل إشكالية منه، فقد انتجت الكثير من التعارضات بين الباحثين في الحقل الاتصالي.⁴

والنظرية من حيث التعريف، هي محاولة ذهنية لتفسير الظواهر الطبيعية والاجتماعية وتقديم الشروحات والتفسيرات لها، وتنظيم الملاحظات وعرضها بطريقة مناسبة... والنظرية تحتاج في حكمها على الأشياء إلى برهان ولها قضية مرتبطة بسلسلة من النتائج التي نتحقق من صحتها من خلال التطبيق، والتطبيق يفرز استجابات اجتماعية منسجمة أو متضاربة.⁵

وقد شكل الحضور الكبير لمختلف التخصصات في حقل الاعلام والاتصال اشكالية شرعية هذه العلوم "القائمة بذاتها" وهو ما ادى إلى "البحث عن نماذج تضي عليه الطابع العلمي، حيث تبنى رؤى علوم الطبيعة، وقام بتكييفها مع خصوصيته الأكاديمية"⁶

و بالرغم من التحول التدريجي الذي تشهده اليوم والمتمثل في اعتماد مجال الوساطة كمعلم بحثي دينامي مكيف لتأسيس المعرفة بدرجة أولى فان الدراسات الاعلامية غالبا ما تعود إلى الانسجام مع المنظور اللاسوالي المغال للدور الفعال الذي تلعبه الوسائل الوسيطة الناقلة للمضامين لتجعل منه منطلقا للكشف عن طبيعة العلاقة بين الباث والمستقبل، ويتجلى ذلك من خلال المرتبة التي تحتلها التقنيات الحديثة باعتبار كونها مصدرا يلهم الاساليب الجديدة في إنتاج المضامين الثقافية.⁷

و يرجع هذا الغياب إلى استناد البحث العلمي على الأبعاد المعيارية فقط، واتجاهه إلى القياس وفقا لمعطيات الواقع الآني الذي يجري فيه القياس، الأمر الذي سبب هشاشة في البناء النظري لعلم الاتصال (كما سنرى لاحقا).

"ولما كان الاتصال ينتمي إلى مجموعة العلوم الإنسانية، فان نظرياته كما هو معرف ليست بالحدة أو الصرامة الموجودة في نظريات العلوم البحتة أو الطبيعية شأنه شأن العلوم الإنسانية عموما، وعلى الرغم من كثرة الأبحاث الخاصة بعملية الاتصال، فان هذه الأبحاث -فشلت بصورة أو بأخرى- في بناء النظريات إلي تنظم الجهود البحثية وتحدد الطريق إلى الجهود البحثية المستقبلية، بل هناك اتفاقا بين الباحثين على أن المشكلة الرئيسية في مجال الاتصال الجماهيري تتمثل في نقص النظريات الجيدة"⁸

يؤكد "جريك" أن الاتجاهات الجديدة في مجال نظرية الاعلام والاتصال توحى بتناقض ظاهر، ويشرح ذلك بقوله: "انه على الرغم من ان علم الاعلام والاتصال تطور وبلغ مرحلة تقرب من النضج، وان الباحثين فيه أسهموا في بناء ملامح نظريات جديدة في السنوات المتأخرة، فان ثمة تزايدا ملحوظا في الغموض الذي يكتنف دراسات هؤلاء الباحثين يتمثل في التناقض في الآراء والجدل الظاهر فيما يتعلق بالبناء المعرفي المناسب للنظرية الإعلامية والاتصالية."⁹

ان هذا الحقل الاكاديمي لا يزال "قلقا"- بتعبير المتخصصين فيه" ويحتاج الآن اكثر من أي وقت مض إلى "إعادة التفكير". وهذا ما حدا بالباحث جريك إلى طرح تساؤلات لا تزال معلقة وتبحث عن إجابة لها من قبل المتخصصين مثل¹⁰:

- ما الذي ينبغي ان تكون عليه النظرية الإعلامية والاتصالية؟
- لماذا كانت الحاجة إلى بناء نظرية في الاعلام والاتصال؟
- ما الحدود النظرية لمثل هذه النظرية؟
- ما الكيفية التي ينبغي أن تكون عليها بحوث الاعلام والاتصال؟

- كيف نربط مثل هذه البحوث بتطور النظرية في الاعلام والاتصال؟
أن كل هذه التساؤلات على حد تعبير جريك، لا بد أن يأخذها المتخصصون في حقل الاعلام والاتصال بعين الاعتبار.
و ذكر الباحثون خمسة من الاسئلة التي تشكل اليوم محور النقاش بينهم، ويحاولون الإجابة عنها، وهي¹¹:

- 1- هل يمكن التحدث عن "نظرية عامة للإعلام والاتصال"؟
- 2- هل التفريق ما بين الاعلام والاتصال ما زال قائماً؟
- 3- هل اصبح "مجتمع الاعلام" أو "مجتمع الاتصال" أفق حياتنا اليومية؟
- 4- هل تنتمي الظواهر الاعلامية والاتصالية إلى مجموعة من الحقول أو يجب معالجتها في مجال وسيط؟
- 5- هل يولد تقدم المعلوماتية والعلوم المعرفية تغيرات أفقية في مجال الإعلام والاتصال؟

لقد وصلت الدراسات والبحوث الغربية في مجال العلوم الاجتماعية والانسانية ومنها علوم الاعلام والاتصال إلى أزمات "ظهرت من خلال تشعب نظريات الغرب وتفسيراته المتعددة للظواهر الاجتماعية والنفسية وتذبذب هذه الرؤية وقصورها في تقديم تفسيرات دائمة وكلية".¹²

كما ان "انفتاح أبحاث علوم الاعلام والاتصال على نفسها، دون تحديد زاوية لرؤية واضحة المرجعية والأهداف والوسائل، جعلها تعيش أزمة فعلية نتيجة التطور المذهل في الوسيلة واستخداماتها- في غياب التنظير المسبق من جهة، ولتصادم التصورات الغربية والحقيقة الكبرى من جهة أخرى، إذ حولت الفرد والمجتمع إلى مشروع منظم وموجه، وتحول واقع وممارسة الاعلاميين إلى مؤطر وموجه ومنظر، وتحول واقع وأثر الممارسة الاعلامية والاتصالية إلى مجال الدراسة وبحث الظاهرة الاعلامية، وغاب فيها التحديد الصحيح لمجال العلم والمعرفة".¹³

1-2- في أسباب الأزمة:

يتميز الحقل الاعلامي والاتصال بمجموعة من المميزات التي هي ذاتها سببا في الإشكاليات والأزمات التي اعترضت وما زالت تعرض هذا الحقل العلمي وفي مقدمتها:

1- حداثة نشأة علم الاتصال مقارنة بالعلوم الاجتماعية:

لم ير هذا العلم النور إلا في مطلع القرن الماضي وبالتحديد في الربع الاول من القرن العشرين، في أعقاب الحرب العالمية الأولى، و تاريخيا نجد أن الممارسة الاعلامية سبقت تأسيس علم الاعلام والاتصال وبدأ ميدان الاعلام يجد سبيله إلى المحيط الاكاديمي في أواخر القرن التاسع عشر بأمريكا، ويعتبر "روبرت لي" أول

من اقترح تكويننا جامعيًا يخص الاعلاميين وكان ذلك سنة 1869، عندما كان هذا الاخير رئيس جامعة واشنطن، وأخذ العلم مكانته في إطار العلوم الاجتماعية إثر الحرب العالمية الاولى، ثم تأسس بشكل أساسي بعد الحرب العالمية الثانية، فالآن فإن عدد الجامعات التي تقدم تخصص الاعلام JOURNALISME ; Mass Media بأمریکا بالمئات.¹⁴

2- التبدل المستمر في أساليب وأشكال الفعل الاتصالي: وذلك لاستناده على وسائل سريعة التغير والتطور، بحيث لا تكاد أن تستكمل الوسيلة دورة الزمان حتى تستبدلها وتحل محلها وسيلة أكثر قدرة، نتيجة للتطورات السريعة والمتلاحقة لتكنولوجيات الاعلام والاتصال، فهذه التطورات تمثل اشكالا لدى الباحثين والدارسين والمتمثل في رهان المواكبة واللاحاق بها، و" من أجل تفعيل حركة للتنظير قادرة على تفسير الفعل في ظل هذا التغير الدائم، ومن ثم فإن الفكر الاتصالي يظل يلهث وراء حركة الاختراع التي أصبحت في حالتها الاخيرة تولد من الوسيلة وسيلة جديدة"" وقد شكل هذا الواقع للفكر الاتصالي معضلة حقيقية، صعبت فيها واستحالت مواكبة الفكر للفعل، وهذه المعضلة عينها هي التي تجعل أمر التأصيل أكثر صعوبة "¹⁵.
وقد جمع -"بيرجر Berger أسباب أزمة علوم الاعلام والاتصال في ثلاث محاور¹⁶ هي:

- **المحور التاريخي:** إن جذور هذا العلم ترجع إلى الأدبيات النظرية للعلوم الأخرى ذات العلاقة بعلم الاعلام والاتصال، الذي كان بمثابة " جسر اكايمي " إلى العلوم الأخرى بدليل أن كل الباحثين الذين اسهموا في إعداد الكتاب المشهور " علم الاتصال الانساني" الذي حرره "ولبر شرام" وعددهم أحد عشر باحثا- لم يكن منهم من هو متخصص في الاعلام والاتصال أو في بحوث الاتصال، وإنما باحثين في علوم أخرى كالعلوم السياسية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع.
وقد شهدت بحوث الاعلام والاتصال في النصف الثاني من القرن العشرين تطورات ملحوظة نظرا لعدة عوامل في مقدمتها :

- التطورات الحاصلة في وسائل الاعلام وانتشارها السريع في جميع ارجاء العالم.
- التطورات الحاصلة في مهنة الصحافة وحاجة المجتمع لوسائل الاعلام نظرا للوظائف التي أصبحت تقوم بها: الاخبار، التعليم، الترفيه، التنشئة الاجتماعية.
- هذا بالإضافة إلى التطورات الحاصلة في العلوم الانسانية والاجتماعية بصفة عامة نظرا لارتباط حقل الاعلام والاتصال بمختلف العلوم المجاورة وفي مقدمتها الاجتماع والسياسة والنفس.
- زيادة الجامعات والمدارس والمعاهد التي تدرس الاعلام والاتصال.

فكل هذه العوامل المتداخلة فيما بينها أدت إلى تطوير بحوث ودراسات الإعلام والاتصال، والملاحظ أن هذا الحقل تطور وفق شروط وظروف اقتضتها الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمعرفية التي كانت تحيط بالباحث، ولهذا نلاحظ تركيز هذه البحوث والدراسات على مواضيع دون غيرها، كما هو مبين في كرونولوجيا التطور كالاتي :

- البدايات الاولى: تميزت ابحاث الاتصال في بداياتها بالتركيز على الدراسات الوصفية التاريخية للطباعة والنشر والصحف والدوريات مع التركيز على بعض تراجم المحررين والناشرين وخاصة في الفترة 1800-1930.

- أما الفترة الثانية : فقد سادت تقريبا في الفترة ما بين 1930-1950، فقد تميزت بتنوع المواضيع والتأثير الواضح لعلم النفس وعلم الاجتماع والعلوم السياسية في أبحاث الاعلام والاتصال الجماهيري (الدراسات التاريخية التحليلية للمؤسسات الاعلامية، البحوث حول تأثير وسائل الاتصال الجماهيري، الدراسات التاريخية التحليلية للمؤسسات الاعلامية، وتأثيرات القوى الاجتماعية فيها، بحوث التأثير والدعاية ومحتوى الرسالة الاعلامية، بحوث تأثير وسائل الاتصال الجماهيري في الاختيارات السياسية والسلوك الانتخابي، البحوث الاعلامية وتفاعل المستقبل معها.

و ارتبطت مشكلات البحث العلمي في الاعلام والاتصال خلال النصف الاول من القرن العشرين بدراسة مستويات التأثيرات التي أحدثتها مؤسسات البث الكبرى في حركة التغيير الاجتماعي ذلك ان وسائل الاعلام تملك من النفوذ ما يسمح بصناعة الآراء وتحديد التوجهات، وقد تراجع هذا التوجه في البحوث نسبيا _ مع بداية الستينيات_ لينحصر التفكير في دراسة الجمهور من حيث انه تركيبة مركبة ومعقدة يستوجب فحصها الامام بمضامين وسائل الاعلام، وبالعوامل الوسيطة الأخرى التي تسهم في تغيير السلوك، نتيجة التأثير الواضح بعلم النفس وعلم الاجتماع، ولئن أثرى هذا المنحى رصيد العلوم الإعلامية والاتصالية فإنه ساعد كثيرا على تطوير أساليب العمل والانتاج في الميادين الصحافية بالخصوص ومكن من تقليص الحواجز بين المجال المهني والمجال الأكاديمي، إذ ظلت الدراسات الامبريقية ترشد مؤسسات البث وتنير السبيل امام السياسات الاعلامية والاتصالية وتزيل صورة الجدل العقيم بين " النظري" و " التطبيقي" وبين " الصحافة الموهبة " والمعرفة الدقيقة.

- المرحلة الثالثة: بالإضافة إلى ذلك، أسهمت دراسات الجمهور ودراسات مضامين وسائل الاعلام في تغذية حركة التنمية الشاملة لكونها مادة اساسية لمراكز التوثيق والبحث بقطاعات الانتاج والبث، وقد بدأت هذه الفترة مع موجات الحركات التحررية في نهاية الخمسينات وبداية الستينات وشهدنا اهتماما جديدا في الدراسات الاعلامية، ركز على دور وسائل الاعلام في التنمية الوطنية.

- المرحلة الرابعة واهتمت الدراسات بتأثير الاعلام في الاطفال ودراسات القائم بالاتصال وكذلك دراسات وابحاث عن المقروئية واستهلاك وسائل الاعلام المختلفة من قبل الجمهور.

- و حاليا تتجه البحوث نحو دراسات الجمهور وتمثالتها وعلاقتها بالإعلام الجديد.

- هذا بالنسبة للبحوث والدراسات اما التكوين فإن "نظرة سريعة لطبيعة البرامج الدراسية التي كانت تدرس في مجال الاعلام والاتصال خلال الثلاثين سنة الماضية، تبين بوضوح أسباب القصور في عدم تطور نظريات الاعلام والاتصال، لتكون مثل غيرها من النظريات في العلوم الاخرى، لقد كانت الأقسام العلمية المتخصصة لطلاب المرحلة الجامعية، بل تجاوز الأمر ذلك إلى تدريس غير المتخصصين في الاتصال مثل هذه المهارات، ولا شك أن التركيز على مثل هذا النوع فقط جملة المجالات الاكاديمية المتعلقة بالاتصال ساعد في تكوين صورة نمطية سلبية لدى الأقسام العلمية الأخرى عن الأقسام الاتصالية، مؤداها أن المتخصصين في هذا الفن هم مدرسو مهارات اتصالية وليسوا باحثين.¹⁷

- **المحور المنهجي:** يقول بيرجر إن الملاحظ لبحوث الاتصال يدرك أن من كتب هذه البحوث هم مهرة في استخدام الطرق الحديثة لجمع البيانات والمعلومات وتحليلها، وان الباحثين في مجال الاعلام والاتصال تلقوا تعليمهم في جامعات مشهورة ومعروفة بقوة أقسامها العلمية في هذه المجال، وفي الفترة نفسها شهد حقل الاعلام والاتصال تطبيقات متعددة لهذه الطرق الاحصائية الجديدة التي تتعامل مع المعلومات المتعلقة ببحوث الدارسين فيه... على الرغم من استخدام الباحثين في مجال الاعلام والاتصال للطرق الاحصائية في تحليل البيانات ومعالجتها فإن هذه الطرق لم تسهم في تأسيس إطار نظري يرقى إلى مستوى تمكن هؤلاء الباحثين واهتمامهم بتلك الأساليب الاحصائية الحديثة

- **الخوف من المسؤولية:** ويعني بيرجر بالخوف من المسؤولية... ان بناء النظرية وتأسيسها يعد مغامرة علمية، فالباحث عند اقتراحه لنظريته يضعها على محك والنقد والتقويم، واختبار فروضها وتطبيقاتها، وتدقيق نتائجها، وهناك احتمال كبير بأن نتائج اختبارات الغير لفروض النظرية التي توصلت إليها قد تكون سلبية، إي عدم قابلية تصديق ما توصلت اليه، هذه الاحتمالية - وبخاصة إذا نشرت النظرية في الكتب أو الدوريات العلمية، تمثل تهديدا لشخصية من اقترحها وانتقاصا من ذاته العلمية، وهذا ما يجعل معظم الباحثين يتخوفون من تبعات اقتراح نظريات جديدة في دراسات الاعلام والاتصال. وهو السبب نفسه في ان كثيرا من هؤلاء يسلكون الطريق السهلة، وهي اختبار فرضيات الآخرين دون محاولة اقتراح نظريات جديدة ليبتعدها عن النقد

الأكاديمي لذواتهم العلمية، ولذلك يقول بيرجر إن اختبار الفروض البحثية لنظريات قائمة أقل مخاطرة، من المنظور الأكاديمي، من تحمل تبعات اقتراح نظريات جديدة وهو سبب رئيسي في إحجام كثير من الباحثين في مجال الاعلام والاتصال عن محاولة توجيه جهودهم العلمية ودراساتهم الأكاديمية نحو البناء والتأسيس لنظريات جديدة في الاعلام والاتصال.¹⁸

2- علوم الاعلام والاتصال / الدراسات الاعلامية في الوطن العربي

إن الاتصال كواحد من العلوم الوضعية ليس له إرث فكري اسلامي، كما هو الحال في العديد من العلوم الأخرى كالرياضيات والفلك والطب، فمعظم تلك العلوم لها قواعدها العلمية الاسلامية، إذ أسهم المسلمون الاوائل في بناء فكرها او لعبوا دورا في تطوير مناهجها وأدواتها. فالاتصال هو أحدث العلوم الاجتماعية السلوكية نشأة وأكثرها غربة عن الفكر الاسلامي، مقارنة مثلا بعلم الاجتماع الذي أسهم فيه ابن خلدون بشكل كبير وملفت أو علم النفس الذي أرسى قواعده ابن تيمية. العالم العربي لم يقم إلا بإعادة الانتاج، انتاج نماذج الأخر -الغرب- وقراءة أوضاعه وخصائصها بعيون هذا الأخر ابتداء من المسميات وصولا إلى الشبكات المفهومية والرؤى التي يصدر عنها، سواء في الحقل الاتصالي الاعلامي أو غيره من الحقول، وقد أثرت هذه الوضعية كثيرا سواء من ناحية التنظير والبحث العلمي في هذا الحقل، وذلك لمجموعة من الاسباب .

2-1- بين التأمل والتجريب

لقد تناول العديد من الباحثين والاكاديميين العرب مسائل ومشكلات حقل اختصاصهم بالتفكير والممارسة، وذلك ضمن إطار مرجعي يقوم أساسا على مقاربتين:¹⁹

ا- المقاربة الاولى: التي يمكن وصفها بالمقاربة التأملية أو المجردة دون ان تكون نظرية تماما وذلك نتيجة لعدم اعتمادها مرجعية نظرية ملائمة تساعد على قراءة واقعا الخصوص في المجتمع ووثيقة الصلة بموضوع البحث، ونظرا كذلك لعدم تجذرها في المكان والزمان، إذن هذه المقاربة تشتغل وفق رؤية تقوم على منطق مجدد متجاهلة عن قصد او دونه أهمية السياقات الاجتماعية _الثقافية، وكأنه بإمكان هذه المقاربة أن تدرس وقائع الاعلام والاتصال وظواهر خارج سياقاتها الخصوصية.

أ- المقاربة الثانية : تحمل صفة " التجريبية " او الامبريقية والتي تقيم مسائل الإعلام والاتصال انطلاقا من معطيات كمية، يتم تجميعها دون اتباع خط منهجي صارم، وهي تفتقد إلى اية كثافة دلالية، مغيبة بذلك الأبعاد الأخرى غير المادية للوقائع الميديايتيكية، الأبعاد المرتبطة بإنتاج المعنى متمظهرة في أشكال (علاقات ورموز وقيم وصور وتمثلات وكليشيهات مقبولة. .. الخ).

و هاتان المقاربتان أصبحتا بمثابة الطابع المرئي للبحوث والدراسات العربية في حقل الإعلام والاتصال.

2-2- مميزات الدراسات والبحوث الاعلامية والاتصالية في الوطن العربي

أذا تتميز الدراسات والبحوث العربية في الاعلام والاتصال المبنية على هاتين المقاربتين بما يلي:

1- **غياب الأصالة والابداع** : ويقصد بالأصالة في البحث العلمي تميز الأفكار الواردة في البحث بالجدة والأهمية العلمية، وتميز الباحث بالاستقلال الفكري ومعايشته الواقع، وتظهر الأصالة في اختيار فكرة البحث أو مشكلته، وفي اسلوب معالجتها، وفي الامثلة والتطبيقات التي يوردها الباحث، وفي النتائج التي توصل إليها والمقترحات التي يقدمها للمساهمة في علاج مشكلة ما، ويقصد بالإبداع تلك القدرات الذهنية العالية التي يتمكن الشخص بواسطتها من مد المجتمع الذي يعيش فيه بأفكار أصيلة متميزة، وهو بهذا مرادف للابتكار²⁰ ويفتقر إلى الاصالة ذلك البحث "الذي يعج بالأفكار، حيث يكون الباحث معجبا بالفكر الاجنبي، لمجرد انه اجنبي مهما كان مضمونه او محتواه، ومهما تضمن من تصورات أو تطبيقات لا تمت إلى الواقع العربي بصلة وهنا نجد بعض هؤلاء الباحثين يسلم بما ورد في المراجع الاجنبية من افكار دون محاولة لمناقشتها، في الوقت الذي تكون فيه تلك الافكار محل نظر، وتحتاج إلى تنفيذ ونقاش، بل قد يضرب الأمثلة ويورد التطبيقات من هذا الفكر الاجنبي دون اية محاولة من جانبه لمواءمة هذا الفكر لبيئته أو لإعادة صياغته بما يتلاءم مع الواقع الذي يعيشه ويمارس بحثه العلمي فيه"²¹ فانتشر النقل أو التقليد الآلي او شبه الآلي لنماذج ونظريات ومناهج في مجالات "البحث النظري" والتي أنتجت مجتمعات غربية في عدة مراحل متتالية من تاريخها، بهدف الاجابة عن اشكاليات محددة وذات خصوصية طرحتها تلك المجتمعات الغربية عنا وفي مراحل متعددة من تطورها. وهنا ينطبق على الباحث القول المأثور: "العود في أرضه نوع من الحطب" حيث ينبهر بالغير ويهمل ما يمتلك ولو كان هذا الاخير اكثر غنى وقيمة. ونحن لا ننكر ما في الفكر الاجنبي من فائدة وتطور ولكننا نعييب ذلك النقل غير الواعي سواء نقلا حرفيا او غير حرفي.

2- **اعتماد نظريات أو مناهج في مجالات "البحوث الامبريقية"**، والاكتفاء بوصف مضامينها: وذلك "بانتهاج منحى يجنب ادراجها ضمن اطار معقد يأخذ بعين الاعتبار المنطق الداخلي لاشتغال كل منها، وهذا يعني طرح السؤال الجوهرى المتمثل في معرفة ظروف ونشأة وتتابع هذه النظريات أو المناهج".²²

3- **اضفاء القيم الغربية عليها واعطائها تصورات يتفق وطبيعة النظرة الغربية للإنسان ووظيفته وعلاقته بخالقه:** فقد توصل الغرب لاكتشافات كبيرة جعل الناس

يفتنون ويظنون أن كل انتاجه علمي ومتكامل وبناء، وهو ما جعلهم يصفون صبغة العلمية على آراء وتصورات الفلاسفة والمفكرين الغربيين بدون تمحيص كبير وعميق لهذه الآراء.²³

إذن فهذه البحوث تفتقد إلى تقاليد المسائلة النظرية القائمة على التجذير والنقد، فهي بحوث أكاديمية _ عربية _ "تفكر في مشكلات الاتصال ووقائعه دون انشغال واضح ودائم في وضعها ضمن أطر المكان والزمان والنظرية، وهذا يعني عدم ادراج هذه المشكلات والوقائع في سياقات جغرافية وبشرية وثقافية وزمنية مختلفة تراعي خصوصيات المجتمعات المحلية والجماعات الاجتماعية والجهات الثقافية والمجتمعات الكلية والأمم".²⁴

4- **تشنت اتجاهات الباحثين العرب:** في مقال كتبه محمد حمدان في المجلة التونسية لعلوم الإعلام والاتصال²⁵ أوضح أن اهتمامات العرب الباحثين في ميدان الاعلام والاتصال كانت متباينة ومشتتة فهي موزعة بين الأبحاث النظرية والابحاث التطبيقية، وبين المناهج التوثيقية والمناهج الميدانية، وبين مختلف وسائل الاعلام، بدون بروز أولويات استراتيجية واضحة في البحث، وأقر أنه لا يمكن الحديث عن مدرسة عربية متميزة في الاعلام والاتصال في هذه الوضعية.

2-3- أسباب هذه الوضعية

لماذا يغيب الفعل المعرفي التراكمي في هذا الحقل رغم مرور وقت ليس بالقصير على وجود مؤسسات أكاديمية وبحثية؟ ولماذا تغيب إدارة المعرفة عن هذا الحقل وتسود عقلية "القراءات" الانشائية التي تتوسل باللغة العربية لممارسة كل انواع التسطيح؟ هل نقول ان اهتمامات الباحث العربي عموما مازالت تتمركز حول " تحصيل الاقوات من الحنطة وغيرها".²⁶

1- **غياب العقل الاعلامي العربي:** أن هذه العوائق كثيرة لا شك، وهي تتوزع بين الثقافي والاجتماعي والمؤسستي ولكن العائق الأكبر في نظرنا يتمثل في الباحث نفسه. ويظهر ذلك في :

2- **حجة أن العلم لا وطن له:** "فالعلم في مستواه العقلي لا يحمل جنسية أو عقيدة معينة، فالمعرفة واحدة والعلم واحد مهما كان مصدره، وفي هذه العملية هناك تراكم في المعارف الإعلامية بدءًا بظهور الصحافة في القرن 16 بأوروبا مرورًا بتطور علم الإعلام في العشرينيات من القرن العشرين بأمريكا إلى سيادة تكنولوجيا الاتصال حديثًا. ومن جهة أخرى، فإن البحث عما يميز الإعلام في المنطقة العربية أمر مشروع ومطلوب. والحاصل أن الثنائية التي تحدث عنها بعض الكتاب والباحثين من أن النخبة في المنطقة العربية إما أن تكون تقليدية دون المعاصرة أو حديثة دون الانتماء ماثلة إلى حد ما في الدارسين الإعلاميين عندنا".²⁷

3- غياب روح المبادرة والابتكار لدى الباحث العربي: "الذي لا يتجاوز أفقه ساعات "تدرسية" يفتضيها في ترديد مقولات تجاوزها الزمن وتقترب من الدوغمائية أكثر من اقترابها من العلم، أو "القيام" بدراسات تحتل فيها الجداول الاحصائية المنزوعة من سياقاتها الحيز الأكبر، وتغيب عنها الصرامة العلمية، صرامة العقل البرهاني وتحضر فيها انشائية العقل السردي، وإذا سألت احدهم أو احدهن عن سبب هذا الحضور الطاعي للتسطيح واستبعاد العقل، أجابك أو إجابتك بأنها مقتضيات الترقية.²⁸

4- عدم كفاية التقدير المالي أو الأدبي للباحث: قد يكون هذا من اهم اسباب هبوط مستوى البحث العلمي في بعض البلاد العربية، حيث يتعرض رجل العلم لضغوط مالية كبيرة نتيجة عدم كفاية التقدير المالي، او العائد المالي لإنتاجه العلمي، والعمل العلمي يحتاج فضلا عن المعرفة والعلم إلى راحة البال وصفاء الذهن من المشكلات.

29

5- الفجوة بين التكوين والبحث العلمي الأكاديمي في حقل الإعلام: من المعروف أن التكوين الأكاديمي والبحث العلمي مجالين من الصعب التوفيق بينهما فلا بد ان يطغى احدها على الآخر، ومن الملاحظ أن معاهد الاعلام والاتصال في الوطن العربي عموما كان همها منذ نشأتها الاولى هو تلبية حاجات السوق الصحفية، و"إن نظرة سريعة على المقررات الدراسية ومضامينها في كليات ومعاهد وأقسام الاتصال والاعلام في العالم العربي توحى بترهل أغلبها وعدم مساومتها للواقع".³⁰

وقد اتجه قسم من بلدان العالم العربي إلى الاخذ بالتقليد الأنجلو سكسوني في مسميات ومقررات ومحتويات برامجها الدراسية الاعلامية والاتصالية لأسباب كثيرة ربما يرتبط أهمها بالإرث الاستعماري والوظيفة الايديولوجية للفضاء الاكاديمي عموما وقسم ثاني تبنى " النموذج" الفرانكفوني في التسمية والمحتوى المعرفي لأسباب لا تختلف كثيرا من الاسباب السابقة، وقسم ثالث زواج بين المنظومتين، بل ربما انحصر الأمر غالبا في مسميات البرامج الأكاديمية التي تعكس هذا الجمع ولا تتجاوزه إلى غيره. وقد يرجع سبب التقليد الغربي إلى طبيعة المنهج المدرس وما تلقاه الباحثين أثناء فترة الدراسة من مساقات ومواد تهيمن عليها السمات الفكرية الغربية.

6- ضعف المستوى العلمي التعليمي: إما لعدم الاستناد على أسس علمية في التخطيط لسياسات التعليم، وإما لوجود معوقات تحول دون وضع السياسات التعليمية السليمة موضع التطبيق الصحيح (مشكلة الاعداد الكبيرة للدارسين في بعض الجامعات العربية تحول دون تنفيذ برامج هذه السياسات، وان وضعت على أسس دقيقة).³¹

أن ازدهار الصناعات الاعلامية في هذا العالم العربي والحاجة إلى كوادر إعلامية تمتلك كفايات مهنية بعد حصول الدول العربية على استقلالها، دفع بالقائمين على أموره إلى التساوق مع هذا الوضع وانشاء الكثير من الكليات والمعاهد والاقسام

المتخصصة في الدراسات الاتصالية والاعلامية، وقد وفرت هذه المجلات الأكاديمية على اختلاف مسمياتها ومرجعياتها، مقررات دراسية تتوزع مضامينها بين الصحافة والإذاعة والتلفزيون والعلاقات العامة، وكل ما يتصل بالإعلام الجديد وقد كان رهانها منذ البداية تزويد الملتحقين بها بكفايتين متكاملتين أدبية – مهنية من خلال التحكم في قواعد الكتابة الاعلامية وتقنية – مهنية من خلال اتقان استخدام التكنولوجيا في العمل الاعلامي، وقد تفاوت نجاح هذه المؤسسات فمنها من بنى نفسه رأسمال رمزي وصورة ذهنية جعلتاه مقصدا للكثير من الطامحين إلى ممارسة العمل الاعلامي بكل تفرعاته ومنها من تكاسلت رؤيته وانقطع عن حركية الواقع فأصبح دوره لا يتعدى الدفع بالآلاف سنويا إلى سوق البطالة.

7- ضعف التكوين الثقافي والعلمي للطالب: ومن الملاحظ بعض المجتمعات أن بعض خريجي الجامعات يفتقدون إلى الثقافة، ويمكننا القول لأن بعض خريجي الجامعات في العالم العربي اليوم تقتصر ثقافته على بعض المعرفة النظرية او العملية في مجال التخصص فقط، وقد يكتفي بالأصول العامة للتخصص، دون التعمق في جزئياته.³²

8- قلة المراجع باللغة العربية ونقص حركة الترجمة: ومن المعلوم أن المراجع العربية في المواد الاعلامية قليلة جدا، نظرا لمتطلبات البرامج الدراسية، "و قد قامت في العشرة الاخيرة جماعة من العرب مثل ابراهيم أمام وعبد اللطيف حمزة وجبهان أحمد رشتي وغيرهم بوضع كتب عن ظاهرة الاتصال ووسائلها وهي كتب ثمينة تزود الطالب بمعلومات جمة حول الموضوع وتعرفنا بنشاط هذا العلم في الغرب وفي الولايات المتحدة، وكثيرا ما تعتمد هذه الكتب في عروضها وشروحها على الاستنتاجات والاكتشافات التي توصل إليها أخيرا علم النفس الاجتماعي والدراسات التي وضعت عن الرأي العام وهذا المنهج جعل هذه الكتب تركز اهتماما أكثر على الدعاية وأساليبها وأهدافها وتنظر إلى وسائل الاتصال كركائز للدعاية وتهتم من جهة أخرى على الراي العام وعلى ماهيته وعلى طرق التأثير خاصة بوسائل الاتصال، فأصبحت هذه الوسائل في نظر هؤلاء العلماء مادة ثانوية في دراستهم في حين أن الدراسات الاعلامية في الغرب بدأت منذ قبيل الحرب العالمية الثانية تستقل عن علم النفس الاجتماعية وتكون علما قائما بنفسه له اهتماماته الخاصة وميدانية الخاص متجاوزة في ذلك مرحلة الاتصال الشخصي ومكثفة جهودها حول الاتصال الجماهيري ووسائله.³³ زيادة على ذلك غياب المؤسسات التي تتبنى المبادرات.

9- رهانات جديدة تعترض البحوث الاعلامية والاتصالية في الوطن العربي: وهناك أيضا قضايا مرتبطة بالرهانات النظرية والمنهجية المتصلة بدراسة الظواهر الجديدة كتجديد المفاهيم وإعادة النظر في المقاربات النظرية السائدة وابتكار منهجيات جديدة. ومن بين التحديات المطروحة أمام الاتصاليين الراغبين في ارتياد درب التأصيل :

تحديات العولمة وافرازاتها التي أُنذر بها المفكر الكندي " مارشال ماكلوهان " حين نظر إلى قرب توحيد العالم في قرية تغيب فيها معالم الخصوصية الثقافية، وتتلاشى خطوط التباين السياسي وتتداخل المجتمعات رغم تباعدها الجغرافي المكاني نفسه. وإن كان هذا هو واقع الاعلام والاتصال في العالم العربي، كيف هو حاله في الجزائر؟

3- وضعية علوم الاعلام والاتصال في الجزائر

3-1- التطور التاريخي لهذه العلوم في التعليم العالي الجزائري

تعتبر الجزائر من الدول العربية الرائدة في مجال تدريس الاعلام في المرحلة الجامعية، وتشير الإحصائيات إلى " وجود أكثر من 15 قسم لعلوم الاعلام والاتصال بمختلف الجامعات الجزائرية إلى جانب مدرسة وطنية عليا للصحافة وعلوم الاعلام التي تم فتحها في السنة الجامعية 2009/2010، هذا بالإضافة إلى بعض المدارس التي بدأت التدريس في هذا القطاع"³⁴ ولكن ما هي اهم محطات هذا القطاع منذ الاستقلال إلى يومنا هذا؟

بعد استرجاع السيادة الوطنية ومقوماتها اهتمت الدولة الجزائرية المستقلة بقطاع الإعلام، والذي يظهر من خلال التشريعات والنصوص المختلفة، وإعادة هيكلة مختلف المؤسسات الاعلامية -باعتبارها احد القطاعات الاستراتيجية- بالطريقة التي توافق واتجاهات السياسة العامة للبلاد آنذاك. حيث اقترنت فلسفة التدريس الاعلامي بمخطط بناء الدولة الاشتراكية، وبرزت ضرورة إيجاد مؤسسة تتكفل بالتكوين والتدريب الاعلامي وتحقق ذلك سنة 1964، فبعد عامين من استقلالها شهدت الجزائر ميلاد المدرسة الوطنية للصحافة، واهتمت هذه المدرسة بتكوين اعلاميين مهنيين دون الاهتمام بالتنظير، وقد ظلت هذه المدرسة لمدة ثلاثة عقود المكان الاوحد لتدريس علوم الصحافة والإعلام، حيث انطلق التدريس في بأعداد محدودة من الطلبة وذلك لعدة أسباب في مقدمتها نقص التأطير وقلة الامكانيات، وبدأ التكوين باللغة الفرنسية (أساتذة فرنسيين، بلجيكيين وأفارقة) وذلك بحكم الظروف التاريخية، فالهدف الاساسي من هذه المدرسة هو تخريج كوادر اعلامية تملأ الفراغ الاعلامي الموجود آنذاك من جهة ومن جهة اخرى تكوين مناضلين مدافعين عن الاشتراكية في مدة ثلاث سنوات دراسية للحصول على الليسانس.

وقد بدأ الاهتمام بالبحث والتكوين الأكاديمي العالي في منتصف السبعينات، وشهدت تلك الفترة بداية البعثات الطلابية إلى الخارج للحصول على الشهادات العليا في الاعلام والاتصال.

وتتميز التكوين بالنوعي والنخبوي: إذ تميزت المديرية بالأعداد القليلة وتميزت الدفعات الاولى بتكوين عال وجيد في الاعلام والتي تقلدت لاحقا مسؤوليات وقيادات في مختلف المؤسسات الاعلامية، وهي الحالة التي لا نجدها الان نظرا لحالة التشعب التي تميز هذه الفترة.

وفي عام 1974 تم دمج المدرسة الوطنية للصحافة مع معهد الدراسات السياسية لينشأ معهد العلوم السياسية والاعلامية تحت وزارة التعليم العالي وتميزت هذه المرحلة بأن اصبحت مدة الدراسة الجامعية لنيل الليسانس أربع سنوات سنتين جذع مشترك وستين تخصص. وذلك بهدف السيطرة عليها بشكل افضل، كما تميزت هذه الفترة بالتعريب وارسال البعثات الطلابية إلى الخارج.

وقد تم فك الارتباط بين التخصصين الاعلام والسياسية حيث "بداية من الدخول الجامعي 1983/1982، اصبح التكوين في الجزائر يتم بمعهد علوم الاعلام والاتصال، ومن خلال التسمية الجديدة نلاحظ تطور منظور القائمين على التكوين الاعلامي...³⁵ وتعتبر هذه الفترة من أبرز مراحل التكوين الاعلامي في الجزائر منذ استقلالها، حيث تميزت بالتعريب الكامل للتدريس، والاعتماد على الكوادر الجزائرية، وخاصة بعد عودة البعثات الطلابية من الخارج، كما تميزت بديمقراطية التعليم ومجانيته، ولكن ظلت صفة النضال والالتزام بالاشتراكية ترافق التكوين الاعلامي.

ثم انتقلت علوم الاعلام والاتصال من تخصص نخبوي إلى تخصص جماهيري مع مجيء فترة التسعينيات التي جلبت معها جملة من التغييرات التي مست العديد من المجالات ومنها التعليم العالي.

وبالتحديد سنة 1999، أين الغي نظام المعاهد وحل مكانه نظام الكليات والأقسام، "وكانت البداية مع جامعة عنابة في الشرق الجزائري التي حاولت في البداية أن يتميز التكوين في الاتصال بالاهتمام بالعلاقات العامة والاتصال في التنظيمات، ثم فتح قسم الاعلام والاتصال في جامعة وهران بالغرب الجزائري، فجامعة مستغانم، ثم جامعة قسنطينة بالشرق الجزائري، وفي فترة وجيزة تعددت أقسام التدريس للإعلام والاتصال في الجامعات الجزائرية... هذا التوسع أدى إلى بداية نهاية بريق التكوين في مجال الصحافة والاعلام والاتصال، والأسباب كثيرة في مقدمتها³⁶:

- تشتت القدرات في مجال التأطير: ففتح اقسام جديدة أدى إلى التحاق بعض أساتذة هيئة التدريس لهذه الاقسام وهو ما أدى إلى تشتت الطاقات وهدر الامكانيات التي كانت بحوزة القسم الاصل بجامعة الجزائر، ففتح اقسام جديدة للإعلام والاتصال بشكل متسرع وغير مدروس الامر الذي أوقعها في مشكلات متعددة على راسها الافتقار للكفاءات المؤطرة والوسائل المساعدة للتدريس والتكوين.
- افتقار العديد من الاقسام إلى وسائل اعلام محلية للتدريب وتوظيف الخرجين.

• تواجد الأقسام في كليات غير متجانسة، فبعض الأقسام في كليات الآداب واخرى في كليات العلوم الانسانية والاجتماعية، او العلوم الاقتصادية والحقوق وهذا ما جعل اقسام الاعلام الفتية تعاني التهميش مقارنة بالأقسام الاخرى المتواجدة منذ عشرات السنين

• أما الجوانب الايجابية التي ميزت التكوين في هذه المرحلة فتكمن في توحيد البرامج على مستوى جميع الأقسام في القطر الجزائري.

ومن ثم تأتي مرحلة جديدة مع النظام الجديد ل.م.د.: في اطار اصلاحات التعليم العالي تبنت الجامعات الجزائرية نظاما جديدا (ل.م.د) وهي اختصارات للأطوار الدراسية الليسانس، (فترة ثلاث سنوات) الماستر(سنتين) والدكتوراه (ثلاث سنوات دراسية)، وهو نظام مستوحى من النظام التعليمي الأوروبي، وقد مس هذا النظام جميع الأقسام العلمية ما عدا العلوم الطبية والصيدلة والشبه طبي، وبعض المدارس العليا.

وقد شرع في تطبيق هذا النظام في علوم الاعلام والاتصال منذ السنة الدراسية 2006/2007 في مختلف الجامعات الجزائرية، وفي مختلف التخصصات في مقدمتها الاعلام والاتصال، ويمكن تحديد تموقع التكوين الاعلامي في هذا النظام في النقاط التالية:³⁷

• عدم اعتبار علوم الاعلام والاتصال حقلا معرفيا مستقلا بذاته.

• تغييب السنة أولى من خلال دمجها ضمن العلوم الاجتماعية و/ أو الانسانية وهذا على حساب مواد ومساقات مهمة في الاعلام والاتصال.

• تقليص فترة الدراسة إلى ثلاث سنوات وهو ما يجعلنا نتساءل عن إمكانية ان يلم الطالب باختصاصه في هذه المجال، وفي هذه المدة القصيرة مع الاخذ باعتبار السنة أولى جذع مشترك.

• نظام ل.م.د يتماشى مع الاعداد المحدودة من الطلبة، وليس مع أعداد الطلبة التي تتزايد كل دخول جامعي. فانتقل التكوين من النوعي إلى الكمي ومن النخبوي إلى الجماهيري، فقد " تجاوز عدد الأقسام الخمسة عشرة قسما، وناهز عدد الطلاب الـ 20000 طالب منهم 8000 بقسم الاعلام والاتصال بكلية العلوم السياسية والإعلام بجامعة الجزائر"³⁸ وهذا في ظل نقص التأطير والمختصين أمام الاعداد المتزايدة من المنتسبين لهذا الميدان المعرفي.

"ان نجاح التدريس الاعلامي في الجزائر مستقبلا يتوقف على مدى الوعي بخصوصية التكوين في هذا الحقل وبتقسيم شامل لمخرجات التكوين في العشرية الاخيرة وتصحيح الاخطاء التي ميزت التجربة وإعادة بعث هذه الميدان"³⁹.

3-2- نظرية عزي عبد الرحمن كأحدى أهم نماذج التأصيل الفكري العربي

قد ظهرت حديثاً نظرية جديدة في الاعلام والاتصال تحت مسمى: نظرية الحتمية القيمة في الإعلام - لصاحبها الجزائري عزي عبد الرحمن، ويجدر التذكير بأصالتها كنظرية عربية جزائرية في الاعلام، فبالرغم من كل هذا الانسداد المعرفي بزغت هذه النظرية التأصيلية، وكانت هذه التجربة المعرفة الأولى من نوعها في الوطن العربي التي "تجعلنا نتجاوز الموقفين الطرفين، الأول الذي يتعلق بالإسقاط غير الواعي للنظريات الغربية والثاني الرفض غير المبرر، فكانت هذه النظرية مخرجا موضوعيا تملأ الفجوة المعرفية التي تعاني منها الدراسات العربية والإسلامية، خاصة في مجال علوم الإعلام، ومن بين المشتركات الإنسانية الاتفاق على القيم كأرضية للإنتاج العلمي والمعرفي⁴⁰.

4 - ضرورة التجديد للوصول إلى مدرسة عربية متميزة في الاعلام والاتصال

إن حاجة هذا القطاع إلى الدرس المعمق والتفكير الحثيث والنظر البعيد تتأكد يوماً بعد يوم⁴¹ وكذا " تقديم رؤية تأصيلية مميزة في الوطن العربي ولتجاوز مرحلة اجترار وتقليد الابحاث الغربية ونكون فاعلين في تقديم الاضافات العلمية التي تتماشى وواقعنا وتستجيب لحاجياتنا⁴² ومن أجل إرساء علوم الإعلام والاتصال على قواعد فكرية شديدة الصلابة ومتكيفة مع خصوصية مجتمعاتنا، تمكنها من الصمود والبقاء وحتى التطور، وذلك من خلال :

1- ضرورة الأصالة: من المفروض أن يتضمن البحث العلمي أفكاراً جديدة تعد إضافة جديدة إلى الفرع العلمي الذي ينتمي إليه موضوع البحث، وليس الجديد ان تكون الافكار مبتكرة تظهر لأول مرة، أو في صورة اختراع معين، إذ الابداع والابتكار على هذا النحو، مطلباً صعباً لتحقيق في مختلف البحوث، وبخاصة فيما يجري منها في مجال العلوم الانسانية والنظرية، ولذلك فإن ما يحققه البحث العلمي من إضافات، وان لم تصل إلى حد الابتكار او الاختراع، قد تكون كافية للقول بأصالة البحث سواء تمثل ذلك في تكميل ناقص أو في إيضاح مبهم، أو ترتيب مختلط..⁴³

2- ضرورة إعادة القراءة والتأمل والمسائلة: على معاهد الإعلام والمجتمعات العربية ومراكز البحوث للتعاون فيما بينها لإعداد ملخصات مسحية شاملة للبحوث المنجزة في مجالي الإعلام والاتصال وتقييمها وإبراز مواطن الضعف فيها لتجاوز هذه الوضعية، فمثل " هذه الظواهر الضارة كما تحتاج إلى مثل هذه الدراسات التحليلية الانتقادية تحتاج بشدة إلى المزيد من الدراسات العلمية المتأنيبة المعتمدة على الدراسات المسحية والاحصائية، حتى يمكن اقتراح اوجه العلاج الملائمة على اسس علمية دقيقة⁴⁴، وهذه هي مهمة مراكز البحوث المتخصصة.

3- في ضرورة التأريخ للإعلام والاتصال في الوطن العربي: و إن تاريخ الاعلام والاتصال في العالم العربي لم يكتب بعد رغم نصف قرن تقريبا من وجود هذه العلوم إراديا ومؤسساتيا، ويتجلى ذلك خاصة عبر تجربة مصر الممهدة، وبدون كتابة تاريخ هذه العلوم في مرحلة قادمة. .. تاريخ مؤسس يستند أولا أساسا إلى ثقافات مجتمعاتنا، ثقافات مفتوحة على مرجعيات أخرى غير عربية، وعلى سياقات وتيارات فكرية، فقد تندثر هذه العلوم، إن عاجلا أو آجلا في هذه المنطقة الشاسعة من العالم لا كواقع علمي، وإنما كمجرد ظاهرة إدارية مؤسساتية.⁴⁵

4- في ضرورة التجديد النظري والمنهجي: يجب أن نتعامل مع بحوث الإعلام والاتصال الغربية كتراكمات معرفية ظهرت للمبررات موضوعية واقعية، فيجب التعامل معها كما هي وفي إطارها المنهجي، ولا يجوز إخراجها من ذلك الإطار، مع التأكيد على انه لا يمكن إبدال نظرية بنظرية، بل من الواجب تغيير نظرية بحقيقة علمية، أما النظريات فهي عبارة عن تراكمات معرفية إنسانية يجب الاستفادة منها والتفاعل معها وتقييمها ونقدها وكل ذلك من خلال الحراك والجدل العلمي المفيد دون عقد وفوييا وهمي، كما يجب البحث عن المنطلقات والمبادئ التي تقوم عليها النظرية، والبحث عن العوامل المشتركة التي تليق بالأمة العربية⁴⁶ وخاصة مع التطورات المتلاحقة لتكنولوجيات الاعلام والاتصال وفي مقدمتها ثورة الانترنت والوسائط الاعلامية الجديدة، وعليه يجب "تجديد الجهاز النظري والمنهجي الذي وظفه الباحثون لدراسة الظواهر الاعلامية والاتصالية، فالانشغال بالممارسات ذات الصلة بالوسائط الجديدة تفتح لأفاقا جديدة إلى الباحثين خاصة في مستوى إعادة التفكير في المفهوم. .. ومن هذا المنظور فان التفكير في الانترنت يتيح بلورة أطر نظرية جديدة، إذ لا يتعلق الامر بمجرد بلورة مناهج جديدة بل تتجاوز ذلك إلى بلورة مفاهيم وأطر نظرية جديدة وإعادة التفكير في المقاربات السابقة والسائدة.⁴⁷

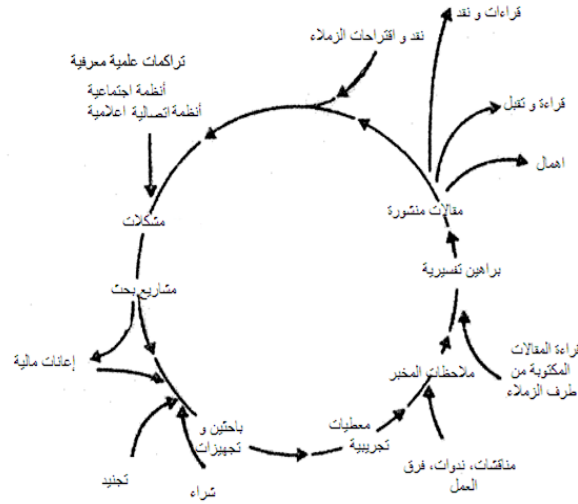
5- ضرورة التفكير المتزامن والتحديث الآني: على الباحثين والدارسين في هذا المجال المتعدد التخصصات أن يكونوا أكثر اهتماما بالتحويلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية والسياسية التي تشهدها مجتمعاتنا العربية وربط هذه التغيرات بكيفية التعامل مع تكنولوجيات الإعلام والاتصال الكثيرة التحديث والسريعة الانتشار والتأثير.

6- ضرورة حشد الطاقات والتعاون والتثمين والنقد البناء: حشد طاقات فكرية ومادية هائلة على امتداد سنوات طويلة ضمن خطة محكمة، فالبحث العلمي بشكل عام يحتاج إلى فضاء جماعي يعمل على تثمين البحوث من خلال التواصل والتبادل والنقاش والنقد وحتى النشر الجماعي كالكتب الجماعية حول مختلف الإشكاليات، والمجلات العلمية المتخصصة، والجمعيات والمؤتمرات العلمية وكذا المشاريع

العلمية الكبرى التي تتيح فرصة الحصول على معطيات تجريبية توظف في مختلف البحوث. وبداية يجب " تثمين الجهد الذي قام به الدكتور عبد الرحمان عزي وتبني هذه النظرية من قبل المؤسسات الرسمية والأكاديمية من خلال توجيه الطلبة لدراساتها وتحليلها في بحوثهم.

7- ضرورة اتباع خطة ممنهجة لدراسة الظاهرة الاعلامية والاتصالية في المجتمعات العربية:

تأسيس طريق منهجية علمية متفق عليها في علوم الإعلام والاتصال، ويجب تطوير البحوث والدراسات من اجل تحقيق مدرسة متميزة في هذا الحقل، ومن أجل بناء المعرفة العلمية في مجال الاعلام والاتصال، نقترح هذا المخطط المستوحى من دور المعرفة لـ " كالون " Callon في كتابه "دورة انتاج المعرفة العلمية "



مخطط(01): دورة انتاج المعرفة العلمية في مجال الاعلام والاتصال

خاتمة:

تلعب البحوث العلمية وتطبيقاتها التكنولوجية دورا مهما في تطور رفاهية المجتمع في اي دولة، فالعلم هو مجموعة من المفاهيم والمبادئ النظرية ذات العلاقة النفعية للإنسان، ويمكن اعتبار إجراء البحوث العلمية مقياسا لتقدم هذه الدول ونموها الاجتماعي والاقتصادي، فالدول التي تعرف وتحسن كيف تطبق مخرجات البحث العلمي نجدها دائما تحتل مكانة الصدارة في مختلف المجالات، وتعتبر العلوم الإنسانية والاجتماعية من بين العلوم التي عرفت الكثير من النقاشات الحادة والأصوات المختلفة التي حاولت تفسير الظواهر الإنسانية والاجتماعية وتقديم نظرية شاملة تفسر

مختلف مراحل هذه الظواهر وتفاعلاتها ومخرجاتها، والإعلام والاتصال كحقل معرفي هو الأكثر تميزاً باختلاف زوايا الرؤى وبالتالي اختلاف النظريات العلمية المفسرة للظاهرة الاتصالية والإعلامية، نظراً لحدوث هذا الحقل المعرفي من جهة ولارتباط ظواهره بمختلف الظواهر الأخرى من جهة أخرى وكذا ارتباط التنظير في هذا الحقل بالتطورات التي عرفتها وسائل الإعلام والاتصال المتسارعة والمتلاحقة، فعجز التنظير عن اللحاق بها ومواكبة تطوراتها، وبالرغم من كل هذا فقد ظهرت العديد من النظريات منذ ظهور الصحافة المكتوبة وانتشارها في القرن 16، وقد تنوعت هذه النظريات واختلفت حسب اتجاهات الباحثين من الاتجاه الأميركي الأمريكي أو النقدي الأوربي، والاتجاهات المعاصرة التي تأخذ الجمهور منطلقاً أساسياً لها. ولكن ما يميز الساحة العربية لعلوم الإعلام والاتصال - حسب التعبير الفرنكفوني - هو ثنائية النقل أو الرفض، فإما الرفض القاطع وغير المبرر لكل ما هو غربي، وإما مجرد تطبيق فروض النظريات الغربية بدون أدنى اهتمام بالسياقات المختلفة التي ولدت هذه الفروض والسياقات العربية، نتيجة لعدة أسباب، كالانبهار من جهة والركود على أساس أن العلم لا يعترف بالحدود الجغرافية!! ولم تكن هناك قراءات متواصلة ومتجددة للإرث العلمي الخاص، كما هو الشأن بالنسبة للفلسفة اليونانية والفلسفة الأوربية الحديثة، الأمر الذي خلف بحوثاً ودراسات بعيدة عن الواقع الحقيقي للمجتمعات العربية، من جهة ومن جهة أخرى انتشرت مؤخراً السرقات العلمية، حيث غاب الوازع الأخلاقي "للباحث العلمي"، كما غابت أصول التفكير المنهجي في هذه البحوث والدراسات.

ولكن في الآونة الأخيرة تقطن العديد من الباحثين والدارسين العرب أنه يجب إعادة النظر في هذا المنحى الذي سلكته هذه العلوم وأنه من حق المنطقة العربية أن تزخر هي الأخرى بنظرياتها الخاصة في الإعلام والاتصال ولا سيما مع تطور وسائل الإعلام وزيادة أهميتها وإشكالاتها المختلفة والمتعددة في هذه البيئات العربية، وأنه يجب تأسيس مرحلة تاريخية جديدة بمنهجية صارمة ورؤية تأصيلية تجذيرية، ووضع بصمة متميزة في هذا الحقل العلمي. وبالتالي فإن تجاوز هذه الوضعية يتطلب بداية التخلص من عقلية "الحنطة" - كما وصفها ابن خلدون - واستغلال المرجعيات الفلسفية العربية - الإسلامية، على غرار الفلسفات الأخرى، أو ربما كان من الأفضل إقصاء كل هذه التعارضات والتعثر الذي يميز حقل الاتصال والبدء من الصفر كما اقترحا ماتيلار في كتابهما "تاريخ نظريات الاتصال" وعلى أية حال "يجب أن نؤمن بأن" باحثينا لهم من الكفاءة والشجاعة حتى يعيدوا النظر في الأبحاث الإعلامية والاتصالية الغربية المسلم بها، لنثبت نسبية ما جاءت به من نتائج وقدرتنا على تقديم الإضافة"⁴⁸ ومما لا شك فيه أن ارتباط الإعلام والاتصال بالتكنولوجيات دائمة التطور يؤثر على العلوم التي تتناولها بالتنظير والدرس، مما يجعل تتجدد في كل مرحلة ويظل باب الاجتهاد مفتوحاً باستمرار.

هوامش البحث:

- ¹ : عواطف عبد الرحمن: العرب... و فجوة العقل الاعلامي، مجلة العربي، العدد 566، جانفي 2006، متاح في: <http://www.alarabimag.com/Article.asp?Art=4312&ID=102>، اطلع عليه بتاريخ 20/09/2013، على الساعة 14.30
- ² : نصير بوعلي وآخرون: قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الاعلام، مكتبة أقرأ، قسنطينة، الجزائر، ط.01، 2009، ص.14.
- ³ : الصادق رابح :: عرض كتاب علوم الاعلام والاتصال واشكالية التكوين المهني في العالم العربي، دورية الشرق الاوسط، العدد 06، 2010، ص.01، متاح في <http://3awn.com/%D>، اطلع عليه بتاريخ 01-10-2013 على الساعة 10.00
- ⁴ : أرمان ماتيلار، ميشال ماتيلار ميشال: تاريخ نظريات الاتصال، تر. نصر الدين العياضي، الصادق رابح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط.03، 2005، ص.21.
- ⁵ : تيسير مشاركة : مدخل إلى الدراسات الاعلامية، منشورات بيت المقدس، رام الله، فلسطين، ط.01، 2002، ص.71.
- ⁶ : أرمان ماتيلار، ميشال ماتيلار ميشال: تاريخ نظريات الاتصال، مرجع سبق ذكره، ص.19.
- ⁷ : عبد الله الحيدري : الافتتاحية، المجلة التونسية لعلوم الاتصال، العدد 31، جانفي - جوان 1997، معهد الصحافة وعلوم الاخبار، منوبة، تونس، ص.06.
- ⁸ : بدر الدين زواقة:: علوم الاعلام والاتصال بين النظرية الاسلامية ونظرية الحتمية القيمية، متاح في : <http://diae.net/9443>، اطلع عليه بتاريخ 30-09-2013، على الساعة 15.00.
- ⁹ : مي العبد الله: نظريات الاتصال، مرجع سبق ذكره، ص.06.
- ¹⁰ : المرجع نفسه، ص.16-17.
- ¹¹ : المرجع نفسه، ص.07.
- ¹² : نصير بوعلي وآخرون: مرجع سابق. ص. 110.
- ¹³ : نصير بوعلي: قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، مرجع سبق ذكره، ص. 112.
- ¹⁴ : عبد الرحمن عزي: دعوة إلى فهم علم الاجتماع الإعلامي، الدار المتوسطة للنشر، بيروت- تونس، ط.01، 2010، ص.08.
- ¹⁵ : المرجع نفسه، ص.06.
- ¹⁶ : مي العبد الله، نظريات الاتصال، مرجع سبق ذكره، ص.17.
- ¹⁷ : المرجع نفسه، ص.19-20.
- ¹⁸ : المرجع نفسه، ص.21-22.
- ¹⁹ : يوسف بن رمضان : تاريخ علوم الإعلام والاتصال في الوطن العربي وفي إفريقيا شرط ممهد لبناء حداثة جديدة، المجلة التونسية لعلوم الاتصال، ع. 48/47 جويلية 2006-جوان 2007، معهد الصحافة وعلوم الاخبار، منوبة، تونس، ص.07.
- ²⁰ : خضر عبد الفتاح: أزمة البحث العلمي في العالم العربي، مكتبة صلاح الحجيلان، الرياض، ط.03، 1992، ص.19.
- ²¹ : المرجع نفسه، ص.30.
- ²² : يوسف بن رمضان : تاريخ علوم الإعلام والاتصال في الوطن العربي وفي إفريقيا شرط ممهد لبناء حداثة جديدة، مرجع سبق ذكره، ص.07-08.
- ²³ : نصير بوعلي وآخرون: قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام مرجع سبق ذكره، ص. 110.
- ²⁴ : يوسف بن رمضان : تاريخ علوم الإعلام والاتصال في الوطن العربي وفي إفريقيا شرط ممهد لبناء حداثة جديدة، مرجع سبق ذكره، ص.05.
- ¹ : محمد حمدان: نحو مدرسة متميزة للبحث الإعلامي والاتصالي: المجلة التونسية لعلوم الاتصال، العدد 42، جويلية /ديسمبر 2003، معهد الصحافة وعلوم الاخبار، منوبة، تونس. ص.05.
- ²⁶ : الصادق رابح :: عرض كتاب علوم الاعلام والاتصال وإشكالية التكوين المهني في العالم العربي، مرجع سبق ذكره، ص.03.
- ²⁷ : بدر الدين زواقة:: علوم الاعلام والاتصال بين النظرية الإسلامية ونظرية الحتمية القيمية، مرجع سبق ذكره.

- 28: الصادق رابح :: عرض كتاب علوم الإعلام والاتصال وإشكالية التكوين المهني في العالم العربي، مرجع سبق ذكره. ص.03.
- 29: خضر عبد الفتاح: أزمة البحث العلمي في العالم العربي، مرجع سبق ذكره، ص. 53
- 30 الصادق رابح: عرض كتاب علوم الإعلام والاتصال وإشكالية التكوين المهني في العالم العربي، مرجع سبق ذكره. ص.04
- 31: خضر عبد الفتاح: أزمة البحث العلمي في العالم العربي، مرجع سبق ذكره، ص. 47
- 32: المكان نفسه.
33. زهير احدان: مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال مرجع سبق ذكره، ص. 54
- 34: محمد شطاح : التدريس الإعلامي في المرحلة الجامعية في مؤسسات التعليم العالي بالجزائر، المجلة العربية للإعلام والاتصال، ع. 08، ماي 2012، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال، الرياض، السعودية. ص.127.
- 35: المرجع نفسه، ص.135
- 36: المرجع نفسه.ص.137
- 37: المرجع نفسه: ص. 142
- 38: المرجع نفسه، ص.143.
- 39: المرجع نفسه. ص. 155.
- 40: بدر الدين زواقة: علوم الإعلام والاتصال بين النظرية الإسلامية ونظرية الحتمية القيمية مرجع سبق ذكره.
- 41: افتتاحية المجلة التونسية لعلوم الاتصال، ع. 12، جويلية-ديسمبر 1987، معهد الصحافة وعلوم الاخبار، منوبة، تونس، ص.05.....
- 42: محمد حمدان: نحو مدرسة متميزة للبحث الإعلامي والاتصالي: المجلة التونسية لعلوم الاتصال، العدد 42، جويلية/ديسمبر 2003، معهد الصحافة وعلوم الاخبار، منوبة، تونس.ص.05.
- 43: خضر عبد الفتاح: أزمة البحث العلمي في العالم العربي، مرجع سبق ذكره، ص. 29
- 44: المرجع نفسه، ص.18
- 45: يوسف بن رمضان: تاريخ علوم الإعلام والاتصال في الوطن العربي وفي إفريقيا شرط مهد لبناء حدثا جديدة، مرجع سبق ذكره، ص.ص.08-09
- 46: بدر الدين زواقة : علوم الإعلام والاتصال بين النظرية الإسلامية ونظرية الحتمية القيمية، مرجع سبق ذكره.
- 47: الصادق الحمامي: الميديا الجديدة : الاستمولوجيا والإشكاليات والسياقات، المنشورات الجامعية بمنوبة، ط.01، 2012، ص. 31
- 48: محمد حمدان: نحو مدرسة متميزة للبحث الاعلامي والاتصالي: المجلة التونسية لعلوم الاتصال، العدد 42، جويلية/ديسمبر 2003، معهد الصحافة وعلوم الاخبار، منوبة، تونس، ص.06 .

مراجع الدراسة:

أ- الكتب:

- 1- احدان زهير: مدخل لعلوم الاعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002،
- 2- الحمامي الصادق: الميديا الجديدة : الاستمولوجيا والإشكاليات والسياقات، المنشورات الجامعية بمنوبة، الطبعة الاولى، 2012.
- 3- العبد الله مي: نظريات الاتصال، دار النهضة العربية، بيروت، ط.2010، 02،
- 4- بوعلي نصير وآخرون: قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الاعلام، مكتبة أقرأ، قسنطينة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2009.
- 5- خضر عبد الفتاح: أزمة البحث العلمي في العالم العربي مكتبة صلاح الحجيلان، الرياض، ط.1992، 03
- 6- ماتيلار أرمان، ماتيلار ميشال: تاريخ نظريات الاتصال، ثر. العياضي نصر الدين، رابح الصادق، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط.2005، 03.
- 7- منير حجاب محمد: نظريات الاتصال، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط.2010، 01

- 8- عزى عبد الرحمن: دعوة إلى فهم علم الاجتماع الاعلامي، الدار المتوسطة للنشر، بيروت- تونس، الطبعة الاولى، 2010
- 9- عزى عبد الرحمن: منهجية الحتمية القيمية في الاعلام، الدار المتوسطة للنشر، بيروت- تونس، الطبعة الاولى، 2013.
- ب- المجلات**
- 10- الحيدري عبد الله : الافتتاحية، المجلة التونسية لعلوم الاتصال، العدد 31، جانفي-جوان 1997، معهد الصحافة وعلوم الاخبار، منوبة، تونس.
- 11- بن رمضان يوسف: تاريخ علوم الاعلام والاتصال في الوطن العربي وفي افريقيا شرط ممد لبناء حداثة جديدة، المجلة التونسية لعلوم الاتصال، العدد 48/47 جويلية 2006-جوان 2007، معهد الصحافة وعلوم الاخبار، منوبة، تونس.
- 12- حمدان محمد: نحو مدرسة متميزة للبحث الاعلامي والاتصالي: المجلة التونسية لعلوم الاتصال، العدد 42، جويلية /ديسمبر 2003، معهد الصحافة وعلوم الاخبار، منوبة، تونس.
- 13- شطاح محمد: التدريس الاعلامي في المرحلة الجامعية في مؤسسات التعليم العالي بالجزائر، المجلة العربية للإعلام والاتصال، العدد 08، ماي 2012، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال، الرياض، السعودية.
- 14- عبد الرحمن عواطف: العرب... و فجوة العقل الاعلامي، مجلة العربي، العدد 566، جانفي 2006، متاح في: <http://www.alarabimag.com/Article.asp?Art=4312&ID=102>
- 15- رابح الصادق: عرض كتاب علوم الاعلام والاتصال واشكالية التكوين المهني في العالم العربي، دورية الشرق الاوسط، العدد 2010، 06، متاح في : <http://3awn.com/%>
- 16- زواقة بدر الدين :: علوم الاعلام والاتصال بين النظرية الاسلامية ونظرية الحتمية القيمية، متاح في : <http://diae.net/9443>

الصحافة الاستقصائية في الإعلام التلفزيوني والإعلام الجديد التطور التاريخي ومعايير البناء الخبري

د.العربي بوعمامة
جامعة مستغانم (الجزائر)
أ.حفيظة بوخاري
جامعة مستغانم (الجزائر)

مقدمة:

تعد صحافة الاستقصاء مجالاً للتحري عن مجريات وملايسات الظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تهم الصالح العام، انطلاقاً من مبدأ: حرية التعبير والحق في الوصول إلى المعلومة، وعرضها كمجال للنقاش الحر من قِبَل الجماهير، ولاسيما فيما يخص علاقة السلطة الحاكمة بالشعوب، لتؤدي بذلك دور الرقابة كسلطة رابعة، في اعتراف منها بشرعية سلطة خامسة مجتمعية تجد في الإعلام منبراً للتعبير، وحتى للمطالبة بكشف التجاوزات المتعلقة بحالات القمع السياسي والجرائم المنظمة، والاحتيايل والنصب داخل مؤسسات الاقتصاد، وغيرها من الحقائق المتستر عنها. وبغض النظر عن الوسيلة أو الوسيط المستخدم في الاستقصاء، يبقى هذا الخبر رهاناً تحكمه سلطة التمويل المالي ومتغير السبق الصحفي، الذي يحول أحياناً بينه وبين الطرح الموضوعي النزيه، بالإضافة إلى كون الصناعة الإعلامية الآن صناعة "تكنولوجية خبر" أكثر من أن تكون "نقل خبر محض"، وفي ذلك تأتي الثقافة الإخبارية البصرية التي يبيها التلفزيون على وجه الأخص لتطرح الإشكال المتعلق بمصادقية الصورة في زمن تكنولوجيات الإعلام، الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل عن مصادقية الخبر الاستقصائي أمام الزخم التكنولوجي للصورة المرئية بحد ذاتها. ولمناقشة حيثيات هذا الموضوع، تمّ التطرق إلى مجموعة من العناصر الرئيسية، والتي تتفرع بدورها إلى عناصر ضمنية:

I-صحافة الاستقصاء: التطور التاريخي ومعايير البناء الخبري:

1-1- ظهور وتطور صحافة الاستقصاء.

1-2- الخبر الاستقصائي: من الفرضية إلى الطرح.

II-السرديات الاستقصائية في الإعلام التلفزيوني والإعلام الجديد:

1-2-بنية الخبر الاستقصائي في التغطيات التلفزيونية.

2-2-الخبر الاستقصائي في ظل صحافة المواطن.

III-التوجه التكنولوجي في التغطية الاستقصائية التلفزيونية:

3-1-مصادقية المعادل البصري/التكنولوجي.

3-2-ثنائية الديمقراطية والتكنوقراطية وحدود التمثيل.

I-صحافة الاستقصاء: التطور التاريخي ومعايير البناء الخبري:

1-1-ظهور وتطور صحافة الاستقصاء:

إن مسألة تاريخ الإعلام بصفة عامة ليكشف جذور هذا التوجه الصحفي الاستقصائي الذي يعد حديثا من حيث منهجية العمل فيه، إلا أنه في واقع الأمر يمتد إلى كون الصحافة بالأساس صحافة قائمة على التحقيق وتوجس خلفية القضايا الاجتماعية والاقتصادية ولاسيما السياسية، عبر سلطة تردع ما قد يصدر عن السلطات الثلاث الأولى (التشريعية والتنفيذية والقضائية) من حالات الانتهاك والتجاوز القانوني، "لهذا السبب نتكلم منذ زمن طويل عن السلطة الرابعة، هذه السلطة الرابعة التي كانت في نهاية المطاف، وبفضل الحس المدني لوسائل إعلام وشجاعة الصحفيين الجريئين، موضوعة بتصرف المواطنين من أجل انتقاد، صد، ومجابهة -ديمقراطيا- قرارات غير شرعية، يمكن أن تمثل جورا وظلما وحتى إجراما بحق أناس أبرياء، فكانت الصحافة كما قيل مرارا صوت من لا صوت لهم".¹

وبالتالي فالاستقصاء ضرب من ضروب الصحافة، إلا أنه نوع يبحث في العمق وفي ما لا يظهر على العلن، وقد عرف باسم الصحافة الاستقصائية وسمي صحفيوه بالمنقبين عن الفساد "وقد أطلق هذا الاسم على مجموعة الصحفيين الذين قادوا حملات صحفية مهمة ضد الفساد خاصة عام 1901م، حين أدى التوسع الصناعي السريع بعد الحرب الأهلية إلى الكثير من أنواع الظلم، وكانت الاحتكاكات موضع قلق عام، ورأى فيها بعض المراقبين تحالفا غير سديد بين التجارة والسياسة (...). وبرزت حركة المنقبين عن الفساد كقوة مهمة عام 1906م، ثم بلغت قمة النجاح عام 1911م، ثم تبديدت عام 1912م، حيث بدأ الجمهور يبتعد عنها، وكذلك تعرضت الصحف لكثرة الضغوط المالية، مما أدى إلى اختفاء هذا اللون من الصحافة"² إلا أنه سرعان ما اكتسب أهميته من جديد لفعاليته في مواكبة الظروف العامة.

أما عن البداية الفعلية للصحافة الاستقصائية كنوع مستقل وقائم بذاته، فقد "انطلق منذ الستينات مع الرئيس تيودور روزفلت، وفريق المنظفين أصحاب الحملة ضد الفساد والرشوة".³

كما وتزايد الاهتمام بها في سبعينات القرن العشرين مع الصحف الأمريكية، كنوع من الارتجال في سرد الحقائق والخروج عن المؤلف، "ولعب المراسلون أدوارا حاسمة في كشف ما يعرف فيما بعد بأخطر فضيحة في فترة ما بعد الحرب الثانية، حيث تابع الصحفيون في واشنطن قرائن خلفتها سرقة في مبنى للمكاتب في "ووترجيت"

وواصلوا تحرياتهم إلى أن أوصلتهم تحرياتهم إلى البيت الأبيض، وقد دفعت التقارير الإخبارية الخاصة بالسرقة، الكونجرس الأمريكي إلى بدء تحقيقات أدت في نهاية الأمر إلى استقالة الرئيس الأمريكي "ريتشارد نيكسون" من منصبه بعد إدانته هو وكبار معاونيه عام 1974م، وأشهر المحررين الذين قاموا بالتغطية الاستقصائية، كلا من: Ward Cary Bernstein، وBbwood، بجريدة الـ Washington Post.⁴

وساهم التمويل المالي في دعم استقصاءات صحفية عديدة، حققت رواجاً كبيراً في السبعينات وامتد نجاحها إلى غاية 1976م، أين تم تأسيس اتحاد المنوبين والمحررين الاستقصائيين إذ "أصبح هناك منظمة أو صندوق مستقل هو Fund of investigative journalism تموله المؤسسات والأفراد، وقد نجح هذا الصندوق في تمويل أكثر من 60 مشروع تغطية استقصائية خلال الفترة من سبتمبر عام 1971 وحتى سبتمبر 1973م (...). وفي عام 1976م تأسس اتحاد المنوبين والمحررين الاستقصائيين Investigative

reporters & editors 'IRE' كجماعة صحفية لا تهدف إلى الربح.⁵ وفي أواخر عام 1976م "شكلت الجماعة فريق عمل صحفي بقيادة محرر جريدة Newsday الشهير Robert Green لإجراء تغطية استقصائية عن الجرائم التي أدت إلى اغتيال Ballston محرر جريدة Republic Arizona الذي كان يقوم باستقصاء نشاط الجريمة المنظمة في ولايته أريزونا، حيث وضعت قنبلة في سيارته (...). وقد اغتيل ثمانية وستون صحفياً عام 2001م، ويرجع سبب اغتيال خمسة عشر صحفياً منهم إلى أعمال استقصاء عن قضايا الفساد وهذا رقم يندر بالخطر.⁶

وتطورت الصحافة الاستقصائية لتلعب دور المحقق الميداني والمتقصي في عديد دول العالم، ليصل مداها إلى بعض بلدان الوطن العربي ولو أنها لا تزال حديثة فيها، ورغم العراقيل التي تواجهها هذه الصحافة على العموم من ضرورة توفير الموارد المالية والبشرية، ومغالاتها أحياناً في تغطية الأحداث عبر توظيف عنصر الإثارة، إلا أنها تظل تحتفظ بمكانتها الرائدة في تعقب المغالطات؛ كما وأصبحت الصحافة الاستقصائية لا تلك الصحافة التي تكشف قضايا الفساد وتبييض الأموال والجرائم المرتكبة فقط، وإنما التي تهتم كذلك بالقضايا المجتمعية، كقطاع التعليم والصحة والمرافق العمومية الأخرى، مستهدفة توضيح علل ونتائج المشاكل المتضمنة فيها، ما قد يتطلب شهوراً أو سنوات من البحث والعمل.

1-2-الخبر الاستقصائي: من الفرضية إلى الطرح:

يقول الصحفي الأمريكي رائد الصحافة الاستقصائية دافيد كابن David E.Kaplan: "الصحافة الاستقصائية الجيدة تركز على مواضيع التعليم، واستغلال السلطة، والتهافت على الأموال، وقصص الأعمال الرائعة، ولمجرد تغطية الصحفي المختص

لمواضيع الجرائم والفساد وملاحقة آخر تطوراتها، فذلك لا يعني أنه يستخدم أدوات الصحافة الاستقصائية.⁷

وبالتركيز على النقطة الأخيرة الواردة في هذا التعريف الواسع للصحافة الاستقصائية، فإن هذه الأخيرة تختلف كثيرا عن التحقيقات الأخرى التي يجريها الصحفيون العاديون، كما أنه لا يمكن لأي صحفي أن ينتقل إلى العمل الاستقصائي دون توفر مجموعة من المقاييس، وفي مقدمتها القدرة الشخصية على التعاطي مع هذا النوع من الصحافة، والتمكن من مجارة الأحداث وتطورات القضايا، بالإضافة إلى امتلاك حس التنقيب والقدرة على التحمل والصبر في التعامل مع مصادر المعلومات، والقيام بدورات تدريبية وتكوينات صحفية متخصصة وغير ذلك من النشاطات الأكاديمية والميدانية التي تؤهله لهذا المنصب، وعلى العموم فإن "طبيعة الاستقصاء تقدم فرصا عظيمة بوصفها وسيلة للتقنين، وتعلم العديد من المعايير الأكثر أهمية والخاصة بحرفة الصحافة: كيفية المثابرة، كيفية التعامل مع مختلف شرائح الناس، كيفية تأطير القضايا ونسج خيوطها، كيفية العثور على المصادر البشرية، كيفية إقناعهم بالتكلم، كيفية العثور على الوثائق ومختلف الأدلة، وتدقيق الرأي، المراوغة واكتشاف مكامن الكذب وصولا للواقع، وأهمية إثبات الحقيقة، وهلمّ جراً."⁸

فالتحقيق في قضية ما لا يعني بالضرورة وجود صحافة استقصاء، إلا إن أخضع الصحفي عمله لمجموعة من الخطوات الإجرائية التي تشكل لوحدها المنطلق الرئيس نحو الاستقصاء، إذ أنه حسب كابلن "نهج منظم لحدس، يتطلب الغوص في العمق والبحث الفعلي الذي يقوم به الصحفي بنفسه (..) يتناول طريقة علمية في البحث معتمدة على وضع فرضية واختبار مدى صحتها، والتأكد من الحقائق المحاطة بهذه الفرضية، ونبش الأسرار المغمورة، ووضع ركائز العدالة الاجتماعية والمساءلة، بالإضافة إلى الاستخدام المفرط للتسجيلات المعلنّة."⁹

وقبل التعرّيج على أهم الخطوات المتبعة في صياغة خبر استقصائي، سيتم التطرق إلى العناصر الكتابية المشتركة بين التحرير الصحفي العام، والتحرير الاستقصائي، ونجد هنا توافقهما في طرح ذات الأسئلة: من، ماذا، أين، متى، لماذا؟ إلا أن الإجابة عنها في الاستقصاء تقتضي تحليل العناصر كمياً ونوعياً، وخصوصا البحث في "كيف" أي في الأسباب والدوافع والأهداف الغير جلية، وتقاطعات المكان والزمان، إذ أن:

"«من» ليست مجرد اسم ولقب بل وشخصية لها صفة وأسلوب مميزان، وليست «متى» فقط حاضر وقوع الأخبار، بل سياقاً تاريخياً للسرد، وليست «ماذا» مجرد حدث، بل ظاهرة لها أسباب ونتائج،

وليست «أين» مجرد عنوان، بل موقعا أو مكانا تصبح فيه إمكانية وقوع أحداث أو أشياء معينة ممكنة أكثر أو أقل.¹⁰

ويكاد يكون الاستقصاء الصحفي بحثا علميا، يستنبط من البحث الأكاديمي ما يحقق سبيلا للحصول على المعلومات بدقة، والتوصل إلى نتائج موضوعية؛ وإن إجراء المقاربة العلمية في الصحافة الاستقصائية مؤثر على تعاطيها العملي البناء مع قضايا الرأي العام.

وتتمثل أهم خطوات الاستقصاء الصحفي في:

أولاً: اكتشاف موضوع أني جدير بالبحث، أو وجود قضية ما لم تفك بعد حيثياتها، وقد تمتد رواستها إلى أحداث أخرى وقعت في زمن مضى.

ثانياً: تحديد زاوية المعالجة في الموضوع المكتشف، بغية تسهيل سبل جمع المعلومات، كما ولا بد على الصحفي الاستقصائي صياغة المشكل في قالب فرّضي، بمعنى طرح فرضيات تجيب مبدئياً عن تساؤلاته، وهذه الفرضيات ينبغي التحقق من صحتها في مسار البحث.

ثالثاً: الشروع في جمع المعلومات من المصادر الأقرب للقضية، ولا يجب الاستهتار أو التقليل من أهمية أي مصدر: "فالكل من حولك مصدر، كما قال "مونك ماني" لأن جمع المعلومات والوصول إليها عملية شاقة وصعبة في معظم الأوقات، وقد يستغرق الصحفي سنوات للوصول إلى المعلومات والوثائق والسجلات."¹¹

وتقسم هذه المصادر إلى مصادر علنية ومصادر بشرية: الأولى متعلقة بمضامين وسائل الإعلام، "فالمعلومات التي نشرت في أي وسيلة إعلامية يسهل الوصول إليها بحرية، وعادة ما يمكن الوصول إلى هذه المعلومات في مكتبة عامة أو في أرشيف الوسيلة الإعلامية المعنية:

- الأخبار (الصحف، المجالات، التلفزيون، الراديو، الانترنت).

- منشورات متخصصة تخص الاتحادات، الأحزاب السياسية، النقابات، الخ.

- المنشورات الأكاديمية من دراسات وأبحاث.

- وسائل إعلام مشتركة متخصصة (مثل منتديات مستخدمي الانترنت، المحللين الماليين، نشرات أو مجالات النقابات، مجموعات الاحتجاج، الخ).¹²

أما المصادر البشرية فتتمثل في محاولة الوصول إلى الشخصيات التي تمّ الصحفي بالمعلومات التي يبحث عنها، ويكون هذا باجتهاد شخصي من قبّله، حيث "تعتمد التغطية الاستقصائية على مواد جُمعت أو أُستقيت بمبادرة شخصية من الإعلامي، ولهذا فإنها تسمى أحيانا كثيرة: تغطية المشروع."¹³

لذا فعلى الصحفي أن يتسم بالتنظيم في رسم خريطة مصادره: "تستطيع أن تجعل خريطة معقدة وغنية بقدر ما تريد، وعلى سبيل المثال تستطيع تدوين مواقع سكنى

المصادر الأفراد، تواريخ ميلادهم، وظائفهم، أو أي شيء تحب، ولكنك تستطيع في البداية أن تكون أكثر بساطة، وقد لا تحتاج إلى أن تذهب أبعد من ذلك (وحتى وجود خريطة مصادر بسيطة جدا تأخذ منك بضع دقائق لتحضيرها، ستمنحك مزية على معظم منافسيك).¹⁴

رابعا: ويبقى عنصر التنظيم هو الأساس، إذ "يجب أن تكون هذه المادة منظمة بفاعلية على أسس مستمرة، وهذا العمل التنظيمي هو جزء من عملية منهجية للكتابة والنشر، فأنت لا تقوم بالبحث، ثم تنظم، ثم تكتب، بدلا من ذلك أنت تنظم وأنت تبحث، وهذا التنظيم يجهز الأرضية لعملية الكتابة."¹⁵

ولعل ما يميز هذا النوع من الصحافة هو مركزها الذاتي، ليس ذاتية الصحفي في التحيز إلى جانب دون آخر، وإنما ذاتيته نحو معرفة الحقيقة، فالغطية الاستقصائية "تستخدم بطريقة موضوعية مواد ومعلومات حقيقية تتحول إلى حقائق (...). ويحرك الصحفي الاستقصائي هدف ذاتي غير موضوعي يتمثل برغبة في إصلاح العالم."¹⁶

II- السرد الاستقصائي في الإعلام التلفزيوني والإعلام الجديد

1-2- بنية الخبر الاستقصائي في التغطيات التلفزيونية

إن المسؤولية الملقاة على عاتق الصحافة الاستقصائية تتعاضد في خضم الحديث عن التغطية التلفزيونية، أين يجد الإعلامي نفسه محكوما بسلطة الصورة التي من المحتم إخضاعها لمنطق الحقيقة وإلا كانت مجرد تزييف للواقع وإقصاء له في إعلام يدعو للاستقصاء.

كما وتتميز البنية السردية للخبر في الشاشة التلفزيونية بسمات لا تتوفر في الوسائل الإعلامية الأخرى، فإن كانت الكلمة المكتوبة سمتها المشتركة مع الصحف، والكلمة المسموعة سمتها المشتركة مع الإذاعة، فإن الصورة -رمزية كانت أو حيّة- تبقى خاصيتها المتفردة؛ وكلما كان حضور الصورة قويا كلما زاد تأكيدا على قوة الخبر ذاته، "فالصورة تُكَمِّلُ القصة الإخبارية الكلامية، بل إن بعض الصور يمكن أن تكون خبرا قائما بذاته، بإضافة تعليق قصير عليه أو بدون تعليق."¹⁷

وإن الصورة التي تحكي حدثا قد لا تحتاج إلى كلمات تفسرها فمضمونها البصري كافٍ، وفي هذا المقام يقول أديب خضور أن الكتابة التلفزيونية "تقوم على أساس إدراك حقيقة مقدرة التلفزيون العالية على التجسيد الفني للمضامين المختلفة، وذلك بسبب تنوع عناصر التجسيد الفني في اللغة التعبيرية التلفزيونية (الصوت، الصورة، الحركة، الألوان، الإضاءة، الديكور، الموسيقى، المؤثرات الصوتية)."¹⁸

وأسلوب الكتابة الاستقصائية للتلفزيون يستنبط مكوناته من هذه اللغة التعبيرية "لأنه موجه إلى العين والأذن معا، فالصورة تخاطب العاطفة والقول يجذب العقل (...). ومن

المفترض أن تكون لغة تحرير الأخبار التلفزيونية لغة الحياة العملية المتسمة بالبساطة والوضوح والاعتماد على الإيقاع السريع والنسق المباشر والواقعي حتى يستوعبها الجمهور على الفور"¹⁹ ويمكن نجاح هذه الكتابة في قدرة الصحفي على تقديم معلوماته في قصة مرئية، فالمشاهد يبحث عن الصورة التي تشكل بالنسبة إليه دليلاً على صدق الصحفي وحسن سبره لأغوار القضية المعالجة، وإلا كانت مادته مجرد لغط.

في هذا الإطار، يكون على الصحفي تطبيق خطوات الاستقصاء، من اكتشاف موضوع ووضع فرضيات والوصول إلى مصادر معلومات، إلا أن المشكل يتعلق بهذه المصادر التي قد ترفض الظهور على الشاشة، إذ يتعامل الصحفي مع مصادر خفية، وقد تتسرب إليه معلومات من أفراد يفضلون كتمان هويتهم عن الجمهور المتفرج، "وليس مفاجئاً أن المعنيين بالأمر هم الأكثر تردداً في الحديث بصراحة، أمام ذلك كيف تتعامل مع مصادر قلقة تريد الإدلاء بتصريح بدون تسجيله؟ (...). تحدثت إلى أشخاص كثر بدون الكشف عن هويتهم، ذلك أنه إذا كشفت هويتهم للآخرين يصبح الكلام علنياً، من المهم جداً أن تحتفظ بنسخ مدونة بما قيل وأن تتأكد من أنك حصلت على عناوين البريد الإلكتروني وعناوين منزلية وأرقام هاتفية للمصادر المهمة."²⁰

وعلى الصحفي القيام بعرض صور تحاكي القضية كما هي، وتعمل على إقناع المشاهد والإجابة على التساؤلات التي يطرحها، بالإضافة إلى وجوب توفر معايير أخرى في التغطية الاستقصائية ككل:

"- أسلوب منهجي في التحقيق وبحث وتغطية متعمقان على المدى الطويل.

- تصميم ومثابرة للبحث عن المعلومات.

- البحث الوثائقي، واستخدام السجلات العامة، ومتابعة السجلات الورقية، واقتفاء أثر المستندات.

- إجراء المقابلات على نطاق واسع.

- استخدام أدوات وتقنيات حل الجريمة.

- جمع المعلومات المتباينة في تقرير واحد متماسك.

- الكشف عن معلومات يرغب آخرون في إخفائها.

- لتغطية الإبداعية والموحية والتي تضيف كثيراً إلى الرصيد العام والنقاش العام.

- سلطة للمراقبة والرصد مع التركيز على مساءلة ومحاسبة الأفراد والمؤسسات التي تمارس السلطة.

- الاضطلاع بدور الحارس الذي يحمي الناس من انتهاكات الموجودين في السلطة، ومركزاً على مسؤولية الأفراد والمؤسسات ذات التأثير."²¹

أما في ما يتعلق بخطوات إعداد تحقيق تلفزيوني في مجال صحافة الاستقصاء، فسيتم استوضحها في النقاط الآتي ذكرها وفقا لعمل: وحدة الصحافة الاستقصائية التلفزيونية بقناة "أون تي في" ONTV المصرية:

"بعدما نستقر على صياغة الفرضية نصيغها في شكل عنوان وملخص سريع، وبعد أن يتم التأكد من الفرضية بشكلها الأولي، تبدأ رحلة البحث والتحقيق المكلف بها الصحفي في الوحدة الاستقصائية، يستغرق الصحفي الاستقصائي بعدها أسبوعا كاملا في البحث فقط والإعداد للتحقيق، يقوم الفريق بعد ذلك بإرسال تصور مبدئي للميزانية المطلوبة للإنتاج وفقا لحددها الأقصى (...). ثم يقومون بإعداد خطة التصوير التفصيلية، وبعدها يشروعون في التصوير الفعلي والذي يأخذ عادة أسبوع، ثم يأتي الأسبوع الثالث لتبدأ عملية المشاهدة لما تم تصويره وتفريغ جميع الصور واللقاءات على الورق استعدادا للمونتاج المبدئي (...). فشهرا واحدا هو ما يحتاجه التحقيق على أقصى تقدير في تلك المرحلة."²²

2-2- الخبر الاستقصائي في ظل صحافة المواطن

يقدم الإعلام الجديد خيارات إخبارية متعددة، من حيث القدرة على مطالعة مضامين الصحف المكتوبة إلكترونيا (أي عبر أعدادها الإلكترونية) وكذا متابعة برامج القنوات الفضائية، وإمكانية إعادة المشاهدة، والتفاعل، والمشاركة بالرأي من خلال الكلمة المكتوبة أو بالصورة. أو حتى بالمقاطع السمعية البصرية، الأمر الذي يتيح فرصة أمام الفرد العادي ليكون بآئا للخبر، ليشمل لقب "الصحفي" غير المتخصصين أيضا، وهم أفراد من مختلف الجنسيات والمستويات الاجتماعية والفكرية والثقافية.

وفي هذا الإطار تبرز صحافة المواطن، التي تستمد بثها الخبري من نبض الشارع لتتكلم بصوت الشعب، ليس ضد انتهاكات السلطات الثلاث فحسب بل وسلطة الإعلام كذلك، أين "تحولت صحافة المواطن إلى سلطة خامسة هدفها تحرير الصحافة بوصفها سلطة رابعة من حالة الائتلاف السياسي والاقتصادي والتوظيف الفئوي والمصلحي الذي تعيشه (...). فإذا لم يكن الجمهور طرفا رئيسيا في إثارة الجدل حول قضايا الشأن العام فإن ذلك يعني أن كل من الصحافة والديمقراطية في خطر."²³

والإعلام الجديد أو الإعلام البديل كما يسمى، يفتح المجال واسعا لكل مستخدم للتدوين الإلكتروني، ويسمح للأشخاص المضطهدين وحتى أولئك الذين لم يجدوا فرصة للإدلاء برأيهم، أن يعبروا بكل حرية عن حالات سلبية يعيشونها في حياتهم اليومية، بالكتابة عنها أو تصويرها علنا أو خلسة ثم تشاطرها والجمهور العام أو الخاص الذي يختارونه، كشكل جديد من أشكال ممارستهم للديمقراطية.

ومادام الفرد العادي لا يملك مصلحة من محاولة تغطية الفساد وعلى رأسه الفساد السياسي، فإن كل خبر ينشره قابل للتصديق، إذ لا يحتاج فيه اللجوء إلى التزييف أو التضليل؛ وفي مسار الحديث عن صحافة المواطن كنوع صحفي تفاعلي ناقد، فهل انتقل المواطن العادي ليكون صحفياً استقصائياً؟ وهل النشر السمعي البصري -على المواقع الإلكترونية وبخاصة منها المدونات ومواقع التواصل الاجتماعي- قد يشكل نوعاً من أنواع الاستقصاء؟ إن الإجابة على هذين السؤالين تنأتى بفهم الدور الجسيم الذي تلعبه التكنولوجيات في مجال الاتصال الافتراضي، فقد "مكنت تكنولوجيات الاتصال الحديثة شبكات التواصل الاجتماعي من أن تلعب دور المتتبع والمصحح الناقد للدور الوظيفي للصحفي التقليدي، غير أنه يوجد خوف من أن هذه النوعية من النشاط الصحفي التي جاءت بها شبكات التواصل الاجتماعي يمكنها أن تحوّل الصحافة من عمل نخبوي فكري إلى نشاط شعبي"²⁴ فالعمل الإعلامي عمل أكاديميين متخصصين، كما أن لصحافة الاستقصاء قاعدة بحثية تخضع لنظام الطرح الفرضي السوسيولوجي، فكيف لصحافة المواطن أن تحقق هذا الشرط الجوهري؟ ومن جهة أخرى فإنّ نشر خبر عبر المواقع الاجتماعية حول ممارسة متسلطة ما، لا يخوّل إمكانية تحوله إلى خبر استقصائي.

كما نجد أن الكثافة اللامتناهية التي تتمتع بها صحافة المواطن، من حيث القدرة على مجارة آخر المستجدات في الساحة الاجتماعية المحلية والساحة السياسية، وكذا إمكانية نشر المعلومات أيّاً كانت طبيعتها أو مجالها وفي أي زمن ومن أي مكان، يجعل من الصعب التحري عن نزاهة كل خبر منها، "فالإشكال لا يكمن في أن يكون الصحفي محترم ومحترف أو صحفي مواطن بل الأهم هو مسار الحصول على المعلومة والخبر، وطبيعة المصدر، ومدى توفر الموضوعية والمصداقية، وخاصة كيف تقع عملية غربلة الأخبار وما هي معايير انتقاء ما هو صالح للنشر من عدمه."²⁵ ومن جانب آخر فإنّ النقل الخبري في إطار صحافة المواطن نقل متسم في غالب الأحيان بالتنافسية أو الأجدر أن نقول: بمن يستطيع نشر خبر دسم قابل للتعليق والتشاطر عبر صفحات متعددة دون البحث المسبق في حدود مصداقيته، "وفي الحقيقة يصعب القول أن كل ما ينشر في الفضاء الافتراضي يخضع إلى إشراف هيئات تحرير تمرر المعلومة بالعودة إلى مجموعة من المعايير المهنية والقواعد الأخلاقية."²⁶

وعليه تبقى الصحافة الاستقصائية صحافة مستقلة متخصصة واحترافية، وفهمها واستعبابها ضرورة لا بد منها للتفريق بين ما هو منشور بدافع شخصي أو عاطفي كتعبير عن حرية فردية ديمقراطية، وبين ما هو منشور بدافع استقصائي موضوعي ومنهجي كتعبير عن معطيات واقعية محكومة بالعقل والتنظيم، وتبقى العلاقة بينهما

علاقة "من يخدم من؟" إذ يتم استخدام الخبر المواطني -إن جاز التعبير عنه بهذه الصيغة- كمصدر يستسقي منه الصحفي موضوعا لمادته الإعلامية، "فوسائل الإعلام الاجتماعية توفر للصحفيين طرقا جديدة للاتصال بالمصادر، والوصول إلى المعلومات من جميع أنحاء العالم (...). كما تصبح المعلومات متاحة أكثر، والبحث عنها يحصل أيضا على نحو أفضل."²⁷

III-التوجه التكنولوجي في التغطية الاستقصائية التلفزيونية

1-3-مصادقية المعادل البصري/التكنولوجي

ساهمت التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال، والمرتبطة أساسا بجملة الخدمات التي يوفرها الكمبيوتر من خلال برامج وتطبيقاته، في تسهيل سبل المعالجة الإلكترونية لمختلف البيانات، "وقد سجل تاريخ وسائل الإعلام بظهور هذه التكنولوجيات مرحلة جديدة أحدثت انقلابات في نظام البث والإنتاج والاستهلاك الإعلامي، بوضع شبكات جديدة أو قنوات جديدة مثل الساتل والأقراص السمعية البصرية، وأصبح العالم يعيش تحولات يصفها معظم الباحثين بالثورة الرقمية."²⁸

وقدمت التكنولوجيا للبث التلفزيوني خصائصا طورت طرائق العرض، إذ بالإضافة إلى البث الفضائي نتحدث أيضا عن البث الرقمي والتلفزيون الذكي والتلفزيون العالي الجودة، من حيث نقاء الصوت وصفاء الصورة، كما مكنت هذه التكنولوجيات القائمين بالاتصال من صناعة صور إلكترونية تضاهي الحقيقة كصور الواقع الافتراضي، بالإضافة إلى القدرة على "فبركة الصور" ومزجها وتركيبها ثم تقديمها في مشاهد تبدو مرتبطة حقا بمكان الحدث، في حين أنها ليست سوى تطبيقا متاحا عبر برامج المونتاج، والتي تعتمد القص واللصق، وتعديل مضمون الصور وإضافة المؤثرات المناسبة، وهي تعني كذلك القدرة على خلق صورة فائقة، ونركز هنا على كلمة: خلق، والتي تنافي إلى حد كبير كلمة: نقل، فالتكنولوجيا بقدر ما تخدم عملية الإنتاج الإعلامي بقدر ما تضره، خاصة في مجال الإعلام الإخباري، حيث ينبغي للخبر أن يرتبط بمفهوم النقل (النقل الخبري) لا الصناعة الخيرية للحدث، هذه الأخيرة التي نجدها متداولة كثيرا في أيامنا هذه، حيث يقال بصناعة المعلومة أكثر من القول بنقلها. وقد أشرنا في عنصر سابق، إلى أن الاستقصاء يعني النقل الأمين والموضوعي للمعلومات، بمعنى الاعتماد على خلفية يكون فيها الواقع هو الأساس، ويكون فيها الكشف عن خفايا الظواهر هو المقصد، ونجد التكنولوجيا كميّار فعّال من معايير التغطية التلفزيونية الآن، قد منحت الصحفيين القدرة على نشر المعلومة بشكل أفضل، وإرفاقها بصور تدعم الخطاب الموجه إلى الجمهور.

إلا أن التحريات المجرة في هذا المجال قد لا تمكن الصحفي من الحصول على الصور التي تُناظر كلمته المسموعة، أو أنها لا تكون كافية للإقناع بوجود مظهر من مظاهر الفساد السياسي أو غير ذلك من التجاوزات، مما قد يدفعه إلى محاولة خلق صورة أقرب إلى الحقائق التي توصل إليها، فيلجأ إلى التكنولوجيا كتوظيف المؤثرات أو محاولة محاكاة الأحداث عبر إعادة تمثيلها بصريا، أو حتى عبر اللجوء إلى الشبكة العالمية واستنباط مقاطع بصرية متعلقة بموضوعه، ما قد ينافي الحقيقة - كما يجب أن تكون - فتصنيع الصور لا يعوّض مطلقا عملية نقلها.

إن المعادل البصري في كل طرح استقصائي - في الزمن الحاضر - يدفع إلى التساؤل عن المعادل التكنولوجي المرافق لتلك الصور، فلا ننسى أن تقنيات التصوير والتسجيل الصوتي والمونتاج من شأنها تقديم مضمون إما مختلف بشكل نسبي عن الواقع، أو مغاير له تماما، إذ لا يمكن إقصاء العنصر التقني في عملية الموازنة بين ما نراه عبر الشاشة، وما هو مرئي في الحقيقة بالعين المجردة، ولا يعني هذا تشكيكا في نزاهة الصحفي وإنما تنويها بسلطة التكنولوجيا التي قد تفوق بكثير سلطة الواقع. وإن كانت مصداقية الصحافة الاستقصائية مطلبا أساسيا، فإن احتمال غيابها في الشاشة التلفزيونية قد يكون أكثر وطأة، وإن كان القول بالمصداقية أمرا نسبيا في كثير من الأحيان، فإن القول به مع التكنولوجيا يبقى مجالاً يشوبه الكثير من التشويش، خاصة وأن حدود الفصل بين المكوّن التكنولوجي كخاصية تخدم المجال الإعلامي، وكوسيلة من وسائل التضييل، تظل غير واضحة، "ولنأخذ الطاقة النووية كمثال، فإننا نزود مدننا بتلك الطاقة، كما نصنع القنابل ونشيد الغواصات النووية، وعندما يتم الترويج للقنابل والغواصات على أنها أسلحة للدفاع ليست للهجوم، فإن الخط الفاصل بين الخير والشر يصبح ضبابيا غير واضح المعالم"²⁹ تماما كما يروج للتطبيقات التكنولوجية كعناصر بنائية لا علاقة لها بالدعاية المُغرضة وأزمة المصداقية التي تهدد الإعلام عامة والسمعي البصري خاصة.

3-2- ثنائية الديمقراطية والتكنوقراطية وحدود التمفصل

تُعبّر الديمقراطية في سياقها العام، عن ذلك التميز الممنوح للشعوب في اتخاذ مصيرها بنفسها، والمشاركة في أخذ القرارات التي تصب في إطار مصلحتها العامة، "وتعد المشاركة السياسية من أساسيات الفعل الديمقراطي، إذ لا يمكن الحديث عن الديمقراطية دون التعرض للمشاركة السياسية لأفراد المجتمع، فهي ضرورية لإرساء قواعد المجتمع الديمقراطي، مثلما هي وجه يعكس العملية الديمقراطية في حالتها الإيجابية والسلبية، وهي كذلك مؤشر ومقياس لنجاح أو تعثر هذه العملية."³⁰

ويُعدّ التصويت والانتخاب، والانضمام إلى الأحزاب السياسية والجمعيات المدنية من أوجه التعبير الديمقراطي، وهناك شكل حيوي آخر هو: الإعلام، كما يقدّم الإعلام الاجتماعي مجالاً أوسع لحرية التعبير وحرية الرأي.

وقد أحدث الزخم التكنولوجي في مجال الإعلام والاتصال تطورات حديثة في مفهوم الديمقراطية، وقدّم مفاهيماً متجددة، كمفهوم المواطن الرقمي، المواطنة العالمية، الفضاء العمومي الافتراضي، الديمقراطية في الإعلام الاجتماعي، وبدل أن تكون الغلبة للواقع أصبحت للافتراض.

ونلاحظ كيف ساهمت ديمقراطية الرأي افتراضياً في تغيير وقائع وتنظيم تظاهرات وحتى تمردات وإسقاط أنظمة حكم، ذلك أن مساحة الديمقراطية التي تكاد تكون مطلقة في مواقع التواصل الاجتماعي وصفحات المشاركة الشعبية، قد ساهمت في تفعيل الديمقراطية في الواقع المعاش، والأصح أن نقول أنّ التكنولوجيا الاتصالية منحت ديمقراطية في العالم الافتراضي، لتعيد إنتاجها في الحياة الفعلية للأفراد.

فسلطة التكنولوجيا تكتسح البيئة الإنسانية، وتؤثر بكثافة على مفهوم المواطنة والديمقراطية، وبالتالي فإن الأفراد ليسوا أحراراً وإنما مقيدون بحكم التقنية "وإن القضايا الأساسية فيما يتعلق بطابع واحتمالات التكنولوجيا الإعلامية الجديدة، تتمثل في معيارنا المعتاد والذي يعبر عنه هذا التساؤل: لمصلحة من، وتحت سيطرة من سيجري استخدامها؟"³¹

فهي تكنولوجيا لا تُسيّر نفسها طبعاً، وهنا تتوضح الصورة: أي ديمقراطية ستسود في ظل التكنولوجيا؟ أين تصبح السيادة بيد أولئك الذين يملكون سلطة التقنية في صناعتها والتحكم فيها.

وفي سياق متصل، فإن الإعلام لم يعد حبيس الدعم المادي والنظام السياسي فحسب، بل وحبيس الحاجة التكنولوجية أيضاً، "فما دامت القرارات التي يتخذها صناع المعدات، ومبرمجو الكمبيوتر، أو مصمموا الأنظمة يتم تغليفها بأحجية التفصيل التقني، فإن الأشخاص الأكثر تأثراً بهذه القرارات (بما في ذلك العملاء، والجمهور العادي، والمستخدمون) سوف يجرمون من فرصة أن يشاركوا أو يستجيبوا للقرار المتخذ، فنطاق القيم الممثلة في النظام الجديد لاتخاذ القرار يمكن أن يقيد، بل يتم تقييده بالفعل على نحو متزايد، من خلال صيغة الأمر المتسترة وراء الضرورة التكنولوجية."³²

وبالعودة إلى موضوع الدراسة، فإن التوظيف التكنولوجي في عملية الاستقصاء الموجه للبحث عبر شاشات التلفزيون، قد يكون سبباً في خلق أزمة جديدة مرتبطة بالصورة الاستقصائية: من حيث كونها: رصد الحقيقة، أو رصد التكنولوجيا تحت شعار الحقيقة، فأفاق التكنولوجيا الإعلامية لن تتوقف عند هذا الحد وستحاول في كل

مرة "عبر فئة التكنوقراطيين" تفويض بؤرة الإعلام الاستقصائي وتهديده بالسلاح الاستراتيجي الجديد: التكنولوجيا.

خاتمة:

على ضوء ما سبق ذكره في هذه الدراسة، فإن التغطية الاستقصائية عبر شاشات التلفزيون تتطلب مهنية واحترافية عالية من طرف الصحفيين العاملين فيها، خاصة وأنها تشترط توظيف المنهجية العلمية والتقني الهادف إلى معرفة الحقيقة، وتعد مصداقية المصادر التي يعتمد عليها الصحفي في تحقيقه المفتاح الأساسي لاكتشاف الحقائق، ما يقتضي إلماما واسعا بحوثيات الموضوع المتدارس والشخصيات المحيطة به وحتى تلك التي لا تظهر في الصورة.

ومن جانب آخر، نجد الصحافة الاستقصائية تواجه عراقيل شتى، تتمثل في احتياجها للدعم المالي، ما قد يفرض على صحفييها التستر عن تجاوزات المؤسسة الداعمة، والمؤسسات الحاكمة الأخرى ذات الصلة بها، بالإضافة إلى ضرورة الدعم التكنولوجي الذي يفرض سلطة صاحبه.

كل هذه الإشكالات تكشف في النهاية ما يمكن أن تشكله الصحافة الاستقصائية من تهديد للأنظمة الجائرة، لذا تجري محاولات للحد من هيمنتها عبر التوليد المتزايد للحاجة التكنولوجية كحاجة تبررها غايات أعمق، أهمها: ترسيخ التكنوقراطيا الإعلامية حيث تغدو الفئة المصنعة للتقنية المتحكّم الأوحد في الشأن الإعلامي والعالمي والسلطوي.

الإحالات والهوامش

1-Ignacio Ramonet, le cinquième pouvoir, le monde diplomatique, octobre 2003, un article publié sur le lien: <http://www.monde-diplomatique.fr/2003/10/RAMONET/10395>

2-عيسى عبد الباقي، الصحافة الاستقصائية (المحاضرة الأولى)، موقع الصحفي العربي، أبريل 2010، مقال منشور على الرابط: <http://www.alsahfe.com/News-428.htm>

3-المرجع نفسه.

4-المرجع نفسه.

5-المرجع نفسه.

6-المرجع نفسه.

7-مارجريت لوني، أربعة أمور لا تنطبق على الصحافة الاستقصائية، شبكة الصحفيين الدوليين، جانفي 2013، مقال منشور على الرابط: <http://arij.net>

8-James Hollings, aiming for the stars: Teaching investigative journalism, Global investigative journalism network, March 2014, an article published on the link: <http://gijn.org/2014/03/24/aiming-for-the-stars-teaching-investigative-journalism/>

9- مارجريت لوني، أربعة أمور لا تنطبق على الصحافة الاستقصائية، مرجع سبق ذكره.

10-أريج، على درب الحقيقة: دليل "أريج" للصحافة العربية الاستقصائية، دائرة المكتبة الوطنية، الأردن، 2009، ص.18

11-عمر الحياتي، الصحافة الاستقصائية ومهمة البحث عن الحقيقة، الجمهورية نت، أوت 2009، مقال منشور على الرابط:

<http://www.algomhoriah.net/articles.php?id=1508>

12- أريج، على درب الحقيقة: دليل "أريج" للصحافة العربية الاستقصائية، مرجع سبق ذكره، ص ص55-56.

13- المرجع نفسه، ص.17

14- المرجع نفسه، ص.73

15- المرجع نفسه، ص.95

16- المرجع نفسه، ص ص17-18.

17- لبنى جلال سكيك، استخدام التكنولوجيا الرقمية في النشرة الإخبارية التلفزيونية: نشرة الأخبار الرئيسية في التلفزيون الجزائري نموذجاً، مذكرة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2008، ص.168

18- جمال الجاسم المحمود، التقرير الإخباري التلفزيوني، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 23، العدد الثاني، 2007، ص.547

19- اتحاد إذاعات الدول العربية، المعالجة الخيرية للتلفزيونية العربية بين المتطلبات المهنية والتوجهات السياسية: سلسلة بحوث ودراسات إذاعية (85)، الإدارة العامة لاتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، 2006، ص ص11-12.

20- أكاديمية بي بي سي، الصحافة الاستقصائية، مقال منشور على الرابط:

<http://www.bbc.co.uk/academy/arabic/how-to/investigative-journalism/article/art20130702112133948>

21- مدونة أنا حرة، ما هي الصحافة الاستقصائية؟، جانفي 2013، مقال منشور على الرابط:

http://anahora.blogspot.com/2013/01/blog-post_29.html

22- محمد عبد الفاتح، قناة "أو ن تي في" تنشئ أول وحدة للصحافة الاستقصائية التلفزيونية، شبكة الصحفيين الدوليين، أبريل 2012، مقال منشور على الرابط:

<https://ijnet.org/ar/blog/154018>

23- جمال الزرن، البيئة الجديدة للاتصال أو الايكوميديا عن طريق صحافة المواطن، مجلة الباحث الإعلامي، العدد 17، 2012، ص.29

24- المرجع نفسه، ص.32

25- نفس المكان.

26- نفس المكان.

27-The select committee on communications, The future of investigative journalism : 3rd report of session, the house of lords, London, 2012, p57.

28- عقيلة أوطيب، التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال في التعليم: دراسة وصفية تحليلية للتعليم عبر الانترنت، مذكرة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2007، ص.24

29- فرانك كيلش، ترجمة: حسام الدين زكرياء، ثورة الإنفوميديا: الوسائط المعلوماتية وكيف تغير عالمنا وحياتك، عالم المعرفة، الكويت، 2000، ص.500

30- شريفة ماشطي، المشاركة السياسية أساس الفعل الديمقراطي، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد 10، سبتمبر 2010، ص.143

31- هربرت أ. شيللر، ترجمة: عبد السلام رضوان، المتلاعبون بالعقول: كيف يجذب محرکوا الدمى الكبار في السياسة والإعلان ووسائل الاتصال الجماهيري خيوط الرأي العام؟، عالم المعرفة، الكويت، 1999، ص.208.

32- المرجع نفسه، ص.214.

نشر الجرائم المرتبطة بالطفل في وسائل الإعلام ظاهرة اختطاف الأطفال في الجزائر أنموذجا ؟

د. بن دريس أحمد

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

مدخل

شكّلت - حسب اعتقادي - حادثة اختطاف الطفلة شيما و قتلها الأشهر الماضية حد الذروة في تناول وسائل الإعلام المختلفة (المكتوبة المسموعة - المرئية وحتى الإلكترونية) لجريمة مرتبطة بالطفل، حيث بدأت القصص الإخبارية بالبحث عن الطفلة لتستمر بعد اكتشاف جثتها ولا زالت تثار من حين إلى آخر كلما تكرر "المشهد"، فمن الصحف والقنوات التلفزيونية من ادعى أنها تعرضت للاغتصاب والتنكيل بجثتها وتجريدها من أعضائها، في مشهد لا يخلو من الدرامية، والبعض وجه التهمة لشخص لم تثبت إدانته بل وأتهم والدها بالمتاجرة في المخدرات دون وجود أي أدلة تثبت كل هذه الإدعاءات.

هذه الواقعة تفتح المجال للتساؤل عن طبيعة التداول الإعلامي لهذه الجرائم ؟ وكيف يجب أن يتعامل معها الإعلام وفق أسس ومبادئ تُحترم فيها أخلاقيات العمل الإعلامي وحقوق الطفل كفرد من المجتمع ؟ كما نحاول أن نفهم من خلال المداخلة التأثيرات المحتملة لنشر الجرائم المرتبطة بالطفل على الأسرة التي ينتمي إليها وعلى المحيط العائلي وعلى المقربين في المدرسة والحي، من وجهة نظر أخرى نحاول طرح بعض التصورات لآليات وضع خطة لحماية الطفل من بعض وسائل الإعلام التي لا تحترم الكرامة الإنسانية.

إن ما شهده النصف الثاني من القرن الماضي من تطورات تكنولوجية في مجال الاتصال أدى إلى تغييرات جذرية في النمط الحياتي للإنسان وأثر على الهيكل الذي قامت عليه مكوناته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والنفسية واستقرت عليه حياته فترة طويلة من الزمن منذ بداية الثورة الصناعية وثورة الاتصالات والمعلومات في القرن التاسع عشر، فالتقدم التكنولوجي ومعدل السرعة الفائقة التي يسير بها وخاصة في مجال تكنولوجيا الاتصال والانفجار المعلوماتي الكبير جعل من العسير على الإنسان استيعاب كل المعلومات المتوفرة لديه ودراستها واستغلالها كما ينبغي، إذ لم يعد هناك مصدر واحد يهيمن على الأخبار بل عدة مصادر، ولم يعد هناك من يقرر كون المعلومات والأخبار صحيحة أم خاطئة، ولم يعد حتى الصحفي كما كان هو مصدر الأخبار الوحيد والرئيسي.

تكنولوجيا الاتصال أثرت بما تنقله من صور ومشاهد على الحرية الشخصية وعلى تكامل الأمم وسيادتها، ففي ظل الثورة التكنولوجية أصبح الفرد أكثر شفافية للآخرين حتى في مجال حياته الخاصة، وأصبح من واجب الحكومات والأفراد الاهتمام بسبل المحافظة على الحرمات الشخصية من خلال الدفاع عن الفرد ضد العديد من طرق تهديد حرته الشخصية، مما يقتضي تطوير التشريعات القائمة لتوفير الحماية لخصوصيات الفرد ضد انتهاكات الأجهزة التكنولوجية الحديثة¹.

كل هذا انعكس بشكل سلبي على وعي الجمهور بحقيقة الوظائف التي يجب أن يقوم بها الإعلام من خلال وسائله المختلفة، خاصة التلفزيون الذي أصبح في السنوات الأخيرة من أوسع الوسائل انتشارا وأكثرها جاذبية لدى الجمهور، وذلك لقدرته على مخاطبة الطبقات المختلفة وفي مستويات العمر المختلفة، وعلى مدى زمني كبير نسبيا، فيمكن من خلال شاشة التلفزيون إرسال العديد من الوسائل التي يمكن أن تصل إلى فئات عديدة من الجمهور²، فنجد هذا الجمهور في الجزائر مثلا يستهلك المنتج الإعلامي بصورة غير متفحصه وغير نقدية فهو مثلا يتعرض للمواد الإعلانية، ويعتبرها شكلا من أشكال التسلية والترفيه في حين يتجاهل طبيعة الرسالة التي قد تتضمن بعدا ترويجيا لسلعة ما هذا من جهة، وقد تحمل من جهة أخرى رسائل قد تمس قيمته وسلوكياته وأساليبه عيشه وحتى بعض مقوماته.

كما يفتقر هذا الجمهور إلى الأدوات التي تؤهله لكي يتذوق الأعمال الفنية الراقية، التي تخدم ثقافته وقيمه الحضارية والجمالية والفكرية، فنجده يقبل على ما تبثه وسائل إعلامه من المنتجات الهابطة المستوردة، الأمر الذي أدى إلى سيادة ما يسمى بالمحتوى الثقافي المتدني – الذوق الهابط – الذي يجذب أكبر عدد من الجمهور، الأمر الذي جعل بعض وسائل الإعلام تسعى نحو تحقيق هدفها الأساسي وهو الربح، وهذا يبيث كل محتوى يثير الاهتمام ويدعمه كالجنس والعنف والجريمة بأنواعها، وهذا حتى يزيد حجم الجمهور الذي يتعرض للإعلانات³.

عن أي جريمة نتحدث ؟

الجريمة من وجهة نظر الاجتماعيين تعد سلوكا مخالفا للأعراف الاجتماعية المتعارف عليها في المجتمع والأعراف الاجتماعية عبارة عن ضوابط تقيد سلوك الفرد، فالجريمة هنا بمفهومها العام هي الأفعال التي تضر الفرد والمجتمع معا، لذلك تصدى المجتمع لها فسن القوانين الجنائية وحُددت العقوبات للمخالفين وكذلك وضع عقوبات اجتماعية للمخالفين لأعرافها وقيمتها المتعارف عليها وأوجب الامتثال إليها⁴، أما من الناحية القانونية فهي كل فعل مخالف لأحكام قانون العقوبات باعتباره هو الذي يتضمن الأفعال المحرمة ويحدد مقدار عقوبتها، ولما كانت الجريمة بطبيعتها عملا ضارا بالمجتمع شرعت الهيئة الاجتماعية لها عقابا على مرتكبيها⁵.

اليوم في الجزائر نعيش مرحلة تحولات كبيرة على مستوى البنية الاجتماعية والأخلاقية والثقافية للمجتمع، خاصة بعد الأزمة الكبيرة التي عصفت بالبلاد جراء انتشار الإرهاب الذي كانت جرائمه تغطي على أغلب الجرائم في التسعينات، فلم نكن نسمع كثيرا عن جرائم الاغتصاب ولا عن جرائم اختطاف الأطفال..، هذه الجريمة الدخيلة على المجتمع أسالت الكثير من الحبر، وحركت السلطات والرأي العام في اتجاهات مختلفة وفي بعض الأحيان متناقضة.

الطفل (*) في الجزائر رغم أنه يحظى باهتمام السلطات من ناحية توفير التغطية الصحية والتعليم، إلا أنه أصبح اليوم عرضة للاستغلال الجنسي الذي ينجر عنه الاختطاف ثم القتل، ويعرف أهل القانون الاستغلال الجنسي بأنه "اتصال جنسي بين طفل وشخص بالغ من أجل إرضاء رغبات جنسية عند الأخير مستخدماً القوة والسيطرة عليه"، ومعنى التحرش الجنسي أوسع من مفهوم الاستغلال الجنسي أو الاغتصاب البدني فهو يقصد به أشياء كثيرة منها : "كشف الأعضاء التناسلية".."إزالة الملابس والثياب عن الطفل.." "ملامسة أو ملاطفة جسدية خاصة"، "التلصص على طفل"، تعريضه لصور فاضحة، أو أفلام"، "أعمال شائنة، غير أخلاقية كإجباره على التلفظ بألفاظ فاضحة"، "اغتصاب".

اتجاهات نشر أخبار الجريمة في وسائل الإعلام:

هل ننشر أو لا ننشر أخبار الجريمة المرتبطة بالطفل ؟

شكلت أخبار الجريمة في الآونة الأخيرة أحد أهم الموضوعات التي تحرص وسائل الإعلام على نشرها وعرضها لجمهور القراء والمشاهدين، وقد اختلفت تبريرات هذا السباق المحموم نحو زيادة نشر أخبار الجريمة في وسائل الإعلام الجزائرية، فالبعض يجزم أن الرغبة في تحقيق نسب مشاهدة كبيرة وبالتالي الزيادة في حجم الإعلانات هو ما يدفع وسائل الإعلام إلى نشر أخبار الجريمة، ومنهم من يجيب بأن وسائل الإعلام تستجيب فقط لرغبات الجمهور الذي يبحث عن هذا النوع من الأخبار.

إن تغطية الجريمة والعنف والإثارة في وسائل الإعلام المختلفة هي عملية إعادة بناء الواقع وفق مصالح وأهداف معينة، كما أن القيم الخبرية بصفة عامة هي آليات ومعايير تحدد قيم التجارية والمالية والسياسية في أي المجتمع، وهنا يفرض السؤال التالي نفسه: هل تغطية الجريمة والجنس والعنف هي ممارسة إعلامية من أجل تحقيق غاية الحد من الجريمة وزيادة وعي أفراد المجتمع لتجنبها؟ أم الهدف هو الإثارة والغزابة والأنية والحركة من أجل استقطاب أكبر عدد من الجمهور لزيادة المبيعات والإعلانات والكسب؟

سابقا أثير جدل كبير في أوساط الإعلاميين ورجال الأمن والعدالة حول جدوى نشر الأخبار الخاصة بالجرائم في وسائل الإعلام، وما إذا كان النشر مفيدا أم ضارا،

وما إذا كان يساعد في تقليص أعداد الجرائم أو أنه يساعد على زيادتها والإيحاء بأنها أمور تحدث كل يوم وفي كل المجتمعات.

الذين يفضلون عدم النشر يبررون رأيهم بأن :

• نشر أخبار الجريمة يساعد على الترويج لها وللطرق المختلفة لارتكابها إذ تُعرف المجرمين بخطط الكشف عنهم من قبل مصالح الأمن وبالتالي يعملون على تفاديها.

• السبق الصحفي المرتبط بالجريمة يجعل بعض الصحفيين يحاولون الوصول إلى المعلومة بأقصر الطرق حتى لو حصلوا عليها من شهود عيان، أو من أحد مواقع الإنترنت، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن المعلومة من مصادرها الموثوقة وبالتالي نشر معلومات غامضة أو ناقصة أو مذبذبة فتكون التغطية ذات انعكاسات سلبية على المجتمع ومؤسساته⁷.

• نشر أخبار الجريمة ومع مرور الوقت قد يهون من فداحة الجريمة في ما قد يدفع البعض إلى ارتكاب الجريمة، كما أن كثافة تعرض أفراد الجمهور لهذه المواد قد يتسبب في تأثيرها على مدركاتهم وتصوراتهم بما يزيد من انتشار الجريمة أو يزرع الخوف لديهم، أو يقلل من هيبة المؤسسات الأمنية ويضفي صورة مبالغ فيها عن حجم انتشار الجرائم داخل المجتمع وبالتالي زعزت الشعور بالأمن لدى أفراد المجتمع⁸.

• كثيرا ما يحول نشر أخبار الجريمة دون الوصول إلى العدل في الحكم في قضايا الإجرام، وذلك عندما تصدر الصحف أحكامها مقدما على المجرمين، وتطلق عليهم كلمات مثل (القاتل) (المجرم)... قبل صدور الحكم القضائي⁹.

أما الذين يرون أهمية النشر فإن رأيهم يتأسس على:

• أن تكثيف نشر أخبار الجرائم يساعد في "خلق وعي جماهيري" اتجاه الجريمة كسلوك غير سوي، أيضا فإنهم يرون أهمية اطلاع الفرد على ما يدور حوله في إطار تحقيق مبدأ الحق في الإعلام.

• إن التعنيم الإعلامي على أخبار الجريمة قد يقلل من درجة الوعي العام لدى أفراد المجتمع في التعامل مع الجريمة وقد يتسبب ضعف الوعي في زيادة الضحايا نتيجة لهذا الأمر.

• أن نشر أخبار الجريمة يعد وسيلة من وسائل الوقاية منها، كما يساعد في بروز رأي عام يضغط باتجاه إجراء إصلاح لنظام العدالة الاجتماعية خاصة إذا كانت فيه ثغرات ينفذ منها المجرمون.

• نشر أخبار الجريمة ينبه الأطفال إلى ما يجب عليهم القيام به عندما يواجهون مواقف فيها تعدي على شخصياتهم كالخطف والاعتصاب والقتل.. ..

- نشر أخبار الجريمة ومتابعة تفاصيلها جنائيا وقضائيا في وسائل الإعلام يجعل الناس تطمئن إلى نظام العدالة الجنائية وأنه يقوم بدوره كما ينبغي.

كيف تعاملت وسائل إعلامنا مع ظاهرة اختطاف الأطفال ؟

أكد المشاركون ضمن فعاليات في المنتدى الإقليمي الخامس لليونيسيف ببيروت حول حقوق الطفل على أهمية إقحام الإعلامي كطرف مساهم في مسألة الترويج لحقوق الطفل، شريطة أن لا يستخدم المادة الإعلامية الخاصة بالطفولة للإثارة الإعلامية فقط ليصبح بالتالي الطفل سلعة يُتاجر بها بل يُركز تغطياته على الجانب الإنساني لتحصيل مادة إعلامية موضوعية وفعالة¹⁰.

القضايا المرتبطة بالطفل في وسائل الإعلام الجزائرية كثيرة ومتنوعة لكن الزوايا التي يتم التطرق إليها من خلالها، يكتنفها نوع من الوعي الناقص أو ما يسمى بالإدراك المحدود للواقع، يعني الصحافة المكتوبة والإذاعة والقنوات الفضائية الرسمية وغير الرسمية تتناول قضايا الأطفال في مناسبات معينة وعند ارتباطها بأحداث معينة كالعنف في المدارس وظاهرة اختطاف الأطفال.. التي أسالت الحبر الأحمر والأخضر والأسود... إن صح التعبير، فقط لتنتقل ظاهرة متجددة في حدود زمانية ومكانية مختلفة، وفق رؤى مختلفة وتغطيات فيها الكثير من الرأي والقليل من الحقيقة.

هذا نتيجة القطيعة الموجودة بين الإعلاميين والجمهور فلا توجد جسور للتواصل والحوار المنظم بين وسائل الإعلام و جماهير القراء والمستمعين والمشاهدين " بما يتيح لهؤلاء إمكانية التعرف على الاحتياجات الاتصالية لهذه الجماهير، أو التعرف على صدى المعالجات الصحفية لكثير من القضايا الجماهيرية أو رسم قائمة الاهتمامات والأولويات الصحفية طبقا لاحتياجات الجمهور"¹¹.

القنوات الفضائية الناشئة والموجهة للجمهور الجزائري المحلي كالنهار والشروق و I'index والمغربية والعصر.. حولت هذه الحوادث إلى قضية رأي عام، توجه التهم وتصنع الأبطال وتعيد قتل الضحايا، بل وتقطعهم أشلاء وتنتزع أعضاءهم، أتاحت للمجرمين شهرة مجانية، وجعلت أولياء الضحايا يجددون الصدمة والمصيبة على نفوسهم حينما يُذكرهم - هذه الفضائيات - بالمآسي التي لحقت أبناءهم، يكفي أن نذكر في هذا المحل قصة الطفلة شيماء التي تكرر لها كل التقارير التي تتحدث عن اختطاف الأطفال، فننصور مشاعر وأحاسيس أهلها وأقرانها في الحي والمدرسة.

وفقا للإتحاد الدولي للصحفيين، فإن وصف الطفل في وسائل الإعلام يدعم

مجموعة من المعتقدات الخاطئة ومثال ذلك :

- الأسر في البلدان النامية، والأطفال الذين يعيشون في فقر وضحايا الحرب والكوارث يفقدون شخصيتهم الفردية وإنسانيتهم، وغالبا ما يتم تصويرهم كفئات عاجزة ولا حول لها، وغير قادرة على التصرف، أو التفكير أو التعبير عن نفسها
- تغطية قضايا الطفل تميل إلى التركيز على الإثارة مع تجاهل جملة واسعة من القضايا التي تواجه الأطفال، والواردة في اتفاقية حقوق الطفل
- تقارير وسائل الإعلام عن الأطفال غالبا ما تكون لمرة واحدة، مع القليل من التحليل والمتابعة وفي أحيان أخرى قد تخلو من أي تحليل
- خصوصية الطفل، والتي لا يتم احترامها في أحيان كثيرة.
- صورة الطفل في التقارير الإخبارية يغلب عليها القوالب النمطية كالأطفال "ضحايا المجاعة في إفريقيا" أو الصورة التي تُظهر غياب المسؤولية لدى المراهقين"
- إن قصص الاعتداء على الأطفال، والأطفال المشاركين في الجريمة، وأطفال الشوارع، تميل للسيطرة في وسائل الإعلام، في حين أن القضايا الأوسع نطاقا لحقوق الطفل، مثل الحق في اللعب والترفيه والرياضة، أو الحق في عدم التمييز، فكثيرا ما تعتبر أنها ليست إخبارية. لتكون المحصلة تكوين انطباع غير متوازن عن الطفل كضحية، أو الطفل كشخص خطير."

ماذا حدث عندنا؟

في مشهد درامي قامت قناة النهار بإعادة وقائع جريمة اختطاف الطفلة شيماء وصورتها بالتعاون مع بعض الممثلين، بدأ المشهد بصورة حياة مستقرة هادئة ثم يتحول بعد أن فتحت الطفلة باب منزلها، فُتختطف من طرف شاب واحد ثم يظهر شخص ثان مع المختطف الأول وفي مشهد عام نشاهد ثلاث شبان يهربون بالفتاة، في إحياء يدل على أن الجريمة اشترك فيها أكثر من شخص بالإضافة إلى محاولة توجيه المشاهد إلى بعض الصور التي ظهرت على مواقع التواصل الإجتماعي والتي تُظهر المجرم يرتدي قبعة رياضية، كل هذا قبل أن يفصل التحقيق في حقيقة ما حدث.

الكاميرا بعد هذا توجهت إلى مكان العثور على جثة الطفلة شيماء في المقبرة ونقلت صور للحماية المدنية تحمل جثتها، لتنتقل إلى شهادة شهود العيان، وتختلف آراؤهم وأفكارهم ونظرتهم إلى ما حدث، اختلافات كبيرة في سرد الوقائع والشهادات ومحاولة من الصحفية توجيههم إلى اتجاه معين حينما تسأل هل هي عصابة؟ وراحت الصحفية تمارس دور المحققين من رجال درك وشرطة، تظهر في التحقيق امرأة تبكي وتؤكد أن أبناء مدينة "المعاملة" هم من خطف الطفلة ودليلها " أن الطفلة عرفت المجرمين ولو لم تعرفهم لما قتلوها " في اتهام خطير بإمكانه أن يعرض حياتها للخطر.

في قضية اختطاف الطفلين هارون وإبراهيم، ففي نشرة أخبار قناة النهار الفضائية يوم 12 مارس 2013 تم تأكيد خبر العثور على الطفلين هارون وإبراهيم مقتولين، " **العثور على جثتي الطفلين المختطفين هارون وإبراهيم في كيس بلاستيكي مقطعين إلى أشلاء** "

في اليوم نفسه قناة الشروق الفضائية بثت صورا في نشرة أخبارها وتم تقديم التعليق الآتي " العثور على الطفلين هارون وإبراهيم المختطفين منذ السبت الماضي مقتولين بعيدا عن حيهم بالمدينة الجديدة بعلي منجلي، أحد الطفلين وجد في كيس وآخر في حقيبة "

حتى التلفزيون الجزائري ارتبك في تغطيته للحدث وانساق نحو التغطية التحريضية الاستفزازية، فقد بث في نشرة الثامنة تقريرا عن الحادث بصوت الصحفي أحمد خلفاوي جاء فيه التعليق التالي " العثور على الطفلين المفقودين مقتولين - بطريقة وحشية حيث تعرضت جثتيهما للتشويه -، حيث أنها مست مشاعر ونفوس الجزائريين من هول هذه المأساة والفاجرة " واصفا إياها " بالجريمة النكراء وأن مثل هذه الأفعال الإجرامية الوحشية أفعال غريبة عن مجتمعنا "

في اليوم الموالي الشروق تنشر صورة لطفل قتل في سوريا على أساس أنها صورة للطفل هارون الذي قُتل خنقا في قسنطينة حسب تأكيدات المصالح الأمنية والقضائية، بينما يظهر على صدر الطفل في الصورة آثار ضرب بالرصاص، أكثر من ذلك الجريدة قامت بنشر الصورة - بغض النظر عن أنها حقيقية- دون الأخذ بعين الاعتبار مشاعر أهل الضحية ولا خصوصية الضحية وكرامته الإنسانية.

إثر هذا خرجت جموع الناس للتظاهر والمطالبة بالإعدام للقائلين وتوجيه التهم لبعض الأشخاص الذين لم تثبت إدانتهم وفق ما أكده النائب العام لمجلس قضاء قسنطينة، بينما عائلة المشتبه فيه بقتل شيماء فندت بشكل قاطع أن يكون ابنها قد قتل

النموذج 1 : استعمال صورة طفل قتل في سوريا على أساس أنه الطفل المختطف الذي تم خنقه بينما الصورة تؤكد وجود إصابة بالرصاص على مستوى الصدر، كما لم تحترم مشاعر أهل الضحية وتجرات على نشر الصورة دون كذلك المطالبة بإعدام الأشخاص الذين لم يثبت القضاء إدانتهم في مقتل الطفلين "هارون وإبراهيم"، وهذا يمكن أن يكون فيه تأثير على العدالة وعلى الأحكام الصادرة في حق المتهمين



الضحية، وطالبوا بضرورة أن تتوقف وسائل الإعلام عن توجيه التهمة للمشتبه فيه لأنه فار إلى غاية كتابة هذه الأسطر بسبب خوفه من إجراءات انتقامية في حقه - حسب ما ذكره أخ المشتبه به في أحد اللقاءات الصحفية-

بث الصور المتعلقة بضحايا الاختطاف وتكرارها بشكل درامي على المشاهدين ولد آثارا سلبية لدى أولياء الضحايا والمقربين منهم خاصة زملاء الدراسة وأطفال الحي، يولد لديهم إحساسا بالخوف والاضطراب، والريبة والشك في كل من يحاول الكلام معهم أو الاقتراب منهم، وهذا بسبب بعض القنوات الفضائية الجزائرية الخاصة التي ظهرت حديثا والتي سعت للحصول على معلومات بشكل غير مهني وهولت من القضية وجعلت منها قضيتها الأولى والأخيرة، بشكل يوحي للجمهور أن الأمن غائب وأن جريمة اختطاف الأطفال قريبة من كل بيت حتى ولو كانت الحيطه والحذر.

كل هذا يدفعنا لطرح جملة من التساؤلات في سياق ما حدث وما يحدث، حول هوية بعض القنوات الفضائية التي ظهرت في الآونة الأخيرة عبر الفضاء الجزائري والتي تحاول تعزيز مكانتها وفق رؤية ومنهج مستنسخ ولا تحترم فيه خصوصيات الشأن المحلي العام، فإلى أي مدى يمكن أن تكون هذه القنوات مدفوعة باعتبارات مهنية صرفة، أو أن تكون طليعة التغيير الديمقراطي المنشود، أو تعزيز مفاهيم المواطنة والشفافية والمساءلة والمحاسبة؟ كذلك، انطلاقا من الظروف المحيطة بنشأة هذه القنوات، وانطلاقا من ظروفها الذاتية، إلى أي مدى بإمكان هذه الفضائيات أن تستمد ثقافتها من المخزون الثقافي الجزائري لتعود وتغذيه من جديد، أي أن تستغني عن استيراد المنتجات وآليات العمل الجاهزة والمقلدة؟ هل انتشارها حد من قدرة السلطة المركزية للدولة على ضبط واحتكار المعلومات، وأدى إلى لا مركزية معلوماتية تتجاوز الكثير من القيود، ومكن فعلا المجتمع المدني إعلاميا، وساهم في تهيئة المناخ لظهور المجتمع الديمقراطي؟ باختصار، أي نوع من الثقافة تحملها هذه الفضائيات، وهل تُنتشم منها رائحة تغيير ما، وفي أية وجهة؟¹².

للتلفزيون ميزة خاصة كونه الوسيلة التي تعتمد الطبيعة التلازمية لثنائية الصوت والصورة في نقل المضمون الإعلامي وله بذلك تأثير مزدوج على المتلقي، الأول هو تأثير الصورة على نفسيته بشكل مباشر ولا تؤثر على عقله، وأصبحت هي التي تشكل الاتجاهات وتصوغ القيم وتوجه السلوك لملايين المشاهدين¹³، والثاني هو تأثير الكلمة التي يمكن أن تفعل فعلها المؤثر على المتلقي إن هي استُخدمت بالطريقة الصحيحة والمؤثرة، وعليه فإن للصورة التلفزيونية أثرا كبيرا على المتلقي من حيث الفهم والاستيعاب، فهو لا يحتاج إلى عناء وجهد وتحليل ليفهم ما يريد أن تقوله الصورة، فالتلفزيون هو وسيلة أنصاف المتعلمين لفهم ما يدور حولهم وبناء معارفهم الموجودة أساسياتها لديهم¹⁴.

أي قيم وأي أخلاقيات لتغطية الجريمة المرتبطة بالطفل ؟

تشهد الموضوعات المتعلقة بأخلاقيات وسياسات وتشريعات الاتصال على المستوى الدولي جدلاً واسعاً بعد أن أربكت ثورة الاتصال ببداياتها المدوية النظم القيمية والتشريعية القديمة السائدة وقد بدأ الاهتمام ينصب على تقييم أثر تكنولوجيا الاتصال وكيفية ضبط هذا الأثر ليتوافق مع القيم الموجودة في الرقي بالإنسان ومن وسائل ضبط هذا الأثر سن القوانين ووضع السياسات وتحديد الجهات الأخلاقية والقيمية التي يبتغيها المجتمع السليم لحفز الحياة الإنسانية إلى آفاق أرحب. ..¹⁵

لأخلاقيات المهنة الإعلامية مجموعة من المبادئ نجدها تشترك في كل مدونة لأخلاقيات المهنة وهي بمثابة أفكار وتصورات تتكرر من مدونة إلى أخرى بناءً على ما يحمله المهنيون الإعلاميون من أفكار حول الأخلاقيات، وتتركز أغلب هذه المبادئ في ثلاث محاور هامة وأساسية هي :

1- احترام حق إعلام المواطن والدفاع عنه، وكذا الدفاع عن الوسائل الكفيلة بتحقيقه مثل احترام مصادر المعلومات، نشر المعلومات الصحيحة والدقيقة، النزاهة والكاملة، التفرقة ما بين الحدث والتعليق (**)، بالإضافة إلى استعمال وسائل نزاهة في الحصول على المعلومات.

2- احترام حقوق المواطن والدفاع عنها بما فيها الحق في الكرامة والشرف والحق في الصحة البدنية والمعنوية، الحق في التعبير في وسائل الإعلام وحق الرد، والحق في احترام الشخصية بما فيها ذات البعد العمومي.

3- الحفاظ على الجانب الاجتماعي بعدم الدعوة إلى العصيان المدني أو التمييز العرقي أو العنصري.

وقواعد السلوك المهني قد تهدف إلى حماية واحدة أو أكثر من الفئات التالية:

- حماية الجمهور.
- حماية القائمين بالاتصال (المرسل).
- حماية مالكي القنوات الاتصالية (جريدة إذاعة، تلفزيون، موقع انترنت...)
- حماية مسؤولي النشر في وسائل الإعلام.
- النظر في قضايا المعلنين والذين يشترون خدمات وسيلة الإعلام المتنوعة.

حقوق الطفل وأخلاقيات العمل الإعلامي

1. **الحق في حماية الخصوصية:** الحق في حماية الخصوصية بدأ الاهتمام به في أواخر القرن 19 نتيجة انتشار صحافة الإثارة (الصحافة الصفراء)، والحق في الخصوصية هو حق الفرد في حماية بعض مظاهر حياته الخاصة، ومنها بالذات المحافظة على السرية بما يصون سمعة الشخص، ويصون معطيات الحياة التي تحرس على عدم تدخل الناس فيها¹⁶.

ومن خلال بحثها عن الحقيقة، تتعامل وسائل الإعلام يوميا مع قضية "غزو الخصوصية" وتكمن المشكلة في أنه إلى أي حد يمكن أن تبحث وسائل الإعلام عن

المعلومات بدون أن تتعدى على حقوق الآخرين، وخاصة حق الفرد في الحفاظ على أسرار حياته الخاصة؟¹⁷، فالشخصيات العامة بحكم عملها وتعرضها للرأي العام تعرض حياتهم الخاصة للحديث عنها وتعرضها للنقد وتحول حياتهم إلى قطعة من الزجاج الشفاف بعد أن كان جدارها مانعا قويا، لهذا يصبح احترام الحياة الخاصة، طبقا لكافة التشريعات في مختلف دول العالم، قيد على حرية الصحف في النشر، فكلما اتسع نطاق الحياة الخاصة انكمش نطاق حرية الصحفي في النشر والعكس صحيح.⁸

ومن مظاهر غزو الحياة الخاصة :

- التطفل على الشؤون الخاصة للآخرين والإقحام المادي لها، كأن يصور صحفي شخصا قبضت عليه الشرطة وقادته إلى الحبس، ثم يقوم الصحفي بنشر تلك الصورة ففي هذه الحالة يمكن للصحفي أن يواجه تهمة اقتحام الخصوصية.

- نشر الأسرار الخاصة والكشف عنها مثل نشر خبر مرفوق بصورة شخص مريض بالسيدا بدون إذنه أو رغبته.

- تزيف حقيقة شخص أو صفته كاستعمال الصور المركبة (فوتومونتاج) التي تظهر الشخص على غير حقيقته، مثلا نشر صورة لرجل شرطة يصحبها تعليق عن فساد الشرطة بدون أن يكون هناك علاقة لهذا الرجل بفساد جهاز الشرطة.

- استغلال صورة واسم شخص معين دون إذنه لأغراض تجارية أو سياسية أو غيرها من المزايا، الأمر الذي يتحول إلى عدوان على الخصوصية.

فالحق في الإعلام يعني نشر كل الأحداث التي تقع في المجتمع، والقول بغير ذلك يعني فرض نوع من الوصاية على حرية الصحافة، على أن استعمال هذا الحق يجب أن لا يمس حق الإنسان في الاحتفاظ بخصوصياته، وعدم تطاول الآخرين عليها، ولا يعني إشباع رغبات الجمهور التعدي على خصوصيات الأفراد ولكن يجب أن تبقى مساحة يُسمح فيها لوسائل الإعلام بالدخول إليها وذلك في إطار المصلحة العامة، بمعنى الاعتراف للجمهور بحق الحصول على المعلومات التي تهمة في كافة نواحي الحياة في المجتمع دون الدخول في الحياة الخاصة للأفراد، والتي ترتبط بالجمهور في أي حال من الأحوال، وإلا فإن هذا يعد تطفلا على حياة الأفراد يعرض الصحف للمسؤولية عما تقوم بنشره.

ويشير كثير من الباحثين إلى حق آخر لصيق بحق الخصوصية ألا وهو الحق في الصورة والذي زادت أهميته خاصة بعد ظهور كاميرات التصوير، والأجهزة الأخرى ذات التقنية والإمكانات الهائلة في مجال التصوير والتلاعب بالصورة والتعديل فيها، ومن هنا برزت فكرة إضافة الحق في الصورة أي حق الشخص في الاعتراض على التقاط صورته ونشرها دون إذنه.

الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان أشارت إلى عدد من الطرق قد تؤدي لانتهاك حقوق الطفل من خلال كشف تفاصيل خاصة عن الطفل، أو من خلال الأفكار النمطية لدى

وسائل الإعلام، ونصت الاتفاقية على الحق في احترام العائلة والحياة الخاصة، كما جاء في المادة 14 من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان على حظر التمييز.

حقوق الطفل في إطار اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل تتضمن ما يلي:

- المادة : 16 الحماية من أي تدخل أو تعرض تعسفي، في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلته أو سمعته أو شرفه" ..
 - المادة : 17 الاعتراف بأهمية وسائل الإعلام، وتشجيع نشر مواد ذات منفعة اجتماعية وثقافية للطفل" و"وضع مبادئ توجيهية ملائمة لوقاية الطفل من المواد التي تضر بصالحه."
- إن مواد الاتفاقية سابقة الذكر تحدد بوضوح حقوق الطفل التي يمكن أن تنتهك نتيجة الممارسات غير المسؤولة لوسائل الإعلام وخصوصا المادة 17 من اتفاقية حقوق الطفل والتي تنص على أن وسائل الإعلام هي المسؤولة عن تعزيز رفاه الطفل كما يعتبر أيضا انتهاكا لحقوق الطفل، كافة أعمال النشر التي لا تراعي المشاعر، إضافة إلى التقارير المحرفة، كما ويعتبر عدم إعطاء الطفل المساحة للتعبير عن آرائه في القضايا المختلفة انتهاكا بحد ذاته. إن الفقرة (هـ) من المادة 17 تنص أن على الدول : "تشجيع وضع مبادئ توجيهية ملائمة لوقاية الطفل من المعلومات والمواد التي تضر بصالحه".¹⁹

2. الحق في محاكمة عادلة : تشكل أخبار الجرائم والمحاكمات مادة يومية أساسية للصحف، وخاصة الجرائم التي تعبر عن اتجاهات معينة في المجتمع، مثل قضايا الاغتصاب واختطاف الأطفال، والقتل والاعتقالات السياسية والمخدرات والتنظيمات المناهضة لقواعد المجتمع، حيث تقوم وسائل الإعلام وخاصة الصحف عادة في حالة إثارة إحدى القضايا بالاستعانة برجال من القضاء ورجال من الإدارة لاستشارتهم ومعرفة رأيهم حول ما يجري في هذه القضايا الهامة حتى تحصل على السبق الصحفي وتزيد من التوزيع والانتشار وبالتالي من الأرباح الكبيرة، دون الاهتمام بحسن سير العدالة، فتتبنى اتجاها معينة تسعى إلى نشره والإيحاء للجمهور بصحته والإيحاء للقضاة بأنه هو الاتجاه الصحيح، والتأثير على الشهود لاتهام المتهمين جزافا فيتأثر أفراد المجتمع ضد بعض المتهمين.

بعض الأحيان يقع الاصطدام بين وسائل الإعلام ورجال العدالة بسبب رغبة وسائل الإعلام في إفشاء الأسرار وتقديم المعلومات عن أخبار المحاكمات واحتمالاتها ونتائجها والرغبة في تقديم خدمة إخبارية متكاملة، ومن ناحية أخرى يحرص القضاة على توفير الحماية الكافية لكافة المتقاضين وضمان عدم تسريب معلومات يمكن أن تؤثر على سير العدالة وحياد القضاة، وعدم تعبئة الرأي العام ضد المتهمين قبل صدور الحكم النهائي سواء بالبراءة أو بالإدانة.²⁰

وقد أقر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان²¹ مجموعة من المبادئ التي تهدف إلى الحفاظ على قيمة الإنسان وشرفه وكرامته دون تمييز وذلك عند دخوله ساحة العدالة وهذه المبادئ هي:

- حق كل شخص في اللجوء إلى محاكمه الوطنية لإنصافه في حالة الاعتداء على حقوقه الأساسية "المادة الثامنة"
- حق كل شخص في محاكمة علنية عادلة أمام محكمة مستقلة ومحيدة "المادة العاشرة"
- كل شخص بريء حتى تثبت إدانته بمحاكمة علنية "المادة الحادية عشر"

حتى يتحقق عنصر نزاهة القضاء كان لا بد من عدم السماح لوسائل الإعلام بأن تستمر في نشر الأحكام المسبقة التي يمكن أن تؤثر على تجرد القضاة بحيث يتاح للمدعى عليه أن يحصل على محاكمة عادلة، وتنص جميع مواثيق الشرف الأخلاقية للإعلاميين على أن نشر الأحكام المسبقة يمكن أن يؤثر على حق المتهم في محاكمة عادلة، وأهمية تحري الدقة والتوازن عند تغطية أخبار المحاكم والجرائم، وعلى هذا فإن حق الصحفي في تناول الجرائم بالبحث والتعليق لا ينفي وجوب التزام الأمانة في عرض الوقائع الخاصة بالدعاوى المطروحة، فلا يجب أن يتخذ الصحفي أو الإعلامي من الصحيفة مثلاً وسيلة للإساءة إلى سمعة الأفراد ويجب احترام التوازن بين حق الجمهور في الإعلام والحرية واحترام الحياة الخاصة للأفراد²².

الذي حدث في قضية اختطاف الطفلة شيماء وقتلها ومن بعدها قتل الطفلين هارون وإبراهيم أن وسائل الإعلام وجهت التهم ووزعتها بطريقة غريبة، لا توجد فيها أدلة ولا إثباتات فقط شهادات مضطربة سلف أن أوردناها، بل ذهب الأمر بأحد وسائل الإعلام إلى اتهام أب الطفلة شيماء بأنه يتاجر في المخدرات وأن سبب قتلها هو انتقام منه فقط، قاتلي إبراهيم وهارون ظهرت صورهما في كل وسائل الإعلام قبل أن يؤكد القضاء حقيقة التهمة الموجهة لهما، ولأول مرة يظهر فيها النائب العام لمجلس قضاء قسنطينة ليواجه وسائل الإعلام في ندوات صحفية يؤكد فيها أن العدالة ستأخذ مجراها الطبيعي ومن غير المعقول استباق الأحداث واستصدار الأحكام بطريقة غير منطقية، لكن وسائل الإعلام استمرت بدفع المواطنين إلى الاحتجاج والمطالبة بإعدام المتهمين " القاتلين حسب وسائل الإعلام"، هذه الصحف والقنوات التي كانت إلى وقت قريب تدعو إلى إلغاء عقوبة الإعدام.

3. الحق في النشر تتجلى إساءة استعمال الحق في النشر عندما يقوم الإعلامي بنشر وإذاعة الأخبار التي تتعلق بالجرائم خاصة إذا كان ارتكاب الجريمة أمراً غير ثابت، بل هو مجرد إدعاءات، أو أنه مجرد حالة لم يُرفع أمرها إلى القضاء، فلا يجوز إشاعة هذا الأمر مطلقاً، ويُحرم تناقل الأحاديث بشأن جريمة لم تُثبت خاصة إذا كانت تتعلق بالأعراض، فمجرد التكلم بشأنها يعتبر أمراً غير مقبول ويرى (والتر ليبمان

Walter Lippmann) " أن الجريمة قطعة من الحياة التي نحيها وليس الخطر أت من نشر أخبار الجريمة في ذاتها، بقدر ما هو أت من تحول الصحفي إلى قاض ونائب عام " 23

ينبغي أن تحافظ وسائل الإعلام على حق المتهم في محاكمة عادلة أثناء نشرها للجريمة والتحقيق فيها إعلاميا فالتغطية الإعلامية غير الرشيدة قد تنتسب في حرمان المتهم من محاكمة عادلة كما تشكل الرأي العام ضد المتهم قبل صدور حكم القضاء ولاسيما في جرائم القتل والاختصاب والفساد وكثيرا ما تصدر أحكام القضاء التي تبرئ المتهم بعد إدانة وسائل الإعلام وتعبئة الرأي العام ضده²⁴ من هذا يظهر أنه من المفروض على الصحافة أن لا تستغل هذا السلاح الخطير الذي في قبضتها وهو النشر، في سبيل التهديد بنشر الفضائح لابتزاز الأموال من الأفراد أو الجماعات، أو

النموذج 3 : التأكيد بأن قتل الطفلين جاء بعد ضغط وسائل الإعلام على المتهمين من خلال تحريض الرأي العام ودفعه لإطلاق صيحات الانتقام من المختطفين فعندما نقرأ عبارة " فإن الأخيرين (المتهمين) وقعا في ورطة حقيقية عندما أطلق السكان حملات بحث.. وومع استمرار الحصار قرر المتهمان قتل الطفلين والتخلص من المتابعة.." تشير أن المتهمين كانوا موجودين في شقة في الطابق الرابع وكانت مجهزة بتلفزيون ومستقبل قنوات يعني أن مصادر معلوماتهما فيما يتعلق بتحركات الرأي العام كانت ترد من القنوات التلفزيونية التي ضخمت الجريمة إلى درجة جعلت التفكير في القتل بديلا للإفلات من العدالة.

النموذج 2 : المطالبة بإعدام الأشخاص الذين لم يثبت القضاء إدانتهم في مقتل الطفلين "هارون وإبراهيم" ووصفهم بالوحوش، وهذا يمكن أن يكون فيه تأثير على العدالة وعلى الأحكام الصادرة في حق المتهمين

هكذا اختطف "كاتاستروف" و"مامين" الطفلين واحتجزاهما داخل شقة على بعد 500 متر من منزلهما



أخبار اليوم
www.akhbaral-yom-dz.com

مهم 800 ألف مسي لاجريه
الأزمة السورية تطحن مليوني طفل
بعد أن تورط في قتل زميلته الإعدام لمعها هفتد
شرطة سمايق

الحكومة في مواجهة أخطر موجة غضب بالجنوب
رعب خفيف الأبطال يجتاح الجزائر

الشعب يريد إعدام "الوحوش"

حلبت سيب ولا خوف
عزى مع لوي
حلبو زيقنلى ضيضة
أمورد لموجهة البيتين

تقرير الأمم المتحدة يؤكد
الجيش الماقي
مؤنوط في نصليات
عرقم للمدنيين

بعد أن كانت تهمشي في المدن
المطارات والاعتداءات
تمشفي في الأرياف

أكدت مصادر مطلقة وعلى صلة بملف التحقيقات الأولية، حول ظروف وملاسات اختطاف الطفلين "إبراهيم" و"هارون"، أن المتهمين الرئيسيين في الجريمة لا يزالان يخضعان تحقيقات معمقة، من أجل تحديد الظروف والدوافع التي جعلتهما يتجران من أدميتهما ويلبسان ثوب اللذاب. وأوضحت المصادر أن الأمر يتعلق بكل من "ق. لمين" المكنى "مامين" البالغ من العمر 38 عاما، وهو مسوق قشاشيا، استعاد مؤخرا من عقوبة النفع العام، لكنه تحول بإجراءات النفع إلى الضرر العام، بمشاركة "أ. حمزة" البالغ من العمر 21 عاما، وهو شاذجنسيا معروف باسم "كاتاستروف"، كلمة بالترسية تعني الكارثة، وهي تحمل الوصف الحقيقي للجريمة، حيث كانت تربطهما علاقة لواط دائمة يعرفها العام والخاص، كما أنهما يقومان داخل شقة بحي السكن الشاهمي التابع لأحد المقاولين الخواص بالوحدة الجوارية رقم 17، وتحديدا بالدخل رقم 19 في الطابق الثالث، وهي شقة استأجرها المجرم "مامين" أين اعتاد ممارسة اللواط مع شريكه. وتجدر الإشارة إلى أن الشقة التي احتجز فيها الضحيتان تبعد بنحو 500 متر فقط عن الوحدة الجوارية رقم 18، حيث يقيم البريتان إبراهيم وهارون. من جهة أخرى، علم بأن التحريات وعلى الرغم من سريتها، أشارت إلى توقيف شريك أو شريكين كشف عن هويتهم الموقوفان، إذ يرجح أن يكون أحدهما حارس حظيرة للسيارات كان يقوم ببلور مراقب لعملية الاختطاف، على الرغم من خلو المكان من المارة، مستغلا تواجد الشباب أبناء الحي في ملعب الشهيد

حملاوي، لمتابعة مباراة فريق شباب قسنطينة ومولودية العاصمة، يوم السبت الماضي، وغياب التغطية الأمنية لتواجد رجال الشرطة بالمعبد ومحيطه تأمين اللقاء الكروي. وقد أكد شهود أن "كاتاستروف" نفذ عملية الاختطاف لإرضاء عشيقته "مامين"، واستنادا إلى تصريحات شهود عيان، وما ورد في ملف التحقيق، فإن الذئبين "مامين" و"كاتاستروف" اللذين كانت تربطهما علاقة غرامية ذات الصلة بالشوذ الجنسي، عرفت حالة من الجمود، مما جعل "كاتاستروف" "حمزة" يبحث عن تنفيذ أي شيء لإرضاء عشيقته، وما كان عليه سوى اختطاف طفلين لتقديمهما له ببرودة دم للاعتداء عليهما جنسيا، وبالرغم من بقاءه معه في الشقة التي استأجرها "ق. لمين"، وعلم بأن كل الجيران يجزمون بأن المتهمين الموقوفين معروفين بالانحلال الخلقي والسلوك غير السوي داخل الشقة التي لا تضم فيها إلا واحد بالوحدة الجوارية رقم 17. المجرمان قتل إبراهيم وهارون خوفا من اكتشاف أمرهما بسبب الحصار الأمني، وتجنيد كل السكان، ومواصلة للتحريات الصحفية التي قامت بها "النهار" ميدانيا، وبناء على المعلومات المسربة من ملف التحقيق وتحصيرات المجرمين، فإن الأخيرين وقعا في ورطة حقيقية عندما أطلق السكان حملات بحث في كل أرجاء المدينة مع تسخير فرق جنائية للدرك والشرطة لتمشيط كل الزوايا، ومع تواصل الحصار، قرر المتهمان قتل الطفلين والتخلص من المتابعة لعدم اكتشاف أمرهما، وقتل البريتين شقا. هشام عياط

الإثراء على حساب المعايير الخلقية والاجتماعية بتوجيه أكثر اهتمامه إلى أخبار الجرائم الشاذة والإفاضة في نشر كل ما يتعلق بها من ظروف وملابسات ودقائق مما يهز كيان المجتمع ويضر بالشباب من الجنسين بصفة خاصة²⁴.

ماذا ينبغي أن يكون؟

إذا نظرنا إلى الحدث الصحفي في إطار العولمة الإعلامية اليوم في الجزائر، نرى أن الحدث ليس هو ما يساعدك على معرفة وتشخيص توجهات المجتمع، ويحدد مسؤوليتك اتجاهها بل هو ما يسمح بالبيع إذا كان ضمن صحافة مكتوبة، أو ازدياد ربح قناة تلفزيونية، إن كان الحدث يعرض في القناة التلفزيونية ومثل روجي غارودي هذا في أنك " إذا كنت تُحب زوجتك فذلك لا يهم أحدا، فإذا قتلتها فهذا حدث (متفرقات) وهو يكلفك مقالة صغيرة في الصحيفة أو 27 ثانية في النشرة التلفزيونية، وإذا ما قطعها إربا فهذا يستحق عمودا في صحيفة أو ثلاث دقائق من البث، وإذا ما أكلتها... فإنها الشهرة " ²⁵.

هذا يعني أننا أمام إعلام لن يتغير بين يوم وليلة وأن العولمة الإعلامية تفرض منطقتها من عدة نواح، والمنطق التجاري هو سيد المواقف، والجزائر مقبلة على مرحلة مهمة وهي فتح المجال السمعي البصري لفائدة الخواص ما يجعل المسؤولية كبيرة على القائمين على المؤسسات الإعلامية في توجيه الجهود نحو ترشيد عملية التغطية في حدود المسؤولية الاجتماعية للمجتمع وكذا متغيراته وتوازناته، فالعلاقة بين الإعلام والمجتمع علاقة جدلية وعلاقة تأثير وتأثر فمصدر قوة الصحافة كما يقول عزي عبد الرحمن هو مجتمعها ومؤسساتها وليس السعي نحو إرضاء الآخر أو الامتثال له... ويخص ذلك إدراج جل شرائح المجتمع وقواه في الجهد الإعلامي وإسهام الصحافة في توضيح أهداف المجتمع وقيمه كما تدعو إلى ذلك نظرية المسؤولية الاجتماعية في الإعلام²⁶.

لا يمكن إخفاء الحقائق إلى الأبد كما كان الحال في السابق في ظل التدفق الهائل للمعلومات، لهذا فالجريمة المرتبطة بالطفل من المفيد نشرها في وسائل الإعلام لكن بوعي ومسؤولية والتزام بالقيم الأخلاقية والمهنية، تخدم الجمهور وتحفز لديه الشعور بالمشاركة من خلال إعلام اجتماعي يمنح الفرصة للمجتمع المدني ليقدم مختلف مكوناته، ليتعرفوا بعضهم على بعض وليتحاوروا في ما بينهم، وهو الإمكانية المفتوحة لكل مواطن أو مجموعة من المواطنين للدخول بحرية وبفعالية للاتصال مع أي مواطن آخر أو مجموعة أخرى في جو من التسامح والاحترام المتبادل²⁷.

● الجهات القضائية في الجزائر عليها أن تتعاون مع الإعلاميين وأن تفسح المجال لتداول المعلومات بشأن الجرائم ضد الأطفال، بما يسمح بغلق الباب أمام المتاجرين بها، فيوفرون المعلومات لوسائل الإعلام بالشروط التي لا تخل بسير العدالة والتأثير على قراراتها إذا كانت لا تزال قيد التحقيق.

● تشجيع البحوث والدراسات على المستوى الوطني التي تسلط الضوء على تأثير نشر وسائل الإعلام للجريمة وسبل مواجهة التجاوزات في هذا الشأن، كما يتوجب الاشتراك في أبحاث فيها مختصين من الجهات الأمنية والعدالة وباحثين في مجالات

التربية وعلم النفس والاجتماع والإعلام لدراسة الجرائم المرتبطة بالأطفال وعلاقة الإعلام بها.

• لا يجب أن تُعزز الصورة العامة للتلفزيون والتي يكسبها المشاهدين من خلال برامج التلفزيون من مشاعرهم بالخوف ومخاوفهم من البيئة العنيفة المحيطة بهم، إذ عليها في المقابل تشكيل صورة الأمن والسلام وعدم الانسياق خلف الإشاعات والتحريض.

• قيام وسائل الإعلام بكافة أشكالها بتوعية الأطفال بالأساليب الإجرامية التي يلجأ إليها الجناة لارتكاب مثل هذه الجرائم، والتي تنحصر أغلبها في استدراج الأطفال بدعوى مقابلة الوالدين أو شراء أشياء لهم، مع نصحهم بعدم التحدث مع غرباء خارج المنزل من خلال الحملات التحسيسية

والموضات والأفلام القصيرة والبرامج التوعوية

• التدخل التشريعي بالنص صراحة على تجريم التشهير والإساءة في استعمال حق النشر وعدم احترام الحياة الخاصة للضحايا وذويهم، عندما يتعلق الأمر بالجرائم المرتبطة بالطفل كالاغتصاب أو الاختطاف أو القتل. ...

• حان الوقت لتأسيس الجمعيات الوطنية لحماية المستمعين والمشاهدين من التلوث الإعلامي، والتي تكون مهمتها رقابية وناقدة لوسائل الإعلام، وموجهة لوسائل الإعلام المرئية والمسموعة، وتكون جمعيات شعبية، تتكون من المهتمين بتطوير خدمات الإذاعة والتلفزيون وتحمل مسؤولياتها الاجتماعية.

هوامش الدراسة:

¹ - ليلي عبد المجيد، التشريعات الإعلامية، ج:3، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، القاهرة، 2000، ص349

² - منير محمد حجاب، الإعلام والتنمية الشاملة، ط:1، دار الفجر للنشر والتوزيع، 1998، ص 251

³ - عبد الحميد محمد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط: 1، دار عالم الكتب، 1997، ص 138

⁴ - الجميلي فتحية عبد الغني، الجريمة والمجتمع ومرتكب الجريمة، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، 2001، ص35

⁵ - مازن بشير، مبادئ علم الإجرام، دار الكتب والوثائق، بغداد، 2009، ص30

(*) الطفل من الناحية القانونية كما جاء في اتفاقية حقوق الطفل التي أصدرتها الأمم المتحدة عام 1990 هو : " كل إنسان لم يتجاوز سنه الثامنة عشرة، ما لم تحدد القوانين الوطنية سناً أصغر للرشد "

⁶ - محمد بن سليمان الصبيحي، التغطية الإعلامية لنشر أخبار الجريمة الأخلاقية في وسائل الإعلام السعودية - دراسة وصفية في ضوء أبعاد نظرية المسؤولية الاجتماعية ومحددات نشر أخبار الجريمة، حلقة علمية بكلية الدعوة والإعلام حول : "نشر أخبار الجريمة الأخلاقية وقضاياها"، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ديسمبر 2009، ص 5

⁷ - المرجع نفسه، ص 5

⁸ - أمين بن أحمد المغامسي، قواعد عامة لنشر أخبار الجرائم والحوادث في الصحف، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد 17، ع : 34، ص 138

⁹ - ص. بورويلة، المطالبة بعزل الأطفال من السباق نحو السبق الصحفي، جريدة الخبر، الإثنين 9 نوفمبر 2009، ع : 5813، ص21

¹⁰ - عواطف عبد الرحمن، هموم الصحافة والصحفيين في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ط: 1، 1995، ص 171

- 11- نهوند القادري عيسى، قراءة في ثقافة الفضائيات العربية الوقوف على تخوم التفكير، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط:1، 2008، ص134
- 12 - Anderson. D.R. **Children and Television across National comparasion**, Academy of political and social science, 1998. P 17
- 131 السيد بهنسي حسن، استخدام نموذج الاهتمام ودوافع المشاهدة في اتخاذ القرارات الخاصة بتقييم موضوعات برامج الأطفال في التلفزيون المصري، مؤتمر الطفل المصري بين الخطر والأمان، جامعة عين شمس، 1995، ص 22
- 14- الطاهر شقرون وآخرون، الطريق السريعة للمعلومات في الوطن العربي الواقع والآفاق، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ط:1، 1999، ص122
- (*) " إن مسألة فصل الواقعة عن الرأي والتعليق هو محل جدال مستمر بين الباحثين الأكاديميين والصحافيين المهنيين إذ يرى البعض انه برغم التعهد بالموضوعية والدقة والحقيقة، فإن الأخبار لا تعطي إلا تقريراً جزئياً فقط عن العالم وينسبون النقائص في التقرير إلى الروتين اليومي والمعتقدات التي تقوم عليها الصحيفة اليومية في إنتاج الأخبار " عن عزي عبد الرحمن، مجموعة من الباحثين، **عالم الاتصال**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط:1، ص91
- 15- حمدي عبد الرحمن، **الوسيط في النظرية العامة للإلتزامات**، الكتاب الأول المصادر الإرادية للإلتزام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط:1، 1999، ص66
- 16- حسن عماد مكاوي، **أخلاقيات العمل الإعلامي (دراسة مقارنة)**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط:1، 1994، ص268
- 17- فادية أبو شهيبية، المجلة الجنائية القومية، عدد خاص عن حقوق الإنسان في مراحل اتهامه بالتحقيق **والمحاكمة "الدعوى الجنائية"**، المجلد رقم 40، ع:1-2-3، مصر، مارس -جويلية-نوفمبر، 1987، ص293
- 18- موقع المكتب الإقليمي لليونسيف، حقوق الطفل والممارسة الصحفية - المنهج المبني على الحقوق، منظمة الأمم المتحدة للطفولة، [http://www.unhchr.ch/tbs/doc.nsf/\(Symbol\)/CRC.C.SR.336.En?Opendocument](http://www.unhchr.ch/tbs/doc.nsf/(Symbol)/CRC.C.SR.336.En?Opendocument)
- تاريخ الزيارة 11-3-2013 على الساعة 13:00
- 19- حسن عماد مكاوي، مرجع سابق، ص293
- L'HOMME, **DECLARATION OBSERVATOIRE NATIONAL DES DROITS D'UNIVERSELLE DES DROITS DE L'HOMME**, O.N.P.S, 1998, P 8. 9
- 21- مدحت محمود عبد العال، **المسؤولية المدنية الناشئة عن ممارسة مهنة الصحافة**، كلية الحقوق جامعة القاهرة، ط:1، 1994، ص363
- 22 - محمود فهمي، **الفن الصحفي في العالم**، دار الكتاب المصرية، القاهرة، ط:1، 1964، ص95
- 23- Erik Bucy, **Living in the information Age : A new Media Reader**, MA.(Australia : United Kingdom, United states , 2002), PP. 289 -290
- 24 - عبد العزيز شرف، **الصحافة المتخصصة ووحدة المعرفة**، علم الكتب، القاهرة، ط:1، 2003، ص 58
- 25 - روجي غارودي، **العولمة المزعومة: الواقع، الجذور، البدائل**، تر:محمد السبيطلي، دار الشوكاني للنشر والتوزيع، صنعاء، د ط، 2000، ص77
- 26 - عزي عبد الرحمن، تجليات الخوف في الصحافة، www.philadelphia.ed, 6/5/2006، 15:30
- 27- HERVE Collet, **Communiquer pourquoi , comment ?**:Le guide de la communication sociale, 102PARIS : Cridec, 2004 , p

المحور الرابع

تحليل نقدي لتدريس المنهجية في العلوم الإنسانية بالجامعة الجزائرية

د.ة أم الخير تومي
جامعة وهران 1-أحمد بن بلّة

"ما من تقدم علمي كبير إلا وناتج عن جرأة جديدة للخيال"
جون ديوي

مقدمة

تحاول الجامعة الجزائرية اليوم أن تتخلص وبصعوبة من تبعات التعليم التقليدي الذي يقوم على حفظ المعلومات وإسترجاعها عند الطالب. ولا نبالغ إذا اعترفنا أن رواسب التعليم التقليدي ما زالت مُلتصقة بتخصصات العلوم الإنسانية والإجتماعية التي مازلت إلى اليوم تُنتج طلبة من نسخ مكررة من ثقافة تنطوي على نقائص وعيوب مجتمع يحمل أفكار الماضي ويفتقر لمهارات تفكير مثل التفكير النقدي.

يعكس إهمال العلوم الإنسانية نظرة قاصرة عند القائمين بدليل أنهم لم يفلحوا في إيجاد الخريجين المؤهلين لإحتياجات سوق العمل الحديثة. ومن بين أسباب ذلك التركيز على حشو ذهن الطالب بمعلومات نظرية، من دون الاهتمام بالجانب العملي. فقد أضعف تدني نوعية التعليم القدرات التي يبنّيها التعليم في عقل وشخصية الطالب. وتدرّسه ثقافة عامة متأثرة بالماضي أكثر من الحاضر. بل هي ثقافة تخاف الحاضر ومشكلاته، وتعمل على التهرب منه. وتحسين نوعية التعليم.

من الأسباب التي أدت إلى انخفاض ومحدودية التكوين والبحث في العلوم الإنسانية بالجامعة الجزائرية عدم تدريس بعض مواد هذا التخصص (مثل المنهجية) في المستويات الأدنى أو تدريسها بصورة نظرية وهو من بين الأساليب التعليمية القائمة التي تحد من مشاركة الطلاب.

فطالب العلوم الانسانية لا يبدو مستعدا لتلقي الخطاب في هذا التخصص كما هو مُدرس في الجامعات الجزائرية وهو ينظر إليه على أنه خارج منطقة الإهتمام. فهذا الخطاب ليس إجرائيا وأكثر من ذلك ليس مشروعا. وهنا يطرح السؤال الحاسم نفسه بإلحاح : كيف ينبغي تدريس العلوم الانسانية اليوم ؟

لا ندعي أنه يوجد طرائق مثالية لتدريس العلوم الإنسانية. بل نعتقد أنه ثمة خصائص أو صفاة لطرق تدريس ناجحة كأن نعطي للعمليات العقلية إهتماما أكثر من

المعرفة النظرية (الملاحظة، المقارنة، التحديد، التصنيف، التجريب، المشاهدة، الاستنتاج...). ولا شك في أن لمادة المنهجية في هذا الشأن دورا فعالا لما تساعد من فهم الطالب للأبعاد الابدستولوجية للمعرفة، وتدريبه على صياغة المضامين العلمية وإتقانه تقنياتها وتخطيطها وتنظيمها في حالة إنتاج المعرفة أو استثمارها.

نطرح من خلال هذا المقال مشكلة تدريس مادة المنهجية في تخصصات العلوم الإنسانية بالجامعة الجزائرية. فنحن نطلق من فكرة جوهرية مفادها أن تكوين الطالب كهدف سامي في التعليم الجامعي لا يتحقق إلا بإملاكه لخاصية التفكير العلمي المنهجي وتعلمه خبرة تخطيط وتنظيم وتصنيف وتوظيف المعلومات وإنتاج المعارف. وهو التعلم الذي يواجه به الفرد المتعلم مشكلات الحياة النوعية...؟

كما نسعى إلى طرح تساؤلات للبحث والنقاش أكثر من تقديم حلول لها. هدفنا عرض الأفكار حول هذه المسألة. فتأملاتنا نابعة من قلق وجودي ينتابنا منذ مدة بشأن طرائق التدريس في مجال العلوم الإنسانية بالجامعة الجزائرية وبخاصة تدريس مادة المنهجية. وهنا نعترف أن إلحاحنا للتصدي لموضوع كيفية تدريس مادة المنهجية في العلوم الإنسانية قد يعني بداية رفض أو إمتعاض أو إرتباك عميق نشعر به إلى جانب عدد من الأساتذة في تخصص العلوم الإنسانية أمام الطلبة.

سنبدي من خلال هذا المقال بشهادتنا حول تدريس المنهجية في العلوم الإنسانية ونقف متسائلين أنه وعلى ضوء التغييرات العميقة التي عرفها المجتمع الجزائري إننا ولسنوات – إستمرينا في تدريس المنهجية دون أن نطرح على أنفسنا عددا من الأسئلة الهامة التي أفرزتها من جهة التغييرات التي طرأت على المجتمع الجزائري ومن جهة أخرى التغييرات التي دخلت على مجال العلوم الإنسانية وعلى منهجيتها وتقنياتها.

وفي هذا المقال سنحاول إعطاء صورة حول تدريس مادة المنهجية في العلوم الإنسانية بالجامعة الجزائرية من خلال التعرف على الطرائق البيداغوجية المعتمدة في تدريب الطلبة وتوجيههم لإنجاز بحوثهم العلمية مع إثارة مشكل إختيار المواضيع البحثية الذي عادة ما يواجهه طلبة هذا التخصص.

1- العلوم الإنسانية بالجامعة الجزائرية

عرف التدريس في مجال العلوم الإنسانية بالجامعة الجزائرية تقلبات عديدة طبعت مسيرتها منذ الإستقلال عام 1962. فإذا إتفقنا أن وظيفة الجامعة الأولى هي إنتاج ونشر المعرفة. فإن هذه الوظيفة قد عرفت في حالة العلوم الإنسانية والإجتماعية (خلال العشرية الأولى والثانية بعد الاستقلال) ضغطا إجتماعيا وسياسيا تمثل في تدخل مؤسساتي الذي حال دون إحترام المقاييس العلمية في إنتاج المعرفة. إذ توجه كل الإهتمام إلى تحقيق مبادئ سامية تمثلت في الجزارة، التعريب ودمقرطية التعليم

دون إحترام قواعدها أو الأثار التي يمكن أن تنجم عنها. ولم تفعل الإصلاحات الجامعية الجديدة التي باشرها المشرفون على هذا القطاع منذ 2004 شيئا اخر سوى إعادة إرباكه بسبب الفوضى التي طبعت عملية تطبيق هذا النظام. فقد غيرت فوضى إقتراح المشاريع الدراسية - كليا - من شكل خارطة العلوم الإنسانية¹.

ما ميّز الجامعة الجزائرية في فترة ما بعد الاستقلال هو غياب المبادرة فيها ما خلق نوع من أزمة العلاقة بينها وبين المجتمع. فكيف يمكن للجامعة أن تقوم بدورها وهي في هذا الواقع المتأزم؟ الجامعة كمؤسسة قيادية لا بد أن تملك المبادرة مهما كانت التحديات وهو العامل الذي كان ينقص هذه المؤسسة ويظهر ذلك من خلال جملة المظاهر الاتية التي كانت قد ميّزت عملية تدريس العلوم الانسانية والاجتماعية خلال تلك الفترة -حسب بعض المهتمين والدارسين-²:

- اعتماد الحفظ والإستظهار والتلقين وشحن الدروس، بدل التركيز على مناهج التفكير والتحليل وأدوات التعامل مع المعرفة والتحفيز على الإبداع والابتكار والمبادرة والنقد.

- مناهج العلوم الانسانية والاجتماعية كانت تعاني من الجمود والرتابة، ولا تتميز بالمرونة اللازمة، ويغلب عليها في كثير من الأحيان الطابع النظري التجريدي على حساب الشق التطبيقي العملي.

- مناهج تتسم بالتخلف عن اللحاق بركب الإكتشافات العلمية والتطورات التكنولوجية، فنسبة 60 % من الأبحاث والنظريات المدرسة أصبحت متجاوزة علميا.

لعلنا لا نبالغ إذا وصفنا الوضعية الحالية في تدريس العلوم الانسانية بالجامعة الجزائرية بالهشة وبأنها تعاني من خلل كبير بين محتوى البرامج الدراسية والطلب الاجتماعي الحقيقي . ومع ذلك فإننا نشهد قيام المعنيين عن التعليم الجامعي ما يدعونه " إصلاحا شاملا للمنظومة الجامعية".

شرعت السلطات المعنية بقطاع التعليم العالي بالجزائر ابتداء من 2004 في تطبيق النظام الجديد المسمى بنظام L MD³. خلق هذا النظام جدلا واسعا لا سيما في مجال العلوم الانسانية الذي كان تطبيقه لهذا النظام ابطئ إذا ما قارناه بمجالات العلمية الدقيقة الاخرى. فوضى وارتجالية واضحة ميزت تطبيق النظام الجديد في مجال العلوم الانسانية. وتجلت مظاهر ذلك في تأخر اعتماد بعض كُبريات الجامعات الجزائرية، مثل جامعة وهران لهذا النظام في الوقت الذي غامرت فيه الكثير من المراكز الجامعية حديثة النشئة وسارعت إلى تطبيقه على الرغم من ضعف التأطير بها، حال المركز الجامعي لولايتي غيلزان ومُستغانم⁴ (هما مركزان جامعيان حديثي النشئة يقعان في الجهة الغربية للجزائر).

يرى المدافعون عن هذا النظام أن اللغظ الحاصل حول الإصلاحات الجامعية الجديدة مرده القراءات الأيديولوجية الضيقة للمشروع من جهة. وسوء فهم مبادئه الفهم الصحيح من جهة ثانية. في حين يعتقد الكثير من الأساتذة المنتقدين لهذه الإصلاحات والرافضين لفكرة هذا النظام بأنه لم يتم التحضير بعد الأرضية الملائمة له لكونه يتطلب طاقات مادية وبشرية مؤهلة. فضلا على أنه لا يتماشى وخصوصيات مجتمعنا، لأن أغلب برامج مستنسخة عن دول أخرى خاصة فرنسا. لذا هو فارغ خال من أي إبداع أو خصوصية⁵.

الرافضون لهذا النظام الجديد يشككون أيضا في علمية وموضوعية برامج المشاريع الدراسية المقترحة في إطار نظام ل.م.د. لمختلف التخصصات والشعب والفروع بالقول أنها لا تخضع -عموما- لأي منهجية علمية وتفتقر إلى الرؤية الشاملة والمتكاملة لمتطلبات العملية التكوينية. حيث تُنجز البرامج من قبل أفراد فقط وليس فرق عمل، ويستند إلى طريقة النسخ من برامج النظام الكلاسيكي دون دراسة ولا تمحيص. فكثيرا ما نجد مقاييس مكررة بمسميات مختلفة، والكثير من المقاييس الأساسية والضرورية لعملية التكوين في تخصص العلوم الانسانية لا نجد لها أثرا في البرنامج. كما تُحشى مقاييس أخرى لا علاقة لها بلمح التكوين في تخصص ما. هذا إذا علمنا أنه لا يوجد برنامج دراسي موحد لتخصص العلوم الإنسانية بالجامعات الجزائرية (ثركت حرية كبيرة للمؤسسات الجامعية - عقب اعتماد النظام الجديد - لتحديد مجالات التكوين والشهادات المرفقة). الأمر الذي غير كليا شكل خارطة تخصصات العلوم الانسانية من جامعة إلى أخرى.

من جانب آخر، نشير أن طريقة الالتحاق بفرع العلوم الانسانية بقيت مع النظام الجديد على ما كانت عليه (باكالوريا+ توجيه). وتعتبر العلوم الإنسانية في هذا المجال من أكثر الفروع العلمية بالجامعة الجزائرية معاناة بحيث تسمح لحاملي البكالوريا اداب بمعدل 10 وأعلى قليلا للالتحاق بهذا الفرع. إضافة إلى توجيه أعدادا كبيرة جدا من الطلبة غير الناجحين في دراستهم في فروع علمية أخرى كالرياضيات والعلوم نحو تخصصات العلوم الإنسانية.

لا ينبغي التأكيد أن الجهل أو التجاهل لتخصص العلوم الانسانية هو سائر في إتجاه واحد (أي من قبل أهل القرار وحدهم). ذلك أن طلبة العلوم الإنسانية الذين من المنتظر أن تبرز من بينهم نخبة الباحثين في هذا الحقل لا يعرفون في غالب الأحيان عن مجتمعهم أكثر مما يعرف رجل الشارع وسبب ذلك تراه أستاذة العلوم الإنسانية بجامعة ورقلة هو عدم إكتسابهم خلال مدة تكوينهم للأدوات الضرورية المساعدة على فهم وتحالوqع الإجماعي والتعرف عليه عن كثب. فما طبيعة الخلل الذي يعاني منه

تدريس العلوم الانسانية بالجامعة الجزائرية؟ وهل الإرباك الحاصل مرده سوء تدريس مادة المنهجية..؟

2- أهمية مادة المنهجية في حقل العلوم الانسانية

تكتسي مادة المنهجية أهمية خاصة في منظومة المعرفة التربوية الجامعية. فهي تقود الطالب إلى إكتساب المعرفة الصحيحة وتكوين المفاهيم العلمية بطرق البحث العلمي ووسائله. وتقود المُنظر إلى المعرفة بطرق تطوير النظريات والقوانين العلمية التي لا يمكن الوصول إليها إلا بالطرق المنهجية العلمية. ومن ثمة فهي مادة محورية في تكوين الملمح العام لشخصية الطالب في أي تخصص من التخصصات العلمية الأكاديمية. إذ أن تكوين الطالب كهدف سامي في التعليم الجامعي لا يتحقق إلا بإملاكه لناصية التفكير العلمي المنهجي وتعلمه خبرة تخطيط وتنظيم وتصنيف وتوظيف المعلومات وإنتاج المعارف. وهو التعلم الذي يواجه به الفرد المتعلم مشكلات الحياة النوعية.

فالحياة بأسرها كما يصفها "بوبر Popper⁶ حل للمشكلات أو كما يصفها "ديوي" Dewey⁷ بأنها مواجهة مستمرة للمشكلات والصعوبات. ومن خلال تعلم الطالب للمعرفة المنهجية ببعديها التفكيري المجرد والعملية الأمبريقي، بحيث تصبح مدمجة في سلوكياته التعليمية كأفعال منعكسة، يتمكن من مواجهة مشكلات الحياة ويراكم خبرة علمية يوظفها في المواقف الجديدة حين تصادفه مشكلات. بل إن تعلم المنهجية في التفكير هو تعلم التفكير الناقد في التفكير ذاته، الذي به يعدل الطالب من إستراتيجياته في التفكير نحو الأفضل ويتدرب على ما يسمى بالتفكير في التفكير.

تكمُن أهمية المنهجية حسب "جيبس" Gibbs في تطوير القدرات الفكرية والخيالية عند الطلاب. وتُحسن مستوى الفهم والاستيعاب لديهم ومهاراتهم في حل المشكلات والقضايا وقدرتهم على تمثّل المعلومات بشكل فعال والنظر في الأمور من خلال ما تعلموه في الماضي وما يدرسونه حالياً. ويقدم "جيبس" الآليات والوسائل المحققة لذلك. حيث يؤكد على ضرورة تبني منهج دراسي يعتمد على تحريض إمكانيات الإبداع والاستفسار والتحليل عند الطلاب وحثهم على الإستقلالية في إختيارهم وطرحهم للآراء والأفكار والنقد الذاتي في عملية التعلم⁸.

إذن يمكن اعتبار مادة المنهجية أداة فكر، تفكير وتنظيم، أداة عمل وتطبيق، أداة تخطيط وتسيير بالإضافة إلى كونها أداة فن وإبداع.

أداة فكر وتفكير وتنظيم

أداة هامة في زيادة المعرفة واستمرار التقدم ومساعدة الدارس على تنمية قدراته

في فهم المعلومات والبيانات ومعرفة المفاهيم والأسس والأساليب التي يقوم عليها أي بحث علمي.

أداة عمل وتطبيق

من حيث انها تزود الباحث بالخبرات التي تمكنه من القراءة التحليلية الناقدة للأعمال التي يتفحصها وتقييم نتائجها والحكم على أهميتها واستعمالها في مجال التطبيق والعمل.

أداة تخطيط وتسيير

تُزود المُشتغلين (خاصة في المجالات الفكرية) بتقنيات تساعد على معالجة الأمور والمشكلات التي تواجههم.

أداة فن وإبداع

تتضمن طرق، أساليب، إرشادات والأدوات العلمية والفنية وتساعد الباحث لإنجاز بحوثه نظرية علمية كما انها تمكن الباحث من إتقان عملها وتجنبه الخطوات المبعثرة والهفوات.

فبواسطة هذه المادة يتعرف الطالب والطالب الباحث على الطريقة العلمية المنتظمة التي يجب أن يتبعها لمعالجة أو دراسة موضوع أو مسألة ما من أجل التوصل إلى نتائج معينة وتكون : علمية (الكشف عن الحقيقة) ومقصودة (البرهنة عليها لإقناع الغير). كما تعني تدريبه وتعلمه كيفية استخدام ملكاته الفكرية وقدراته العقلية أحسن استخدام للوصول إلى نتيجة معينة بأقل جهد وأقصر طريقة ممكنة. ويستخدم الباحث تفكيره كأسلوب لمعالجة القضايا وهو أداة المنهجية في ذلك.

من جهته يرى "محمد نصر عارف" في المنهجية (Methodology) بأنها: " العلم الذي يدرس كيفية بناء المناهج واختيارها وتشغيلها وتعديلها ونقضها وإعادة بنائها، يبحث في كلياتها ومُسلماتها وأطرها العامة، فهي الواصلة ما بين النموذج المعرفي والمناهج التي تمثل الوسائل والطرق التي تُستخدم للوصول إلى الحقيقة"⁹. فيما يؤكد "سيف الدين عبد الفتاح".¹⁰ انه لا بد على طالب العلم أن يُميز بين المنهجية والمنهج مفهومين متميزان ومنفصلان، فالمنهجية حسبه هي علم دراسة الطرائق وتكوينها وبنائها وتفعيلها وتشغيلها، فهي منهج المناهج بهذا الاعتبار، وأما المنهج أو المناهج فهو مفردات هنا أو هناك، وأدوات ووسائل، وقواعد وخطوات وإجراءات هي من مكونات المنهجية ولكن تستوعبها، ذلك أن علم المنهجية يتواصل في رؤية فيما قبل المنهج والمنهج ذاته وفيما بعد المنهج في سياق وأصل ورابط بين هذه المنظومة والعناصر المنهجية وعمليات التفاعل والتشغيل المرتبطة بها.

فمادة المنهجية هي الأساس الذي يجب أن ينطلق منه الباحث في بحثه لحل المشكلة أو نقدها، أو إدراك الحقيقة، وإختبار صحتها وهو ما يراه "سيف الدين

إسماعيل" الذي يصفها ". . . بالأساسية والإستراتيجية للطالب وطالب الباحث لأنها تصف له الطريقة التي يعالج بها موضوعه"¹¹.

تشمل المنهجية في نظر" أحمد فؤاد باشا"¹² دراسة وتحليل كل ما يتعلق بالعلوم ولغاتها وتطورها وتقنياتها من مختلف النواحي المعرفية والمنهجية والقيمية والانطولوجية والاجتماعية والتاريخية وغيرها بهدف التعرف على مكانة العلم في حياتنا ودوره في تكوين نظرة الإنسان الشاملة للقضايا الوجود والحياة.

وكلما كان تدريس مادة المنهجية بخاصة في العلوم الانسانية واضحا ومحدداً ساعد ذلك الطالب على سلك السبل التي توصله إلى الحقيقة بيسر. فالمفروض ان تكون هذه المادة وسيلة للإكتشاف شخصية الطالب، وتنمية القدرات الذاتية الموجودة لديه وقادرة على خلق روح الإبداع والتميز لديه¹³. وليس مجرد وسيلة للحصول على الشهادة. وأن تكون قادرة على توسيع مداركته وافاقه المعرفية وان تراعي حاجات الطالب بعد التخرج في ضوء حاجة المجتمع وسوق العمل. كما يجب ان تراعي الجانب المعرفي للطالب.

نعقد أنه بات من الضروري تكريس الجهود والطاقات اللازمة لمواجهة التحديات الجديدة التي ظهرت في تطوير كل مناهج تدريس العلوم الانسانية بحيث تستطيع مواكبة التطورات المعرفية وتوظيف تكنولوجيا المعلومات. مع تكوين حلقة وصل بين النظرية والتطبيق القائم على التفاعل الايجابي للمجتمع الراهنة وتراعي سوق العمل التي أصبحت فيه المهن أكثر حداثة وإرتباطا بالتكنولوجيات واللغات الأجنبية للارتقاء بالتعليم. ونظن أن ذلك سوف لن يتحقق إلا بتبني معايير جادة يأتي في مقدمتها تدريس مادة المنهجية بكيفية تتلائم أو تتطابق مع المتطلبات الجديدة لحاجات الفرد والمجتمع.

وعليه يجب أن تكون مادة المنهجية المُدرسة على مستوى كليات العلوم الانسانية بالجامعات اليوم ناطقة تُحرك الطلبة وحركية تُدربهم وتوجههم نحو نشاطات تنمي مهارات التفكير والإستدلال العلمي لديهم وتثير دافعيتهم للتعلم وتحفزهم على فهم مجتمعاتهم والمساهمة في حل مشاكلها. فكيف هو حال تدريس هذه المادة الإستراتيجية بالجامعة الجزائرية اليوم..؟

3- تدريس المنهجية بالجامعة الجزائرية... الطرائق والمعوقات

لا يختلف إثنان على فكرة أنه كلما كان تدريس مادة المنهجية فعال كلما ساعد ذلك الطالب في فهمه للأبعاد الاستمولوجية للمعرفة، وتدريبه على صياغة المضامين العلمية وإتقانه تقنياتها وتخطيطها وتنظيمها في حالة إنتاج المعرفة أو استثمارها.

وبحكم أهمية هذه المادة في العملية التكوينية إرتائنا كشف النقاب فيما سيأتي على طرائق تدريس هذه المادة بالجامعة الجزائرية مع الوقوف على أهم المشاكل التي

تتسبب في إرباك العملية التعليمية وإضعاف فعاليتها. كما سنتابع بأعين تحليلية متأملة ما ينقص الطالب وما يحتاجه من توظيف تقنيات المنهجية في تصميم كتابة بحوثه الأكاديمية، كمهارات معرفية وإكسابه خبرة متخصصة في الجانب التقني للمنهج العلمي.

- فوضى تلقين الدروس وتكرار للمحتوى

يتلقى حاليا طلبة العلوم الانسانية بجامعة الجزائرية (كلية العلوم الانسانية بجامعة وهران كمثال) مقياس المنهجية في شكل دروس نظرية أو أعمال توجيهية أو تطبيقية أو نشاط عبارة عن عمل ميداني أو تدريب أو مشروع شخصي، وتستغرق هذه المادة (تسمى بالوحدة في نظام ل.م.د) نحو 45 ساعة للسداسيين خلال كل طور تخصص للتدريس والتقييم¹⁴. ويعطى للطالب نقطة عن كل هذه الأنشطة، يتم احتساب المعدل في هذه الوحدة إنطلاقا من معدلات المجزوءات. ويعد ناجحا في الوحدة كل طالب حصل على 10 / 20 فما فوق، وله الحق في إمتحان إستدراكي إذا لم تقل نقطته على 3.05.

■ في أول سنة من إلتحاقهم بمقاعد الكلية يتلقى الطلبة العلوم الإنسانية مادة المنهجية في شكل دروس نظرية فقط بمعدل ساعة والنصف أسبوعيا. تتضمن الدروس خلال سداسيين المحاور التالية:

- المعرفة وأنواعها
- شروط التفكير العلمي
- المقارنة بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية
- الإبستمولوجيا وتطور العلوم
- المدارس الاجتماعية الكبرى (الماركسية، الإمبريقية، البنيوية والوظيفية)
- مناهج في العلوم الإنسانية والاجتماعية (المنهج التجريبي، الوصفي، التاريخي والمقارن بالإضافة الى المناهج الكمية والكيفية).

■ يتولى في السنة الثانية (أي خلال السداسيين الثالث والرابع) فريق اخر من الأساتذة مهمة تدريس المنهجية للطلبة. خلال هذه السنة تُقدم المادة في شكل دروس نظرية كذلك. دون حصص تطبيقية مُدعمة. نفس المحاور تقريبا يتلقاها الطالب والتي تدور حول:

- المعرفة والعلم
- البحث العلمي وخصائصه
- مراحل وأهداف البحث العلمي
- البحث العلمي في العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية

- ويخصص السداسي الثاني لتعريف الطالب أهم تقنيات البحث المستعملة في مجال العلوم الإنسانية من ملاحظة، مقابلة، إستمارة وتحليل المحتوى. الغريب في الأمر أن الطالب لحد هاتين السننتين المُقتطعتين (أربع سداسيات) من عمر مشواره الجامعي (ينتهي بالنسبة لاغلبية الطلبة عند حدود السداسي السادس) يبقى عاجزا على إختيار موضوع البحث ولم يتعرف بعد على كيفية صياغة إشكالية البحث في العلوم الإنسانية. ولا يعرف حتى كيف يقوم ببناء وثيقة الاسئلة (في شكل مقابلة او إستمارة). كما يبقى جاهلا لمبادئ تحليل المحتوى (المعروف أنه من أهم المناهج المعتمد عليها في تخصصي علوم الإعلام والاتصال وعلم التاريخ). نعتقد أن العامل الجوهرى الذي يكمن وراء الإتيك الحاصل بخصوص تدريس مادة المنهجية هو الحرية الكبيرة- نستطيع وصفها بالفوضى- التي باتت تتمتع بها المؤسسات الجامعية في تحديد مجالات التكوين والحجم الساعي له. حيث لم يتم لحد الان ضمان أي تجانس لعروض التكوين بجميع كليات العلوم الإنسانية بسائر الجامعات الجزائرية والمفترض أنه دور اللجان جهوية أو وطنية المكلفة من قبل الوزارة الوصية بتقييم ومتابعة مجالات التكوين¹⁵.

فالتشويش الذي يتعرض له ذهن الطالب كان سيتم تداركه لو تم الإعتماد على حصص التطبيقية إلى جانب الدروس النظرية التي يتلقاها مثلا. وفي هذا الشأن يعترف أستاذ المنهجية بكلية العلوم الإنسانية بجامعة وهران بالقول " من غير المعقول أن يستوعب طالب السنة الأولى بسهولة المادة النظرية المقدمة اليه دون تدريبه عليها تطبيقيا..!

كما لا يمكن أن نتجاهل أيضا إكراهات الإكتظاظ المسجلة والتي تكون عادة أهم معوقات إستيعاب وفهم الطالب للمادة المقدمة إليه (تعدى عدد الطلبة السنة الاولى حدود 400 طالب).

من بين المؤشرات الدالة على عدم نجاعة تدريس مادة المنهجية - حسب إستطلاع أجريناه خلال السداسي الأول من الموسم الجامعي عام 2014 نذكر أنه تعدت نسبة الراسبين في هذه المادة (يسمح نظام لـ م د للطلبة الإنتقال إلى السنة الموالية حتى في حالة رسوبهم في أحد المقاييس). حدود 80 بالمائة بالنسبة لطلبة السنة الثانية تخصص علوم الإعلام والاتصال مثلا، في حين ناهزت نسبة الطلبة السنة الأولى جذع مشترك الذين لم يتحصلو على المعدل في هذه المادة الـ 76 بالمائة. وهنا يجدر طرح مسألة تقويم الطلبة التي تبقى واحدة من أهم المشاكل التي يتجدد حولها الصراع¹⁶ في كل مرة بين الأساتذة الذين يرون أن تهاون واللامبالاة الطلبة أحد أهم أسبابها وبين الطلبة الذين يعتقدون أن ضعف روح المسؤولية لدى بعض الأساتذة وراء تفاقمها.

■ تُقدم مادة المنهجية لطلبة السنة الثالثة (خلال السداسيين الخامس والسادس) على شكل تربص يُفترض أنه يجرى على مستوى مؤسسات وقطاعات مختلفة - حسب إختيارهم (نشير أن الإدارة لا تتدخل في هذا الشأن وتمنح للطلاب حرية التصرف والإختيار). يُجبر الطالب في هذه السنة على إنجاز تربصه الميداني وكتابة تقرير بحثه والذي يُحتسب في النهاية على شكل مذكرة تخرج. على المستوى الشكلي، يرمي هذا المقياس في هذه السنة بالذات إلى توجيه الطالب نحو:

- إكتساب كفاءات المشاركة والاندماج في مجموعة العمل (دينامية المجموعات).
- إستيعاب معلومات وفهم أحسن من أجل تمريرها بشكل أفضل (الفهم وإفهام الغير) من خلال التمكن من العناصر التالية
- تلخيص وتركيب الوثائق وأخذ النقط ومحاضر الاجتماعات وتقرير التدريب.
- جمع المعلومات انطلاقا من زيارة ميدانية.
- تصميم بطاقات للمطالعة وأخرى تقنية ووثائق كتابية مُتصفة بالجودة.
- استعمال التنقيط وتسلسل النص (مقدمة، فتصميم مفصل، فقرات فخرامة).
- التدريب على استعمال تصميم منطقي.

يبقى الملاحظ على أرض الواقع أن الطلبة يصلون إلى هذه السنة وهم عاجزون عن إستيعاب مواضيع بحوثهم من كل أبعادها والإحاطة بكل ملبساتها بسبب عدم إتقانهم لتقنية القراءة للمصادر والمراجع المُجمعة وجمع ما أمكن من المعلومات والمعطيات تمهيدا لتخطيطها وتنظيمها وتصنيفها ثم تخزينها كمعرفة مجمعة ومقتبسة. وذلك تمهيدا لتوظيفها في الخطوة الموالية المتعلقة ببناء هيكل الموضوع بعد أن يجري عليها كل الفحوصات المنطقية من إستقراء وإستدلال وإستنباط ومقارنة، لتصبح معرفة علمية منتجة.

يُعد أيضا جهل الطلبة للبعد البيبليوغرافي للمنهجية وما يتضمنه من الإستفادة من المصادر والمراجع، وكيفية الحصول عليها من المكتبات الجامعية وغيرها من بين أبرز مشاكل التكوين. بدليل جهل الطالب الباحث لمصادر ومراجع بحثه وعدم تحكمه في طريقة استعمالها (الكتب، القواميس، والدوريات ودوائر المعارف مطبوعات محاضرات وغيرها).

هؤلاء الطلبة - حسب ما كشفته دراسة استطلاعية قمنا بها خلال الموسمين الجامعيين 2012-2013 و2013-2014 لا يحسنون أيضا كيفية إستعمال المكتبة الإلكترونية والإستفادة من المعلومات التي توفرها الأنترنت. وفي هذا الصدد يقول أستاذ المنهجية بقسم علم الاجتماع بجامعة الجزائر". إن لم يكن الطالب الباحث مؤهلاً بالفطرة للبحث فإن دراسته للمناهج، ومعرفته تقنيات البحث لا تجدي نفعا".

وبناء على ذلك نعتزف أن تدريس المنهجية طيلة ست سداسيات كاملة حال دون المساهمة في تنمية التفكير الإبداعي لديهم ولم ينمي أيضا صفة الإعتداف على النفس. من جانب آخر يجب الإعتراف أيضا أن إفتقار بعض الأساتذة إلى منهجية حال دون إكسابها لجموع الطلبة. وتزداد حدة الفقر المنهجي لدى الأساتذة الجدد والذين "قد يخطئون في التعامل مع الموضوعات التي عليهم أن يعالجوها، حيث يهمشون ما هو أساسي، ويهتمون بما هو مبتذل، ويضيعون وقتهم في دحض أطروحات مبعدة أو خارجة عن الموضوع، ويركزون على مسلمات متداولة لكنها مصطنعة".¹⁷

■ يختلف شكل تلقي طلبة طور الماستير لمادة المنهجية بسبب إختلاف طبيعة المشاريع التي ينتمون إليها. فالبعض من المشاريع الماستر يلقت فيها هذه المادة في شكل دروس نظرية واعمال تطبيقية حال تخصص سيمولوجيا الإتصال في حين تكتفي بعض المشاريع بتلقيه في شكل أعمال موجهة فقط. وبخصوص محتوى البرامج في هذا الطور فهي لا يختلف كثيرا عن تلك التي قدمت في الأطوار السابقة والتي تدور محاورها الأساسية حول :

- المنهج والمناهج المفهوم والتصنيف

- شروط البحث العلمي وخطواته

- معايير تقييم المنهج لطرق البحث (النظرية والنموذج)

- المدارس المنهجية الكبرى (المدرسة النقدية -فرانكفورت-، مدرسة شيكاغو...).

يمكن القول أن تكرار الموجود في الدروس التي يتلقاها الطلبة هذا الطور (ماستير) والذي رافقه عدم تنسيق كامل بين المادة المقدمة نظريا وماهو موجود على أرض الواقع أسفر عن جملة من الإشكالات نذكر أهمها :

- لا تزال طريقة تدريس المنهجية المتبعة تقليدية (دروس نظرية) لا تتوافق مع التطورات التي حدثت في تقنيات التدريس الحديث رغم إعتداف نظام (ل م د) الجديد.

- لا توجد علاقة بين مضمون التكوين المتمثل في برامج المعمول بها حاليا وبين الممارسة الفعلية له في الميدان.

- تعد قلة كفاءة بعض الأساتذة واحدة من أسباب ضعف التكوين بالإضافة إلى نقص الوسائل العلمية والتدريبات الميدانية.

ساعدت مجمل هذه العوامل في تفاقم مشكل إختيار الطلبة لبحوثهم فماذا كانت نتيجة هذه الوضعية..؟

4 - مذكرات تخرج طلبة العلوم الانسانية.. تكرار وهشاشة..

تعدّ الفائدة المتوخاة من دراسة أي موضوع في العلوم الانسانية الركيزة الأساسية، التي تمد الباحث بالديناميكية والطاقة الضروريتين لأي بحث. ويمكن إيقاظ

هذه الفائدة بمختلف مصادر الإلهام كالتجارب المعيشة، رغبة الباحث في أن يكون بحثه مفيداً، ملاحظة المحيط، تبادل الأفكار والبحوث السابقة. كل هذه العناصر يمكنها أن تجعل الباحث متحمساً لمشروعه العلمي. إلا أن الحماس لوحده لا يكفي لإختيار الموضوع الذي يجب أن يخضع إلى مدى إمكانية إنجازه على أرض الواقع. لذلك يجب أخذ الوقت إضافة إلى توفير المعلومات الضرورية لبناء الموضوع من مصادر موثوقة. زيادة على الدراية الكافية بمدى تعقد موضوع الدراسة. حسب "أنجرس" Angers¹⁸ يتم اختيار الموضوع انطلاقاً من فوائده أولاً وعلى أساس إمكانية إنجازه ثانياً وذلك حسب الشروط والصعوبات المحددة.

المتأمل لآلاف الرسائل الجامعية لطلبة الدراسات العليا في مختلف الجامعات يلاحظ فيها بوضوح التكرار والتشابه واجترار التراث جمعاً وتصنيفاً ثم إعادة إنتاج. وهي تقدم على أنها بحوث علمية، ومعظمها لا يحتوي على إشكالية يعالجها أو سؤال يجيب عنه. فضلاً عن الهوية الموجودة بين موضوعاتها وبين الظواهر الاجتماعية التي يعيشها المجتمع الجزائري اليوم. فهي في الغالب تعالج مسائل الماضي أما نتائجها فهي في معظمها غير تحليلية. فلا توجد خطة بحثية في الجامعات الجزائرية يتم من خلالها توجيه البحوث وتكاملها وذلك لعدم وجود تعاون بين الجامعات الوطنية والأجنبية بشكل كاف، وكذا غياب إستراتيجية واضحة المعالم للبحث العلمي.

أكدت الدراسة التحليلية التي أجريناها خلال الموسم الجامعي الحالي 2013-2014¹⁹ لمذكرات التخرج أن طلبة الماستر بكلية العلوم الإنسانية بجامعة وهران يواجهون صعوبة كبيرة في إنجاز بحوثهم العلمية. هذه الصعوبة ترجعها سوء إختيارهم للمواضيع البحثية وعكسها هشاشة مضمون البحوث. فبعد تمعن في قائمة البحوث وجدنا أنفسنا مضطرين للإجابة على سؤالين إثنين هما : السؤال الأول : ماذا يحاول الطلبة أن يثبتوا من خلال بحوثهم ؟ ما الإشكالية التي يتصدون لها، والى أين يريدونها أن تصل؟ والسؤال الثاني هو: ما الجديد الذي أتت به هذه بحوث ؟

لم ترقى جل الإشكالات التي تضمنتها مذكرات التخرج إلى مستوى الطرح المعرفي الجاد. فهي تتعامل مع الظواهر الإنسانية كمعطى إجتماعي وليس كمحاولة لإعادة فهم وبناء الواقع ضمن تصور منطقي يتميز بصبغة الفهم والتحليل والتفسير والتننبؤ التي تميز دارس العلوم الانسانية والاجتماعية حيث غابت الملاحظة المتخصصة التي عادة ما يستخدم فيها الباحث خياله. وعن هذه الوضعية عبّر أستاذ المنهجية بجامعة وهران بالقول " لا يملك هؤلاء الطلبة من مهارات التفكير العليا والكفاءات العلمية ما يؤهلهم، ليس فقط لسوق العمل، إنما للانخراط في الحياة الإجتماعية أيضاً".

غابت المداخل النظرية بما تحمله هذه الكلمة من خصوصية منهجية بقدر ما استخدمت أطر نظرية مفصولة عن النتائج الميدانية يتم فيها التركيز على مجرد سرد لكم معرفي هائل ومشتت لنظرية او مجموعة من النظريات بالاعتماد على مراجع متفرقة ومختلفة من حيث التوجه ودقة المعلومات والتحليلات دون أي نقد أو تحليل. إضافة الى هيمنة الفكر الوظيفي على جل الأبحاث.

المنهج الأكثر استحواذا وانتشارا في هذه المذكرات هو المنهج الوصفي - التحليلي على إختلاف البحوث وخصوصيتها وأن الإعتقاد عليه عكس سوء توظيفه. وتظهر ذلك في :

- عدم التبيين كيفية الاستفادة من هذا المنهج وكيفية توظيفه في البحث.
- التركيز على تقنية الاستمارة كاداة اساسية لا يمكن الاستغناء عنها والتي يبدو انه وبدونها لا يستقيم البحث ولا تكون له مصداقية علمية (حال بحوث قسم علوم الاعلام والاتصال بوهران).

- الاعتماد على مجرد الوصف الظاهري للمعلومات الكمية المتحصل عليها من الإستمارة -عادة- دون اللجوء إلى التأويل والتفسير الذي يرتبط بالمنحى النظري المتبع في بداية البحث. وكان النتائج الميدانية مستقلة بذاتها عن اطار البحث.

- الهوة بين الأطر النظرية والنتائج الميدانية.
- جل المذكرات بقسم علوم الاعلام والاتصال بوهران تركز على طبيعة العلاقات العامة بالمؤسسات الإعلامية والاقتصادية والتجارية..

- تكرار كبير للمواضيع البحثية بسبب تداخل التخصصات مثلا بقسم علوم الاعلام والاتصال بوهران يوجد تخصصين متداخلين للماستر الأول يسمى دراسات في السمعي البصري والثاني يسمى مهن السمعي البصري.

على العموم نعترف بان البحوث المنجزة كانت تفتقد للهدف وللطبيعة وللإشكالية، وهذا هو رمز للسلبية والتسليم. لأن الدراسات كانت مطلقة: لا تحدد هدفاً ولا تطرح موقفاً ولا تعارض وجهة نظر معروفة، ولا تتبنى زاوية رؤية أو ناحية تخصص.

ما توصلنا إليه من ملاحظات يعكس واقعا بحثيا يتطلب منا إعادة النظر في البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية بالجامعة الجزائرية وهو يعكس كذلك نوعا من الممارسة البحثية لأنه وكما يرى بورديو BOURDIEU²⁰ .. على الباحث الاجتماعي أن يهيئ معرفة ميدانه مجزئة ومتناسقة حول أهم المعطيات الثقافية والاجتماعية التي يفرزها واقعا الاجتماعي. ومن ثم تحديد أهم الاجراءات الميدانية التي تضمن تجاوز جملة العقبات الاستملوجية لتحقيق النجاح الفكري²¹. فالمفروض أن يقدم البحث العلمي إضافة نوعية في مجاله فيكون جديدا أو تجديدا. لكن في الواقع لم تغلح البحوث

العلمية بشكل كبير في تقديم الجديد ولا في إعادة طرح التراث العلمي الذي لا يقدم بالشكل الذي يليق به ولا بالأمانة التي تقتضيها صفة العلمية.

الخاتمة

تبقى دراستنا الاستطلاعية المقدمة مجرد محاولة متواضعة جاءت لتسلط الضوء على ظروف تدريس مادة المنهجية في العلوم الإنسانية بالجامعة الجزائرية كونها مادة غاية في الأهمية، لما تساعد من فهم الطالب للأبعاد الاستمولوجية للمعرفة، وتدرّبه على صياغة المضامين العلمية وإتقانه تقنياتها وتخطيطها وتنظيمها في حالة إنتاج المعرفة أو استثمارها.

تميز تطبيق النظام الجديد في مجال العلوم الإنسانية بالجامعة الجزائرية بالفوضى والإرتجالية الواضحتين. وتكمن اهم معالم فشل هذا النظام حسب دراستنا الاستطلاعية الى افتقاره لرؤية الشاملة والمتكاملة لمتطلبات العملية التكوينية كما يستند إلى طريقة النسخ من برامج النظام الكلاسيكي دون دراسة ولا تمحيص. فكثيرا ما نجد مقاييس في تخصص العلوم الإنسانية مكررة بمسميات مختلفة، والكثير من المقاييس الأساسية والضرورية لعملية التكوين في هذا التخصص لا نجد لها أثرا في البرنامج.

إذن لم تساهم طرائق تدريس مادة المنهجية المعتمدة في تخصصات العلوم الإنسانية بالجامعة الجزائرية في تحريك الطلبة وتدريبهم وتوجيههم نحو نشاطات تنمي مهارات التفكير والإستدلال العلمي لديهم. فالواضح أن الأساليب المعتمدة قد فشلت في إثارة دافعيتهم للتعلم وتحفيزهم على فهم مجتمعاتهم والمساهمة في حل مشاكلها.

السائد ان غالبية طلبة العلوم الإنسانية بالجامعة الجزائرية لايتوصلون الى الاستحقاق المتوافق مع جهدهم. فهم لم يتمكنو من اىصال المعلومات ومن استرجاع الشروحات والتفسيرات بدقة وكفاية. وفي هذه الحالة سوف لن تتحقق "قاعدة اقل جهد لاكثر مردود واكبر جهد لاكبر استحقاق" وذلك الا بالتمكن من القواعد والمناهج العلمية المركزة والتقنية السهلة لكل عمل ونتاج.

لم تخدم الموضوعات البحثية التي تطرحها الجامعات الجزائرية في تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية، خطط التنمية في المجتمع، لكونها غير مرتبطة بمشكلاته.

ما نامل فيه ان تفتح الجامعة على محيطها السوسيواقتصادي والثقافي من خلال الربط بين حاجات الطالب ومتطلبات سوق الشغل وبين المناهج والبرامج الموضوعية للتدريس الجامعي. ويتطلب الاهتمام ببناء القدرات والمهارات التي يحتاجها طالب اليوم. ولعل من أهم القدرات المرتبطة بتحسين النوعية، بناء قدرات التحليل، والتركيب، والاستنتاج، والتطبيق، وتدريب الطالب على توظيف المعلومات

والمعارف التي يتلقاها في نظام عقلي ومنطقي متناسق مرتبط ببعضه، ويمزج العلوم المختلفة بعضها ببعض. يجب أن يهتم التعليم بالجامعة بإنتاج المعرفة وليس باستهلاكها والمعلوم ان انتاج المعرفة هذا يتطلب الاعتماد والاستعانة بمنتهج وتقنيات البحث للوصول الى ذلك.

نأمل كذلك وضع استراتيجية جديدة لتنظيم التدريبات الميدانية لمساهمته الفعالة في التطبيق العلمي للحقائق والمعلومات والمهارات النظرية. ويعتبر الاداة التقويمية لها وبالتالي فهو يعتبر حلقة الوصل بين ما يتم تعليمه في الجامعة بالممارسة الميدانية. ونقول في الختام أن طرق تدريس المنهجية هي حد أدنى من كتاب مفتوح النهاية يسمح بإثرائه على الدوام.

الهوامش والإحالات:

1 اختلاف كبير يطبع خارطة العلوم الانسانية بالجامعات الجزائرية. فمثلا تضم كلية العلوم الانسانية بجامعة وهران (عاصمة الغرب الجزائري) ثلاث تخصصات فقط (علوم الاعلام والاتصال، علم المكتبات وعلم التاريخ). في حين تضم نفس الكلية بجامعة الجزائر العاصمة خمسة اقسام هي قسم علم المكتبات والتوثيق، قسم علم النفس وعلوم التربية والارطوفونيا، واقسام علم الاجتماع التاريخ والفلسفة. اما جامعة عنابة (اقصى الشرق الجزائري) فكلية العلوم الانسانية والاجتماعية بها تتالف من 13 تخصصا يشتمل على اقسام اللغات (فرنسية، انجليزية، ايطالية والترجمة)، وقسم التربية البدنية والرياضية، وقسم الاقتصاد والمكتبات إضافة الى قسم الاتصال.

² Guerid D ; (2001), Societé Algerienne et sciences humaines, in mouvement social et modernité, (sous la direct de Djerbel et Bengerna), Alger , ed Naqd-sarp.

- Guerid D ;(1998),L'université Aujourd'hui, Oran , Edition CRASC.

-Taleb Ibrahim K ;(1997), Faut-il fermer l'Université,Oran,_ Insaniyat , Edition CRASC.

3 يمثل نظام لـ م د L M D هيكلا تعليميا مستوحى مما هو سار في الدول الأنجلو-سكسونية. وأخذ مكانته في الجزائر تدريجيا ابتداء من السنة الجامعية 2005 – 2004. ويعتمد هذا النظام في هيكلته على ثلاث مراحل تكوينية تتوج كل منها بشهادة جامعية وهي :ليسانس: شهادة البكالوريا + ثلاث سنوات. ماستر: شهادة البكالوريا + خمس ندوم سنوات. دكتوراه: شهادة ماستر + ثلاث سنوات. وتم تطبيق هذا النظام في مجال العلوم الانسانية على مستوى الجامعات الجزائرية

⁴ يستجيب نظام لـ م د L M D لضروريات عولمة المعارف برفع مستوى التعليم العالي. ويرمي هذا النظام الى تحقيق اهم الاهداف التالية: تنظيم عروض التكوين على شكل مسالك متنوعة للطلاب - تحسين النوعية البيداغوجية، الاعلام والتوجيه ومرافقة الطالب- تطوير التمهين في الدراسات العليا- تفضيل تعلم القدرات العرضية (التمكن من اللغات، الاعلام الالي والانترنت)- الاستفادة من المبادلات ومعادلات الشهادات على المستوى الدولي).

⁵ عبد الكريم حرز الله وكمال بداري، 2008، نظام لـ م د ليسانس، ماستر، دكتوراه، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

⁶ POPPER K ; 1987, Toute vie est résolution de problèmes, trad. C. Duverney, 2 tomes, Actes Sud, Arles.

⁷ Dewey J ; 2010 , Le public et ses problèmes, Trad Joëlle Zask,Paris ,Gallimard, coll. "Folio Essais.

⁸ Gibbs, G., Jenkins, A. (1998). Le défi des grands groupes. In Leclercq, D. (dir.). Pour une pédagogie universitaire de qualité. Mardaga éditeur, Hayen, p.137-159.

⁹ حمد نصر عارف، 2002، ابستمولوجيا السياسة المقارنة- النموذج المعرفي، النظرية، المنهج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ص 17-18.

10 سيف الدين عبد الفتاح، 1996، بناء المفاهيم : رؤية معرفية ونماذج تطبيقية، القاهرة : المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الجزء الاول، الطبعة الثانية، ص 43.

¹¹ سيف الدين إسماعيل، 2002 النظرية السياسية من منظور حضاري إسلامي: منهجية التجديد السياسي وخبرة الواقع العربي المعاصر، القاهرة، المركز العلمي للدراسات السياسية، ص 7.

¹² أحمد فؤاد باشا، 2005، في التنوير العلمي، القاهرة، دار الفكر العربي، ص37.

¹³ Angers, M ; (2000), *Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines*, Montréal, CEC, p 9.

¹⁴ نشير هنا أن معدل تدريس مادة المنهجية المقدم يبقى رسمياً أي على مستوى الوثائق الإدارية. أما في الواقع فإن مدة تدريس هذه المادة (والحال مشابه بالنسبة لباقي المواد الأخرى) لا يتجاوز حدود 30 ساعة خلال السداسين وسبب ذلك يعود إلى جملة من الأسباب أهمها: تاخر انطلاق الموسم الدراسي (يكون بنحو الشهر أو أكثر دائماً)، مشكل الغيابات المتكررة للأساتذة (بسبب العطل العلمية والتربصات قصيرة المدى)، وأيضاً كثرة العطل الرسمية والحديث عن المناسبات والأعياد الدينية والوطنية والدولية.

¹⁵ يعتبر التحديد الدقيق للمضامين من إختصاص الهيئات البيداغوجية التابعة للجامعات وخصوصاً المسؤولين عن المسالك خلال تقديمها للإعتماد للوزارة المعنية.

¹⁶ الصراع هنا هو في شكل طعون يكتبها الطلبة وتقارير يحررها الأساتذة

¹⁷ GRATELOUP L-L, (1986) , *Notice pédagogique à l'usage du professeur de philosophie en terminal*, Paris, Classiques Hachette, (coll. N°10), p23.

¹⁸ Angers, M ; (2000), *Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines*, Montréal, CEC, p 14.

¹⁹ قمنا بتحليل نحو 90 مذكرة تخرج لطلبة الماجستير يتخصص علوم الاعلام والاتصال.

²⁰ BOURDIEU P , PASSERON J-C et CHAMBOREDON J-C. , 1968, *Le Métier de sociologue*, Paris, Mouton-Bordas ,p105.

²¹ دوركايم إيميل، (1961)، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة: محمود قاسم، القاهرة، دار النهضة المصرية، ص. 4

قائمة المصادر والمراجع أولا الكتب باللغة العربية

- أحمد فؤاد باشا، في التنوير العلمي، القاهرة، دار الفكر العربي، 2005.
- بوعبد الله، لحسن وآخرون، *تقويم العملية التكوينية في الجامعة: دراسة ميدانية بجامعات الشرق الجزائري*، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1998.
- سعيد يوسف البستاني، *منهجية البحث العلمي*، مؤسسة نوفل، الطبعة الأولى، مجلد 1، 1989 .
- دليو، فضيل وآخرون، *إشكالية المشاركة الديمقراطية في الجامعة الجزائرية*، قسنطينة: مخبر التطبيقات النفسية والتربوية، 2006.
- دوركايم إيميل، *قواعد المنهج في علم الاجتماع*، القاهرة، دار النهضة المصرية، 1961.
- سيف الدين إسماعيل، *النظرية السياسية من منظور حضاري إسلامي: منهجية التجديد السياسي وخبرة الواقع العربي المعاصر*، القاهرة، المركز العلمي للدراسات السياسية، 2002.
- سيف الدين عبد الفتاح، *بناء المفاهيم: رؤية معرفية ونماذج تطبيقية*، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الجزء الأول، الطبعة الثانية، 1996.
- عبد الكريم حرز الله وكمال بداري، *نظام لم د ليسانس، ماجستير، دكتوراه*، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2008.
- غياث، بوفلجة، *الانعكاسات النفسية لطرق التدريس: قراءات في طرائق التدريس*، باتنة، جمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي، 1994.
- محمد نصر عارف، *ابستمولوجيا السياسة المقارنة- النموذج المعرفي، النظرية، المنهج*، الجزائر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 2002.

ثانيا الكتب باللغة الفرنسية

- ANGERS, Maurice ; *Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines*, Montréal, CEC, 2000.
- BOURDIEU Pierre , PASSERON J-C et CHAMBOREDON J-C , *Le Métier de sociologue*, Paris, Mouton-Bordas , 1968.
- DEWEY John ; *Le public et ses problèmes*, Trad Joëlle Zask, Paris ,Gallimard, coll. "Folio Essais, 2010.
- GIBBS, G. Jenkins, A.. , *Le défi des grands groupes*. In Leclercq, D. (dir.). Pour une pédagogie universitaire de qualité. Mardaga éditeur, Hayen, 1998.
- GUERD Djamel ; *Société Algérienne et sciences humaines*, in mouvement social et modernité, (sous la direct de Djerbel et Bengerna), Alger , ed Naqd-sarp, 2001.
- GUERID Djamel ; *L'université Aujourd'hui*, Oran , Edition CRASC, 1998.
- GRATELOUP Léon-Louis, *Notice pédagogique à l'usage du professeur de philosophie en terminal*, Paris, Classiques Hachette, (coll. N°10), 1986.
- TALEB IBRAHIMI Khaoula ; *Faut-il fermer l'Université*, Oran, *Insaniyat*, 1997.
- POPPER Karl ; *Toute vie est résolution de problèmes*, trad. C. Duverney, 2 tomes, Actes Sud, Arles, 1987.

الكتابات الكولونiale حول التصوف الطرقي مقاربة تحليلية لكتاب الطرق الدينية لدبون وكوبولاني

أ.ة زاوي خديجة

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

مقدمة

الطرق الصوفية ومؤسستها الزاوية تناولتها أقلام وأعلام متعددة إن كانت متعلقة بالفاعلين بهذا الحقل أو الناقدین له، أو المفكرين والباحثين والمهتمين بحقل التصوف الطرقي بهدف العلم أو لأهداف أخرى مثل الكتابات الكولونiale التي اخترنا منها نموذجا محاولين دراسته بمقاربة تحليلية لمضمونه والتي تفتح لنا الطريق لدراسة المنظومات المتعلقة بالتصوف وطرقه بإشكالية بعيدة عن النقل والإسناد.

وقد قسمنا هذه الدراسة الى قسمين اساسيين، القسم الاول تطرقنا فيه الى وصف عام لكتاب الطرق الدينية لدبون وكوبولاني مركزين على ما جاء في فصوله من معطيات متعددة، اما القسم الثاني فقما بمقاربة تحليلية لمضمون هذا الكتاب معتمدين على منهج تحليل المضمون بالإضافة الى خاتمة تناقش ابستمولوجية هذا الصنف من الكتابات التي تزامنت مع الحقبة الاستعمارية.

فالتصوف المشرقي الذي أنتج فيما بعد تصوفا طريقيا كان سببا في انتشار التصوف في كامل المناطق الإسلامية، ففي البلدان المغاربية اجتاحتها التصوف مع نهاية القرون الوسطى، حيث مثل حدثا دينيا كبيرا وجديدا، أين انتشر التصوف في كامل المغرب الإسلامي¹، وبعد ذلك أصبح التصوف الطرقي القاعدة الأساسية لكيان هذه البلدان وعاكسا لثقافتها وهويتها واركيلوجيتها التاريخية.

وفي هذه الدراسة سنتطرق إلى مرحلة زمنية ومنطقة جغرافية مغاربية محددة ظهرت فيها كتابات حول التصوف الطرقي بأعلام استعمارية ميزت القرن 19م وبداية القرن 20م، هي الجزائر.

ما شد انتباه الاستعمار الفرنسي بدخوله إلى الجزائر هو انتشار الطرق الصوفية فكانت تشكل أقاليم دينية وسياسية وعسكرية قاومت بشراسة الدخول الفرنسي مما جعل هذه الأخيرة تسخر العلوم الاجتماعية والأنثروبولوجية لدراسة هذه الطرق بهدف التمكن منها، وقد تعددت الدراسات الكولونiale حول التصوف الطرقي وممارساته في الجزائر، اخترنا منها كتاب لدبون وكوبولاني حول الطرق الصوفية في الجزائر الذي كتب مع نهاية القرن التاسع عشر.

اولا- التعريف بكتاب الطرق الدينية لدبون وكوبولاني².

كتاب الطرق الدينية الإسلامية لدبون وكوبولاني Coppolani، (Depont) جاء بعد دراسات وأعمال سبقته في هذا الميدان والتي اعتمد عليها المؤلفان في كتابهما هذا، حيث أشارا إلى الأعمال السابقة * التي تطرقت إلى موضوع التصوف والطرق الدينية مع الدخول الاستعماري للبلدان المغاربية منها الجزائر. فهذا الكتاب يحوي على عدة معطيات تاريخية وطقوسية وروحية ومادية وكذا على إحصائيات ميدانية حول الطرق الصوفية الجزائرية وعلاقتها بالطرق الإسلامية الأخرى.

فصول الكتاب:

- يحتوي كتاب الطرق الدينية الإسلامية على مقدمة يشرح فيها المؤلفان أسباب اختيار الموضوع وكذلك على الأفكار الأساسية للكتاب. اما متن الكتاب فيتكون من 13 فصلا أهم ما جاء في هذه الفصول كما يلي:
- ا- دراسة إثنوغرافية للمجتمع العربي قبل الإسلام وفي ظل الإسلام والرسالة المحمدية مع التركيز على :
 - شخصية الرسول والقرآن وسنة والمدارس والمذاهب التي ظهرت بعد الإسلام.
 - التصوف أصله، مدارسه، مذاهبه، وعلاقته بولادة الطرق الدينية.
- ب- فصل عن الفتوحات الإسلامية وعن تداخل المعتقدات المحلية والمسيحية والإسلامية في إفريقيا، وكذلك عن ظهور المرابطين والموحدين والأولياء، ودورها في تطور المدرسة الصوفية وتكون الطرق الأم وفروعها.
- ج- دراسة عن التنظيم المؤسسي للطرق الصوفية وقد تعمق الكاتبان كثيرا في هذا الفصل الذي احتوى على:
 - إحصائيات عن الطرق الدينية في الجزائر وفي بلاد الإسلام ومدى تأثيرها.
 - دراسة عن النظام المالي للطرق من خلال المداخل المختلفة للطرق الصوفية : الصدقة، الغفارة، الزيارة، الوقف... معتبرا أن النظام المالي والمداخل الوفيرة للطرق جعلتها تمثل دولة داخل دولة.
 - الدور السياسي للطرق في مختلف المراحل التاريخية في الجزائر، والحديث عن العلاقات العدائية وعن علاقات الصداقة التي كانت تربط بين الاستعمار الفرنسي والطرق الصوفية.
- د- فصل عبارة عن استنتاجات لما جاء في الفصول التي سبقته.
- هـ- آخر فصل خصصه للطرق الأم أصولها، مبادئها وتفرعاتها حاولا من خلاله الكاتبان التفصيل في كل الطرق وفروعها خاصة المتواجدة في الجزائر أما التي لا تتواجد لها فروع في الجزائر فكان الحديث عنها مقتضبا مثل السهروردية والنفبشندية والخابرية.

و- يتضمن الكتاب كذلك على صور لشخصيات دينية ولمدن ومساجد وزوايا وكذلك على طلاسم ورسومات إسلامية، إضافة إلى شجرة الطرق الصوفية.

ثانيا- المقاربة التحليلية للكتاب

إن الكتابات الكولونيالية بصفة عامة ومنها الخاصة بالتصوف الطرقي تبقى مرجعا للدراسات المختصة بهذا المجال إلا أن الحذر الاستيممي من المعطيات التي يحتويها شرطا أساسيا، انطلاقا من أن كل خطاب يحمل أهدافا وإيديولوجية ضمنية تأخذ أشكالا متعددة حسب الغاية المنشودة منها: تضخيم، انتقاص، حذف، تهميش، مدح، هجوم...أو شكلا آخر.

وفي هذا الصدد سنحاول تحليل هذا الكتاب بطرح التساؤلات التي يركز عليها تحليل المضمون على هذا الكتاب والمتمثلة في: من؟ ماذا يقول؟ لمن؟ بأية وسيلة؟ بأي تأثير؟

أ - من؟ صاحب الكتاب هي الحكومة الفرنسية الاستعمارية متمثلة في باحثين عسكريين وإداريين ومترجمين ومنهم cappelani et depont. **

فقد جندت الحكومة الفرنسية الاستعمارية مثقفين عسكريين وإداريين لدراسة البنية الدينية والاجتماعية والسياسية للمجتمع المغربي ألا وهي الطرق الدينية مستخدمة الأنثروبولوجيا لفهم هذه الأنظمة المجتمعية لأهدافها الخاصة.

ب - ماذا يقول؟

حاول المؤلفان التطرق إلى كل الجوانب المتعلقة بالطرق الدينية الإسلامية بإتباع طريقة من العام إلى الخاص والانطلاق من الماضي إلى الحاضر كما جاء في تعريف فصول الكتاب، التي استخلصنا منها عدة ملاحظات تضمنتها الفصول وهي كالآتي:

- المراجع المعتمدة في الجانب التاريخي والمتعلقة بالمجتمع العربي قبل الإسلام وبعد الإسلام، وبالرسول وبالقرآن والسنة، وبالمذاهب الإسلامية، كان عدد هذه المراجع قليل جدا.³

- أما المعلومات الخاصة بالطرق الدينية في الجزائر هي عبارة عن معطيات ميدانية مستقاة من واقعها الملموس مع الاستشهاد خاصة بآثار الطريقة السنوسية.⁴

- اهتم الكتاب بدراسة التنظيم الطرقي⁵ والأعضاء المكونين لمؤسسة الطريقة بدرجة كبيرة حيث قام المؤلفان بجمع إحصائيات موضحة في جداول عن عدد الطرق والزوايا وأعضائها، ويشير الكتاب أن هذه الإحصائيات⁶ لا تعكس العدد الحقيقي خاصة المتعلقة بعدد المريدين والإخوان حيث ركز المؤلفان كثيرا على هذه الفئة باعتبار أنها تمثل القوة والقاعدة الأساسية لكل طريقة وتعد بالتالي مصدر تخوف للحكومة الفرنسية الاستعمارية.

-اهتمام كبير أولته هذه الدراسة للنظام المالي⁷ للطرق ولمداخل الوافرة التي تجمعها الطرق الدينية عن طريق : الغفارة، الزيارة، الصدقة، الزردة، والوقف... الخ هذا الجانب المادي عزز كذلك من قوة الطرق الدينية.

- كذلك تطرق الكتاب إلى الدور السياسي⁸ الذي لعبته الطرق الدينية والتي كانت تشكل دويلات داخل كل إقليم أو دولة.

- لاحظ الكاتبان من خلال هذه الدراسة أن المجتمعات المدروسة أي مجتمعات الطريقة تعيش في رسولية⁹ مستمرة يمثلها بالطبع شيوخ الطرق والأولياء والشرفاء وأتباعهم.

- تضمن الكتاب كذلك مقارنة بين المسيحية والإسلام وتطورهما، وكذلك مقارنة بين الطرق الصوفية الإسلامية والمنظمات المسيحية، مستنتجا التشابه القائم بين الزاوية والدير¹⁰.

بصفة عامة كل هذه الأفكار التي تضمنها الكتاب هي عاكسة للمزايا الدينية والمادية والبشرية والتنظيمية والتضامنية التي كانت تتمتع بها الطرق الدينية، وكذلك العاكسة لأهداف وأهمية هذه الدراسة الكولونيالية الموجهة بالدرجة الأولى إلى الحكومة الاستعمارية لاستثمارها في عملية التوسع الاستعماري.

ج - لمن؟

كما ذكرنا فهذه الدراسة ذات إيديولوجية وأبعاد استعمارية فهي موجهة إلى راعي هذه الدراسة وهي الحكومة الفرنسية الاستعمارية، حيث جاء هذا الكتاب مكمل للدراسات التي سبقته حول التصوف الطرقي كما ذكر في مقدمة الكتاب والتي جاء فيها أيضا: أن مباشرة بعد تسليم Jules CAMBON مقاليد حكم الجزائر أمر بجمع المعلومات¹¹ عن المناطق الصحراوية ذات الارتباط الديني بهدف مد السلطة عليها، مع الإشارة أن اسم الحاكم العام للجزائر هذا ذكر كثيرا في مقدمة الكتاب.

وما يبين كذلك أن هذه الدراسة هي لفائدة التوسع الاستعماري وحكومته التي استفادت كثيرا من معطيات ونتائج هذه الدراسات الكولونيالية، فكتاب الطرق الدينية لـ Coppelani et Depont وعلى إثر النتائج المتحصل عليها قدم برنامجا وتوصيات للحاكم العام، تمثلت في ضرورة ربط علاقات مع كامل الطرق الدينية وبدون تمييز طريقة عن أخرى لتمكين بسط الوصاية عليها ومنها على المجتمع ككل، وكذلك ستساعد فرنسا على مد علاقات جديدة خارج الجزائر بفعل ارتباطات الطرق الدينية الخارجية مما يسهل على فرنسا نشر أفكارها الحضارية¹²، حسب الإيديولوجية الاستعمارية.

وهذا الكتاب هو أيضا موجها إلى الفرنسيين وحكومتهم، نستشف ذلك من اللغة المستخدمة عند الحديث عن الجزائر معتبرا أن الجزائر وما فيها فرنسية « عندنا في

الجزائر»¹³ وهذا ما يطرح إشكالا في مدى موضوعية هذه الدراسات وفي نفس الوقت يبين مدى تمسكهم بالجزائر ورغبتهم في جمع كل معلومة تساعدهم على إحكام سلطتهم عليها، وهذا ما يطرح إشكاليات حول معطيات الدراسات الكولونيالية. إذن صاحب الخطاب (من؟) هو نفسه مستقبلة (لمن؟) في هذه المقاربة التحليلية لكتاب الطرق الدينية الإسلامية لديبون Depont وكوبولاني Coppelani والمتمثل في الحكومة الفرنسية الاستعمارية.

د - الوسيلة؟

استخدم صاحب الخطاب (الحكومة الفرنسية الاستعمارية) وعن قصد الأنثروبولوجيا لدراسة الطرق الدينية لأهمية هذا العلم في رصد وتحليل كل المعطيات المتعلقة بجماعة أو مجتمع محل الدراسة، خاصة وأنها واجهت مقاومة شديدة من كل الطرق الدينية في بداية الاستعمار الفرنسي للجزائر، لذلك لجأت الحكومة الاستعمارية إلى الأنثروبولوجيا لمدتها بالمعلومات الوافرة عن المجتمع وثقافته في المكان والزمان. والتصوف الطرقي كان يمثل ثقافة المجتمع وهويته في تلك المرحلة، فالأنثروبولوجيا في بدايتها¹⁴ كانت « تتطوي على إدراك ثقافة أجنبية وفهمها، ومن هنا ضرورة استيعاب الجماعة من داخلها وفهم سلوكياتها ومؤسساتها وقيمتها التي ينبغي إيجاد معنى لها ودلالة»¹⁵.

ومن هنا تتجلى لنا أهمية الوسيلة التي استخدمتها الحكومة الفرنسية الاستعمارية والتي كانت نتائجها ناجعة في عملية التوغل والتوسع الاستعماري.

هـ - بأي تأثير؟

نقصد به في هذه الدراسة، نتائج الدراسات الكولونيالية التي ساعدت بفهمها للطبيعة الدينية والاجتماعية للمجتمعات المستعمرة على مد السلطة والقبضة الاستعمارية على الطرق الدينية والمجتمع ككل، انطلاقا من أن الأنثروبولوجيا يتم فيها دراسة الظاهرة من كل جوانبها لارتباط الظواهر المجتمعية ببعضها البعض، وذلك بوصف حاضر المجتمع ونبش ماضيه من آثاره ومن ذاكرة فاعليه.

وقد تعرضت مقدمة هذا الكتاب إلى أن سبب نجاح التوغل الفرنسي وإضعاف الطرق الدينية التي واجهته وعارضته هو دراسة التنظيم الداخلي للطرق الذي كرس له العديد من الدراسات الكولونيالية المتعلقة بالطرق الدينية.¹⁶

وبالتالي اختيار الدراسات الأنثروبولوجية كانت مناسبة للإستراتيجية الاستعمارية ونتائجها ظهرت على أرض الواقع حيث استطاعت الحكومة الفرنسية من ربط علاقات محاباة وولاء مع عصب المجتمع والمتمثل في الطرق ومنها الطرق التي قاومتها في بداية الاحتلال.

الكثير من الدول العظمى استعملت البحوث الأنثروبولوجية في تحقيق أهدافها التوسعية، فهذه الدول توظف العلوم الإنسانية كذلك لغايات برغماتية في سيرورات وسياقات مختلفة، والآن تستخدم هذه العلوم في حرب جديدة وسائلها إعلامية هي الحرب النفسية.

الخاتمة

تبقى الكتابات الكولونيالية لها أهميتها التاريخية والابستيمولوجية لان ما يميزها انها ارتبطت وتزامنت مع عصر البحث عن المستعمرات، فالاستعمار الكلاسيكي لم يكن عسكريا محضا بقدر ما كانت الثقافة احد أهم أسلحته حيث استعان بالمتقنين والعلوم، وعلى رأسها الانثروبولوجيا التي ساهمت في فهم ثقافة المجتمعات المستهدفة، ومنها الثقافة الدينية المتمثلة في الطرق الدينية التي طبعت تلك المرحلة. الإشكال ليس في الانثروبولوجيا أو في أي علم آخر، فالانثروبولوجيا في بدايتها كعلم موضوعي كانت أهدافها " بريئة للوهلة الأولى... لكن هذه البراءة لم تدم طويلا إذ تحول هذا العلم وبسرعة إلى أداة في يد السلطة، أو السلطات الحاكمة في البلدان الأوروبية التي كانت تشهد مع توسع البحث في الانثروبولوجيا توسعا جغرافيا...¹⁷ هذا ما يطرح إشكالا ابستيمولوجيا حول أغراض العلوم ومدى حيادها العلمي، في العلوم الإنسانية وحتى في العلوم البحتة التي أصبحت أداة تدمير للإنسان والإنسانية في بعض مجالاتها البحثية، والسؤال يبقى مطروح ما هدف علم هذا الإنسان من العلم وما هدف العلم من الإنسان في علاقته مع أخيه الإنسان؟.

الهوامش :

¹ - Atallah DHINA «les Etats de l'occident musulman aux XIIIe, XIVe, XV, siècles », institutions gouvernementales ENAL, Alger 1984 p301.

² - Octave Depont, Xavier Coppolani, les confréries religieuses musulmanes, Adolphe Jourdan, Alger 1897.

* Homoteau, Brosselard. M. DUVEYRIER, NEY Napoléon, ARNAUD, colas, MAYER Ernest.....

· دبون وكوبولاني إداريين متعاقدين بالمصلحة الخاصة بقضايا الأهالي وبالمصلحة العسكرية للحكومة العامة وحتى في الصفحة الأولى لكتابهما الطرق الدينية عنوان بحجم كبير كتب تحت العنوان إسم الحاكم العام للجزائر Jules CAMBON الذي نشر الكتاب ثم تلاه التعريف بالمؤلفين.

³ - المراجع المعتمدة في الجانب التاريخي للعرب وللإسلام وللمذاهب والتصوف لا يتعدى 14 مرجعا من بينها كتاب ابن خلدون مترجم إلى اللغة الفرنسية أنظر تهميش الفصول لأنه لا توجد قائمة المراجع في الكتاب.

4 -Duveyrier، la confrérie de la Senoussia en l'an 1300 de l'Heg ،société géographique de Paris, 1883 & Colas livre mentionnant les autorités sur lesquelles s'appuient cheikh Senoussi dans le soufisme ،Archives du gouvernement général.

⁵ -Octave Depont، Xavier Coppolani، les confréries religieuses musulmanes، p193-210.

6 - أنظر المرجع السابق من ص 211 إلى ص 223، من ص 596 إلى ص 571 تقريباً نصف هذا الكتاب يحوي على أرقام وإحصائيات.

7 - نفس المرجع ص 225.-256.

8 - نفس المرجع ص 257.-277.

9 - نفس المرجع ص20

10 - المقارنة موجودة في الصفحات السابقة الذكر ضمن الحديث عن التنظيم وعن النظام المالي...مثل ص.247

11 - المرجع السابق ص.24.

12- نفس المرجع ص 25.-27.

13- نفس المرجع ص.9

14- الأنثروبولوجيا في نهاية القرن 19 م وبداية القرن 20 م كانت غربية تدرس المجتمعات الأخرى وصفت بأنها غير متحضرة فكانت تصب تقصيتها « على جماعة أو مجتمع ذات ثقافة مختلفة وعقليات وممارسات مختلفة عن ثقافة الباحث وعقلية وممارساته». جاك لومبار مدخل إلى الإثنولوجيا،ترجمة حسن قبسي،المركز الثقافي العربي،بيروت 1997 ص. 22.

15 - المرجع نفسه ص23.

·أنظر الصور الموجودة في الكتاب التي تصف الواقع المدروس شخصيات،مساجد،زوايا،طلاسم،شهادات.

Octave Depont، Xavier Coppolani، les confréries religieuses musulmanes، p4،14،22،26،32،97،140،150،236.....

16 - المرجع نفسه ص20.

17- جيرار لكرك، الانثروبولوجيا والاستعمار.ترجمة جورج كتورة،ط02 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1990 ص06.

مستخلصات المقالات
المكتوبة باللغة الأجنبية

تدريس التقنيات الأرشيفية ضمن برنامج ل.م.د. في عصر تحولات المهنة

أ. عمرانني الأخضر

جامعة السلطان قابوس - سلطنة عمان

إن أي نظام للمعلومات مهما كان نوعه أو القانون الذي يسيره أو حجمه أو غناء رصيده الوثائقي، لا يكون فعالاً إلا من خلال مهارة ومستوى تكوين إطاراته البشرية. فإن الجامعة ومن خلال المهام المسندة لها مطالبة بتكوين الإطارات في مختلف المجالات بما فيها المتخصصين في " علم الأرشيف".

لقد ظهرت بوادر هذا العلم منذ آلاف السنين على شكل ممارسة عملية في الإدارات والمعابد والقصور ثم وضعت له أول القواعد العلمية، عندما تأسست أول مدرسة لتكوين الأرشيفيين بباريس (فرنسا) سنة 1829 إلى أن أصبح علماً قائماً بحد ذاته مع مطلع الثمانينات في البلدان المتقدمة.

أما بالنسبة لبلادنا، لقد بدأ تدريس هذا العلم تحت رعاية " علم المكتبات" في جامعاتنا الثلاثة (قسنطينة، الجزائر العاصمة وهران- السانوية) منذ ما يزيد عن ثلاثين سنة دون أي تغيير لا في الحجم الساعي فحسب بل حتى في المضمون. لا زال إلى يومنا هذا، يدرس " علم الأرشيف" وكأنه مقياس من مقياس علم المكتبات خلال السنة الثانية وبحجم ساعي لا يزيد على ساعة ونصف في الأسبوع علماً وأن:

- قطاع الأرشيف يوظف سنوياً وبصفة منتظمة منذ سنة 1995 أزيد من 100 متخرجاً من علم المكتبات لإدارة أرشيف المؤسسات التي تعرف تطوراً ملحوظاً في مختلف المجالات.

- أن التكنولوجيات الجديدة تعيد تشكيل جميع المهن المتداولة وأن من يرغب في الاستمرار ملزم على التكيف مع هذه البيئة الجديدة.

كل هذا وغيره من الأسباب يجعلنا نتساءل إذا كان تدريس علم الأرشيف بالشكل الذي هو عليه الآن في جامعاتنا الرائدة قادر على الإجابة على هذين الإشغالين المحددين في استمرار وتطوير المهنة أم هو يشارك في زوالها؟ هل هو معقول أن تفرغ الجامعة إطارات تعاني من نقص في التكوين في سوق عمل شاق حتى بالنسبة للأرشيفيين أصحاب الخبرة؟ يبدو لنا أنه حان الوقت الذي لا بد أن تراجع فيه الجامعة نفسها وتعطي لعلم الأرشيف ومهنة الأرشيف المنحدرة عنه مكانتهما المستحقة.

إدارة المعارف: المفاهيم والمبادئ الأساسية

أ. بن علوهواري عدنان

جامعة وهران 1 أحمد بن بلّة

يُعد مفهوم "إدارة المعارف" من المناهج الجديدة التي طرأت على علوم التسيير بصفة عامة، والمعارف على وجه الخصوص.. كما ترمي إلى استخدام استثمار المعرفة وتقنيات استخدام المهارات للرفع من نجاعة المؤسسات وتحسين الأداء الوظيفي..

كما يركز مفهوم "المعرفة" على الرأسمال البشري المتمثل في الاستغلال الأمثل للموارد البشرية التي تحوزها المؤسسات بغية حسن تسييره تبعاً لعملية متكاملة تأخذ بعين الاعتبار تثمين وتطوير هذا الرأسمال من أجل توليد معرفة.

سنحاول من خلال هذه الورقة تقريب القارئ من المفاهيم الأساسية لإدارة المعارف أو ما يُصطلح على تسميته باللغة الأجنبية بـ « Knowledge management والتعريف بالمصطلحات المقترحة من لدن المتخصصين في هذا المجال، وبالأخص تلك التي ترتبط بإدارة المؤسسات.

لقد درجت بعض الدراسات في هذا الشأن، إلى إرجاع ممارسة هذا المفهوم نحو ستين ألف سنة خلت.

وأن أهم مفاهيم انبثقا عن إدارة المعارف هما: المعارف الضمنية (المتجذرة) والمعارف الظاهرية (المنقولة)، التي يمكن أن تتحول إلى أربعة أنماط هي: التنظيم الاجتماعي (socialisation، الاستبطان (intériorisation) ..، الاستظهار (extériorisation، التركيب (combinaison).

وبما أن مفهوم «أداة تكنولوجية» لا يغيب أبدا فيما تمت الإشارة إليه، ما هي الفائدة من وراء استخدام كل أداة في مشروع إدارة المعارف؟ وما الدور الذي يمكن أن تلعبه «جماعة الممارسة» - والتي تعني حسب (E.Venger. 1998) تشارك الاهتمام بنفس المهنة - في عملية تبادل المعرفة، من خلال ممارسات ذات فائدة واحدة، تعتمد على المشاركة في الأدوات من أجل هدف واحد يهيم المؤسسة..

علامات بارزة من تاريخ الجزائر الحديثة:
من ثورة التحرير إلى تأسيس الدولة
إجلالا لذكرى الراحلين أحمد بن بلة وهواري بومدين

فؤاد قباني

جامعة كوملوتنسي / مدريد

حبيب عطالله

جامعة كوبلوتنسي / مدريد

انتهجت السلطات الاستعمارية طيلة مكوثها بالجزائر سياسة استيطانية عدوانية، كان عنوانها: التجهيل ومحاوله تفكيك البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري، من خلال سياسة التفقير ومصادرة الأراضي وسحق بؤر الانتفاضات.. الأمر الذي أدى في النهاية إلى دفع الجزائريين إلى خوض غمار الثورة ضد كل أشكال الحضور الاستعماري بالبلد، وذلك بمجرد أن انطلقت الشرارة الأولى للثورة..

فكل الإجلال والاحترام إلى ذلك الشعب الجزائري الذي شارك بالغالي والنفيس من أجل رفع العُبن والسيطرة، ونشر جمرات الثورة بكل بقاع البلاد، ولم يلتفت إلى خطاب السلطات الاستعمارية، التي حاولت ثنيه عن المشاركة الكثيفة في الثورة، إن بالترهيب أو الترغيب.

بفضل تضحيات جسام، حقق الشعب الجزائري حلمه في رؤية الجزائر حرة مستقلة. وبفضل الجزائريين جميعا، يقودهم جيش من رجال أوفياء، تأسست الدولة الجزائرية الفتية فانبرى فيها هؤلاء جميعا لمصارعة ما ورثوه عن الحضور الاستيطاني ومخلفاته.

في هذه الأثناء، برزت شخصيات تاريخية مهمة، كان لها دور حاسم في إرساء اللبنة الأساسية للدولة الجزائرية الحديثة، ومنها شخصية أحمد بن بلة، أول رئيس للجزائر المستقلة، وهواري بومدين وعبد العزيز بوتفليقة وغيرهم..

تحاول هذه الورقة إعادة قراءة هذه الحقبة المهمة من تاريخ الجزائر الحديثة، مركزة على الخلفيات السياسية والأيدولوجية التي كانت وراء ذلك.

Revue des Sciences Humaines

N° 6 &7 – Juillet 2014- Janvier 2015

Directeur de publication
Professeur Faghrour Dahou

Rédacteur en chef
Professeur Sahbi Mohamed

Revue N° 6 &7
ISSN : 2335-1918
EDITIONS
DAR ELQODS EL ARABI
Coopérative elhidaya belgaid - Oran
Oran 31000 —627 ب.ص.ب B.P 627 R.P
- FAX : 041503206 - 0792339956 - 0556230762
Quds_arabi@hotmail.fr
www.darelqodselarabi.dz



La revue publiera les contributions scientifiques des chercheurs en sciences humaines et notamment celles appartenant aux domaines suivants :

- Bibliothéconomie et sciences de l'information
- Histoire et archéologie
- Sciences de l'information et de la communication.

Les contenus scientifiques à publier dans la revue :

- Etudes scientifiques originales et inédites.
- Présentations et commentaires des livres.
- Etudes bibliographiques, historiques et philologiques des manuscrits.
- Rapports de colloques ou de symposiums ayant relation avec les thèmes de la revue.

Conditions de publication :

- Les auteurs doivent respecter les conditions scientifiques et méthodologiques nécessaires à la publication : Originalité de l'étude. Citer les sources. Article inédit.
- Les articles proposés sont soumis à l'expertise.
- Les articles publiés n'engagent que leurs auteurs et ne reflètent pas nécessairement les opinions de la Revue.
- Les articles ne doivent pas dépasser 20 pages. Un abstract dans une deuxième langue doit être joint à l'article.
- Les articles sont à envoyer à l'adresse électronique ci-dessous ou à déposer à l'adresse ci-dessous en format CD et en format papier.

Les articles sont à envoyer aux adresses suivantes :

Revuescienceshumaines_univoran@yahoo.fr

Ou

Revue des Sciences Humaines

Faculté des Sciences Humaines et sciences Islamiques

Université d'Oran 1 Ahmed Benbella, Algérie

B.P. 1514, El Menouar 31000

Oran, Algérie

Tél : (+213) 0550432329

(+213) 0560172868

ISSN :2253-095

Sommaire

- Avant-propos.....**Mohamed Sahbi**.....07
- L'enseignement de l'archivistique dans le programme LMD à l'heure des mutations des métiers..... **Lakhdar AMRANI**.....09
- La gestion des connaissances: Notions et principes fondamentaux.
.....**Benallou Houari Adnane**.....21
- Aspectos más destacados de la revolución argelina y el establecimiento de un Estado independiente: Homenaje a Ahmed Ben Bella y Houari Boumediène:..... **Fouad Kebdani & Habib Atallah**.....32

Absracts

- Le calendrier Amazigh et le Pharaon Shéshonq.
.....**Oumelkheir Laggoun**.....49
- Quelques modèles iconographiques rituelles punique et romaine dans le Maghreb ancien.....**Mohamed Benabdelmoumène**50
- Moulay Ali Cherif Et ses efforts constitutifs :762-847 /1360-1443.
2eme partie.....**Moulay Hachem Benelmehdi Elalawi Elkacimi**....51
- Tamentit: the city in the Ksour society It's scientific and commercial role..... **Ahmed Elhamdi**.....52
- UMBERTO OMAR :The Italian secret agent in Muscat 1908-1911
(Documentary Stady).....**Nahed Abdulkarim**.....53
- Commandant Ferradj entre les mémoires de Mohamed Lamkami et Mohamed Djeghaba.....**Abdelkader Khlifi**.....54
- La Ligne Maurice entre objectifs français et offensifs de la Révolution Algérienne.....**Djilali Beloufa Abdelkader**.....55
- Le système archivistique en Algérie: Vue critique.
Kadi Abdelkader.....56

- Of paper manuscripts tanks popular (the angles) to the digital library of manuscripts at the National Center for Manuscripts (Adrar) .
Moulay M'Hammed57
- The role of smart devices in the use of official e-portal services: evaluationstudy of portal Ministry of National Education-Algeria.
Larbi Benhajar Miloud.....58
- Rôle des manifestations scientifiques dans l'élaboration de la société académique du savoir spécialisé: cas du département de bibliothéconomie et des sciences documentaires, université BADJI Mokhtar – Annaba.
Ainelhjar Zouhir.....59
- Sur l'écart de la théorisation informationnelle arabe:Réalité , enjeux et nécessité de renouvellement.....**Hafsa Koubibi**.....61
- Le journalisme d'investigation dans l'information télévisuelle et les nouveaux médias.....**Larbi Bouamama**.....62
- La couverture médiatique des crimes contre les mineurs: Phénomène du kidnapping d'enfants en Algérie.....**Ahmed Bendris**.....63
- Analyse critique de l'enseignement de la méthodologie en sciences humaines dans l'Université algérienne..... **Oumelkheir Toumi**.....64
- Les écrits coloniaux sur le soufisme confrérique :Une approche analytique de l'ouvrage « les confréries religieuses » de Dépont et Coppelani.**Zaoui khadidja**.....65

Avant-propos

Ce numéro de la revue, en plus de l'avant-propos en langue arabe, il en aura un autre en langue française. Pourtant, il n'est ni spécial ni consacré à un thème bien défini.

Bien au contraire, cette revue des sciences humaines, comme son nom l'indique, se propose comme un espace ouvert à toutes les plumes fécondes qui se consacrent aux problématiques pertinentes dans le domaine des sciences humaines, dans son sens le plus large. Mais, malgré cela, elle sort de son cadre, qui n'est tout de même pas étroit, pour céder quelques parcelles de terrain aux travaux et recherches pointant d'autres horizons.

Ce numéro se dote d'un avant-propos pour les raisons suivantes : Premièrement, cette revue est à son septième numéro, elle entame ainsi sa quatrième année d'existence. Ce qui lui vaut une certaine notoriété au sein de la communauté universitaire nationale et même internationale ; il se trouve que la revue a été destinataire d'un nombre d'articles, provenant de chercheurs nationaux ou étrangers, exerçant dans des universités étrangères, telles que les universités de Complutense de Madrid en Espagne, Fez au Maroc ou Mascate à Oman...

Deuxièmement, eu égard à tous ceux qui ont contribué et contribuent dans cette revue, par leurs articles et recherches, en langue étrangère, nous avons estimé nécessaire de rédiger cette page.

Trois articles, dont deux en langue française et un autre en langue espagnole, étoffent ce numéro. Les deux premiers articles, même s'ils semblent s'opposer, du moins sur le plan épistémologique, leurs rédacteurs soulèvent (cependant) l'importance de l'enseignement de l'archivistique à l'université algérienne et les lacunes enregistrées dans les programmes L.M.D, pour l'un, quant à l'autre, il nous fait part des notions et principes de la gestion des connaissances, science ou méthode aussi connue sous le terme anglophone « Knowledge management ».

Pour sa part, l'article écrit dans la langue de Don Quichotte, ses deux contributeurs, chercheurs à l'université de Complutense de Madrid nous

suggèrent une nouvelle approche de l'Histoire contemporaine de l'Algérie. Ils rappellent ces atrocités commises par la colonisation française contre tout un peuple durant cent trente deux ans de présence. Ces crimes sont aux yeux de ces deux historiens, l'une des causes principales de la révolution de 1954, d'une part, et d'autre part, les raisons qui furent à l'origine des politiques économique, sociale et culturelle menées par les premiers dirigeants du pays, tels Feus Benbella et Boumédiène.

En plus de ces articles, ci-dessus annotés, ce double numéro contient dans un autre volet, une série de travaux rédigés en langue arabe. Leurs auteurs, venus de divers horizons et disciplines, tout en étant complémentaires, essaient dans leurs contributions, de lever le voile sur l'importance des sciences humaines et sociales à l'université algérienne, surtout en ces temps cruciaux que vit le monde arabo-musulman (révolutions, contestations, confusion etc.). Se demander si les sciences humaines et sociales sont utiles est *donc finalement une fausse question*, selon les chercheurs de la revue *Tracés*ⁱ. Et comme le dit malicieusement le géographe Martin Vanier, la question n'est pas « à quoi ça sert » mais bien « comment on s'en sert ». Il s'agit donc désormais d'interroger les *usages* qui sont faits des sciences humaines et sociales.ⁱⁱ

Répartis en quatre axes : Histoire, sciences documentaires, sciences de l'information et de la communication puis un quatrième axe ouvert aux articles pouvant aider à comprendre cet inconnu qu'est l'Homme, la revue des sciences humaines, se propose, sans prétention aucune, d'être le terrain où se confrontent les recherches dans les disciplines sus-citées, leurs enquêtes et leurs interprétations.

Mohamed Sahbi

L'enseignement de l'archivistique Dans le programme LMD à l'heure des mutations des métiers

Lakhdar AMRANI

Expert en archivistique / Université d'Oman
Sultanat Oman

Introduction :

L'archivistique est enseignée dans les départements de bibliothéconomie depuis plus de 30 ans. Faute de spécialistes universitaires formés en la matière, les cours et travaux pratiques étaient assurés jusqu'aux abords des années 2000 par les responsables des services d'archives de wilaya d'Alger, de Constantine et d'Oran avant d'être rejoints par les étudiants qu'ils ont formés. Ce n'est que vers le début des années 2000 que son enseignement commençait à être dispensé par des diplômés en bibliothéconomie. La quasi-totalité de ceux-ci ont été formés à l'archivistique par les cadres extra université conformément au programme et au volume horaire consacré.

Il est à constater, dès le départ, que ces deux éléments indispensables à toute formation sont figés depuis plus de 30 ans, au moment où le secteur de l'archivistique dans toutes ses composantes, à l'instar de tous les autres secteurs de l'activité humaine, fait l'objet depuis quelques années, de grandes mutations à travers le monde et particulièrement dans les pays qui nous inspire (France, Canada, Angleterre et Allemagne pour ne citer que ceux-là). La fonction « archives » qui existe sans dire son nom depuis des millénaires est aujourd'hui, à la croisée des chemins, soit elle s'adapte à ces nouvelles transformations qui sont inévitables¹, soit elle disparaîtra au même titre que toutes les autres fonctions qui n'ont pas su imposer leur utilité sociale dans le monde du travail.

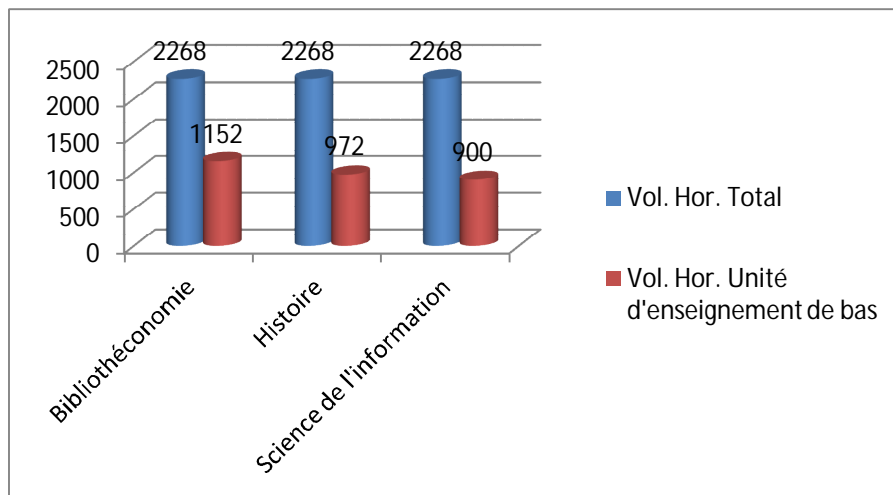
Traitée comme un simple technique ou pratique, l'archivistique, malgré sa reconnaissance soit en tant que science dans certains pays, soit en tant que discipline dans d'autres pays, traîne toujours telle une âme en peine derrière la bibliothéconomie, comme elle a traîné pendant des décennies derrière l'histoire. Quelle est sa place dans le nouveau programme dont

l'application a été imposée par notre ministère de tutelle, à la faculté des sciences humaines et civilisation islamique depuis la rentrée universitaire 2009/2010 ? Est-ce que l'archivistique, dans les conditions où elle est actuellement, enseignée répond honnêtement aux critères requis d'une formation digne des exigences d'un métier appelé à survivre à la tourmente technologique qui frappe tous les métiers à l'orée du XXIème siècle.?

1- La place de l'archivistique dans le programme d'enseignement des Sciences humaines :

Afin de répondre à ces questions, commençons par analyser le programme de formation LMD qui a été consacré à l'enseignement des sciences humaines au niveau de l'université d'Oran/Es Sénia/Faculté des sciences humaines et de la civilisation islamique.

1-1 Le volume horaire consacré aux trois disciplines phares des sciences humaines/volume horaire des unités d'enseignement de base ² :



Le premier constat à faire est que l'archivistique n'apparaît pas du tout au milieu des trois disciplines phares des sciences humaines, qui se sont réparties équitablement le volume horaire total, à savoir 2268 heures chacune, pour les six semestres requis par la formation.

Ce volume horaire est à son tour réparti en :

- Unités d'enseignement de base / وحدات التعليم الأساسي
- Unités d'enseignement complémentaires qui se divisent en :
 - Unités d'exploration / وحدات الاستكشاف
 - Unités horizontales / وحدات أفقية

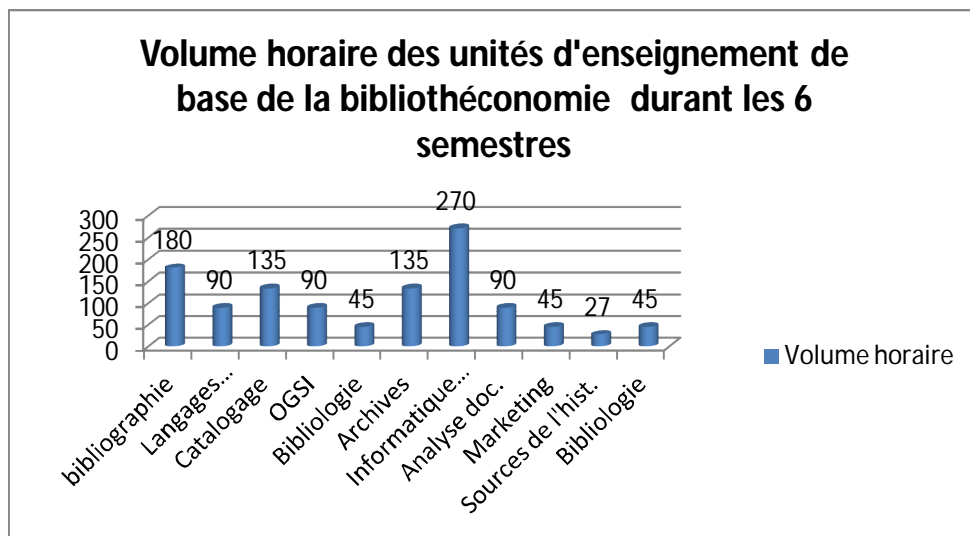
- Unités méthodologiques/ وحدات منهجية

Consacrée « tronc commun » de la formation, la première année rassemble des unités d'enseignement de base et des unités complémentaires, qu'on a jugées indispensables et communes aux trois disciplines. C'est logique et compréhensible dans la mesure où les trois disciplines sont voisines et doivent surement avoir des connaissances à partager. Chacune des 3 disciplines se voit doter de deux unités d'enseignement de base rentrant directement dans la spécialité associées à quelques unités d'enseignement complémentaires, que partagent avec elles les 2 autres disciplines. Et c'est là où ça ne va plus : L'archivistique n'apparaît ni en tant qu'unité de base, ni en tant qu'unité complémentaire dans aucune des disciplines alors qu'elle est encore rattachée à l'histoire, dans quelques pays européens comme la France, au même titre qu'elle est rattachée aux sciences de l'information au Canada. La bibliographie, en revanche, figure en tant qu'unité relevant de la bibliothéconomie et pas l'archivistique. Qu'est ce que cela veut dire ?

- Cela veut il dire que la construction du « savoir historique » s'est faite et se fera, dans notre pays, sans avoir recours aux archives et que par conséquent nos historiens en herbe, sont peu ou pas du tout, intéressés par les archives et que les bibliographies sont largement suffisantes pour assouvir leur besoin de vérité ? Ou est ce que nos journalistes ne font pas d'études rétrospectives pour leur écrire leurs articles et réaliser leurs reportages ? Que dire dans ce cas, des chercheurs, des journalistes et des étudiants qui ont fréquentés et fréquentent le service des archives de la Wilaya d'Oran, pour ne citer que celui-là

1-2- La place de l'archivistique dans le programme d'enseignement de la bibliothéconomie :

Parent pauvre des sciences humaines, l'archivistique n'apparaît qu'à partir de la deuxième année. Elle est en fait, enseignée en tant qu'unité d'enseignement de base rattachée à la bibliothéconomie, durant les semestres 3 et 4 de la deuxième année et au cours du semestre 5 de la troisième année comme n'importe quelle autre technique : à raison de 135 h réparties entre les cours théoriques et les travaux pratiques comme le montre la figure qui suit :



On constate dès le départ, que l'archivistique est coincée entre l'informatique documentaire (270h), et la bibliographie (180h). Elle occupe la troisième place, ex aequo avec le « catalogage » qui n'est autre qu'une technique de la bibliothéconomie (135h/y compris les TD) et pas très loin des langues documentaires ou l'analyse documentaire. Cela étant, la formation en archivistique dispensée à nos étudiants représente un taux de 11,71% par rapport au temps consacré à leur formation de base en bibliothéconomie. Même en ajoutant au volume horaire, des unités d'enseignement telles que : l'informatique documentaire (270h) et les sources de l'histoire (27h) qui sont en mesure d'apporter un plus à la formation des archivistes, le taux ne sera que de 37,5%. Il faudrait reconnaître que c'est toujours insuffisant en sachant :

- que l'université algérienne est censée former des professionnels appelés à occuper des postes de documentalistes archivistes au niveau de nos administrations. A ce titre, il est à noter, que le département de bibliothéconomie de l'université d'Oran Es Sénia, en tant que centre d'examen a permis le recrutement de 498 documentalistes archivistes sur 657 postes budgétaires ouverts au profit de la spécialité pour les sessions organisées entre 2010 et 2012. Cela veut dire qu'en moyenne, nos administrations ont recruté plus de 200 documentalistes archivistes par an pour ne citer que cette période (3). On peut également ajouter qu'entre 1995 et 2000 (4), la direction générale des archives nationales qui organisaient les concours de recrutement à cette époque avait permis à 800

diplômés de bibliothéconomie d'être recrutés dans les archives, à raison de 145 cadres en moyenne, par an.

Pour illustrer notre propos nous avons choisi à titre d'exemple les quatre dernières sessions de recrutement organisées par le département de bibliothéconomie/ Université d'Oran Es-Sénia :

Sessions	Postes budgétaires	Postes pourvus	% des postes pourvus	Non admis	% des échecs	Absents (6)	%des absents
26/27/11/2010	169	100	59%	50	29%	19	11%
21/22/01/2010	195	153	78%	18	09%	24	12%
25/26/11/2011	187	155	82%	-----	-----	21	11%
17/18/02/2012	106	90	84%	01	0,94%	15	14%
Total	657	498	75%	69	13%	79	12%

- Que depuis la fin des années 80, l'archivistique qui tend à se faire reconnaître – si elle ne l'est pas depuis- comme étant une science et une discipline, à part entière, mériterait, il faudrait en convenir, un peu plus de considération et une reconnaissance pure et simple en tant que discipline par notre université au même titre que la bibliothéconomie –son équivalente- l'histoire ou les sciences de l'information qui lui son voisines ou n'importe quelle autre discipline. Mais avant d'en juger, posons nous la question et essayons d'y répondre en fonction de ce qui ce fait ou se pense, hors de notre pays.

2- Est ce que l'archivistique est une science ?

Afin de trouver une réponse à cette question, nous avons d'abord commencé par interroger « Google » qui est par excellence, l'un, sinon le meilleur moteur de recherche sur le net. Nous avons obtenu la réponse au bout de 0,9 s. Elle était de l'ordre de 116000 résultats. C'est fascinant d'une part et fastidieux de dépouiller tous ces résultats. Mais ce qui est intéressant, c'est qu'en consultant quelques sites, nous nous sommes trouvé en face d'un large éventail de réponses variées à ma question :

- Colloques, séminaires, journées d'études
- Articles de périodiques
- Ouvrages
- Forums
- Blogs

En tout cas, cela prouve que la question posée est à l'ordre du jour, au moins depuis 1976 à l'occasion de l'organisation du VIII^e. Congrès du CIA qui s'est tenu à Washington sous le thème : « la science archivistique » et surtout débattue par les spécialistes de toutes nationalités. Pour notre part, nous avons opté pour le choix de trois définitions : française et canadienne, parce qu'elles sont plus proches de nous, du point de vue linguistique, et une hollandaise parce la Hollande est le pays où fût publié le premier manuel d'archivistique³:

- En France⁴ l'archivistique est définie comme : « **la science** qui étudie les principes et les méthodes appliquées à la collecte, au traitement, à la conservation, à la communication et à la mise en valeur des documents d'archives.» ou « **discipline** qui étudie la formation d'ensembles organiques de documents au cours du déroulement de processus administratifs. Ces processusdécoulent de la vie quotidienne et de l'action des personnes physiques, aussi bien que morales... ».⁵

- En accord avec la scientificité de l'archivistique, Michel Duchein, pour sa part complète cette définition en lui attribuant 3 champs d'intervention⁶:

- Un champ théorique ou scientifique incluant une archivistique générale et des archivistiques spéciales propres aux différentes catégories de document qui exigent un traitement spécial

- Un champ technique relatif à la conservation physique des documents, la construction, l'équipement des locaux et l'usage des technologies

- Organisation et fonctionnement interne des services ou leur gestion.

Au Canada:

S'inspirant de la définition donnée par Carol Couture et Jean-Yves Rousseau, le grand dictionnaire terminologique de l'Office Québécois définit l'archivistique comme⁷: « **la science** de l'information appliquée à l'organisation, l'administration et au traitement des archives. »

Selon les mêmes auteurs⁸, cette science qui ne cesse d'évoluer avec les documents et leurs utilisateurs apparaît à l'heure actuelle, sous trois visages :

- Un visage purement administratif ou records management (gestion des documents administratifs)

- Un visage traditionnel qui met l'accent uniquement sur la valeur secondaire du document (archivistique traditionnelle)
- Un nouveau visage, enfin, qui prend l'aspect d'une archivistique moderne ou « archivistique intégrée » qui englobe la valeur primaire et la valeur secondaire du document. En d'autres termes, une archivistique qui prend en charge le document, dès sa naissance jusqu'à, soit son élimination, soit sa conservation définitive.

En Hollande, Eric Ketelaar ⁹, dans une synthèse remarquable représente l'archivistique comme une « trinité » associant la **mission de l'archiviste** (son utilité sociale ou le bien), **la pratique archivistique** (le savoir faire ou le vrai) et **la science archivistique** (la science ou le beau) en concluant que même, si les trois éléments sont trois cimes d'un même arbre, la science reste la plus belle. Car, poursuit-il « le **pourquoi** de la science archivistique est le facteur qui se renouvelle continuellement et qui continue à donner aux questions « **quoi** » et « **comment** » de l'archivistique une clarté et une couleur nouvelles. Le beau, la beauté de l'archivistique est assurée par la science archivistique. »

Il ressort de ce bref survol de l'analyse du concept « archivistique » qui est loin de faire l'unanimité que les trois définitions choisies parmi tant d'autres s'accordent toutes sur le fait que l'archivistique est une science.

Elle est en plein devenir puisqu'évolutive et repose enfin, sur :

- Un objet : les archives
- Des principes : respect des fonds, provenance et ordre originel
- Une théorie: théorie des trois âges
- Des règles d'organisation et des savoir faire en matière d'archives : communication, collecte, évaluation, normalisation des descriptions et des instruments de recherche, valorisation, appropriation et utilisation des technologies, analyse, conservation, gestion et organisation des centres d'archives, construction etc.

3- L'archiviste face aux nouvelles mutations des métiers :

De nos jours, nul n'échappe à la vague déferlante appelée « technologie de l'information et de la communication » qui bouscule tout sur son passage. Elle agit sur notre vie privée et bouleverse nos activités autant que nos mœurs. Aucun métier n'est épargné et par conséquent, les archivistes ne sont pas les seuls à devoir affronter ce phénomène et rien ne les empêche d'acquérir de nouvelles connaissances afin de s'approprier et mieux maîtriser ces technologies¹⁰. Il est indéniable que « l'objet » « archive » en lui-même, a changé et adopte de nouvelles formes qui exige de nouveaux

modes de lecture, de nouvelles méthodes de conservation et de contrôle et surtout, une formation universitaire qui tient compte de toutes ces nouvelles données etc. Sans cela, la science archivistique et les archivistes disparaîtront comme ont disparu les dinosaures de la préhistoire ou se feront remplacer par d'autres métiers plus compétents et plus compétitifs. Pour commencer cette nouvelle phase de leur vie et survivre, les archivistes doivent relever, en fonction de la teneur de leur formation qui faut-il le signaler encore une fois est insuffisante dans nos universités, le double défi auquel ils sont confrontés :

- Maintenir à jour leurs connaissances des supports « conventionnels » et analogiques de l'information
- D'être à la pointe en matière d'information numérique.

La pratique archivistique a bien survécu aux civilisations disparues et survivra sûrement, aux archives virtuelles à condition de continuer à remplir la mission d'utilité sociale dont elle est investie et surtout en adaptant ses techniques à son environnement immédiat.

4- Proposition d'un programme de Formation¹¹ en Archivistique :

Contenu de la formation de base en archivistique :

En effet, le volet «Formation de base en archivistique» que nous proposons et qui s'inspire de ce qui se fait dans les pays développés en la matière s'articule particulièrement autour de sept grands axes.

L'ensemble ainsi composé se présente sous la forme de 14 modules totalisant l'équivalent de 165 heures

Axe 1 - Les éléments de base (18h)

La compréhension du monde des archives implique la connaissance de définitions de base et l'acquisition de notions élémentaires. Ce socle de savoir est indispensable à toute formation aussi bien théorique que pratique en archivistique. Ce cours est un préalable incontournable à la compréhension des autres cours.

Il est composé de deux modules :

- **module 01 – Qu'est ce que les archives ?**
- **module 02 - Notions générales d'archivistique**

Axe 2- Législation et réglementation archivistiques. Déontologie professionnelle (15h)

Connaître les textes en vigueur dans son environnement professionnel est un préalable à toute intervention sur les archives.

A cet effet ce cours est composé du seul :

- **module 03 - Législation et réglementation archivistiques. Déontologie professionnelle**

Il explore la nature et le contenu des lois sur les archives, dans une approche comparative.

Bien que la déontologie ne relève pas du domaine réglementaire, cette question a été incluse dans ce module permettant ainsi de réfléchir aux défaillances législatives.

Axe 3 - Gestion et traitement des archives (80h)

Ce cours, qui se situe au centre de l'archivistique, présente la gestion et le traitement des archives depuis leur création jusqu'à leur sort final quel qu'en soit le support (papier, électronique...).

Il est composé de quatre modules :

- **module 04 - Gestion des documents actifs/ traitement des archives courantes (15h)**
- **module 05 - Gestion des documents semi-actifs/ traitement des archives intermédiaires (15h)**
- **module 06 - Traitement des archives définitives (30h)**
- **module 07 - Gestion et archivage des documents numériques (20h)**

Axe 4 - Politiques et pratiques de conservation et préservation (20h)

Ce cours a pour objectifs de sensibiliser aux problèmes et aux contraintes de la préservation des documents et d'aider aux prises de décision dans ce domaine.

Il est composé de trois modules :

- **module 08 - Préservation et restauration**
- **module 09 - Reproduction par microfilmage et numérisation**

- **module 10 - Bâtiments et locaux d'archives**

Axe 5 : Communication et valorisation (15h)

Ce cours offre un panorama des réglementations et des pratiques en matière de communication administrative et scientifique ; il encourage l'ouverture des services d'archives vers l'extérieur et la mise en place de politiques de valorisation.

Il est composé de deux modules :

- **module 11 - Communication des archives**
- **module 12 - Valorisation des archives**

Axe 6 - Création et organisation d'un service d'archives (7h)

Ce cours est constitué du seul :

- **module 13 - Création et gestion d'un service d'archives**

Il propose des solutions susceptibles de s'adapter aux situations rencontrées dans la création et l'organisation d'un service d'archives, exprimant ainsi la solidarité des apports entre professionnels.

Axe 7 - Partenariats et coopération (10h)

Ce cours est composé du seul :

- **module 14 - Partenariats et coopération**

Conclusion :

En guise de conclusion, on peut dire que les trois pays pour ne citer que ceux-là, reconnaissent l'archivistique comme une science ou discipline, peut-être un peu « molle » par opposition aux sciences pures, mais tout de même, une science au même titre que la bibliothéconomie, l'histoire, les sciences de l'information, la psychologie ou la sociologie etc.

En tant que science, elle mériterait la reconnaissance de notre université, qui semble-t-il est en train de se repenser comme l'illustre, l'organisation du séminaire sous le thème « repenser l'université » qui s'est tenu à Oran le 26 et 27/05/2012. Associée aux sciences humaines ou aux sciences sociales, il est temps pour elle, d'être reconnue au moins comme discipline et enseignée avec autant d'importance que les autres disciplines en sachant que son produit fini est demandé sur le marché du travail. Encore faut-il que ce produit soit compétent en la matière au vu de la formation qu'il subit actuellement.

Notes

¹ - -Grange Didier. Archivistique et mondialisation : deux constats, un débat in Archives, Volume 40, n° 1, 2008-2009 p. 12

² - Les données ont été extraites du programme officiel adopté par le ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique au profit de la faculté des sciences humaines et de la civilisation islamique/Université d'Oran Es Sénia et appliqué à partir la rentrée universitaire de septembre 2009.

³ - Le manuel en question est paru à Groningue (Hollande) en 1898 sous le titre « Manuel pour le classement et la description des archives. » Il fût traduit en français par Jos. Cuvelier et Henri Stein en 1910.

⁴ - <http://www.archivesdefrance.culture.gouv.fr/gerer/publications/terminologie-archivistique/> le 15/05/2012. Ce dictionnaire a été mis au point en 2000-2001 par un groupe de travail composé d'Elisabeth Rabut, inspectrice générale des archives de France, Rosine Cleyet-Michaud, alors conservatrice générale chargée du service technique de la direction des Archives de France, Philippe Charon, alors directeur des Archives départementales de la Sarthe, et Bruno Galland, alors chef de la section ancienne du Centre historique des Archives nationales, avec la participation, pour la partie Conservation et restauration, de Bertrand Lavédrine, directeur du CRCDG, et d'Hélène Capodano-Cordonnier, chef de l'atelier de restauration des Archives départementales des Alpes-Maritimes.

⁵ - Brunos Delmas : origine et développement de l'enseignement de l'archivistique in Archivum, vol. xxxiV ; p. 72

⁶ - Michel Duchéin : Archives, Archivistes, Archivistique/définition et problématique in la pratique archivistique française, Paris, Archives nationales, 1993, pp.19-39.

⁷ - Le grand dictionnaire terminologique de l'office québécois : dt.oqlf.gouv.qc.ca/Resultat.aspx, 15/05/2012

⁸ - Carol Couture, Jacques Ducharme et Jean Yves Rousseau : L'archivistique a-t-elle trouvé son identité in Argus, Juin 1988, volume17, n°2, pp.51 à 60.

⁹ - Eric Ketelaar : l'archivistique dans le monde actuel, pp. 9-20 : <http://www.arhivelenationale.ro/images/custom/image/serban/RA%203-4%202007/03%20ketelaar,%20eric.pdf>

¹⁰ - Jacques Grimard : l'archivistique à l'heure du paradigme de l'information ou la révolution numérique à l'âge de l'archivistique in Archives, volume 37, n°1, 2005-2006, pp.59 à 87.

¹¹ - Il faudrait noter que le programme de formation en archivistique que nous proposons ne prend en charge que la formation pure en archivistique. Il reste à compléter d'abord par des séances de travaux dirigés et pratiques, des visites et stages ainsi que par d'autres modules complémentaires tels que : l'histoire, les langues, le droit administratif, les techniques de communication, l'informatique documentaire, les statistiques etc.

Bibliographie

1- Recueil des textes officiels relatifs aux archives, publication de la DGAN, Alger 2000, 30p.

2- Programme officiel adopté par le ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique au profit de la faculté des sciences humaines et de la civilisation islamique/Université d'Oran Es Sénia et appliqué à partir la rentrée universitaire de septembre 2009.

- 3- Manuel pour le classement et la description des archives. » Groningue (Hollande) 1898, traduit en français par Jos. Cuvelier et Henri Stein en 1910.
- 4- COUTURE Carol, DUCHARME Jacques et ROUSSEAU Jean Yves : L'archivistique a-t-elle trouvé son identité in Argus, Juin 1988, volume17, n°2, pp.51 à 60.
- 5- DELMAS Bruno . Origine et développement de l'enseignement de l'archivistique in Archivum, vol. xxxiV ; p. 72-89
- 6- DUCHEIN Michel : Archives, Archivistes, Archivistique/définition et problématique in la pratique archivistique française, Paris, Archives nationales, 1993, pp.19-39.
- 7- GRANGE Didier. Archivistique et mondialisation : deux constats, un débat in Archives, Volume 40, n° 1, 2008-2009 p. 71-89
- 8- GRIMARD Jacques: l'archivistique à l'heure du paradigme de l'information ou la révolution numérique à l'âge de l'archivistique in Archives, volume 37, n°1, 2005-2006, pp.59 à 87.
- 9-<http://www.archivesdefrance.culture.gouv.fr/gerer/publications/terminologie-archivistique/> le 15/05/2012.
- 10- Le grand dictionnaire terminologique de l'Office Québécois : <http://www.granddictionnaire.com/Resultat.aspx> 15/05/2012
- 11- KETELAAR Eric : l'archivistique dans le monde actuel, pp. 9-20 : <http://www.arhivelenationale.ro/images/custom/image/serban/RA%203-4%202007/03%20ketelaar,%20eric.pdf>
- 12- <http://journals.sfu.ca/archivar/index.php/ca/article/view/13070/14309>, texte en pdf, le 02/03/2013
- 13- Disponible sur le WEB: http://www.uqac.ca/a2cote/archivistique01_uqac.html [consulté le 03 février 2014]
- 14- Disponible sur le WEB: <http://unesdoc.unesco.org/images/0004/000406/040620fo.pdf> [consulté le 03 février 2014]
- 15- Disponible sur le WEB : <http://www.ica.org/670/au-sujet-de-la-section-pour-lenseignement-de-larchivistique-et-la-formation-des-archivistes-sae/a-propos-de-la-section-pour-lenseigneme> [consulté le 28 février 2014]
- 16- HOTTIN Christian :« L'archivistique est-elle une science ? » Réactions aux journées d'études organisées par l'École des chartes et l'Association des archivistes français à la Sorbonne (salle Louis-Liard) les 30 et 31 janvier 2003. Disponible sur le WEB: <http://labyrinthe.revues.org/323> [consulté le 12 décembre 2013]
- 17- GARON Robert : l'enseignement de l'archivistique au Québec. Disponible sur le WEB : [Journals.sfu.ca/archivar/index.php/ca/article/viewFile/13070/14309](http://journals.sfu.ca/archivar/index.php/ca/article/viewFile/13070/14309) [consulté le 12 février 2014]
- 18- LIARD, Marie-Françoise. L'archivistique est-elle une science ? . Bulletin des bibliothèques de France [en ligne], n° 3, 2003 [consulté le 12 février 2014]. Disponible sur le Web : <<http://bbf.enssib.fr/consulter/bbf-2003-03-0099-005>>. ISSN 1292-8399.
- 19- La science des archives. Disponible sur le WEB : <http://www.ehess.fr/archives/document.php?id=4562> [consulté le 12 février 2014]

LA GESTION DES CONNAISSANCES

Notions et principes fondamentaux

BENALLOU HOUARI ADNANE
Université d'Oran I Ahmed BENBELLA

Introduction

Durant la révolution industrielle, toutes les grandes entreprises industrielles et économiques étalaient leurs efforts sur les ressources financières, qui pour certains managers seraient la clé de tout défi économique, peu à peu le souci fut senti dans le besoin informationnel, pour s'apercevoir par la suite que le besoin réel de tout organisme se limite aux ressources humaines, ils furent prises en importance dans leurs gestion.

Ce besoin en ressources humaines a fortement accentué la concurrence entre les acteurs d'une même entreprise, qui avec le temps fait jaillir les compétences capables de faire sortir leurs organismes de leur déficit économique. Cette nouvelle richesse humaine reconfigure la vision de production entreprise par toutes les structures, l'idée d'innovation et de création suscite une importance pour chaque acteur.

L'idée de l'innovation reconfigure l'outil de production, qui fait l'objet d'une plus grande attention, pourquoi des entreprises innovent plus que d'autres? Le résultat est caractérisé par un partage des connaissances, c'est le processus de gestion des hommes et de leurs idées qui permet de répondre à la question.

La préoccupation essentielle du management des connaissances est de savoir comment faire vivre des groupes afin qu'ils se partagent les connaissances individuelles, améliorent le fonctionnement de l'organisme et de tout ce qui touche les connaissances, capitalisation, préservation et partage.

La richesse de toute entreprise, c'est les connaissances tacites et les connaissances explicites, une richesse qui demande un investissement et une potentialité financière qui sera réinjecté dans la production pour un gain et une productivité plus florissante.

Ce patrimoine humain que possède tout organisme risque de se perdre, si des mesures rationnelles ne sont pas prises: amélioration des conditions de travail du personnel, stimuler, innover et permettre aux personnels d'extraire toutes les compétences et connaissances tacites.

Pour toutes les entreprises, l'action d'un partage des connaissances, c'est l'intégration de toute action dans un ensemble collaboratif. La notion de compétence et de performance diffère d'un acteur à un autre, l'idée qui résulte de cette collaboration c'est l'échange des meilleurs savoirs et savoir-faire, ceci augmente le potentiel de l'entreprise, relie les membres, consolide les relations et améliore le climat de travail et de rendement.

Le management des connaissances, connu principalement dans les pays anglophones comme Knowledge Management a pour but d'améliorer le fonctionnement de l'organisme.

Définitions et terminologie

Il est important de rappeler quelques données et de fournir quelques définitions nécessaires à une compréhension des concepts relativement important dans ce travail.

Le Management

Selon Peter DRUCKER dans son livre « The practice of management » il désigne le management comme une activité visant à obtenir des hommes un résultat collectif en leur donnant un but commun, des valeurs communes, une organisation convenable et la formation nécessaire pour qu'ils soient performants et puissent s'adapter au changement.

Le petit Larousse définit ce terme par l'ensemble des techniques de direction, d'organisation et de gestion de l'entreprise.

Raymond Alain THIETART dans son livre « le Management », définit le management comme « action ou art ou manière de conduire une organisation, de la diriger, de planifier son développement, de la contrôler, s'applique à tous les domaines d'activités de l'entreprise. »

Frederick Winslow TAYLOR définit le management comme étant la conduite scientifique des ateliers.

Dans l'ensemble de ces définitions, on vise prioritairement des techniques de gestion et d'organisation, résultat, valeurs, formation, performances, conduite, planification et contrôle. Les organisations favorisent

habituellement des éléments où agissent le facteur humain, capitalisation des connaissances, développement des compétences, accroissement de la performance.

Les Connaissances

Nous recensons un ensemble de définitions sur la connaissance,

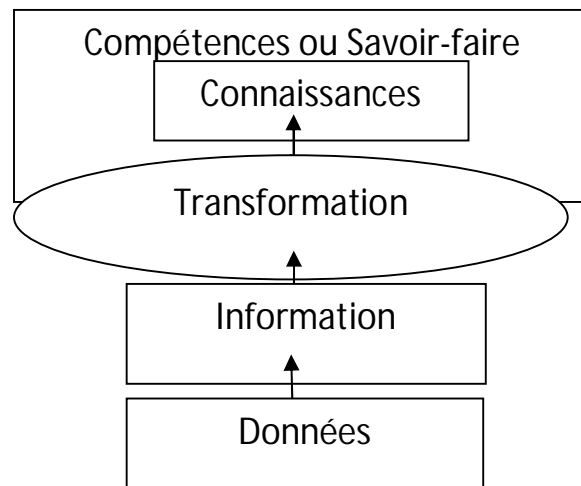
« La connaissance est une information comprise, c'est-à-dire assimilée et utilisée, qui permet d'aboutir à une action. ». ¹

« La connaissance est indissociable de l'individu qui la possède. Elle désigne la transformation, "digestion" d'une information par un individu, en fonction de l'ensemble des grilles de lecture et des représentations mentales qui lui sont propre. ». ²

La connaissance reste avec l'idée du temps, une des dimensions par rapport auxquelles s'organise l'individu mais aussi sa relation avec la réalité sociale.

Le principe de toute connaissance est pleinement basé sur l'acquisition d'information sous toutes ces formes.

Positionnement de la connaissance : Schéma n° 1



Ce schéma illustre le positionnement de la connaissance par rapport aux autres concepts du management des connaissances, c'est à partir d'une simple donnée qu'il y a ce passage d'une situation à une autre, ceci implique un mode de transformation qui aboutit à une connaissance.

Une donnée

Elle résulte d'une acquisition effectuée par un instrument naturel ou directement par l'homme, elle peut être qualitative ou quantitative.

Une information

Un ensemble de données structurées, ayant un sens et transmis en message oral ou écrit.

Une compétence

C'est mettre un ensemble de connaissance afin de suivre le cheminement d'une action ou d'une situation donnée.

Approche historique d'apparition du management des connaissances

Dans un article de Anne-Sophie GODFROY-GENIN intitulé 60 000 ans de KM, l'auteur revient historiquement sur la question de la naissance du KM, elle avance ceci: « L'activité du KM est inséparable de l'histoire de l'humanité, il n'y aurait d'ailleurs pas d'histoire de l'humanité s'il n'y avait pas de KM. ». ³

L'homme a toujours été une source de transmission depuis la nuit des temps, son seul moyen de transmission, la parole, elle lui permettra de conserver une quantité informationnelle. Bien avant l'écriture, toute l'histoire des civilisations fut transmise que par l'oral. Cependant l'homme mémoire disparaissait et avec lui disparaissait le savoir et la connaissance.

Toujours dans ce même contexte, Anne-Sophie GODFROY-GENIN avance ceci, « C'est assez dire que le KM ne date pas de cinq ou dix ans, mais d'au moins soixante mille ans. Ce qui a changé depuis cinq ou dix ans, c'est que nous nous sommes aperçus que nous faisons du KM, avec l'apparition des technologies de l'information et de la communication. ». ⁴

Dans toutes les entreprises, il y a une connaissance détenue par des individus. Cette connaissance est une richesse intellectuelle, elle est sujette à disparaître un jour selon le départ du salarié : départ en retraite, réduction des effectifs, démission etc.

Le départ reste totalement prévisible, simplement comment recueillir toutes les connaissances, les expériences et le savoir-faire des individus.

La prise en conscience du KM dans les entreprises ne date pas d'aujourd'hui, ce concept s'émerge au Etats-Unis, il se développe par la suite en France.

« Plus de 80% de l'information, capital de l'entreprise, n'est pas intégrée dans son système d'information. Elle se trouve sur documents papiers ou dans le cerveau des experts : elle n'est donc pas exploitable par les autres et reste individuelle. Les technologies de l'information et des communications (GED, Workflow, Groupwar, édition électronique, Intranet) peuvent aider à la mise en place de cette indispensable politique d'informatisation et de diffusion de toute connaissance vital à l'entreprise. ». ⁵

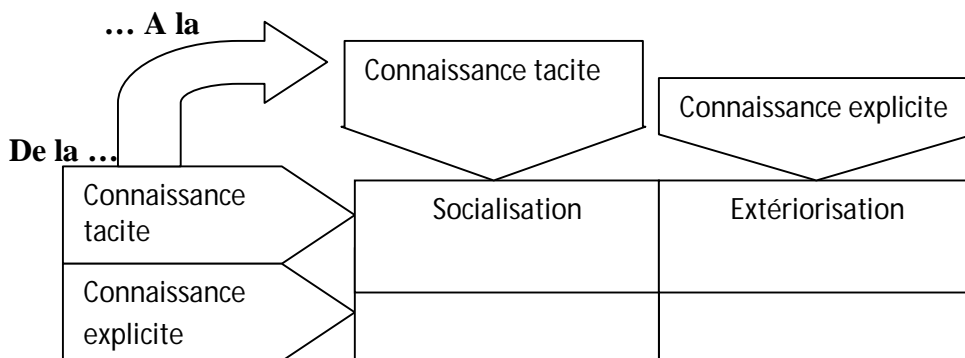
Connaissances tacites et Connaissances explicites

L'idée de la connaissance s'est développée notamment chez les deux chercheurs japonais **Ikujiro NONAKA** et **Hiroataka TAKEUCHI** qui proposent deux types de connaissances :

- Les connaissances Tacites: ce sont des compétences acquises au court de la trajectoire de l'individu, un savoir faire propre à chaque personne, elles sont la base de son expérience, de son expertise technique.
- Les connaissances Explicites: elles sont identifiables au niveau de tous les supports écrits, audiovisuels ou électroniques. L'intérêt majeur des connaissances explicites, c'est le partage collectif.

Cette approche est décrite chez NONAKA et TAKEUCHI par quatre modes de conversion des connaissances selon le schéma suivant :

Schéma n° 2 : les quatre modes de conversion de la connaissance



Le 1^{er} mode de conversion des connaissances, du tacite au tacite, c'est ce qu'a dénommé TAKEUCHI et NONAKA la socialisation, transmission des

connaissances du maître à l'apprenti, ce mode de transfert ne se caractérise que par le compagnonnage, le processus du partage, se base sur l'observation et l'imitation à la pratique.

Le 2ème mode de conversion des connaissances du tacite à l'explicite, l'extériorisation des connaissances d'une personne et l'ensemble de son expérience, de son savoir faire sous la forme de connaissances explicites.

Le 3ème mode de conversion de l'explicite au tacite, l'intériorisation, l'individu capte des connaissances explicites diffusées à l'intérieur de l'entreprise, il filtre toutes ces connaissances, il assimile et intègre ces connaissances explicites qui deviennent avec le temps des connaissances tacites.

Le 4ème mode de conversion de l'explicite à l'explicite, c'est la combinaison, chaque acteur possède des connaissances explicites, il reconstitue et fait régénéré de nouvelles connaissances explicites.

Comment peut-on définir le management des connaissances ?

Il n'y a pas vraiment de définition unanimement admise du management des connaissances. Un nombre d'auteurs et de spécialistes de la question définissent cette science selon les objectifs et du contexte de la mise en action des connaissances dans l'entreprise.

Jean Yves PRAX dans son ouvrage " Le guide du KM " avance un certain nombre de définitions:

« Le KM est une approche qui tente de manager des items aussi divers que pensés: idées, intuitions, pratiques, expériences émises par des gens dans l'exercice de leur fonction.

« Le KM est un processus de création, d'enrichissement, de capitalisation et de diffusion des savoirs qui implique tous les acteurs de l'organisation, en tant que consommateurs et producteurs.

« Le KM suppose que la connaissance soit capturée là où elle est créée, partagée par les hommes et finalement appliquée à un processus de l'entreprise. ». ⁶

Dans toutes ces définitions, le KM ne peut se définir qu'à travers un ensemble ou un groupe de personnes, et ceci dans l'accomplissement de ces tâches. Cette production quelque soit son origine comme le souligne l'auteur

(idées, pratiques, expériences etc...) devient consommable par l'ensemble des acteurs en cas de besoin, afin de l'appliquer à un processus.

Dans le même contexte Jean Yves PRAX aborde une question totalement fondamentale dans la gestion des connaissances. Il s'agit du partage informationnel exacte et juste des informations dont on a réellement besoin dans les prises de décisions.

Selon le témoignage d'un agent inondé par une quantité informationnelle « Apportez-moi l'information dont j'ai besoin, au moment ou j'en ai besoin et si c'est possible sans que j'en fasse la demande. ». ⁷

Nous analysons ce témoignage par quatre points important dans le KM

- Apportez-moi, ceci suppose une attente d'information, une création, une production,
- L'information dont j'ai besoin, ceci fait apparaitre le mode de filtration des informations, une information purement spécifiée,
- Au moment ou, le facteur de temps joue un role dans la prise des décisions,
- Sans que j'en fasse la demande, ce transfert doit se faire d'une façon automatique, l'aspect de partage et des attentes explicites.

Le KM est considéré actuellement dans le monde, comme un facteur déterminant de la performance et de la compétitivité des organisations, les nouveaux modes de gestion font appels aux technologies de l'information et de la communication, qui peuvent améliorer l'efficacité, en permettant au mieux de gérer le temps, d'offrir des services de meilleurs qualité et surtout favoriser l'innovation.

Ce nouveau monde qui est révolutionné par les nouvelles technologies de l'information et de la communication peut permettre ainsi de lancer une culture de gestion des connaissances par des outils, qui permettent d'introduire obligatoirement la culture du partage.

Les outils du Knowledge management

La spécificité du management des connaissances, c'est qu'il se développe autour des technologies de l'information. La notion d'outil est omniprésente dans chaque projet. Une grande variété d'outils et de progiciels est présente comme des composants clés d'un système de KM. Il s'agit de fournir un

environnement connecté qui rend possible les processus de partage des connaissances et de collaboration.

Un nombre d'outils se présentent comme ceci :

- **L'Agenda** : « c'est un outil individuel ou collectif, qui présente un intérêt majeur pour toute entreprise, avec ce type d'outils les collaborateurs tiennent à jour leur emploi du temps au sein d'un logiciel adapté et le partagent avec d'autres collaborateurs, l'avantage de cet outil est de permettre de réaliser aisément la synchronisation des emplois du temps des différents personnels. ». ⁸

- **Le Workflow** : c'est un terme anglo-saxon dont la traduction est "flux de travail", il désigne la prise en compte et l'automatisation par voie électronique de la production et de la gestion des données selon les étapes suivantes :

« - Définir le produit et le suivi chronologique des différentes étapes,

- Repartir les tâches entre les acteurs,

- Détermination de tous les documents qui interviennent dans le processus,

- Mettre en place des indicateurs de contrôle de qualité et de mesure qui permettent d'arrêter ou de poursuivre le processus,

- Mettre en sécurité l'ensemble du processus,

- Proposition d'alternatives en cas de défaillance des ressources techniques ou humaines.» ⁹

Le Workflow structure les relations, afin de faire intervenir le bon acteur au bon moment, avec une bonne circulation de l'information vers la bonne personne. C'est un outil de management des compétences, et à partir de cette dynamique du partage, on peut mesurer les qualifications des acteurs et exploiter leurs connaissances.

Cartographie : « il s'agit de fournir une analyse puis une représentation graphique d'un ensemble d'informations et de fournir un accès aisé aux documents les contenant, suite à un ensemble d'association entre mots clés formant un cluster (thèmes). ». ¹⁰

A partir d'une bonne représentation graphique, l'organisme arrive plus facilement à identifier ces connaissances par une élimination et

suppression de ce qui peut ne pas être validé en qualité de savoir et définit les orientations stratégiques de l'entreprise.

Forum : « ils permettent de structurer des échanges d'opinion ou d'interrogation sur un ou plusieurs sujets, sous forme de commentaires et de réponses. ». ¹¹

La messagerie électronique contribue dans l'élaboration de cet échange par des discussions autour d'un sujet d'un même intérêt.

Le forum permet de capitaliser toutes les connaissances à titre collectif et un échange d'information entre les acteurs.

La communauté de pratique

Toutes les entreprises prennent en soin et en garde leur capital humain, fournir de très bonnes conditions de travail, pour permettre une productivité des savoirs et des savoirs faire, afin de les réinjecter dans le système de production de l'entreprise. Ceci nécessite une mise à jour régulière afin de mettre les niveaux et les compétences sur une même voie d'assimilation de ces connaissances tacites.

WENGER Etienne formalise "la communauté de pratique" « comme étant un groupe de personnes qui travaillent ensemble à travers des plateformes internet tels que des forums, des vidéoconférences des courriels et qui sont en fait conduites à inventer constamment des solutions locales aux problèmes rencontrés dans leur pratiques professionnelles. Après un certains temps et au fur et à mesure que ces personnes partagent leurs connaissances, leurs expertises, ils apprennent ensemble. ». ¹²

Selon WENGER trois dimensions structurent les communautés de pratiques :

- Un engagement mutuel: un respect de cet engagement, une confiance et l'ouverture aux autres sont des caractéristiques primordiales.
- Une entreprise commune : une interaction entre les acteurs de cette entreprise ; afin d'aboutir à un but commun, rentable et bénéfique.
- Un répertoire partagé : un partage de toutes les ressources de l'entreprise entre les acteurs afin de trouver les solutions nécessaires au développement de l'entreprise.

Conclusion

A travers cet article nous avons essayé d'éclaircir et de faire connaître quelques notions de bases du knowledge management. Ce nouveau courant managérial devra permettre de ressortir toutes les connaissances tacites et explicites pour toute démarche, en sachant que les connaissances sont omniprésentes dans chaque organisme. L'existence d'outil informatique à savoir l'internet, favorise une culture de partage entre les acteurs.

Le knowledge management est le projet qu'il faut pour tous les entreprises qui pensent et qui veulent se réapprovisionner en savoir et savoir-faire. Cette nouveauté dans la gestion des ressources humaines à travers la capitalisation et le partage des connaissances aura pertinemment un impact sur le développement de l'organisme.

Nul de ne contestera l'idée que le knowledge management a évolué grâce aux techniques modernes de l'informatique et des nouvelles technologies de l'information et de la communication et que cette évolution technique a permis à beaucoup d'entreprises d'ouvrir une nouvelle dimension qui se base sur le traitement informationnel afin d'en faire des connaissances à travers les outils de partage.

Notes:

- 1-Gilles BALMISSE, Gestion des connaissances, Paris, Vuibert, 2005, p. 13.
- 2-Dominique GENELOT, Vincent LEFEVRE, Qu'est-ce que le Knowledge Management, in revue annuelle 2000 des élèves des arts et métiers, 2000, p23.
- 3- 4 Anne-Sophie GODFROY-GENIN, 60 000 ans de KM, in revue annuelle 2000 des élèves des arts et métiers, 2000, p30, p37.
- 5- René SOENEN, Jacques PERRIN, Coopération et connaissance dans les systèmes industriels, Paris, éd Lavoisier, 2002, p 56
- 6- Jean Yves PRAX, Le Guide du KM : concepts et pratiques du management des connaissances, Paris, éd Dunod, 2000, p 17.
- 7- Jean Yves PRAX, Op. Cit. p 16
- 8- Denis MEINGAN, Les outils du knowledge management, in revue annuelle 2000 des élèves des arts et métiers, 2000, p87
- 9- Zakaria MAAMAR, Aperçu général sur la technologie des Workflow, in revue d'information scientifique et technique, vol 8 n° 2,1998, p 13
- 10- Denis MEINGAN, Op Cit, p88
- 11- Denis MEINGAN, Op Cit, p89
- 12- http://fr.wikipedia.org/wiki/communauté_de_pratique.

Bibliographie

Ouvrages

- 1- BALMISSE Gilles, Gestion des connaissances, Paris : Vuibert, 2005.
- 2- ERMINE Jean Louis, La gestion des connaissances, Paris : éd Lavoisier, 2003.
- 3- Jean Yves, Le Guide du KM : concepts et pratiques du management des PRAX connaissances, Paris : éd Dunod, 2000.
- 4- SOENEN René, PERRIN Jacques, Coopération et connaissance dans les systèmes industriels, Paris : éd Lavoisier, 2002.

Périodiques

- 5- BONNARDEL Stéphane, Knowledge management : vers une nouvelle source de richesse, in revue annuelle 2000 des élèves des arts et métiers, 2000.
- 6- GENELOT Dominique, LEFEVRE Vincent, Qu'est-ce que le Knowledge Management, in revue annuelle 2000 des élèves des arts et métiers, 2000.
- 7- GODFROY-GENIN Anne Sophie, 60 000 ans de KM, in revue annuelle 2000 des élèves des arts et métiers, 2000.
- 8- MAAMAR Zakaria, Aperçu général sur la technologie des Workflow, in revue d'information scientifique et technique, vol 8 n° 2,1998.
- 9- MEINGAN Denis, Les outils du knowledge management, in revue annuelle 2000 des élèves des arts et métiers, 2000.

Webographie

- 10- http://fr.wikipédia.org/wiki/communauté_de_pratique

**Aspectos más destacados de la revolución argelina y el
establecimiento de un Estado independiente:
homenaje a Ahmed Ben Bella y Houari Boumediène:**

Fouad Kebdani

Universidad Complutense de Madrid.

Habib Atallah

Universidad Complutense de Madrid.

Una situación catastrófica de la sociedad argelina como consecuencia de la política destructiva de la autoridad colonial francesa. Dicha política colonial llevó a la mayoría absoluta de la población argelina - que estaba viviendo y sufriendo la miseria, la pobreza, el analfabetismo y las desigualdades sociales más flagrantes- a apoyar la idea de la lucha armada contra cualquier tipo de presencia francesa en Argelia. Gracias a la participación masiva de toda la población, la revolución llegó a la cima de la extensión en todo el territorio argelino y ha podido resistir contra los intentos de Francia de minimizar su importancia. Un sacrificio enorme que concretó el sueño de la Argelia independiente y gracias a todos los argelinos encabezados por un ejército de hombres fieles, el Estado joven y frágil ha podido enfrentarse a los problemas y los obstáculos después de la independencia. En este contexto, tenemos muchas figuras históricas e importantes de la historia de Argelia que han jugado un papel enorme en la edificación del nuevo estado argelino entre ellos Ahmed Ben Bella, Houari Boumediène e Abdelaziz Bouteflika...etc.

La caída de los regímenes nazi y fascista¹, llevó las masas a salir en todos los países del mundo para celebrar la victoria de los aliados. Los argelinos, entre las tropas contratadas durante los combates en Europa, sacrificaron muchas vidas por la libertad que finalmente se limitó a los países occidentales, liderados por Francia, que mintió a los argelinos, pues les había prometido la concesión de la independencia por su contribución a la liberación de la ocupación nazi. Eso empujó a los argelinos que salieron a las calles para manifestarse de reclamar la independencia -la promesa francesa-. La reacción de los franceses fue una persecución brutal que acabó con una terrible masacre en la que murieron más de 45.000 personas². La lección fue dura y la decisión segura; el pueblo argelino se

dio cuenta de que Argelia nunca obtendría la libertad por estos métodos pacíficos y la independencia sólo tenía una vía: la lucha armada.³

El Comité Revolucionario de la unidad de trabajo fue fundado el 23 de marzo de 1954 por la iniciativa de los antiguos miembros de la Organización Secreta y algunos miembros del Comité Central del partido del Triunfo de las Libertades Democráticas. Se produjo una reacción estéril durante el debate por parte de algunos miembros que quisieron empezar el proceso armado de la revolución en contra de otros que seguían pensando que había que esperar condiciones más favorables. Los fundadores comenzaron a trabajar inmediatamente, formaron un comité de 22 miembros⁴, asistieron a la planificación de la lucha armada, decidieron la declaración del inicio de la revolución argelina el 1 de noviembre de 1954, y publicaron la declaración⁵ del 1 de noviembre explicando las razones, objetivos y métodos⁶. Este acto se consideró como un rechazo definitivo a los intentos franceses para la integración.

El 1 de noviembre de 1954 a las 00:00 de la noche, más de 3000 *Muyahidines*⁷ pusieron en marcha el plan de la revolución con ataques en la mayor parte del país contra los centros más significativos y representativos de la autoridad colonial. Las operaciones fueron distribuidas en todos los puntos del territorio nacional con el fin de que no pudieran ser suprimidas igual que las revoluciones del siglo XIX debido a su concentración en puntos de lucha limitados. En este momento revolucionario se anunció el nacimiento del partido FLN “Frente de Liberación Nacional”. Se emitió un comunicado explicando la naturaleza de los acontecimientos y se estableció el objetivo de la revolución, la restauración de la independencia y la reconstrucción del Estado argelino.

La operación ofensiva muy bien preparada –ataques- del 20 de agosto de 1955 fue un nuevo impulso que alimentó y renovó la revolución, y probó su carácter popular mientras que las acusaciones del colonialismo francés decían que solo se trataba de grupos de terroristas aislados y de actos de terrorismo bárbaro. Este pulso empujó a las otras partes conservadoras a unirse con el Frente de Liberación (la parte radical desde el punto de vista francés). La acción del 20 de Agosto dejó el asunto claro para los franceses; que el ALN (Ejército de Liberación Nacional) disponía de la iniciativa en el momento adecuado y tenía las capacidades necesarias para

movilizar a la gente que iba a responder de forma automática al llamamiento en todo el territorio⁸.

La oficina política del Frente de liberación Nacional cosechó grandes resultados a través de su brazo militar (ALN), lo que les animó a continuar la lucha hasta la independencia. El 20 de Agosto de 1956, el FLN decidió hacer la evaluación de dos años de lucha. El encuentro fue en el Valle de as-Sumam⁹. La reunión se dedicó a mantener y proteger el principio de la dirección colectiva del proceso revolucionario con el fin de evitar cualquier movimiento inesperado que afectara en el proceso de la liberación del país. El FLN intentó que le permitieran imponerse como el representante legítimo del pueblo argelino en el interior y el exterior, y por eso crearon dos importantes instituciones; El Consejo Nacional de la revolución argelina: el órgano supremo, que funciona como Parlamento y el Comité de Coordinación de Asuntos Político-Militares, de la reestructuración del Ejército de Liberación Nacional y la división administrativa de Argelia a los seis *wilayas* (departamentos)¹⁰.

Durante los tres primeros años de la revolución, los argelinos sufrieron una intensa presión militar con medios brutales y de destrucción masiva para acabar con la resistencia. Entre las atrocidades cometidas por el ejército francés contra los *muyahidines* para cortar el acceso a las armas y a la alimentación, estuvo el bombardeo de la localidad tunecina de *Sidi Youssef*, situada en la frontera de Argelia el 8 de febrero de 1958. En el bombardeo las fuerzas coloniales lanzaron ataques violentos mediante aviones militares y provocaron el exterminio de decenas de civiles inocentes (tunecinos y argelinos). Pero este crimen no afectó a la voluntad y la determinación del pueblo argelino para continuar su lucha. Tampoco afectaría a los lazos de hermandad y el destino común que unen a ambos países y a los dos pueblos¹¹.

Para la continuación eficaz de la actividad de los organismos responsables de la revolución política y militar, el Comité de Coordinación y la aplicación declaró el establecimiento del Gobierno Provisional de la República de Argelia el 19 de septiembre de 1958. Esta declaración fue una confirmación de la existencia de un Estado argelino que tenía que recuperar su soberanía. Eso también dejó claro que el FLN era el único representante legítimo para el pueblo argelino¹².

La presión brutal por parte de los franceses creó más voluntad e insistencia. El pueblo argelino no tardó en contestar a los llamamientos de sus representantes para salir a las calles, gritando plenamente y proclamando

su independencia. Fueron manifestaciones que mostraron claramente una nación unificada y una madurez política. Esto se hizo evidente durante las manifestaciones del 11 de diciembre de 1960, que incluían todo el territorio nacional. Se pusieron en marcha las manifestaciones nacionales el 10 de diciembre en el distrito de *Belcourt* de Argel, donde los manifestantes salieron con banderas nacionales, cantando por la independencia de Argelia y apoyando al Frente de Liberación Nacional. Las fuerzas coloniales rodearon a los manifestantes y usaron las armas causando muchos muertos¹³. Pero eso no impidió que las manifestaciones se extendieran al resto de la capital, y luego a la mayoría de las ciudades de Argelia, demostrando la base sólida del FLN.

La memoria colectiva mantiene viva y fresca la fecha del 17 de octubre de 1961, el día en que salieron cientos de argelinos residentes en Francia en manifestaciones pacíficas en respuesta al llamamiento de la representación del partido Frente de Liberación Nacional en Francia. La autoridad francesa se enfrentó a los manifestantes por presión, lo que provocó la muerte de muchos de ellos. Esa fecha es el día nacional en que se conmemora la migración¹⁴.

La voluntad del pueblo argelino continuó desafiando a la represión colonial en las zonas rurales y en las ciudades con el fin de golpear sus pilares. Y siguió la lucha armada y política para alcanzar el sueño de la independencia que no tardaría esta vez en transformarse en realidad. No existe un mejor regalo que ofrecer a un pueblo que durante 132 años se mantuvo firme, sólido y fiel a sus principios; una nación que resistió todo tipo de opresiones. Como consecuencia de este tesón revolucionario, Francia aceptó el principio de negociación. Un comunicado del general De Gaulle del 16 de diciembre de 1959 se consideró como una nueva etapa en la posición del colonialismo francés por su admisión del derecho del pueblo argelino a la libre determinación. En la etapa temprana, dichas negociaciones conocieron muchas dificultades, debido a las maniobras francesas, y a la sensibilidad de los puntos tratados, especialmente los temas de la integración del territorio argelino y de la soberanía. Las negociaciones continuaban durante varios meses. Cada uno buscaba su interés hasta las últimas mesas redondas que tuvieron lugar en Evian entre el 7 y el 18 de marzo. Dichas negociaciones se acabaron con la declaración de un referéndum sobre la independencia, y finalmente culminaron con la firma de

los Acuerdos de Evian que decidieron el alto el fuego y que entraron en vigor el 19 de marzo de 1962 a las 12 horas.¹⁵

Una era nueva, el 01 de Julio de 1962 se reflejó la determinación del pueblo por la independencia después de saber los resultados del referéndum en el que participó el 99.7 de la población – la Argelia de los argelinos-. El anuncio oficial de la independencia de Argelia fue el 3 de julio de 1962 y se eligió el día 5 para celebrarlo¹⁶. Y gracias a todos aquellos éxitos de la revolución argelina, los historiadores la consideraron como una de las más reputadas resistencias contra las potencias coloniales en el siglo XX. Esta revolución surgió de la zona local limitada en el corazón del Magreb Árabe para convertirse en un símbolo de la lucha para todos los árabes y todos los libertadores del Tercer Mundo.

Una revolución o un movimiento de resistencia necesitan una suma de hombres y materiales para seguir adelante y alcanzar el objetivo designado. La revolución argelina contaba con hombres competentes (políticos y militares). Hombres que declararon la guerra contra el colonialismo francés y a la OTAN que estaba apoyando a la potencia militar francesa a lo largo de la presencia francesa en Argelia. Los argelinos estaban seguros de que era la única vía para llegar a la libertad y que no existía otra alternativa. Un ejército de hombres fieles a la patria, preparados para sacrificar su vida: Mohamed Boudiaf, Ben M'hidi Larbi, Zighoud Youssouf, Didouche Mourad etc. Fueron precavidos y decidieron la declaración de la revolución en todo el territorio argelino. Hubo muchos antes y otros habrá después, todos con la misma voluntad y la misma fe. Unos que estuvieron en las primeras filas de la revolución desde su inicio fueron Houari Boumediène y Ahmed Ben Bella *Si Hmimed*.¹⁷

El ex hombre revolucionario y ex presidente de Argelia, Ahmed Ben Bella, hijo de Embarek Ben Mahjoub, nació en Maghnia, provincia de Tremecén, cerca de la frontera con Marruecos, el 25 de diciembre de 1916. Sus padres eran campesinos y cultivaban la tierra en su localidad natal. Su familia fue numerosa igual que la mayoría de las familias de la época. Cursó estudios secundarios en Tremecén. Durante la Segunda Guerra Mundial sirvió en el ejército francés, donde alcanzó, en 1940, el empleo de sargento en el 14º Regimiento de Infantería Alpina. Ganó la Cruz de Guerra por su defensa del puerto de Marsella. En 1944, cuando estaba encuadrado en el 5º Regimiento de Cazadores marroquíes se le menciona cuatro veces,

incluyendo dos de ellas en la orden del ejército, y el general De Gaulle le impuso en persona la Medalla Militar como premio a su trayectoria durante la Campaña de Italia, donde participó en batallas como Monte Cassino y la liberación de Roma.¹⁸

Ahmed Ben Bella se dedicó a movimientos argelinos secretos y organizó grupos armados de carácter independentista en la zona oeste de Argelia. Fue miembro participante en el Partido del Pueblo Argelino (PPA), donde llegó a ser responsable de la reorganización. Más tarde se incorporó al Movimiento para el Triunfo de las Libertades Democráticas, partido que nació de una escisión del PPA. En 1947 crea un grupo dedicado a la lucha armada contra los franceses para lograr la independencia de Argelia: la Organización Especial. Su principal hazaña de esa época fue la organización y ejecución del ataque contra la Central de Correos.¹⁹

Si Hmimed fue detenido por los franceses en Argel, en marzo de 1950, por sus actividades rebeldes. Fue condenado a ocho años de cárcel en Blida, a unos 50 Km de Argel. En 1952 se escapó. Ben Bella se fue escondiendo por muchos lugares: pasó por Marsella, París, Suiza, llegando a El Cairo, en 1954. Fue uno de los fundadores del FLN, el Frente de Liberación Nacional, siendo uno de los nueve miembros originales del Comité Revolucionario que declaró la revolución contra la presencia francesa. La historia se repitió y en octubre de 1956, Ben Bella fue detenido por segunda vez por los franceses. Exactamente fue capturado a bordo de un avión marroquí cuando se dirigía a Túnez, y fue encarcelado en Francia. Su liberación formó parte de las condiciones de los “Acuerdos de Evian”, que otorgaron la independencia a Argelia, el 19 de marzo de 1962²⁰. El hombre tuvo un pensamiento revolucionario magrebí. Intentó colaborar con el movimiento marroquí a través de su partido *al-Istiqlal* (Allal al-Fassi), y su homólogo, el tunecino *Neo-Destour* de (Habib Bourguiba).

Boumediène, un lazo importante de periodos de la revolución y la independencia: Después de 132 años de un duro colonialismo, sinónimo de catástrofe en la vida económica, social y cultural de los argelinos. Llegó el momento de vivir la libertad. El 1 de julio de 1962 un referéndum de autodeterminación llevó automáticamente a Argelia a la independencia. Fue un sueño que tardó bastante pero al final llegó. El día 5 de julio de 1962 Argelia era independiente. La declaración fue pronunciada simbólicamente desde Sidi Ferruch, por donde entraron los franceses por primera vez.

Concretar la independencia fue un desafío y desde el primer día de la libertad, los argelinos estuvieron obligados a arrancar proyectos de distintos dominios para la construcción de su Estado. Necesitaron un ejército de leyes y normas para el establecimiento de una sociedad moderna. La vida histórica de Argelia fue manejada por dos ejes, uno civil de carácter político (FLN) y otro militar (ALN). Estos dos ejes formaron la fórmula típica de los acontecimientos del país en el período post-independencia.

El pasado argelino estuvo marcado por las ideas socialistas, que se expresaron en la manera de gestionar un Estado todavía bajo el colonialismo. El partido único y el importante papel de la institución militar indicaron claramente un régimen centralizado que se desarrollará después de la independencia²¹, y de forma más clara a partir del mandato del primer presidente Ahmed Ben Bella (1962-1965) y que continuaría con Houari Boumediène (1965-1978). En el artículo 110 de la constitución de 1976 se habla del modelo elegido²².

Ahmed Ben Bella como presidente de Argelia trabajó duro para cambiar, o al menos mejorar la situación del país en general; políticamente, económicamente y socialmente. Además de una gran lucha en la búsqueda de la personalidad argelina destruida y deformada²³ por parte del colonialismo, el esfuerzo era enorme y los resultados fueron aceptables comparativamente con las dificultades existente en la casi totalidad de los sectores.

Houari Boumediène otro famoso de la revolución argelina nació el 23 de Agosto de 1932 en el pueblo de Beni `Addi a 15 kilómetros de la wilaya –departamento- de Guelma en el este de Argelia. Su verdadero nombre era Mohamed Brahim Boukharouba. El seudónimo Huari Bumedián fue su nombre de guerra durante la época colonial. Huari procedía del santo patrón de Orán Sidi Huari, y el santo patrón de Tremecén era Sidi Boumediène. Boumediène pertenecía a una familia modesta. Su padre era *fellah* y hablaba el árabe mientras que su madre era una mujer del campo de origen bereber. Pues, H. B creció en una casa argelina pura por esta mezcla étnica, por eso aprendió de las dos culturas. Así podemos decir que la personalidad de H. B ha disfrutado una diversidad que le ha ayudado en la construcción de su carisma personal.

El ex líder argelino pasó su infancia entre los *fellahs*, y desde el campo aprendió el valor de la paciencia hasta llegar a cosechar los cultivos;

se cuenta que estaba observando a un obrero del campo que trabajaba duramente en condiciones difíciles y esperaba mucho tiempo para ver cambios en su campo. Su arma era la paciencia y su objetivo fue llegar a ver que su trabajo daba buenos frutos. Su padre cuidaba la tierra igual que un miembro de la familia. Estos elementos caracterizaron la personalidad de Huari Boumediène que se convirtió en un nacionalista y revolucionario muy famoso. Así se puede decir que el carisma de la personalidad de H. B contenía una fórmula de tantos elementos de origen de la vida diaria; de la casa familiar y de las circunstancias de la vida de un pueblo bajo el sistema colonial.²⁴

Características especiales: El ex presidente y revolucionario dominaba muy bien el idioma árabe, aprendido en el *Kuttab* o la escuela coránica. Además de aprender el Corán y los principios de la religión, estudió francés en la etapa primaria en su pueblo y después se trasladó a Constantina, la ciudad del saber y de los sabios, donde fue alumno de la «*Medersa de el-Kettani*» durante tres años (1946-1949). En 1949, Boumediène escapó de Argelia rechazando el servicio militar bajo la bandera francesa y como la autoridad francesa consideraba a los argelinos como ciudadanos franceses, entonces pasar el servicio militar fue una obligación. En Túnez, Boumediène siguió los estudios en la *Zeitouna*. Después viajó a El Cairo (Egipto) donde siguió sus estudios en *al- Azhar* en 1951.

En la escala de Egipto y durante su estancia en el Cairo, H. Boumediène fue un miembro activo del PPA. También se dedicó al movimiento político argelino-magrebí a través de su instalación BMA “*Bureau de Maghreb Arabe*” desde 1950. Esta oficina fue fundada por líderes argelinos, marroquíes y tunecinos. Su objetivo principal fue combatir contra los franceses hasta la liberación de todo el norte de África. De los fundadores citamos Allal el-Fassi de Marruecos, Saleh Ben Yussuf de Túnez, Ahmed Ben Bella y Ait Ahmed de la parte argelina. El BMA²⁵ jugaba un papel muy importante en la preparación de los estudiantes que no tardaron de convertirse en líderes políticos y militares y Boumediène fue uno de ellos.

La importancia del hombre empujó El BMA a mandar Boumediène a Bagdad, la capital de Irak para seguir sus estudios militares en la escuela superior de guerra “*el-Kolliyya al-Harbiyya*” y fue muy notable en su formación. Durante todo ese tiempo, la persecución de las autoridades

francesas a Huari Boumediène por no incorporarse al ejército francés no paró, y sobre todo cuando sabían que Mohamed Boukharouba y Huari Boumediène fueron la misma persona. Cuando los franceses supieron por la estancia de Boumediène en Egipto, comunicaron inmediatamente con la Embajada de Francia en el Cairo con el fin de capturarlo y expulsarlo a Argelia. La caída del régimen de el-Farouk salvó a Boumediène.

En 1955, la relación entre H. Boumediène y la resistencia argelina se reforzó, por su incorporación directa en la acción militar, y participó en el desembarque de cantidades de armas en las playas oranenses por el barco “*Dina*” en la zona oeste de Argelia. Mohamed Boukarouba estaba bajo el mandato de Abdelhafid Boussouf, pero el joven revolucionario no tardó en responsabilizarse más en el ALN gracias a sus capacidades tácticas y de observación. Fue el coronel más joven del ALN y el más influyente hasta llegar a ser el hombre número uno de la institución militar²⁶. En 1962, Boumediène y sus tropas en las fronteras entre Tremecén y Marruecos apoyaron a Ben Bella plenamente para llegar a la presidencia. Por este papel que desarrolló, H. B pudo ganar la confianza de Ahmed Ben Bella y ocupó los puestos más sensibles y altos en el gobierno de Ahmed B. Bella como estado mayor del ANP, vicepresidente y ministro de defensa.²⁷

La formación revolucionaria se enfrentó a las dificultades del periodo transitorio: Después de llevar a Ben Bella a la cima del poder en Argelia, aprovechando el poder del ANP, Boumediène decidió cambiar la historia de Argelia. El 19 de junio de 1965 el Coronel Huari B puso fin al mandato de B. Bella, y justificó el golpe de estado²⁸ por la necesidad de conservar la revolución argelina y sus principios revolucionarios que estaban en peligro según él. El Consejo de la Revolución compuesto por 26 miembros y presidido por el coronel Boumediène decidió poner a Ahmed Ben Bella bajo arresto domiciliario hasta el mandato de Chadli Bendjedid.²⁹

El nuevo presidente argelino H. Boumediène empezó su carrera presidencial aplicando los principios de la revolución, así la reconstrucción de un Estado con buena gestión, con más control de los fondos públicos y con un ejército de dirigentes fieles a dichos principios y que ponían los intereses de Argelia por encima de todo.³⁰ El nuevo líder argelino consideraba los primeros años de la independencia como una continuación de la revolución, otra forma de lucha que se explica en un periodo transitorio que había que consolidar. También era primordial extender el

plan de la independencia a otros campos, sobre todo el de la economía y la cultura sabiendo que era una nueva batalla para la que le faltaba más esfuerzo y más movilización de las masas populares.

El periodo transitorio a partir de julio de 1962 estaba caracterizado por la continuación del papel histórico del FLN que siguió siendo el partido único y poderoso del país, manejando las instituciones del Estado, y ser miembro del FLN fue la condición principal para cualquier nombramiento político o militar. Además del FLN, Boumediène reforzó el papel del Consejo Revolucionario (CR) que tenía un carácter colectivo y que dibujó la política interior de Argelia igual que la del exterior, como la nacionalización de los hidrocarburos, la revolución agraria, la economía dirigida y la arabización. El presidente H. Boumediène tenía como objetivo crear un prestigio del Estado argelino a nivel interior y exterior, y en los años setenta Argelia vivió una época diplomática próspera a nivel regional, continental e internacional por su papel activo a través la Organización de la Unión Africana y la Organización de los países no alineados.³¹

El líder argelino H.B intentó combinar entre la personalidad revolucionaria de su pasado y la del periodo de la independencia, y poco a poco empezó a cambiar gradualmente de la lógica revolucionaria a la lógica del Estado. De todas las ideologías Boumediène pudo encontrar una fórmula adecuada para el Estado que presidía. La fórmula de este último se presenta en una base de ideas que se mezclan dentro el marco nacional para el interés del Estado y su pueblo. En este contexto, encontramos el socialismo y el Islam, el árabe y el francés (incluso el presidente personalmente se vestía con el *Barnus*, el vestido argelino tradicional por encima de su traje de moda occidental). Así podemos localizar la personalidad de H. B, que llegó a unir polos opuestos, incluso con sus contradicciones. Eso da la impresión de que el hombre tenía un pensamiento amplio para resolver los problemas y capacidades para adaptarse a las nuevas ideas, siempre con el mantenimiento y la conservación de los principios y los orígenes.

La eficacia de la lucha armada y la movilización general de los argelinos –a pesar las distintas tendencias ideológicas existentes- ofreció un eco internacional a la revolución Argelina. Dicha situación obligó los franceses a negociar la cuestión argelina con argelinos, que hacía poco tiempo fueron llamados como terroristas o *fellaga*. Un grupo argelino puro de negociadores que se consideró como la primera promoción de la escuela

revolucionaria de Argelia. Finalmente, gracias a la reputación del caso argelino -que se convirtió en el tema más importante e esencial de las agendas y tablas de las distintas organizaciones regionales, continentales e internacionales-, los argelinos han podido arrebatarse la independencia de Argelia en 1962 con los dos objetivos más importantes: la unidad de la nación argelina y la integración del territorio argelino. Además una serie de responsables de carácter revolucionario puro que dejará las huellas claras en la historia contemporánea de Argelia.

Notas:

¹- Sobre la participación argelina con los aliados en la segunda guerra mundial, véase, Frezza, Daria. “Memorias locales e internacionales de la II Guerra Mundial (Cassino 1943-44)”, en *Historia Antropología Y Fuentes Orales*, Barcelona, 2005, n° 33, pp. 63-69.

²- Véase; Ronald, Aronson, *Camus y Sartre, la historia de una amistad y la disputa que le puso fin*, Trad. Juan, Pérez Moreno, Universidad de Granada, 2006, pp. 91,92; Ana, Pastor Sanmillán, *La descolonización: el Tercer Mundo*, 2 (ed), Madrid, 1995, p. 48; Frank, Tenaille, *Las 56 Áfricas: guía política*, Edición en español corregida y aumentada, 1981 (Versión original en Francés en 1979); Pedro, Rojo Perez, *El 2007 Visto Por Los Árabes* (Anuario de prensa árabe), España, 2008, p, 25; sobre la reacción brutal de la autoridad francesa, la cifra de las víctimas; 45000 víctimas según los argelinos, los franceses admitieron 15000, véase, Segura, *Aproximación al mundo islámico, op.cit.*, p. 96; sobre el mismo tema, Yves, Benot, *Massacres coloniaux*, La Découverte, Paris, 2001, p. 19.

³- Por más análisis sobre las circunstancias del 8 de Mayo de 1945, véase; Rukhila, `Amer, *8 mai 1945, le tournant décisif dans le parcours du mouvement national*, OPU, Alger, 1995; Guenaneche, Mohamed, *Le processus national et les évènements du 8 mai 1945*, Ed. Dahleb, Alger 1991; Varios, “*Le crime du 8 Mai dans les plans du colonialisme français*”, en *al-masader (les sources)*, n°7, Centre national d'Etudes et recherches sur le mouvement national et la Révolution de Novembre 54, 2002.

⁴- Los 22 miembros fueron: Badji Mokhtar, Belouizdad Athmane, Ben Boulaid Mustapha, Benabdelmalek Ramdane, Benaouda Amar, Ben M'hidi Larbi, Bentobbal Lakhdar, Bitat Rabah, Bouadjadi Zoubir, Bouali Said, Bouchaib Ahmed, Boudiaf Mohamed, Boussouf Abdelhafid, Derriche Elias, Didouche Mourad, Habachi Abdesslam, Lamoudi Abdelkader, Mehati Mohamed, Mellah Rachid, Merzougui Mohamed, Souidani Boudjema, Zighoud Youcef. Véase, Mohammed, Harbi, *1954, la guerre commence en Algérie*, Ed. Complexe (Bruxelles), 1999; Jacques, Simon, *Novembre1954: la révolution commence en Algérie*, Harmattan, Paris, 2004.

⁵- Para más información sobre la revolución argelina, véase, Segura, *Aproximación al mundo islámico, op.cit.*, p. 97; Jorge, Verstryngé Rojas, *La guerra periférica y el Islam revolucionario: orígenes, reglas y ética de la guerra asimétrica*, Ed. Viejo Topo, España, 2005, pp. 133-134; Eric Robert, Wolf, *Las luchas campesinas del siglo XX*, Trad. Roberto, Reyes Mazzone, Siglo 21 editores, Madrid, 1999, pp. 324-326; La revolución argelina del 1 de Noviembre de 1954 fue una acción sorprendente y inesperada, “¿Quién podía pensar que unos pocos petardos inofensivos que explotaron en Argel, el día 1 de noviembre de 1954, iba a ser el prólogo de la independencia del África del Norte francesa?”, véase, Ramón Cayuelas Robles & Antonia Orts Montoya, *La guerre d'Algérie: 1954-1962*, Alicante, 2005, p. 27.

⁶- Sobre las razones, objetivos y métodos, véase, Bennasi, Ahmed, *Falsafat al-Thawra al-Jazai'riya, Usos wa Mabadie'*, ed. Dar Samar, 2005.

⁷ - Muyahid (singular), Muyahidines (plural), es una palabra árabe-islámica, significa la persona que hace la lucha santa.

⁸ - Sobre la importancia de la acción militar de los ataques del 20 de Agosto de 1955, véase, Segura, *El Magreb: del colonialismo al islamismo*, op.cit., pp.171-172. Es un comportamiento que afirmó que la política de integración de la sociedad argelina con la francesa estaba ya superada, véase, Henri, Grimal, *Historia de las descolonizaciones del siglo XX*, ed, Instituto de Estudios Políticos para América Latina y África, Madrid, 1989, p. 380. Este acto armado ofensivo de parte de unos argelinos, tuvo motivo de empujar los moderados a unificarse bajo el techo del FLN y apoyar su ideología militar, en este contexto, véase, Marc, Ferro, *La colonización: una historia global*, 2000, Mexico, p. 356.

⁹ - Véase, Fethi al-Dib, *Abd Ennasser wa Thawrat al Jaza'ir*, El Cairo, 1990, 2 (ed), p, 244; `Ali A, Mazrui & Christophe Wondji (editor asistente), *História General de África, Vol. VIII, África desde 1935*, El Comité científico internacional del Unesco para la redacción de la historia general de África, Brazil, p, 161. Muchas nacionalistas y líderes de la revolución argelina asistieron en el congreso como: Abbane Ramdane, Larbi Ben Mhidi, Krim Belkacem, Omar Ouamrane, Youcef Zighout, Lakhedar Ben Toubbal etc. Sobre las circunstancias del congreso, véase, Ahmed, Ben Nn'mán, *Yihad al-Jaza'ir haqa'iq al-tarikh wa moghalat al-idiologia*, 2 (ed), Dar al-Umma, Argel, 1998, p. 13; sobre la unificación de las decisiones, véase, `Ammar Qalil, *Malhamat al-jaza'ir al-jadida* 2 (ed), Dar el-bahth, Constantina, p. 383; Lo relativo a la nueva estrategia de la revolución, véase, Ali Kafi, *Modhakirat al-ra'is Ali Kafi mina al-monadil al-siyasi ila a-'qa'id al-'askari 1946-1962*, Alger, 1999, p. 99, sobre el comité de coordinación y exicusión, véase, Mohamed, Harb, *Al-jaza'ir (1954-1962), Yabhat al-tahrir al-watani al-ustura wal-waqie`*, 1 (ed), Beirut, 1983, p. 154.

¹⁰ -Sobre la división administrativa del territorio; véase, Yves, Courrière, *La guerre d'Algerie*, Edition Robert Laffont, 1999, pp. 63-64.

¹¹ -La condena internacional fue fuerte. Sobre la reacción internacional después del bombardeo, véase, Segura, *Aproximación al mundo islámico*, op.cit., p. 98; Rafael Aracil, Josn Oliver, Antoni Segura, *El mundo actual: de la Segunda Guerra Mundial a nuestros días*, Barcelona, 1998, p. 147. La comunidad internacional condenó la agresión francesa en las Naciones Unidas, "El Consejo de Seguridad se reunió el 18 de febrero de 1958 para tratar de una doble denuncia: la primera relacionada con un ataque de los aviones franceses a una aldea fronteriza de Túnez, y la contaacusación de Francia según la cual Túnez suministra ayuda a las fuerzas antifrancesas de Argelia". Véase, Moisés, Poblete Troncoso, *La comunidad internacional contemporánea: relaciones y organismos internacionales*, Chile, 1958, p. 461.

¹²La declaración oficial del nacimiento del GPRA (Gobierno Provisional de la República Argelina) al público fue en el Cairo por parte de su presidente Ferhat Abbas. Este último explicó las circunstancias de la creación de este gobierno y sus principales objetivos. Dicho gobierno salió a la escena política después de la reunión de la CNRA (Consejo Nacional de la Revolución Argelina) del 22 al 28 de Agosto de 1958 en el Cairo, donde la CCE (El Comité de Coordinación y Aplicación) estaba encargado para acabar las instituciones que forman parte del esperado Estado argelino. Véase, Segura, *El Magreb: del colonialismo al islamismo*, op.cit., pp. 173-175; Peter, Calvocoressi, *Historia política del mundo contemporáneo*, trad. Susana Sueiro Seoane, Madrid, 1999, p. 512, (Versión original: *World politics. Since 1945*).

- El GPRA fue una institución que desarrolló un importante papel diplomático a nivel internacional. Representaba a la cuestión argelina en la escena mundial; "Se podía observar la influencia del FLN, que desde los primeros momentos de la insurrección en Argelia había puesto en marcha un gobierno provisional de la República de Argelia (GPRA) para presentar una legitimidad en la escena internacional." Véase, "La guerra periférica y el Islam revolucionario: orígenes, reglas y ética de la guerra asimétrica", *Ibidem*, p. 160.

¹³-Las manifestaciones del 11 de Diciembre de 1960 fueron la confirmación por parte del pueblo argelino y sus dirigentes de que la independencia era una decisión decisiva que no aceptaba revisión. Era un mensaje claro y directo para la autoridad francesa: “*Las manifestaciones del 11 de diciembre de 1960 han quedado en la memoria colectiva como una acción decisiva y un plebiscito nacionalista físicamente demostrado que anunció anticipadamente el fin del poder y del orden coloniales*”. Véase, José, Monleón, *Mediterráneo: memoria y utopía*, V. II, Universidad de Murcia, 2001. p.199.

¹⁴ -Ramón Villares Miguel Cabo, “*Guerra, violencia e conflictividad en la historia*”, Revista Semata, Ciencias sociales y humanidades, V. 19, Santiago, 2007, p. 295. Sobre la brutalidad de la autoridad francesa contra los manifestantes, véase, Grupo de autores: Juan Manuel Borthagaray, María Adela Igarzábal de Nistal y Olga Wainstein-Krasuk, “*Hacia la gestión de un hábitat sostenible: en el marco del Proyecto de investigación de urgencia social asentamientos precarios en el área metropolitana de Buenos Aires*”, (ASPRAMBA), Proyecto UBACyT A701, Buenos Aires, 2005, p. 574-575. Para más detalles sobre las manifestaciones del 17 de octubre de 1961, Véase, Jean-Luc Einaudi, “*La Bataille de Paris: 17 octobre 1961*”, Seuil, Paris, 1991, p. 33; la brutalidad de la autoridad francesa un crimen contra la humanidad. Véase, Jean-Michel de Forges, “*Educación contra Auschwitz: historia y memoria*”, Trad, Juan Carlos Moreno Romo, Barcelona 2006, p. 27.

¹⁵ -Giuseppe Mammarella, *Historia de Europa contemporánea desde 1945 hasta hoy*, Trad. Francisco J. Ramos & Juana Bignozzi, Barcelona, 2008, p, 198, habla del inicio de las negociaciones entre las dos partes en Mayo 1961 en un atmósfera perturbado por los actos del terrorismo por parte de la OAS (organización Armada Secreta qui actuó contra cualquiera posibilidad de la independencia). Estas negociaciones llegaron a firmar el alto el fuego el 19 de Marzo de 1962 y la preparación de un referéndum programado el 1 de Julio de 1962. “*Las conversaciones celebradas en Evian del 7 al 18 de marzo de 1962 entre el Gobierno de la República el Frente de Liberación Nacional han llegado a la siguiente conclusión: un alto el fuego se ha acordado; concluirán las operaciones militares y la lucha armada en territorio argelino el 19 de marzo*”. Véase, Fernando, Martínez Rueda & Mikel Urquijo Goitia, *Materiales para la historia del mundo actual II*, Madrid, 2006, p. 307.

¹⁶ -Resultado del referéndum: Rafael, *op.cit.*, p. 148. La proclamación oficial de la independencia fue en *Sidi Ferruch* donde desembarcaron los franceses por la primera vez con el fin de colonizar el país. Más información, véase, Henry, Grimal, *Historia de las descolonizaciones del siglo XX*, *op.cit.* La lucha del pueblo argelino culminó por la independencia del país, “*En 1962 tiene lugar la independencia de Argelia. Pero antes, durante ocho largos años, desde 1954 hasta 1962 transcurre una guerra de liberación para expulsar a la potencia colonial, conocida como la guerra de liberación de Argelia*”. Véase, José Girón, Slobodan Pajović, Mohamed Ali Alísaalem, *El Mediterraneo a Finales Del Siglo XX*, España (Oviedo), 1998, p. 351.

¹⁷ -Sobre Ahmed Ben Bella, véase, Robert, Merle, *Ahmed Ben Bella*, 1(ed), EEUU. Walker, 1967. Ahmed Ben Bella, uno de lo primeros combatientes de la guerra de la independencia, véase, Balta, *El Gran Magreb*, *op.cit.*, p. 73.

¹⁸ -Se puede encontrar mucha información relativa a la personalidad de Ahmed Ben Bella en la época colonial e independiente en el libro de, Al-Dib M. Fathi, *Abd-el-Naser wa thawrat al-Jaza'ir*, 2 (ed), El Cairo, 1990. Existe una versión francesa, *Abdel Nasser et la révolution algérienne*, L'Harmattan, 2004.

¹⁹ -Véase, Martin, Evans, *Algeria: France's Undeclared war*, EEUU, 2012.

²⁰ -El 17 de marzo de 2012, fueron revelados datos por primera vez sobre los Acuerdos de Evian. El historiador Marc Perrenoud (Asesor Científico de la edición de documentos diplomáticos suizos) escribió un artículo sobre el papel desempeñado por Suiza en la firma de los Acuerdos de Evian en la revista “Politorbis” del Departamento Federal de Asuntos Exteriores DFA).

Realizada por swissinfo. Más datos, véase, Samuel Jaberg, “*Ce que les accords d’Evian doivent à la Suisse*”, en, <http://www.swissinfo.ch.5455>

²¹ -El socialismo argelino fue concretado por las constituciones de 1963 y 1976 y los textos legislativos fijaron un régimen de un Estado que se basó en el único partido que manejaba la vida entera de los argelinos por su sistema centralizado.

²² -Artículo 110 de la Constitución de 1976 citado en Chalabi, el-Hadi. *L’Algérie, l’Etat et le droit 1979-1988*. Arcantère, París, 1989. P. 21.

²³ -“*Lo cierto es que la escolarización de las niñas durante la etapa colonial fue muy limitada, ya que, por poner un ejemplo, poco antes de alcanzar su independencia en 1962 más del 90 % de la población femenina de Argelia era analfabeta*”, véase, Irene López & Ana Rosa Alcalde, *Relaciones de Género y Desarrollo: Hacia la Equidad de la Cooperación*, Madrid, 1999, p.102. Bennoune calificó el analfabetismo como el mayor obstáculo: “*One of the major obstacles to the development of the country in the post-independence period was a high rate of illiteracy among the population. In 1944 only 8.8 per cent of Algerian school-age children were enrolled in schools, rising to 14.6 per cent by 1954. By 1961 only 300.500 Algerian children were attending school...It is no wonder that by 1966, close to 6 million Algerians over the age of ten were completely illiterate*”. Véase, Mahfoud, Bennoune, *The making of contemporary Algeria, 1830-1987*, Cambridge University Press, 1988, p. 219. Patricia por su parte describió la situación con lo siguiente: “*The literacy rate never reached its precolonization level during the entire 132 years of colonization. In 1962, at the time of independence, there were still remarkably high rates of illiteracy: 85 percent of the population*”. Véase, Patricia M. E. Lorcin, *Algeria & France, 1800-2000: Identity, Memory, Nostalgia* Nueva York, 2006, p. 182.

²⁴ - Sobre la personalidad de Bumedíán, véase, “Un homme sobre, attachant et profondément imprégné d’amour pour sa patrie”, Entrevista de Paul Balta, dirigida por Mohamed Shafik Mesbah, *Le Soir d’Algérie*, 4/1/2007, artículo muy interesante por la abundancia de información ofrecida.

²⁵ -BMA: Bureau du Maghreb Arab (Oficina del Magreb Árabe)

²⁶ -Para más información sobre Bumedíán, véase, Cheurfi, Achour, *La classe politique algérienne de 1900 à nos jours. Dictionnaire biographique*. Ed. Casbah, Alger, 2001, pp. 125-126; Bouchama, Kamel, *De la ville joly à la Citadelle d’El Mouradia. Chronologie des faits*. Alger, 1999.

²⁷ -Véase, Cheurfi, Achour, *op.cit.*; Benjamin Stora, *Histoire de l’Algérie, op.cit.*

²⁸ -Sobre las circunstancias del golpe militar, véase, Tahar Zbiri, Nisfo Qarn Mina al-Kifah, Echourouk, Alger, 2011. También véase, Muhammed Hasanayn Haykal, *Bayna al-Sahafa wa-Alsiyasa: Qissa wa Watha’iq* “*Ma’raqa Ghariba f-il-Harb al-Khafiya*, 6 (ed), El Cairo, 1985.

²⁹ -Chadli Ben Jedid, llegó al poder después la muerte de Bumedíá. Se decidió poner en libertad a Ben Bella (ex presidente de Argelia). También permitió el retorno de Ait Ahmed y Bouma`za Bashir (hombres históricos) y deshizo parte de la junta directiva de la revolución.

³⁰ -Sobre la intención de Bumedíán de construir un Estado fuerte a pesar del enorme déficit democrático, véase, Cheurfi Achour, *op.cit.*, p. 127.

³¹ -“*Dés sa prise de pouvoir, Houari Boumediène sera animé d’une passion: faire d’une nation, un État. Et éduquer, former, planifier, industrialiser, Développer, parfaire l’indépendance économique, donner à son pays la possibilité de prendre sa revanche sur l’Histoire*”, Así habló Balta de la voluntad de Bumedíán en construir un Estado fuerte para la venganza de la historia. Véase, Balta, *Le Grand Maghreb*, *op.cit.*, p. 86.

Bibliografía:

- 1- Amer, Rukhila, *8 mai 1945, le tournant décisif dans le parcours du mouvement national*, OPU, Alger, 1995.
- 2- Aracil Rafael, Josn Oliver, Antoni Segura, *El mundo actual: de la Segunda Guerra Mundial a nuestros días*, Barcelona, 1998.
- 3- Balta, Paul, *El Gran Magreb*, desde la independencia hasta el año 2000, Siglo XXI editores, Madrid, 1994.
- 4- Balta, Paul, “Un homme sobre, attachant et profondément imprégné d’amour pour sa patrie”, Entrevista con Paul Balta, dirigida por Mohamed Shafik Mesbah, *Le Soir d’Algérie*, 4/1/2007.
- 5- Benot, Yves, *Massacres coloniaux*, La Découverte, Paris, 2001.
- 6- Bennasi, Ahmed, *Falsafat al-Thawra al-Jazai’riya, Usos wa Mabadie’*, ed. Dar Samar, 2005.
- 7- Bennoune, Mahfoud, *The making of contemporary Algeria, 1830-1987*, Cambridge University Press, 1988.
- 8- Ben Nu’mán, Ahmed, *Yihad al-Jaza’ir haqa’iq al-tarikh wa moghalat al-idiologia*, 2 (ed), Dar al-Umma, Argel, 1998.
- 9- Bouchama, Kamel, *De la ville joly à la Citadelle d’El Mouradia. Chronologie des faits*. Alger, 1999.
- 10- Calvocoressi, Peter, *Historia política del mundo contemporáneo*, trad. Susana Sueiro Seoane, Madrid, 1999, (Versión original: *World politics. Since 1945*).
- 11- Cayuelas Robles, Ramón & Orts Montoya, Antonia, *La guerre d’Algérie: 1954-1962*, Alicante, 2005.
- 12- Chalabi, el-Hadi. *L’Algérie, l’Etat et le droit 1979-1988*. Arcantère, París, 1989.
- 13- Cheurfi, Achour, *La classe politique algérienne de 1900 à nos jours. Dictionnaire biographique*. Ed. Casbah, Alger, 2001.
- 14- Courrière, Yves, *La guerre d’Algérie*, edition Robert Laffont, 1999.
- 15- al-Dib, Fethi, *Abd Ennasser wa Thawrat al-Jaza’ir*, 2 (ed), El Cairo, 1990. Existe una versión francesa, *Abdel Nasser et la révolution algérienne*, L’Harmattan, 2004.
- 16- Einaudi, Jean-Luc, *La Bataille de Paris: 17 octobre 1961*, Seuil, Paris, 1991.
- 17- de Forges, Jean-Michel, *Educar contra Auschwitz: historia y memoria*, Trad, Juan Carlos Moreno Romo, Barcelona 2006.
- 18- Frezza, Daria & Dolors Udina, “Memorias locales e internacionales de la II Guerra Mundial (Cassino 1943-44)”, en *Historia Antropología Y Fuentes Orales*, Barcelona, 2005, n° 33, pp. 63-69.
- 19- Jaberg, Samuel, “*Ce que les accords d’Evian doivent à la suisse*”, en, <http://www.swissinfo.ch.5455>
- 20- Giuseppe, Mammarella, *Historia de Europa contemporánea desde 1945 hasta hoy*, Trad. Francisco J. Ramos & Juana Bignozzi, Barcelona, 2008.
- 21- Grimal, Henri, *Historia de las descolonizaciones del siglo XX*, ed, Instituto de Estudios Políticos para América Latina y África, Madrid, 1989.
- 22- Guenaneche, Mohamed, *Le processus national et les évènements du 8 mai 1945*, Ed. Dahleb, Alger 1991.

- 23- Harbi, Muhammed, *Al-jaza'ir (1954-1962), Yabhat al-tahrir al-watani al-ustura wal-waqie'*, 1 (ed), Beirut, 1983.
- 24- Harbi, Muhammed, *1954, la guerre commence en Algérie*, Ed. Complexe (Bruxelles), 1999.
- 25- Hasanayn Haykal, Muhammed, *Bayna al-Sahafa wa-Alsiyasa: Qissa wa Watha'iq "Ma'raqa Ghariba f-il-Harb al-Khafiya*, 6 (ed), El Cairo, 1985.
- 26- Kafi, 'Ali, *Modhakirat al-ra'is Ali Kafi mina al-monadil al-siyasi ila a-'qa'id al-'askari 1946-1962*, Alger, 1999.
- 27- López, Irene & Ana Rosa Alcalde, *Relaciones de Género y Desarrollo: Hacia la Equidad de la Cooperación*, Madrid, 1999.
- 28- Lorcin, Patricia M. E, *Algeria & France, 1800-2000: Identity, Memory, Nostalgia*" Nueva York, 2006.
- 29- Marc, Ferro, *La colonización: una historia global*, 2000, Siglos XXI editores, 2000.
- 30- Martín, Evans, *Algeria: France's Undeclared war*, EEUU, 2012.
- 31- Martínez Rueda, Fernando & Urquijo Goitia, Miquel, *Materiales para la historia del mundo actual II*, Madrid, 2006.
- 32- Mazrui, 'Ali A & Wondji, Christophe (editor asistente), *História General de África, Vol. VIII, África desde 1935*, El Comité científico internacional del Unesco para la redacción de la historia general de África, Brazil.
- 33- Merle, Robert, *Ahmed Ben Bella*, 1(ed), EEUU. Walker, 1967.
- 34- Monleón, José, *Mediterráneo: memoria y utopía*, V. II, Universidad de Murcia, 2001.
- 35- Pastor Sanmillán, Ana, *La descolonización: el Tercer Mundo*, 2 (ed), Madrid, 1995.
- 36- Poblete Troncoso, Moisés, *La comunidad internacional contemporánea: relaciones y organismos internacionales*, Chile, 1958, p. 461.
- 37- Qalil, 'Ammar, *Malhamat al-jaza'ir al-jadida*, 2 (ed), Dar el-baith, Constantina.
- 38- Ramón Villares, Miguel Cabo, "Guerra, violencia e conflictividad en la historia", Revista Semata, Ciencias sociales y humanidades, V. 19, Santiago, 2007, p. 295.
- 39- Rojo Perez, Pedro, *El 2007 Visto Por Los Arabes (Anuario de prensa árabe)*, España, 2008.
- 40- Ronald, Aronson, *Camus y Sartre, la historia de una amistad y la disputa que le puso fin*, Trad. Juan, Pérez Moreno, Universidad de Granada, 2006.
- 41- Segura i Mas, Antonio, *Aproximación al mundo islámico: desde los orígenes hasta nuestros días*, Cataluña, 2002.
- 42- Segura i Mas, Antonio, *El Magreb: del colonialismo al islamismo* Barcelona, 1994.
- 43- Simon, Jacques, *Novembre 1954: la révolution commence en Algérie*, Harmattan, Paris, 2004.
- 44- Slobodan Pajović, José Girón & Mohamed, Ali Alisalem, *El Mediterraneo a Finales Del Siglo XX*, España (Oviedo), 1998.
- 45- Stora, Benjamin, *Histoire de l'Algérie depuis l'indépendance 1962-1988*, la Découverte, Paris, 2004.
- 46- Tenaille, Frank, *Las 56 Áfricas: guía política*, Edición en español corregida y aumentada, Siglo XXI editores, Madrid, 1981. (Versión original en Francés en 1979).
- 47- Varios, Juan Manuel, Borthagaray, María Adela Igarzábal, de Nistal & Olga Wainstein-Krasuk, "Hacia la gestión de un hábitat sostenibl: en el marco del Proyecto de investigación de urgencia social asentamientos precarios en el área metropolitana de Buenos Aires", (ASPRAMBA), Proyecto UBACyT A701, Buenos Aires, 2005.
- 48- Varios, "Le crime du 8 Mai dans les plans du colonialisme français", en al-masader (les sources), n°7, Centre national d'Etudes et recherches sur le mouvement national et la Révolution de Novembre 54, 2002.
- 49- Verstryngge Rojas, Jorge, *La guerra periférica y el Islam revolucionario: orígenes, reglas y ética de la guerra asimétrica*, Ed. Viejo Topo, España, 2005.
- 50- Wolf, Eric Robert, *Las luchas campesinas del siglo XX*, Trad. Roberto, Reyes Mazzoni, Siglo XXI editores, Madrid, 1999.
- 51- Zbiri, Tahar, Nisfo Qarn Mina al-Kifah, Echourouk, alger, 2011.

Absracts
Des articles écrits en langue arabe

Le calendrier Amazigh et le Pharaon Shéshonq

Oumelkheir Laggoun

Département d'Histoire

Université d'Oran 1 Ahmed Benbella

Yennayer, qui désigne le premier jour du calendrier Amazigh, a été associée dans plusieurs recherches du début des années quatre vingt du siècle précédent, par l'ascension du chef de la tribu Libyenne Meshouash (Sheshonq) au trône des Pharaons. Une nouvelle ère amazigh commença alors, avec la 22ème dynastie en l'an 950 A.C. Quelles rapports, peut-on établir entre les Amazighs d'une part, et Sheshonq de la tribu des Meshouachs d'autre part ?

Les Meshouachs font partie de l'une des quatre tribus Libyennes (Tehnu- temhou-rbw) évoquées dans les sources égyptiennes, tantôt nommément, tantôt Rbw seulement, englobant ainsi les quatre entités qui composaient les anciens peuples de l'Afrique du nord.

Les anciens égyptiens prirent conscience du fait que ces tribus leurs sont étrangères, mais leurs similitudes constituaient à leurs yeux, un seul peuple, que les anciens Grecs via Hérodote leurs ont donné ultérieurement un nom commun: Les Libyens (Hérodote : livre2 para.).

Les Meshouachs amazigh ne se firent parler d'eux dans l'histoire qu'aux débuts du premier millénaire avant Jésus, lorsqu'ils prirent les plus hauts rangs dans l'Etat pharaonique.

D'où venaient-ils? Quelles sont les conditions qui ont poussé ces tribus à côtoyer les anciens égyptiens? Et plus tard dans l'Histoire, à gouverner un pan entier de l'Egypte ancienne? Régissaient-ils ce pays pour le compte d'un autre pays ? Ou bien le gouvernaient-ils en tant que citoyens égyptiens ?

Dans le but d'éclaircir cette partie de l'Histoire et essayer de déterminer la nature des relations entre ces Amazigh et leurs voisins Egyptiens, loin de toute équivoque qui peut conduire vers quelques interprétations malintentionnées ou « idéologiques », il est impératif de se référer aux sources historiques et autres outils de recherches de cette période.

Quelques modèles iconographiques rituelles punique et romaine dans le Maghreb ancien

Mohamed Benabdelmoumène
Université d'Oran1 Ahmed Benbella

Cette recherche expose les différents symboles décorés dans l'architecture funéraire au Maghreb ancien (l'Afrique du nord dans l'Antiquité), qui sont considérés parmi les preuves les plus importantes indiquant la prévalence de la croyance après la mort au cours de la période Punique parmi les habitants du Maghreb ancien, l'actif existe pour ces symboles, ils montrent l'étendue de la civilisation cananéenne, et égyptienne. Ces anciens symboles d'animaux tels que les oiseaux, les insectes, et les symboles de la vie marine (les dauphins, les poissons et les hippocampes entre autres), et les symboles cosmiques tels le disque du soleil et le croissant, ainsi que d'autres symboles comme les armes, les masques représentent les diverses divinités qu'ont connu les anciens peuples de notre région de l'Afrique .

IL ne fait aucun doute que ces symboles qui ornent l'architecture funéraire, et le reste des découvertes archéologiques ont été gravées ou sculptées, résumant l'essence de la parole.

Moulay Ali Cherif
Et ses efforts constitutifs
762-847 /1360-1443
2eme partie

Moulay Hachem Benelmehdi Elalawi Elkacimi
Université Sidi Mohamed Benabdellah /Fez-Maroc

Dans cette deuxième partie de cette recherche historique, l'auteur de cet article plonge le lecteur dans une période historique importante du royaume du Maroc médiéval ,762-847 de l'Hégire/1360-1443, durant laquelle le marocain, Moulay Ali Charif surmonta les difficultés historiques et sociales du Maroc du 15eme siècle, afin d'établir l'ordre dans le vaste territoire où les tribus autochtones s'entredéchirèrent et l'Etat fut absent.

Partant de l'idée de ramener la paix dans le nord avec les espagnols et le sud du Maroc (le désert) et surtout le chemin des pèlerins , allant de Fez passant par la célèbre ville Sigilmassa, Moulay Ali Chérif gagna la confiance des sujets du Roi Marinide, mais affronta la méfiance de son Roi.

**Tamentit: the city in the Ksour society
It's scientific and commercial role**

Ahmed Elhamdi
The University of Oran 1
Ahmed Benbella

This paper examines the role of one of the main important palaces of Touat in the middle period; it is a question of “Tamentit”, mainly at what concerns its scientific and commercial importance. We focus rather on the most prominent scholars as well as Zaouia which were established during the period when the palace existed, in addition to the role of trade. It has been realized that it mediated one of the main Saharian commercial routes; linking urban and northern cities of Western Sudan. Furthermore, we will mention when analyzing the data the most important commodities that were activated by the convoys. All of these information have qualified this palace which played the role of a city in a society of palaces.

UMBERTO OMAR
The Italian secret agent in Muscat
1908-1911
(Documentary Study)

NAHED ABDULKARIM
SULTAN QABOOS UNIVERSITY
Sultanat of Omman

This research uncovers the Italian attempts to find a foothold in the Arabian Gulf especially in Oman early of twentieth century showing failure to use diplomatic methods, before turned to finding a secret agent in Muscat who can provide it with the needed information .

This paper presents a documentary study of the correspondence that took place between the secret agent and the Italian authorities, covering the period between 1908 and 1911. It also reveals the tasks entrusted to the secret agent during an increase of colonial competition in the region, accompanied with remarkable rise in arms trading activity .

The study represents a pioneering step in studying the Italian Foreign Ministry documents as well as the Italian Colonies Ministry in respect of Oman Modern History. Thus, it is considered as complete new topic and study in this field.

Commandant Ferradj
Entre les mémoires de Mohamed Lamkami
et Mohamed Djeghaba

Abdelkader Khlifi

Département d'Histoire

Université d'Oran 1 Ahmed Benbella

Parmi les nationalistes occultés de l'Histoire contemporaine de l'Algérie, figure le nom du Commandant Ferraj. Sa grande contribution à la révolution algérienne fut associée à la destinée du Colonel Lotfi, Commandant de la Wilaya cinq historique. Il exerça la fonction de commandant adjoint au siège de la Wilaya à la frontière algéro-marocaine, puis tomba au champs d'honneur aux cotés du colonel Lotfi, le 27 mars 1960 dans les montagnes de Bechar. Mais, contrairement à ce dernier, qui eut toutes les considérations et suscitait beaucoup d'intérêt dans les écrits et témoignages, le commandant tomba aux oubliettes.

Ce préjudice fut la raison qui m'a poussée, depuis quelque temps, à lui consacrer un article dans un numéro de la revue « Elmassadir » qu'édite le centre national d'études et de recherche sur le mouvement national et la révolution du 1^{er} novembre, affilié au ministère des Moudjahidines.

Dans cet autre article qui retrace les grands moments de la vie du Chahid Ferraj, j'essaye de revenir sur quelques détails que les mémoires d'un certain nombre de cadre de la révolution, parus ces derniers temps, n'ont pas jugé utile de les relater, d'une manière ou d'une autre.

La Ligne Maurice entre objectifs français Et offensifs de la Révolution Algérienne

Djilali Beloufa Abdelkader

Département d'Histoire

Université de Tlemcen

La France coloniale a déployé plusieurs moyens pour étouffer la révolution algérienne depuis novembre 1954 jusqu'à 1962.

Elle a subi des pertes dans ses colonies surtout après Dien Bien Fu au Vietnam (Mars- Mai 1954) . durant cette même année ,la révolution Algérienne a commencé , et pour faire face ,l'administration coloniale a eu beaucoup de peines et pertes dans sa politique dans tous les domaines (politiques ,sociales , économiques ; et militaires) .

Sur le plan militaire, pour faire face aux exploits de la révolution Algérienne, et notamment après 1956,l'administration française a construit des lignes électrifiées (Shall et Maurice) sur les frontières est et ouest de l'Algérie pour isoler la révolution algérienne de ses appuis extérieurs .

Nous traçons par le biais de cet article l'historique de la ligne Maurice construite sur frontière ouest de l'Algérie depuis 1956 ,ses aspects techniques et ses objectifs pour le colonialisme français ,et en contrepartie l'attitude de la révolution Algérienne et les révolutionnaires Algériens pour dépasser cet obstacle .Et quel a été son impact sur l'avenir et la continuité de la révolution.

Le système archivistique en Algérie: Vue critique

Kadi Abdelkader

Université d'Oran 1 Ahmed Benbella

La pratique archivistique algérienne n'a cessé de se développer depuis l'indépendance de notre pays en 1962 à ce jour. Tous les aspects d'un système archivistique national sont présents et apparaissent notamment dans notre vision de la pratique archivistique ; cette vision due à une double définition contenue dans les articles 2 et 3 de la loi N°88-09 du 26/01/1988 relative aux archives nationales ; a créée cependant un amalgame quant aux responsabilités vis-à-vis des archives et des prérogatives de l'institution chargée des archives nationales.

D'autres aspects non moins négligeables tels que l'arsenal juridique des archives qui est relativement riche et a besoin d'une révision qui tiendrait compte des variantes qu'a connu l'Algérie depuis 1988 sur le plan politique, économique, social et culturel. Le réseau archivistique national réel qui devrait être considéré autrement que ce qu'il est actuellement. Aussi, et pour plus d'efficacité, le système archivistique national repose aussi et surtout sur la qualité de la formation des archivistes au niveau des universités. Reste le degré de leur motivation et persévérance dans le travail.

La mission délicate et importante ainsi que la responsabilité des archivistes à jouer le rôle d'intermédiaires capables et en mesure de réaliser les tâches nécessaires à l'identification des fonds et l'élaboration des instruments de recherches et en vue de faciliter l'utilisation et l'exploitation des archives dans de meilleures conditions.

Tels sont les éléments importants d'un système archivistique national qui devraient faire l'objet d'études scientifiques approfondies.

Of paper manuscripts tanks popular (the angles) to the digital library of manuscripts at the National Center for Manuscripts (Adrar)

Moulay M'Hammed

University of Adrar/ Algeria .

Manuscripts are considered a vessel of knowledge that are essential to searchers ... Despite this importance gained by but it did not have so far in Algeria adequate attention , making them accessible to scholars , collectively , maintenance and indexing and then digitized for preservation and publishing , but we find many of them are still in individuals and in the corners susceptible to damage and corrosion.

Algeria is among the country's rich Arab centers of scientific maintained manuscripts ,zwaya , mosques and schools , palaces , following scientific centers different in the east , west and south of the country still retains the treasures of precious manuscripts for scientists Algerians and non-Algerians and is awaiting a broad campaign to detect them so that they are available to researchers , especially especially in southern Algeria Adrar .

If indexing factor of maintaining the heritage assets of the manuscript , the digitization as a modern technological her role very important in the treatment of physical and even Scientific investigation manuscripts , for example , is no secret to anyone that the manuscript Algerian exposure to exhaust time, Colonialism French came to everything and everybody , it burned thousands of manuscripts Algerian , and looting themselves , as there are other factors, natural and chemical was and is still affecting the manuscripts in Algeria, especially manuscripts cabinets southern Algeria , and between this and that, how can digitize as modern technology can contribute to the preservation of manuscripts , especially rare and treatable physically and scientifically ? What are the different processes or phases , which are essential before the digitization process , especially if it is related to Library which do not meet the minimum requirements of preserving manuscripts repositories Adrar "territory Touat " ?

The role of smart devices in the use of official e-portal services: evaluation study of portal Ministry of National Education-Algeria

Larbi Benhajar Miloud
Université d'Oran I

The study demonstrates the role of smart devices in the use of official electronic Portal services. The Portal of the Ministry of National Education of the Republic of Algeria is taken as a model for evaluation, moreover, the appearance of the Internet, opens the door to a new world of high educational information quality. The paper tries to define the educational portal that can be used as a core for information exchange and provides an outlet for spreading educational products of high quality. Information and Communication Technology (ICT) has the ability to contribute and facilitate collective work for students and teachers, it can also increase the learning productivity and efficiency. Nowadays, we notice successful educational teaching practices: students have totally different curriculum using both traditional and distance learning. Thus, we need to offer a unique environment that takes into account the different needs of each individual as well as the different backgrounds and learning equipment's.

Rôle des manifestations scientifiques dans l'élaboration de la société académique du savoir spécialisé

cas du département de bibliothéconomie et des sciences documentaires,
université BADJI Mokhtar – Annaba

Ainelhjar Zouhir

Université Badji Mokhtar
Annaba /Algérie

Cette étude de terrain se propose de présenter le rôle que pourraient jouer les manifestations scientifiques organisées - au sein de l'université – par les laboratoires de recherche, les départements, les facultés et les universités en Algérie ; et ce dans l'intention de créer des opportunités d'échange du savoir scientifique entre enseignants et chercheurs universitaires, ce qui représente un premier pas dans le processus d'instauration de la société du savoir académique.

Cette étude présente aussi - et surtout – un travail de terrain sur la situation au département de bibliothéconomie et des sciences documentaires de la faculté des lettres et des sciences sociales et humaines à l'université Badji Mokhtar- Annaba. On y traite de l'ensemble des manifestations scientifiques organisées en son sein et avec la collaboration de laboratoires de recherche et d'organismes officiels nationaux. Le même souci d'étude et d'analyse va être porté sur les caractéristiques des participants venus de différentes universités et structures qui auraient participé et sponsorisé ainsi que les modalités d'organisation facilitant l'échange du savoir spécialisé dans les domaines de la bibliothéconomie, de la documentation et de l'archivistique.

L'accent va aussi être mis sur la participation des enseignants du département par des interventions au niveau local ,national et international qui auraient un impact certain sur les compétences et les performances des uns et des autres, grâce au côtoiement de chercheurs étrangers et l'organisation d'expositions de la documentation spécialisée et qualitative lors des rencontres scientifiques.

Cette expérience leur permet de faire évoluer la spécialité à l'échelle locale et de faire connaître le département aux niveaux régional, national et international par la participation continue de tous le staff enseignant.

Une tradition louable a été instaurée au sein du département .Il s'agit de la participation des étudiants brillants à des séminaires organisés soit au sein du département soit dans d'autres structures universitaires, scientifiques et/ou culturelles parrainés par leurs enseignants. Les étudiants peuvent aussi prendre l'initiative – avec la collaboration du département et du club - d'organiser une rencontre scientifique pour traiter d'un sujet ou d'une thématique précise leur permettant ainsi d'échanger des idées et des points de vue.

Sur l'écart de la théorisation informationnelle arabe Réalité , enjeux et nécessité de renouvellement

Hafsa Koubibi

Université Abdelhamid Ibn-Badis
Mostaganem/Algérie

Cet article traite le phénomène de la '' multidisciplinarité des sciences de l'information et de la communication ' qui a caractérisé les sciences de l'information et de la communication particulièrement dans le monde arabe ; à travers la concrétisation des aspects de cette crise et examiner ses causes ; en proposant des solutions.

En effet cette étude se base sur quatre principaux axes sont les suivants :

- La crise des SIC, une crise mondiale.
- L'état des SIC dans le monde arabe.
- L'état des SIC en Algérie comme un modèle du monde arabe.
- Soumettre des propositions pour sortir de cette crise.

Le journalisme d'investigation dans l'information télévisuelle Et les nouveaux médias

Larbi Bouamama

Université Abdelhamid Ibn-Badis/Mostaganem.

Hafidha Boukhari

Université Abdelhamid Ibn-Badis/Mostaganem.

L'objectif de ce document est de se pencher sur la problématique de la crédibilité de l'information investigatrice télévisuelle, qui est connue aussi (journalisme d'investigation ou journalisme d'enquête) comme un outil méthodologique et systématique. L'investigation est vue comme un instrument démocratique afin de lutter contre la corruption et les différentes formes de répression sociale, en particulier les pratiques politiques non démocratiques contre la société civile.

Cet article vient également pour mettre l'accent sur les étapes de la construction d'une enquête à partir de la formulation des hypothèses jusqu'à l'étape de l'édition et de diffusion de l'information ; et essayer aussi de connaître jusqu'ou peut aller une démarche objective dans une enquête de ce genre, soit au niveau du traitement de l'information soit au niveau de ses sources.

Ce papier tente aussi d'analyser la nature de la transmission audiovisuelle de l'enquête qui, avec les nouvelles technologies de l'information, peut être sujet de désinformation et interférer d'une manière ou d'une autre pour créer une crise de crédibilité.

Et en guise de conclusion, cet article soulève l'importance de la mutation que vivent les sociétés nouvelles dans le domaine de la circulation de l'information ou sa transition de la démocratie vers la technocratie. Cette dernière a abouti à une nouvelle crise liée à un nouveau genre d'enquête basé sur l'image, qui a pour but de détecter la vraie vie que mènent les gens avec l'apport technologique.

La couverture médiatique des crimes contre les mineurs: Phénomène du kidnapping d'enfants en Algérie

Ahmed Bendris

Université d'Oran1 Ahmed Benbella.

Cette recherche essaye de soulever la problématique de la couverture médiatique du kidnapping de mineurs par les chaînes satellitaires algériennes. Quelles sont les techniques et méthodes employées dans ces chaînes, afin de diffuser l'information concernant le kidnapping et crimes perpétrés contre des mineurs ?

Ce phénomène qui n'a cessé de s'amplifier dans notre société, a pris de l'ampleur au point qu'il est devenu un leitmotiv troublant au sein de l'opinion nationale. Non seulement ces crimes abjects ont créé un climat de terreur, mais ils ont été accentués par une couverture médiatique, en contradiction flagrante avec le code de déontologie du journalisme.

A travers cet article, l'auteur brosse un tableau du discours incendiaire de la dite couverture médiatique et sa violation du code de déontologie, ce même code qui stipule que le public (téléspectateur ou lecteur) a le droit à la vérité, et au respect de la vie privée et de la dignité humaine.

Et pour conclure, le chercheur propose un nombre de propositions pouvant aider à ajuster les relations entre Médias et informations ayant un quelconque rapport avec les crimes commis contre les mineurs.

Analyse critique de l'enseignement de la méthodologie en sciences humaines dans l'Université algérienne

Oumelkheir Toumi

Université d'Oran 1 Ahmed Benbella

La mise en question de l'enseignement de sciences humaines s'inscrit dans la problématique plus large des rapports liant le système d'enseignement et la société globale. Je livre dans cet article mon expérience en tant qu'enseignante de méthodologie au département des sciences de l'information , sur la méthodologie et son enseignement en sciences humaines.

La problématique de l'enseignement de la « méthodologie » en sciences sociales et humaines, reste toujours d'actualité. Les mutations qu'a connues notre société, tant au niveau social qu'au niveau de la communication et ses nouvelles technologies, nous poussent à investir ce terrain avec d'autres outils et démarches.

En d'autres termes, les méthodes et techniques de recherches doivent être au diapason de l'évolution des mœurs et réflexes qu'a connus l'environnement de la recherche scientifique.

Les écrits coloniaux sur le soufisme confrérique
Une approche analytique de l'ouvrage « les confréries
religieuses » de Dépont et Coppolani

Zaoui khadidja
Université d'Oran

La présente étude est une analyse des écrits de Dépont et Coppolani qui retracent l'existence et le recensement des confréries religieuses en Algérie pendant la période coloniale française.

Les principaux objectifs de l'étude sont, d'une part un questionnement autour du choix de cette thématique et la compréhension de contexte historique, politique, religieux..., de ces écrits d'autre part.

L'étude c'est axée sur :

a- une présentation générale de l'analyse de l'ouvrage dans sa forme et ses chapitres.

b- une approche analytique de son contenu.

En dépit de l'intérêt de cet ouvrage de point de vue historique, son analyse a décelé une subjectivité apparente des auteurs due probablement à leur appartenance directe aux autorités coloniales mais aussi à la volonté d'utiliser ce type d'études anthropologiques pour orienter les choix stratégiques de la colonisation.

ⁱ - **Arnaud FOSSIER et Édouard GARDELLA** . « Démocratiser les sciences humaines » *Tracés, Revue de sciences humaines, université de Lyon*, p.5-18. <http://traces.revues.org/4658>.

ⁱⁱ -Ibid.
